بس

١

مالكه من فضل الله علي بن صالح العاملي اصلاً الكاظمي مولداً ومسكناً

تملك هذا الكتاب الشريف المسمى بشرح نهج البلاغة بكتابته بالاجارة الشرعية وانا الفقير الحقير الى الله الغني عبده عبد الرضا بن محمد الكربلائي الشهير بالطبيب عفي عنهما

هذه النسخة الشريفة قد تشرفت بانتقالها ...

نهج البلاغة

نهج البلاغة مجموع سيد رضي نقيب سادات سيد مرتضى رضي الله عنه كه شرف مالكيت آن نسخه بتقرير در سال ١٣١٥ قمري هجري حاصل شد داعيه سيد كريم بن ... متخلص با ميري عفي عنهما

بس

١

مالكه فضل الله علي
بن صالح العاملي اصلاً
الكاظمي مولداً ومسكناً

تملك هذا الكتاب الشريف المسمى بشرح
نهج البلاغة بكتابته بالاجارة الشرعية
وانا الفقير الحقير الى الله الغني عبده
عبد الرضا [illegible] الشهير
بالطبيب عفي عنهما

نهج البلاغة [illegible]

نهج البلاغة مجموع [illegible]
[illegible]

هذه النسخة [illegible]

مالكه فضل الله علي بن صالح العاملي اصلاً الكاظمي مولداً ومسكناً

تملك هذا الكتاب نهج البلاغة وانا الفقير عبد الرضا بالطبيب عفي...

نهج البلاغة ...

نهج البلاغة مجموع سيد رضي ...

نقيب ... سيد ...

... ١٣١٥ ...

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السيد الشريف ذو الحسبين رضي الدين محمد بن الحسين الموسوي قدس
الله روحه الحمد لله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه ومعاذاً
من بلائه ووسيلاً إلى جنانه وسبباً لزيادة إحسانه والصلاة والسلام
على رسوله نبي الرحمة وإمام الأئمة وسراج الأمة المنتجب من طينة الكرم
وسلالة المجد الأقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق
وعلى أهل بيته مصابيح الدجى والظلم وعصم الأمم ومنار الدين الواضحة
ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم
ومكافأة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم ما أنار فجر ساطع وخوى
نجم طالع وبعد فهذا كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين كرم الله
وجهه في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ
وأدب علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة و
جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً
في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان عليه السلام مشرع الفصاحة
وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها وعنه أخذت
قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ
ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لأن كلامه عليه السلام الكلام
الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي لأنه عليه السلام
انفرد ببلوغ الغاية من جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها
القليل النادر والشاذ الشارد فأما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساحل
والجم الذي لا يحافل وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة أولها الخطب والأوامر وثانيها

الكتب

الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء
باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفرداً
لكل صنف من أصناف ذلك باباً وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول
غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لأني أورد النكت واللمع ولا أقصد
التتالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها
أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل
وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ
أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه شك في أنه من كلام من لا حظ
له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت أو
انقطع في سفح جبل لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن
بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه فيقط الرقاب ويجدل
الأبطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً وهو مع تلك الحال
زاهد الزهاد وبدل الأبدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه
اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات وكثيراً ما
أذاكر الإخوان بها وأستخرج عجبهم منها وهي موضع العبرة بها والفكرة
فيها وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر و
العذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق
الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية
أخرى موضوعاً غير وضعه الأول إما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة
فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما
بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً ونسياناً لا قصداً واعتماداً
وما أدعي مع ذلك أنني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه
شاذ ولا يند عني ناد بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي والحاصل

حكاية

ان هذا الخاطر خطر لداود عليه السلم قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك نعمة اخرى توجب علي الشكر فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا الرابع كونه لا تدركه بعد الهمم اي الهمم البعيدة و الهمة هي العزم الجازم وبعدها تعلقها بعليات الامور دون محقراتها اي لا تدرك النفوس ذوات الهمم العلية وان امعنت في الطلب كنه حقيقته وقدم الصفة للعناية بها الخامس كونه لا يناله غوص الفطن اي الفطن الغايصة واستعار وصف الغوص هنا لتعمق الافهام الثاقبة في بحار صفات جلاله التي لا قرار لها ولا غاية واعتبارات نعوت كماله التي لا تقف عند حد ولا نهاية السادس كون صفته تعالى لا حد لها اي ليس لما تعتبره عقولنا له من الصفات نهاية معقولة تكون حدا لها ويحتمل ان يريد انه لا صفة له فيحد كقولهم ولا ارى الضب بها ينجحر اي لا ضب بها فينجحر و قوله حد محدود كقولهم شعر شاعر السابع ولا المطلق ما يوصف به ايضا نعت يجمعه وينحصر فيه الثامن ولا لصفته وقت معدود اي داخل في العدد وذلك لتقدسه تعالى عن احاطة الزمان المتأخر عنه بمراتب التاسع ولذلك ولا اجل ممدود لكونه تعالى واجب الوجود دايمه العاشر من نعوت كماله كونه فطر الخلايق بقدرته والفطر الشق والابداع واستعاد وصفه لايجاد الخلق ملاحظة لما يتوهم من شق ظلمة العدم بنور وجودهم الحادي عشر كونه نشر الرياح برحمته اي بسطها لكونها سببا عظيما لبقاء انواع الحيوان والنبات و صلاح الامزجة ونموها واسنده الى رحمته لشمولها هذا العالم ومن اثارها حملها السحاب المترعة بالماء على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت بها الزرع ويملؤ الضرع كقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته و استقراء كلام العرب يدل على استعمالهم لفظ الرياح في الرحمة والريح في

العذاب الثاني عشر كونه وتد بالصخور ميدان ارضه اي ارضه المائدة فقدم الصفة لان ذكرها اهم لكونها سببا في نصب الجبال وهو كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الارض كرة وهذه الجبال جارية مجرى خشونات وتضاريسات في وجهها فلو لم تكن هذه الجبال حتى كانت الارض كرة حقيقة خالية عنها لكانت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب تحركه على تقدير اما اذا حصلت هذه الجبال على سطحها وكل منها يتوجه بطبعه و ثقله العظيم نحو مركز العالم فانه يجري مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة الثاني ما قيل ان اطلوق الاوتاد عليها استعارة والمقصود من جعلها كالاوتاد في الارض ان يهتدي بها على طرقها فلا تزيغ جماعتها المشتبهة باهلها ولا تميل بهم عن مقاصدهم الثالث عشر كون معرفته تعالى اول الدين الواجب لزومه واعلم ان المعرفة على مراتب فادناها ان يعرف العبد ان له صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له بالزهد الحقيقي وهو تخلية كل ما سواه عن سر الايثار الخامسة مرتبة نفي الصفات عنه وهي غاية العارف وكل مرتبة من المراتب الاربع الاول مبدأ لما بعدها وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها وقد اشار الى هذه المراتب بقوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفي الصفات عنه ويحل هذا القياس الى قياسات تتحد قياس المساوات لعدم الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس آخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده ومن تركيب هذه النتيجة مع قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن تركيب هذه مع قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ان كمال معرفته نفي الصفات

عنه وهو المطلوب اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يريد بالمعرفة التي هي
اول الدين الناقصة التي هي اول ما يحصل في النفس من مراتب المعرفة ويحتمل
ان يريد بها التامة اذ هي العلة الاولى في المقصود لاشتمال السالكين وغاية
من السلوك وفي اطلاق الكمال حينئذ تنبيه على ان معرفته تعالى بكنه حقيقته غير
ممكنة لانها معقولة بالاشد ولا اضعف فلم تكن ممكنة الا بحسب رسوم ناقصة
تتركب من سلوب واعتبارات اضافية تلزم معقوليته تعالى ولما لم تكن متناهية
لم يمكن ان تتفق المعرفة بحسبها عند حد بل كانت متفاوتة بالزيادة و
النقصان والجلاء والخفاء فاما بيان المقدمة الاولى من القياس المذكورة
فلان المتصور لمعنى الصانع عارف من تلك الجهة معرفة ناقصة اذ
من ضرورة كونه موجدا للعالم كونه موجودا فكان اعتبار التصديق
بوجوده كمالا لتلك المعرفة واما الثانية فلان وجوب الواجب يلزم
الوحدة المطلقة اذ لو كان مشتركا بين اثنين لزم ان يتميز كل منهما بامر
وجودي وراء ما به الاشتراك فيلزمهما التركيب المستلزم للامكان فاذن
التصديق بوجوده يلزم توحيده وتصور اللوازم كمال لتصور ملزومه واما
الثالثة فلان اعتبار الغير معه تعالى في المحبة والقصد اليه والاعتماد
عليه شرك خفي ينافي توحيد الحق وان لم يكن منافيا فهو نقصان فكان
عدمه وهو الاخلاص تكميلا للتوحيد واما الرابعة فقد بينها عليه السلام
بقياس برهاني مطوي النتائج استنتج منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد
جهله وذلك قوله من وصف الله الى قوله فقد جهله وقوله لشهادة كل صفة الى
قوله غير الصفة توطية للقياس ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف
والشهادة ههنا شهادة الحال فان حال الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف وحال
الموصوف تشهد باستغنائه عنها والحالان تشهدان بتغايرهما لان اختلاف
اللوازم يدل على اختلاف الملزومات واما صحة المقدمات فبيان الاولى ان الصفة

جز

لما ثبت كونها مغايرة للذات لزم كونها زائدة عليها فلزم اقترانها بها عند
فرضها صفة لها وبيان الثانية ان من قرن ذاته تعالى بشيء او اشياء فقد
اعتبر مفهومه امرين او امورا فكانت فيه كثرة وبيان الثالثة ان كل ذي
كثرة فهو مركب فهو ذو جزء وبيان الرابعة ان كل ذي جزء فهو ممكن لافتقاره
الى جزئه الذي هو غيره والحاكم ان له جزءا حاكم بكونه ممكنا لا واجبا لذاته
فكان جاهلا به ونتيجة القياس اذن ان من وصف الله سبحانه فقد
جهله وتبين به المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له تعالى نفي الصفات عنه
اذ الاخلاص له ينافي الجهل به فينافي ملزوم الجهل وهو اثبات الصفة فيتحقق
اذن في نفيها الرابع عشر كونه غير مشار اليه واراد مطلق الاشارة وبين
ذلك بقياس هو قوله ومن اشار اليه فقد حده بيان الاولى ان الاشارة
اما حسية او عقلية اما الحسية فانها تستلزم الوضع والكون في المحل او
الحيز وما كان كذلك فلابد وان يكون له حد او حدود واما الاشارة
العقلية فلان المشير الى حقيقة الشيء زاعما انه وجده وتصوره فقد
اوجب له حدا يقف ذهنه عنده ويتميز به عن غيره وبيان الثانية
ان من حده بالاشارة الحسية فقد جعله مركبا من امور معدودة
اذ الواحد في الوضع ليس مجرد وحدة فقط والا لم تتعلق الاشارة الحسية
به بل لابد معها من امور اخرى منضمة مخصصة له فكان في نفسه معدودا
لكثرة من تلك الجهة ومن حده بالاشارة العقلية فلابد ان يحكم بتركيبه لما
علمت ان كل محدود مركب في المعنى فكان ايضا ذا كثرة معدودة فاذن الاشارة
المطلقة ممتنعة في حقه تعالى مستلزمة للجهل به الخامس عشر كونه غير حال
في شيء وبينه بقوله ومن قال فيم فقد ضمنه وهو في قوة صغرى ضمير
تقديره كبراه ومن ضمنه فقد احوجه الى المحل المنافي لوجوب وجوده
اما الصغرى فلان في سؤال عن الظرف لا يصح ذلك الا في ذي المحل واما

الكبرى فلأن الحصر في المحل إن لم يوجب كونه فيه محتاجاً استغنى وجوده والغني عن
المحل يستحيل أن يعرض له وإن وجب كونه فيه كان محتاجاً إليه فكان ممكناً
هذا خلف السادس عشر كونه تعالى ليس في مكان والجهة وأشار إليه بقوله
ومن قال إنه تعالى منه وهو في فوق ضمير كالذي قبله وتعدي بكبرياء ومن
أخلا منه فقد كذب أما الصغرى فلأن السؤال بعلام يستلزم كونه في
جهة فوق وذلك يستلزم إخلاء سائر الجهات عنه وأما الكبرى فلقوله
تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض وقوله وهو معكم أينما كنتم فالحصر
له بجهة فوق مكذب لذلك وإنما خص عليه السلام جهة العلو بالإنكار
لكونها هي المتوهمة لله تعالى دون غيرها السابع عشر كونه كائناً لا عن
حدث واعلم أن الحدوث يقال في الاصطلاح العلمي على معنيين بالاشتراك
أحدهما الحدوث الذاتي وهو كون الشيء من حيث هو هو لا يستحق من
ذاته وجوداً ولا عدماً وإنما يستحق أحدهما بأمر خارج عن ذاته وهو بمعنى
يلازم الإمكان والثاني الحدوث الزماني وهو كون الوجود مسبوقاً
بالعدم سبقاً زمانياً وهو أخص من الإمكان ويقابله القدم بمعنيين إذا
عرفت ذلك فاعلم أنه عليه السلام نزهه في هذه القرينة عن الحدوث بالمعنى
الأول إذ كان تعالى واجب الوجود بذاته ودل بالكائن على وجوده المجرد عن
الزمان وخرج الزمان عن مفهوم كان بالدليل العقلي المانع من لحوق الزمان
له وكان هنا تامة الثامن عشر كون وجوده سبحانه وتعالى لا عن عدم وهو
إشارة إلى تقدسه عن لحوق الحدوث له بالمعنى الثاني وقد استلزم هذان
الوصفان إثبات الأزلية والقدم بمعنييه له التاسع عشر كونه مع كل لا
بمقارنة واعلم أن كونه مع غيره نسبة تعرض له بالقياس إلى جميع مخلوقاته
إذ كلها منه ويصدق عليه ذلك بمعنى أن ذاته المقدسة مساوية لوجود ما هي
متصلة العلم بكليها وجزئيها كما قال تعالى وهو معكم أينما كنتم لا على وجه

المصاحبة

المصاحبة في زمان أو محل أو مجاورتها في مكان ولما كان مفهوم المقارنة
يعتبر فيه الزمان والمكان لا جرم نزه تلك المعية عنها بقوله لا بمقارنة
العشرون كونه غير كل شيء لا بمزايلة ولما كانت المزايلة وهي المفارقة
إضافة لا تعقل إلا بالقياس إلى مقارنة وكانت في وجوده تعالى وغيريته
للأشياء منزهة عن لحوق هاتين الإضافتين لاعتبار الزمان والمكان
في مفهوميهما لا جرم نفاها عن غيريته للأشياء كما نفى المقارنة عن معيته
لها بل غيريته للأشياء بذاته المقدسة الحادي والعشرون كونه
فاعلاً لا بمعنى الحركات والآلة أي لا تدخل الحركة والآلة في فاعليته لكونهما
من خواص الأجسام المنزه قدسه عنها ولأنه لو وقف فعله على الآلة
لكان بدونها غير مستقل فيكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره وهو
محال الثاني والعشرون كونه بصيراً إلى قوله خلقه وأراد إثبات البصر له
حيث لا مبصر والمكان تعالى منزه عن الإدراك بآلة البصر فمعنى كونه بصيراً
كونه عالماً بالمبصرات وإطلاق لفظ البصير عليه مجاز إطلاقاً لاسم
السبب على المسبب وأشار بإذ إلى اعتبار الأزل فإنه إذ لا خلق وما ثبت
أن العالم حادث **الثالث والعشرون** كونه متوحداً إلى قوله لفقده
وهو وصف تعرف بالوحدانية لذاته إذ لا إذ الواحد المطلق من له الو حدانية
لذاته وأشار بإذ إلى اعتبار الأزل أيضاً ولما ثبت أن العالم حادث ثبت
أنه لا سكن في الأزل يقارنه وأنه ليس من شأنه أن يكون له أنيس ينفرد
عنه ويستوحش لفقده إذ الاستيناس والتوحش يتعلقان بميل الطبع
وبالقوة التابعة للمزاج وقد تنزه سبحانه وتعالى عن ذلك فهو المتفرد
بالوحدانية المطلقة لا بالقياس إلى شيء الفصل الثاني في
نسبة إيجاد العالم إلى قدرته تعالى جملة وتفصيلة والإشارة إلى كيفية
ذلك في معرض مدحه سبحانه وتعالى وذلك قوله أنشأ الخلق إنشاء وابتداه

ابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس
اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها
والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا
بقرائنها واحنائها ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء
فاجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة
والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده
الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم
مهبها وادام مربها واعصف مجراها وابعد منشاها فامرها بتصفيق
الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها
بالفضاء ترد اوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد
ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات
جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا
بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب
واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقيم
مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود
لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون
لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة
النسيان فمنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه
وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في
الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة
من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم
متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار
القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه

بالاماكن

بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر اقول انشاء الخلق وابتداؤه
ايجاده على غير مثال سبق من غيره وقوله بلا روية الى قوله
اضطرب فيها تنزيه لعلمه تعالى وافعاله عن كيفيات علوم الناس و
افعالهم والروية الفكر واجالتها تقليبها في طلب اصلح الاراء والوجوه
فيما يقصد من المطالب والتجربة مشاهدات من الانسان تتكرر فيستفيد
منها عقله علما كليا والهمامة الاهتمام بالامر وبيان امتناع هذه
الكيفيات على علومه تعالى وافعاله اما الروية والتجربة فلكونهما من
خواص الانسان وبواسطة الالات الجسمانية يمتنع عليه تعالى وكذا الحركة
من عوارض الجسمية واما الهمة فلكونها عبارة عن الميل النفساني
الجازم الى فعل الشيء مع التألم والغم بسبب تصور فقده وذلك في
حق الله تعالى محال وقوله احال الاشياء لاوقاتها اي ادار كل ذي و
قت الى وقته وربطه به دون ما قبله وما بعده من الاوقات و
كتبه في لوحه المحفوظ وعلمه المبين واللام في لاوقاتها للتعليل اذ
كان لكل وقت يتحقق بحسب علم الله وحكمته ان يكون فيه ما ليس في
غيره وروي احل بالحاء اي حول كلا الى وقته وروي اجل اي جعلها
ذات آجال لا تتقدم عليها ولا تتأخر عنها وقوله ولاءم بين
مختلفاتها تنبيه على كمال قدرته تعالى في ذلك والملاءمة الجمع وذلك
كجمعه في الامزجة بين العناصر الاربعة على اختلافها وتضادها وبين
الارواح اللطيفة والنفوس المجردة وبين هذه الابدان المظلمة
الكثيفة على وفق حكمته وكمال قدرته وغرز غرائزها اي اثبتها فيها
وركزها والغريزة كل شيء طبيعته وخلقه وما جبل عليه من خاصة او لازم
كالتعجب والضحك للانسان والشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر
للثعلب وقوله والزمها اشباحها اي اشخاصها اذ كانت لكل طبيعة كلية

انما توجد في تخمير وروي انشاخها والسنخ الاصل اي جعلها الازمة لاصولها وهي
طبايع الموجودات وماهياتها والضمير في قوله والزمها عايد الى الغرايز
ويجوز ان يعود الى الاشياء ويكون المعنى انه تعالى لما غرز غرايز الاشياء
الزمها بعد تكوينها كلية اشخاصها وقوله عالما الى قوله احنايها فاحاطته
بذلك علمه وما فصل اليه ماهياتها من اجزائها وتنتهي به منها وهي حدودها
او ما تنتهي به وجدها من الاقطار والنهايات وقرائنها ما يقترن بها
ويلايمها كالنفس للبدن وبعض الطبايع لبعض الاشياء دون بعض و
احناوها نواحيها وجوانبها وبيان ذلك انه عالم بكل معلوم من الكليات
والجزئيات وقد بين ذلك في العلم الالهي وقوله ثم انشا سبحانه
كالتفصيل لخلق العالم وابتدائه والاجوا جمع جو وهو الفضاء الواسع
والارجا جمع رجا مقصور وهو الناحية والسكايك جمع سكاكة كذوابة
وذوايب وهو الفضاء ما بين السماء والارض والهوا المكان الخالي واعلم
ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل انه كان قبل وجود العالم فضاء قدمه
واسع وهو الخلاء في عرف المتكلمين فانشا الله سبحانه فيه احياز اجسام
العالم وفتقها اي شقها واعدها لخلق الاجسام وتكوينها فيها ثم خلق ماء
متلاطما تياره اي متراداً معظمه ومتراكما زخاره اي ممتل بعضه فوق
بعض فاجاره فيها اي اجراه وروي اجاره اي اداره فيها وخلق له ريحا
عاصفا زعزعا اي شديدة يحمله ويحفظه من جميع جوانبه متسلطا على شده
وضبطه في مقاره بمقتضى امره تعالى وقدرته وجعلها مقرونة الى حده
بحيث لا يتوسط بينها جسم آخر فصار الماء من فوق الريح متدفقا والخلاء
من تحتها منفتقا واسعا ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لتموج ذلك وتحريكه فارسلها
واعتقم مهبها اي شد هبوبها ومنبطر وارسله بمقدار مخصوص على وفق
الحكمة وروي وعقم مهبها اي جعل مجراها عقيما لا تنبت بهبوبها عن

بجريان

بجريان او لشدة جريانها ثم ادام مربها اي اقامتها وملازمتها لتحريك الماء
واعصف جريانها وابعد منشاها بحيث لا يمكن الوقوف عليه وهو
قدرته تعالى ثم امرها بتصفيق ذلك الماء الزخار شديد الامتلاء واثارة
امواجه فمخضته كمخض السقا وعصفت به كعصفها بالفضا ترد اوله على
آخره وساجيه على مايره اي ساكنه على متحركه فلما عب عبابه اي علا معظمه
ورمى بالزبد متراكمه رفع الله تعالى ذلك الزبد في هواء منفتق اي خلاء
واسع وكون منه السموات العلى واعلم انه قد اشير الى مثل ذلك في
القرآن الكريم كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان
والمراد بخار الماء وذهب الى مثله بعض الحكماء القدماء ولفظ
القرآن ايضا موافق لاشارته عليه السلم لان الزبد ايضا بخار الماء وهذا
الظاهر لا ينافي كلام المتكلمين في ان الاجسام مؤلفة من الاجزاء التي
لا تتجزى لجواز ان يخلق الله تعالى اول الاجسام من تلك الجواهر ثم تتكون
باقي الاجسام من الاجسام الاولى واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذي
اقتضته هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتاخر
وجود العناصر عندهم عن وجود السموات الاجرام احتاجوا الى
تاويلها توفيقا بينها وبين رايهم في ذلك وقد جمعنا في الشرح الكبير على
ما يصلح ان يكون تاويلا على قواعدهم او قريبا على ما يصلح لذلك وقوله
وجعل سفلاهن الى قوله بالنطاير كالتفسير لقوله فسويهن لان التسوية
عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها السموات بما فيهن كما شرحه
واستعار لفظ الموج للسماء ملاحظة للمشابهة بينهما في العلو واللون و
تكونها ممنوعا من السقوط وقوله وعلياهن سقفا محفوظا والسقف اسم
للسماء وحفظه من الشياطين قال ابن عباس كانت الشياطين لا تحجب
عن السموات وكانوا يخبرون اخبارها فلما ولد عيسى عليه السلم منعوا من

ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما
منهم احد استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك قوله تعالى وحفظناها من
كل شيطان رجيم الا من استرق السمع الاية وسمك البيت سقفه وقوله
بغير عمد تنبيه على عظمة قدرة الله تعالى وعلوها عن الحاجة في مثل هذا
البنيان وقيامه بلا عمد وتنزيه لها عن مماثلة القدر البشرية في حاجتها
الى ذلك فيما ينسب اليها والدسار كالمسمار ونحوه وانما سميت الشهب ثواقب
لانها تثقب بنورها الهواء واستعار لفظ السراج للشمس باعتبار اضائتها
لهذا العالم كاضاءة السراج للبيت والمستطير المنتشر والرقيم من اسماء
الفلك سمي به لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش واللوح المكتوب واعلم
ان مجموع هذه الاستعارات تستلزم تشبيه ملاحظة هذا العالم
باسره ببيت واحد في غاية الحسن والزينة فالسماء سقفه وهو كقبة
خضراء نصبت على الارض وحجب ذلك السقف عن مردة الشياطين كما تحمي
غرف البيت عن مردة اللصوص وزينه بترصيع الكواكب الثاقبة فهو
كسقف من زمرد رصع باللؤلؤ والمرجان وجعل من جملتها كوكبين هما
اعظم الكواكب جرما واكثرها اشراقا جعل احدهما ضياء للنهار والاخر
ضياء لليل ثم جعل ذلك سقوفا وطبقات اسكن في كل طبقة منها ملاء من
ملائكته وخواص ملكه وجعل تلك السقوف متحركة بما فيها من الكواكب كما
اشار اليه بقوله في فلك الاية الى قوله مائر وجعل حركاتها اسبابا معدة
لتكوين الكائنات في هذا العالم ليكون اثره تعالى ابدع وحكمته في خلقه
ابلغ والضمير في قوله وزينها يعود الى السبع السموات وذلك لا ينافي
قوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان السماء الدنيا وان لم يكن
فيها الا القمر فان سائر الكواكب ايضا زينة لها في الاوهام البشرية التي
ورد اكثر الخطاب الشرعي بحسبها وقوله ثم فتق الى قوله العلا اشارة

الى تسوية السموات اشارة جلية فكانت قبل اول خلقها كرة واحدة كما عليه بعض
المفسرين لقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما ثم اشار الى تفصيلها وتميز بعضها عن بعض و
بقوله اسكن كل واحدة منهن ملاء من ملائكته ثم الى تفصيل الملائكة ومراتبهم
موافقة للقرآن الكريم واطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة و
ذكر منهم انواعا واشار بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم
في العبادة والخضوع لان الله تعالى خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال
في العلم والقدرة ليست لمن دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل
كانت عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم ان السجود والركوع والصف و
التسبيح عبادات متعارفة بين الناس متفاوتة في استلزام كمال
الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها في حق الملائكة على ظواهرها لاختصاص
آلاتها ببعض الحيوان فتعين حمل المراتب المذكورة وتفاوتها على تفاوت
كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله تعالى اطوا قالا شرف الملك ومعلى الادنى
فالسجود مرتبة المقربين والركوع مرتبة حملة العرش والصافون مرتبة
الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما حكى
القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وجاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم
على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف
صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح والمسبحون يحتمل
ان يكونوا هم الصافون لما مر والواو وان اقتضت المغايرة الا انهم من حيث
انهم صافون غيرهم من حيث انهم مسبحون ويحتمل ان يريد نوعا آخر و
اما عدم غشيان النوم والسهو والغفلة والنسيان وفترة الابدان لهم فلان
ذلك من لواحق الاجسام الحيوانية والملائكة منزهون عنها فلزم سلبها

عنهم وأما الاصناف على وجه فيشبه ان يكونوا داخلين في الاقسام السابقة و
انما ذكرهم ثانيا باعتبار وصف الامانة واداء الرسالة والقضاء هنا الامر
المقضي يعني هذا قضاء الله اي مقضيه واما الحفظة فمنهم حفظة العباد
كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله و
منهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره
فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على
اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه واما
السدنة فهم خزان الجنة وقوله ومنهم الثابتة في الارضين
السفلى اقدامهم الى قوله اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة
الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار ويشبه ان يكونوا هم
المقصودين بها هاهنا روي عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى
ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم
اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد
خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن
عباس انه قال لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي
فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك
استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن
الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت
اقدامهم وقوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم يريد انهم مشبهون
ومناسبون لقوائم العرش في استقرارهم وثباتهم عن التزايل عنه ابدا الى ما شاء الله تعالى ولفظ الاكتاف مجاز في القوى والقدر التي
حملت بها الملائكة عرش الرحمن وشبهها بقوائم العرش المعهود وجبر

ئيل

التسبيد استعملها بجملة القوائم والضميران في ابصارهم واجنحتهم
راجعان الى حملة العرش وفي الخبر عن وهب انه قال لكل ملك
من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه
مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفوا بهما ليس
لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله
تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراء كالاتهم المقدرة
لهم وضعفها عما لا تحتمله من انوار عظمة الله تعالى وان شعاع ابصار
ادراكاتهم منته واقف دون حجب عزته ويحتمل ان يريد بلفظ الاجنحة
قواهم وكالاتهم التي يطيرون بها في بيداء جلال الله تعالى استعارة
وزيادة الاجنحة كناية عن تفاوت مراتبهم في الكمال والملكات الطائر
عند قص جناحه كالمتلفع اي الملتحف به احتمال ان يكون وصف التلفع
لهم استعارة لقصور قواهم وقد دهم المشبه للاجنحة وقبضها
عن التعلق بمعلومات الله ومقدوراته وقوله مضروبة الى قوله
القدرة اشارة الى قصور القوى البشرية عن ادراكهم لتنزههم
عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول وقوله لا
يتوهمون ربهم بالتصوير تنزيه لهم عن الادراكات الوهمية والخيالية
لبعدهم عن سلطانه اذ الوهم انما يتعلق بالمحسوسات ذوات المقادير
والاحياز المنزه قدسه تعالى عنها وهم مبرؤن عن الخيالات والاوهام
البشرية وكذلك كونهم لا يجرون عليه صفات المصنوعين الى آخره لان كل
ذلك بقياس وهمي ومحاكاة خيالية له بمصنوعاته المحتاجة الى الامكنة
ولها نظاير واشباه وهم مبرؤن عن الوهم والخيال وبالله التوفيق
ومنها في كيفية خلق آدم وهو فصلان الفصل الاول
قوله في كيفية خلق آدم عليه السلم ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها

وسنها تربة بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة
ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى
صلصلت لوقت معدود واجل معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت
انسانا ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها وادوات
يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والاذواق والمشام و
الاجناس والالوان معجونا بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة
والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود
والمساءة والسرور واستادى الله سبحانه وتعالى الملائكة وديعته اليهم
وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود له والخشوع لتكرمته فقال
تعالى اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وقبيله اعترتهم الحمية وغلبت
عليهم الشقوة وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال
فاعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا
للعدة فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ثم
اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشته وآمن فيها محلته وحذره
ابليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة
الابرار فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه فاستبدل بالجذل وجلا
وبالاغترار ندما ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته
ووعده المرد الى جنته فاهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية
اقول ان هذه القصة قد كررها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في
سبع سور وهي البقرة والاعراف والحجر وبني اسرائيل والكهف وطه وص
وذلك لما تشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التي جذبهم
اليها ابليس والتحذير من فتنته والحزن بالفتح خلاف السهل والمسنون ما
سن بالماء اي ارسل عليه فصار طينا ولزبت بالكسر لصقت وصلصلت اي صوتت

وقيل

١١

وقيل صوتت ليبسها ولاطها بالبلة خلطها بالرطوبة وجبل خلق والاحناء
الجوانب والوصول المفاصل جمع كثرة كوصل وجمع القلة اوصال واصلدها
اي جعلها صلبة ملساء ويختدمها واعلم ان قوله ثم جمع الى قوله لزبت
اشارة الى امتزاج العناصر وخص الماء والارض لانهما الاصل في تكون
الاعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان ونبه باختلاف
اجزائها على كون ذلك مبادي اختلاف الناس في الوانهم واخلاقهم كما
ورد في الخبر فجاء منهم الاسود والاحمر وقوله خلصت ولزبت اشارة
الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها تكون صورة ما يكون منها
وقوله فجبل الى قوله استمسكت اشارة الى خلق الصورة الانسانية
بتمامها والضمير في منها راجع الى التربة وفي اجمدها واصلدها راجع
الى الصورة واعضائها فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم
والاعصاب واشباهها والاصلاد لغايته راجع الى بعض آخر كالعظام واسند
ذلك الى المدبر الحكيم لانه العلة الاولى وان كانت هناك اسباب
قريبة طبيعية معدة لذلك واراد بالوقت المعلوم الوقت الذي يعلم
الله تعالى انحلال هذا التركيب فيه والضمير في قوله فيها راجع الى الصورة
كما قال تعالى ونفخت فيه من روحي واستعار وصف النفخ لافاضة
النفس على البدن ولاشتعال نورها المعقول فيه كما تشتعل النار بالفحم
والروح يحتمل ان يراد به جبرئيل ونسبته الى الله ظاهرة ويحتمل ان
يراد به جود الله ونعمته وانما سمي روحا لانه مبدأ كل حياة وبه قوام كل شيء
ونسبته الى الله تعالى ظاهرة ومن للتبعيض ويحتمل ان يراد به النفس
الانسانية وتكون من زائدة ونسبتها الى الله لشرفها وبراءتها عن المواد فلها
مناسبة مع علتها الاولى وقوله ذا اذهان اشارة الى القوى الباطنة
المدركة واجالتها تحريكها في المدركات وكذلك قوله وفكر يتصرف بها و

يريد القوة المفكرة فانها في الانسان واحدة بل المراد حركات تلك القوة فيما تتصرف
فيه وهي متعددة فلذلك جمعها والجوارح اشارة الى عامة الاعضاء اذ كانت
كلها خدما للنفس والادوات كاليد والرجل والمعرفة التي يفرق بها هي
نوع العقل بما لها من المعارف الاولى وهي البديهيات اذ كان الحق
والباطل من الامور الكلية التي لا يدركها الا العقل وقوله والاذواق
الى قوله والاجناس تنبيه على ان للانسان آلات يدرك بكل منها واحدا
من هذه الاربعة وآخر الاجناس ان المدرك لها هو العقل اذ كانت امورا
كلية لكن بواسطة احساس الحواس المشار اليها لمحسوساتها ونصب
معجونا على الحال وطينة الالوان مادتها التي خالطت بدن الانسان فاستعد
بها لقبول الالوان المختلفة وهي معنى عجنه بها والاشباه المؤتلفة
كالعظام والانسان والاضداد المتعادية كالكيفيات الاربع التي ذكرها
وهي الحرارة والبرودة والبلة وهي الرطوبة والجمود وهي اليبوسة و
الاخلاط المتباينة هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور
فهما من الكيفيات النفسانية واما عهد الله الى الملائكة ووصيته اليهم
فهو قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
واستبداء ذلك منهم هو قوله اسجدوا لآدم واتفق الناس على ان سجودهم
لآدم لم يكن سجود عبادة لانها لغير الله كفر لكن قال بعضهم ان آدم كان
كالقبلة والسجود لله ويكون اللام كهي في قول الشاعر في صوح علية سلم
اليس اول من صلى لقبلتكم وقيل كان السجود تعظيما لآدم وكان ذلك
سنة الامم السالفة في تعظيم اكابرها وقيل بل السجود في اللغة الخضوع والانقياد
ثم اختلفوا في المأمورين بالسجود فقيل هم الملائكة الذين اهبطوا مع
ابليس الى الارض لان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط
منهم ملائكة الى الارض يسمون بالجن كانوا افضل الملائكة عبادة فاعجب ابليس نفسه

وتداخله

وتداخله الكبر واطلع الله تعالى على ذلك منه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من طين
الآية وقيل هم كل الملائكة لقوله تعالى كلهم اجمعون وكذلك اختلفوا في
ابليس فقالت المعتزلة انه لم يكن من الملائكة لقوله تعالى كان من الجن وهم ليسوا من
الملائكة فقوله تعالى اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقول الملائكة بل كانوا
يعبدون الجن **اقول** يشبه ان يكون الخلاف لفظيا لانه اذا ثبت ان
الجن ملائكة اهبطوا الى الارض لم يكن كونه من الجن وكونه من الملائكة
منافيا واما الخطاب والجواب فجاز ان يكون مع الملائكة السماوية وقوله
الا ابليس وقبيله الى قوله الصلصال فقبيله جماعة من الجن والشياطين
واعترتهم الحمية غشيتهم وذلك من قوله تعالى الا ابليس ابى واستكبر
الآية وتعززهم بخلقة النار قوله انا خير منه خلقتني من نار واستهانوا
بخلق الصلصال كقوله اسجد لبشر خلقته من صلصال واعطاه النظرة هو
قوله تعالى انك من المنظرين والنظرة بكسر الظاء الامهال وهنا حذف تقديره
فسال النظرة فاعطاه وذلك في قوله انظرني الآية وقوله استحقاقا للسخطة
اشارة الى قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم الآية وانجاز
العدة كقوله قال انك من المنظرين الآية والخلف في خبر الله تعالى محال
استماما للبلية اي بلية بني آدم به واختبارهم بعصيانه او طاعته وابانه
آدم الى قوله محلته كقوله تعالى فقلنا يا آدم اسكن الى قوله شئتما والدار الجنة
وتحذيره اياه كما في قوله تعالى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك الى قوله فتشقى
وقوله فاغتره الى قوله الابرار كقوله تعالى فوسوس اليه الآية والوسوسة
الالقاء كما يتوهم نافعا الى النفس من مخالفة امر الله تعالى وترتيبه لها وذكروا
قيل في سبب عداوته له انه حسده بما اكرمه الله تعالى به من سجود الملائكة له وتعليمه
ما لم يطلعوا عليه واسكانه الجنة وهو المشار اليه بالنفاسة هنا واصل النفاسة
البخل يقال نفست عليه بكذا اي بخلت وقيل السبب تباين اصليهما والذكر اثر قوي

في العداوة والمنافسة وبيع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله فنسي ولم نجد
له عزما قيل معنى ذلك ان ادم عليه السلم كان في الجنة على حال يعلمها يقينا و
ما كان يعلم عيشه في الدنيا فبدل ذلك اليقين بما شككه فيه ابليس بقسمه قوله
اني لكما لمن الناصحين وقيل بل كان متيقنا عداوته فشككه بما حكاه من
النصح عن نفسه وقيل بل كان متيقنا عهد الله بملازمة طاعته فلما وسوس
له الشيطان نسي ذلك العهد فذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم
الاية ولذلك تدل عزيمته الجازمة على المحافظة على طاعة الله تعالى والعزم عليها
بالضعف عن ذلك واستبدل بالجذل وسو التردد وجلا كما دل عليه قوله
تعالى لا ربنا ظلمنا انفسنا الى قوله الخاسرين وقوله ثم بسط الله الى قوله
رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم الاية ولقاه اياها اي افاضها عليه والهمه اياها
فاستعد بها القبول رحمة الله وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال علم الله ادم وحوا امر الحج والكلمات التي تقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى
الله اليهما اني قد قبلت توبتكما وعن عائشة رضي الله عنها لما اراد الله تعالى
ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمرا فلما صلى
ركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل
معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن
يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم قد غفرت
لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت
ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا
يريدها ووعده المرد الى جنته قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن
تبع هداي فلا خوف عليهم الاية واهبطه الى دار البلية قوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا واعلم ان في اللفظ تقديما وتاخيرا تقديره والعزيمة

وهو

بوهنه فاهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية فاستبدل بالجذل وجله
وبالاغترار ندمه ثم اناب الى الله فبسط الى آخره وانما جعل تناسل الذرية في
معرض ذم الحال وان كان من كمالات الدنيا لحقارة ذلك بالنسبة الى الكمال في
الخير الذي كان فيه ادم في الجنة **ومن خطبة عليه السلم** قوله واصطفى الله
سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما
بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم
الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم
انبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ
ويثيروا لهم دفاين العقول ويروهم الايات المقدرة من سقف فوقهم
مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب
تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب
منزل او حجة لازمة او محجة قايمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا
كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده او غابر عرفه من
قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء
الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم لانجاز عدته وتمام
نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل
الارض يومئذ ملل متفرقة وطرايق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في
اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من
الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم لقاءه ورضي له ما عنده
فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريما صلى
الله عليه وآله وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوا هملا بغير
طريق واضح ولا علم قايم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه وفضايله وفرايضه
وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزايمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله ومرسله

ومحكم ومتشابه مفسر اجمله ومبينا غوامضه بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع
على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب
في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزايل في مستقبله
ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه وبين
مقبول في ادناه وموسع في اقصاه اقول الضمير في ولده راجع الى
آدم عليه السلام واصطفاؤه تعالى للانبياء استعدادهم لافاضة الكمال النبوي
عليهم واخذه على الوحي ميثاقهم هو المشار اليه قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق
النبيين الاية وقوله لما بدل لتنبيه على وجه الحكمة في بعثة الانبياء وسببها
وعهد الله الذي بدلوه هو المشار اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق
الله تعالى آدم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كاين الى
يوم القيمة واعلم انه لما كان الانسان تمام العالمين في الوجود الخارجي
فكذلك في التقدير الالهي المطابق له وكذلك كان به تمام التقدير وجفاف
القلم ولما كان من شان الخلق بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية التي عنه
الى كمالاتها ان ينحرفوا عنه عن الاستقامة على عهد الله ويتخذوا الانداد معه
ويجهلوا حقه للغفلة بحاضر لذاتهم عن ذكره وامر شكره وان تجتالهم الشياطين
اي تقطعهم عن معرفته لاجرم وجب في الحكمة الالهية ان يختص صنف منهم
بكمال اشرف يقتدر معه على ذلك الصنف على تكميل الناقصين ممن
دونهم وهو صنف الانبياء عليهم السلام والغاية منهم ما اشار اليه عليه السلام بقوله ليستادوهم
ميثاق فطرته اي يطلبوا منهم اداء ما عهد اليهم به حين خلقهم من العبودية
له والاستقامة عليها ويذكروهم ما نسوه من نعمته ويحتجوا عليهم بتبليغ الرسالة
ويثيروا لهم جواهر كادلة على وحدانيته تعالى وتفرده بما استحقاق العبادة

مما هو مركوز في فطرهم وفي عقولهم كالمدفون فيها والمغطى بشوائب الهيات
البدنية ويرشدوهم الى وجوهها فيستدلوا بها مما يشاهدونه من الحكمة
في خلق السموات والارض وامر معايشهم واسباب حياتهم وموتهم وما عددوه
وقوله ولم يخل الله الى قوله وخلفت الانبيا اشارة الى بيان عناية
الله تعالى بالخلق في تواتر الرسل اليهم لغاية جذبهم الى جناب عزته قوله
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ثم من لطفه تعالى انه لما كان من ضرورة
النبي ان يموت ولا يمتد زمانه انزل عليه كتابا يكون باقيا بعده ما شاء
الله ان يكون مشتملا على كل المطالب والمصالح الناظمة لهذا العالم بحيث
لو كان النبي موجودا لم يزد على ما تضمنه من الدعاء فيه الى عبادة الله تعالى
وتذكير الخلق بنعمه وقصص اخبار الماضين والعبر اللاحقة
للاولين وفيه الحجج البالغة والدلايل القاطعة وغير القاطعة مما يصلح
حال العباد في امر المعاش والمعاد ومعنى قوله ارسل اليهم انهم
وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق المكذبين لهم كما هو المعلوم
من حال كل نبي بعث الى امته فان ذلك لا يوليهم قصورا عن اداء ما كلفوا
من تبليغ الرسالة وحمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم ومن في
قوله من سابق للتبيين والمراد ان السابق منهم قد اطلعه الله تعالى على علم
بوجود اللاحق له فبعضهم كالمقدمة لوجود البعض وتصديقه كعيسى عليه السلام
اذ قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ومن لاحق سماه من قبله
لمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله على ذلك اي الاسلوب والنظام
الالهي مضت الامم خلفا عن سلف وقد ساق عليه السلام في هذه الخطبة من لدن
آدم الى ان انتهى الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو الغاية من طينة
النبوة وخاتم النبيين ثم اشار الى بعض غايات وهو انجاز عدته للخلق
ببعثته على السنة الرسل السابقين واتمام نبوته الى غايتها وماخوذا

وذلك الاخذ هو المشار تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى
قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وسمته
علامات نبوته فإنها كانت ظاهرة في الميثاق وفي أحوال تعرفها الرهبان
والكهان وعلماء أهل الكتاب وكرم ميلاده وطهارة أصله عن الفساد ونبه على
فضل بعثته بذكر أحوال الناس حين البعثة من اختلاف الآراء وتشتت الأهواء
وتفرق الطرق والمذاهب بين من عليه اسم الملة وهم المذاهب الثلاثة وبين
غيرهم من عبدة الأصنام والمعطلة وقد نبهنا على أصناف منهم يعني في
الأصل والمشبه ببقية أصناف الملل فإن الغالب عليهم التجسيم وتشبيه
الصانع ببعض مصنوعاته والملحد في اسمه سبحانه وتعالى من عدل بأسمائه
عن الحق بتحريفها عما هي عليه إلى أسماء اشتقوها لأوثانهم منها كاللات
من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان والمشير إلى غيره تعالى
كالدهرية وغيرهم من عبدة الأوثان والكواكب وغيرهم وقوله
وخلف فيكم إلى قوله قائمة وذلك أنه لما كانت الأنبياء ليس مما يكون
وجودهم في كل وقت وجب أن يشرعوا للناس بعدهم سنة باقية
بإذن الله تعالى وأمره ووحيه والغاية من ذلك هو استمرار الخلق على معرفة
الصانع سبحانه وتعالى وحده وأمره وذكر المعاد مع انقراض القرن الذي
يلي النبي ومن بعده معاً وجب أن يأتيهم به من الكتاب من عند الله سبحانه
وتعالى الوافي بجميع المطالب الإلهية فلا بد أن يعظم القرآن العزيز وبين
على الخلق دراسته وتعليمه وتعلمه لسنده ومريد التذكير لله سبحانه وتعالى
للملأ الأعلى من ملائكته فإنه أشرف الكتب المنزلة والسنة ما خلفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته من الكتاب العزيز والسنة الكريمة
كما تحقق ذلك العلماء العارفون بأسرار الكتب الإلهية والنواميس الشرعية و
لفظ العلم مستعار لما يهتدي به الخلق من قوانين الشرع وقوله كتاب

ربكم

ربكم بدل من ما والمراد بما نوع ما خلفت الأنبياء في أممها من الحق وذلك
هو ما يشتمل عليه الكتاب مما لا يخالف فيه نبي نبياً من القوانين الكلية
كالتوحيد وأمر المعاد وتحريم الكبائر ومبيناً نصب على الحال عن خلف
وذو الحال الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله حلاله إلى آخره
تفصيل لما اشتمل عليه الكتاب من القوانين الكلية التي عليها مدار علم
أصول الفقه فمنها الأحكام الشرعية وأشار بحلاله إلى المباح و
المكروه منهما وبحرامه إلى المحظور وبفضائله إلى المندوب وبفرائضه
إلى الواجب ومنها الناسخ والمنسوخ وهو عبارة عن رفع مثل الحكم
الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع و
المنسوخ هو الحكم المرفوع وهما في الكتاب العزيز تعالى
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً إلى قوله وعشراً فإنه ناسخ
لقوله تعالى متاعاً إلى الحول غير إخراج ومنها رخصه وعزائمه والرخصة
عبارة عن الإذن في الفعل مع قيام السبب المحرم له لضرورة
تعالى فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر والعزيمة ما كان
من الأحكام الشرعية جارياً على وفق سببه الشرعي تعالى
أقيموا الصلوة ومنها عامه وخاصه والعام هو اللفظ المستغرق بوضعه
الواحد لجميع ما يصلح له تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون
والخاص هو ما لم يتناول الجميع بالنسبة إلى ما تناوله تعالى
إلا إبليس ومنها عبره وأمثاله والعبرة الاسم من الاعتبار واشتقاقها من العبور
لأن ذهن الإنسان ينتقل فيها من أمر إلى أمر وكما ورد فيه من قصص الأولين
والمصائب النازلة بهم التي ينتقل ذهن الإنسان باعتبارها إلى تقديرها
في نفسه وحاله فيحصل بذلك انزجاره ورجوعه إلى الله
تعالى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ومنها

امثاله وهي تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
الآية ومنها المرسل والمحدود وهما في عرف اصول الفقه المطلق والمقيد فمثال
المطلق تعالى في كفارة الظهار فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
والمقيد كقوله فتحرير رقبة مؤمنة وقد ذكرنا الفرق بين المطلق والعام
في الاصل ومنها محكم ومتشابه فالمحكم في الاصطلاح العلمي هو راجح الافادة
لاحد معلوماته المحتملة للارادة منه من دون قرينة فمنه النص وهو الراجح
المانع من النقيض تعالى والله بكل شيء عليم ومنه الظاهر و
هو الراجح غير المانع من النقيض كقوله تعالى اقتلوا المشركين فانه ظاهر
العموم في جميعهم وان احتمل بعضهم ويقابله المتشابه وهو غير راجح
الافادة لاحدها والمرجوحها تعالى ثلاثة قروء فانه محتمل
للحيض والطهر على سواء ومنه المأول وهو غير راجح الافادة ولكنه مرجوحها
كقوله تعالى بل يداه مبسوطتان اذ المراد غير ظاهره وهو المراد بالمبين
اذا بين بغير لفظه والتفسير وهو التبيين والغوامض ودقايق المسايل
ونسبت بيان هذه الامور الى الرسول عليه السلم لكونه هو الموضح لها بسنته و
قوله مبين ناظر الى آخره تفصيل لاحكام الكتاب باعتبار آخر
وذكر منها اقساما احدها ما اخذ على الخلق ميثاقه تعليمه ولم يوسع لهم
في جهله كوحدانيته في تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقوله
وليعلموا انما هو اله واحد وثانيها ما لا يتعين على الكافة العلم به بل
يعذر بعضهم في جهله كالآيات المتشابهات واوايل السور كقوله
كهيعص ويس وحم وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في
السنة نسخه تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله
او يجعل الله لهن سبيلا فكانت الثيب اذا زنت في بدو الاسلام تمسك
في البيت الى الممات والبكر تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الآيتين ثم

نسخ

نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة
ورابعها ما هو مثبت في السنة اخذه مأذون في الكتاب تركه وذلك
كالتوجه الى بيت المقدس في بدو الاسلام بحكم السنة ثم نسخ بقوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله
كواجب الحج وقوله ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة
والمحارم حكم الحرمة اي وحكم مباين بين محارمه الذي مفروق بينهما بالشدة
والضعف والوعيد على بعضها والغفران لبعضها وقوله من كبير
تفصيل لها وما اوعد عليه نيرانه كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا
متعمدا الآية والصغير الذي ارصد له غفرانه قال الفقهاء كا لتطفيف
بهمة وساير الصغاير وارصاد الغفران لها في الكتاب العزيز
تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ونحوه مزايا ت وعد
بالمغفرة ومنها قوله عليه السلم وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله
قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويألهون اليه ولوه الحمام جعله
سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا
اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا
بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون
عند موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعايذين حرما
فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن
العالمين اشار في هذا الى وجوب حج البيت
الحرام ومنة الله تعالى على خلقه بذلك والى اسراره وضعه والحرام
اما بمعنى المحرم كقوله تعالى عند بيتك المحرم فان العرب كانت تحرم فيه
ما تستحل في غيره من القتل والقتال واما بمعنى الحرم كزمان وزمن لكونه

امثالهن وحله وما تعالى له ووجد شبه ورود الناس بورود الانعام ازدحامهم
عليه ومحبتهم له كازدحام الابل العطاش على الماء وقوله تعالى تهوي
ان يشتد وجدهم به من كل عام ويشتاقون الى وروده كما تشتاق
الحمام الساكن به اليه عند خروجه منه وقوله جعله الى قوله العزيز
وذلك ان العقل لما لم يكن ليهتدي الى اسرار اعمال الحج لم يكن الباعث
عليها في اكثر الخلق الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب
الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد به فمن فعل ما امر به من
اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت عليه علامات المخلص المتواضع المذعن
لجلال الله رب العالمين ولما كان تعالى عالم الغيب والشهادة لم يمكن ان
يقال ان تلك العلامة مما يستفيد بها علما باحوال عبيده من طاعتهم ومعصيتهم
فهي علامة لغيرهم من الناس وقوله واختار الى قوله دعوته
السماع جمع سامع وهم الحاج في تعالى واذن بالحج يأتوك
رجالا الاية وفي الاثار ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه
جبريل عليه السلام فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابراهيم يا رب وما
يبلغ صوتي قال الله تعالى اذن وعلي البلاغ فعلا ابراهيم المقام واشرف به
حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا
ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان
في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفيه اشارة الى ما كتب
بقلم القضاء في اللوح المحفوظ من طاعة المطيع لهذه الدعوة على لسان
ابراهيم عليه السلام ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسامعين الذين
اجابوا دعوته بحجهم وصدقوا ما بلغه عن الله تعالى في قوله ووقفوا مواقف
انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه استدراج حسن للطباع اللطيفة
وجذب لها الى هذه العبادة بذكر التشبه بالانبياء والملائكة فاعلم

ان الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر
في هذا العالم لمثال الانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم
الغيب وان عالم الشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب لمن فتح له باب
الرحمة والى هذه الموازنة وقعت الاشارة النبوية بان البيت المعمور في
السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت وكان
تسبيح ذلك البيت والحضرة المقدسة بالعرش ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق
عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من
تشبه بقوم فهو منهم وكثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير المتشبه في قوة
المتشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره و
تطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله تعالى وقوله يحرزون
استعار لفظ المتجر للحركات في العبادة ولفظ الارباح لثمراتها في الاخرة من كرامة
الله ولما كان الاسلام الحق هو الطريق الى الله تعالى استعار لفظ العلم للحج
بالنسبة اليه لان به يكون سلوك طريق الله تعالى والقوة في الاسلام كالعلم للطريق
والوفادة القدوم للاسترفاد ولفظها مستعار للحج لانه قدوم الى بيت الله طلبا
لفضله وثوابه والايات لبيان سبب وجوبه وهي خبر في معنى الامر وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين

احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة
الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه
ارجح ما وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها
لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن
ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور
والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر

القادح ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالآيات و
تخويفا للمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت
سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر
فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان
فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا
الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه
في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها
حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم
دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم
جعل
عليه وسلم الحمد لله تعالى غايتين احدهما الاستتمام لنعمته لاستعداد العبد بشكرها
للمزيد منها الثانية الاستسلام لعزته وسلطانه تعبدا لها بحكم الحمد على
النعمة وقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم برهان للاولى وفيه تنبيه على التانية
والملكات هاتان الغايتان لا تمام لهما بدون عصمته عن ورطات المعاصي
والمعونة بكفايته على الدواعي المهلكة فجعل طلب العصمة غاية اخرى وهي اولى
الى الاولين وعقب ذكر الحمد بطلب المعونة منه على تمام الاستعداد لما طلب و
اشار اليها علة لتلك الاستعانة وهي الفاقة الى كفاية دواعي التفريط والافراط
بجد بالالهية وقوله انه لا يضل لما قوله كفاه تعليل لاستعانة على تحصيل
الكفاية بكونه ما نعته من دواعي طرفي الافراط والتفريط فيستقيم العبد بها على
سواء الصراط وذلك هدايته الذي لا ضلال بعده وبكونه ما نعته من الفقر الى
غيره تعالى ومن معاداته المستلزمة لعدم النجاة عن عذابه ولفظ المعاداة مجاز
فيما يلزمها من البعد عن الرحمة ولا يبالي لا يخوا وقوله فانه ارجح قيل
الضمير راجع الى ما دل عليه قوله احمده من المصدر على طريقة قولهم من
كذب كان شرا له ويحتمل على ان يعود الى الله ولفظ الخزن والوزن

ستعاران

ستعاران لعرفانه والمعقول منه الراجح في ميزان العقل على كل معلوم
والمخزون في اسرار النفوس القدسية وقوله في الشهادة ممتحنا
اخلاصها اي مختبرا نفسه في اخلاصها وعن شوائب الشبهة والشرك الخفي
ومقاص الشيء خالصه وقوله نتمسك بها الى قوله ومدحرة للشيطان
اشارة الى وجوب التمسك بها ولاهاويل الامور المخوفة في الاخرة وعلل
ذلك الوجوب باوصاف اربعة وهي كونها عزيمة الايمان اي عقيدته المطلوبة
لله تعالى من خلقه وما زاد عليها كمال لها ثم كونها فاتحة الاحسان اذ بها يستعد
لاحسان اشرف الدارين ثم كونها مرضاة الرحمن اي محل رضاه ثم كونها
مدحرة للشيطان اي محل دحره وهو طرده وبعده وذلك غاية مراد
الشيطان من الانسان الشرك بالله وكلمة الاخلاص تفيد باقتضائه وتبعد
الشيطان عن مراده واستعار لفظ العلم والنور والضياء لما جاء به الرسول
عليه الصلاة والسلام من الكتاب والسنة بهداية الخلق بها من ظلمات الجهل
الى صراط الله والامر القادح الذي شق عصا المشركين وصدع صفاتهم و
قوله ازاحة الى قوله بالمثلات اشارة الى وجوه مقاصد البعثة
فاولها ازاحة الشبهات عن قلوب الخلق ثم الاحتجاج عليهم بالبينات الواضحة
والمعجزات ثم تحذيرهم بالآيات المنذرة والجذب بها الى المطالب منهم ثم
تخويفهم بالمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء اي العقوبات النازلة
بالامم السالفة وقوله والناس في فتن الى آخره يشبه ان يكون كلاما ملتقطا
جمعه السيد على غير نظام والواو يحتمل ان تكون للحال والعامل ارسله والفتن
المذكورة هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة في الاول وخير دار يعني مكة
وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان عالما بصدق النبي صلى الله
عليه وسلم وبعثته فهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه
ونابذه ويحتمل ان تكون الواو للابتداء والذم لاهل زمانه وما هم فيه من الفتن

بسبب تفرق كلمتهم وذكر من الفتن التي حصل الناس عليها أمورا يرجع حاصلها
إلى ترك مراسم الشريعة وارتكاب طريق الباطل واستعار وصف الحبل لما
يتمسك به ولفظ السواري لقواعد الدين كالجهاد ووصف التزعزع لعدم
استقامتهم بهم وتخاذلهم عنه أو لأهله الذين هم يقومون وتزعزعها
لموتهم أو خمولهم خوفا من الظالمين والبحر كالمثل وأراد به ما كان يجمع
الناس من الدين الذي تفرقت قوافيه وغطت على عيونهم ظلمات الشبهات
عليه فضاق المخرج منها عليهم وعمي مصدرهم عنها أي وعموا عن المصدر
فأسنده إلى المفعول مجازا وخمول الهدى سقوط أنوار الدين بينهم وعدم
استضاءتهم به فهم مشمولون بالعمى عنه ونصر الشيطان اتباع آرائه و
بذلك يكون عصيان الله تعالى وخذلان الإيمان به وانهيار دعائمه إلى
سقوطها ومعالم الإيمان آثاره وتنكرها انمحاؤها ودثورها القلوب والشرك
جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم الطريق وأراد بها أدلة الدين
وأراد بعفائها تباعدهم لا ترتيبا لعدم سالكيها وسالك الشيطان ومناهلها
يجرها إليه من المناهي ولواؤه أما القادة إليه أو شبههم القائدة إلى الباطل
وقوله في فتن دراستهم متعلق بقوله سار... اتصل الكلام أو بغير
ذلك مما لم يذكره السيد واستعار للفتن وصف الدرس والوطي ورشح بذكر
الأخفاف والأظلاف والسنابك هي رؤوس الحوافر جمع سنبك ملاحظة لتشبيهها
بالحيوان المشار إليها فيما تطأه وتيههم لهم في ظلمات الجهل وفتنتهم ابتلاؤهم
بذلك وقيل أراد بخير دار الشام لأنها الأرض المقدسة وشر جيران يعني
القاسطين وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع كنايتان عن شدة اهتمامهم
بأحوالهم واستمرارهم من الفتن وقوله بأرض عالمها ملجم يعني نفسه عليه السلام
وجاهلها مكرم يريد معاوية وقيل أراد بخير دار العراق وشر جيران يعني
أصحابه المستنفرين لهم للجهاد لتخاذلهم عن إجابته ومنها قوله عليه السلام يعني

بها آل النبي صلى الله عليه وسلم هم موضع سره ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل
حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه
اللجأ الملجأ والموئل المرجع وذلك لأنهم ناصروه
واستعار لفظ العيبة لهم باعتبار حفظهم أسراره وعلومه وهم مرجع حكمه
أي حكمته إذا ضلت عنها الخلق فهم تطلب وكذلك لفظ الكهوف والجبال
باعتبار عصمة الدين بهم من الاضمحلال والضمير في أقام لله تعالى لأنه هو
الذي جعلهم أعوانا له وأنصارا ولعن انحناء ظهره عن ضعفه في أول الإسلام و
بارتعاد فرائصه عن خوفه والفريصة اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال
ترتعد من الدابة والضمائر المفردة كلها لله إلا في ظهره وفرائصه فإنها للرسول
عليه السلام وقيل الجميع عائد للرسول إلا في كتبه وهو ضعيف ومنها يعني
الخوارج قوله عليه السلام زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور
لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من
جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين وعماد اليقين إليهم يفيء الغالي
وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الآن إذ
رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله قيل أراد
معاوية وأصحاب الشام وقيل أصحاب الجمل وقيل الخوارج وهي محتملة فاستعار
وصف الزرع لاعتبار تأصيلهم للفتنة والخلاف له ووصف السقي لتماديهم في
غفلتهم عن الحق ووصف حصد الثبور لهلاكهم وقتلهم بسيفه وهو ثمرة ذلك الزرع
والهلاك الأخروي والثبور الهلاك وقوله لا يقاس لسابق لما قوله أحد خرج مخرج
الجواب لمفاخرة وقعت من معاوية أو غيره وقوله لا يسوى بهم الآخر إشارة
إلى فضيلتهم على غيرهم من وجوه الأول كونهم أسبابا للنعمة الدين على الخلق وإرشادهم
إليه والمنعم أفضل من جهة ما هو منعم خصوصا بمثل هذه النعمة التي لا يمكن جزاؤها
الثاني كونهم أساسا وأصلا للدين الثالث كونهم عماد اليقين لأنهم أسباب

ازالت ما يضعفه من الشبهات فبهم يقوم كالعماد ولفظه مستعار الرابع كونهم على
الصراط السوي والمنهج الحق البين يرجع من غلا فيه وتجاوز عنه وبهم يلحق
من فرط فيه وتخلف عنه الخامس كونهم اهل خصايص الولاية من العلوم ومكارم
الاخلاق والآيات والكرامات السادس ان فيهم وصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووراثته وهو ظاهر وقوله الآن الى آخره يريد
بالحق الخلافة وفيه ايماء الى انها كانت في غير اهلها قبله **ومن خطبة له
عليه السلام المعروفة بالشقشقية والمقمصة** اما والله لقد تقمصها فلان

خطبه الشقشقيه

وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير
فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء
او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن
حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي
الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى اذا مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان
بعده ثم تمثل بقول الاعشى

شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيان اخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما
تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار
فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس
لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول
المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى الثاني لسبيله جعلها في جماعة زعم اني
احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن
الى هذه النظاير لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم
لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا
حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم

الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته
فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ
الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت
بالامر نكثت طايفة ومرقت اخرى وفسق آخرون حتى كانهم لم يسمعوا الله
سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها
ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة
لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء
الا تقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت
آخرها بكاس اولها ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز
قالوا وقد قام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه عليه السلام الى هذا
الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له
ابن عباس رحمه الله يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت
فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس
فوالله ما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين
بلغ منه حيث اراد **اقول** قوله عليه السلام في هذه الخطبة كراكب الصعبة
ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم يريد انه اذا شدد عليها
في جذب الزمام وهي تنازعه خرم انفها وان ارخى لها شيئا مع صعوبتها
تقحمت به فلم يملكها يقال اشنق الناقة اذا جذب راسها بالزمام
فرفعه وشنقها ايضا ذكر ذلك ابن السكيت في اصلاح المنطق وانما قال عليه السلام
اشنق لها ولم يقل اشنقها لانه جعله في مقابلة اسلس لها فكانه قال ان
رفع راسها بالزمام يعني امسكه عليها **اقول** ان هذه الخطبة وما يشبهها
مما يتضمن شكاية في امر الخلافة قد انكرها جماعة من اهل السنة حتى قالوا

انه لم يعهد عنه عليه السلم شكاية في هذا الامر اصلا ومنهم من نسب هذه الخطبة
خاصة الى الشريف المرضي رحمه الله والحق ان ذلك افراط في القول لان المنافسة
التي كانت بينهم في امر الخلافة معلومة بالضرورة لكل من سمع اخبارهم في
السقيفة وتخلف علي ووجوه بني هاشم عن البيعة امر ظاهر لا ينكره
الا جاهل او معاند واذا ثبت انه عليه السلم نافس في هذا الامر كان الظن
غالبا بوجود الشكاية منه وان لم يسمع ذلك فضلا عن ان الشكاية بلغت
مبلغ التواتر المعنوي في الالفاظ لشهرتها وكثرتها بحيث يعلم بالضرورة انها
لا تكون باسرها كذبا بل لابد ان يصدق بعضها فيثبت فيه الشكاية على
ان هذه الخطبة نقلها من يوثق به من الادباء والعلماء قبل مولد الرضي
بمدة ووجدت بها نسخة موثوقا بنقلها عليها خط الوزير ابن الفرات
وكانت قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة ولنرجع الى المتن فنقول المراد
بفلان هو ابي بكر رضي الله عنه وفي بعض النسخ لقد تقمصها ابن ابي قحافة
والضمير في تقمصها راجع الى الخلافة لعهدها او لسبق ذكرها واستعار
وصف التقمص لتلبسه بها والواو في وانه للحال ومثل نفسه منها بالقطب من
الرحا في انها لا تستقيم بدونه وكذلك بالكناية على علوه وشرفه مع
فيضان العلوم والفضائل عنه بوصفين من اوصاف الجبل المنيع
العالي وهما كونه ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير وسدلت اي ارخيت
دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها بحجاب الزهد فيها والاعراض عنها وقوله
وطويت عنها كشحا كناية عن امتناعه منها كالماكول المعاف الذي يطوي البطن
دونه والكشح بالفتح الخاصرة وقيل اراد انه التفت عنها كما يفعل المعرض
عمن الى جانبه كما قال طوى كشحه عني واعرض جانبا وقوله وطفقت
الى قوله عمياء اي جعلت افكر في امري هل اصول عليهم بيد جذاء بالدال
الذال اي مقطوعة وهي كناية عن عدم الناصر له وان اصبر على طخية عميا

ظلمة
اي لا يهتدى فيها للحق وكنى بها عن التباس الامور في الخلافة قبله كناية بالمستعار
وكنى عن شدتها بقوله يهرم الى قوله ربه واراد بكدح المؤمن فيها
شدة سعيه واجتهاده في لزوم الحق والظفر به وقوله فرايت
ان الصبر على هاتا احجى ترجيح لقسم الصبر على قسم المنافرة وها في هاتا
في هذا واحجى اليق بالحجى وهو العقل لما في المنافرة من انشعاب عصا المسلمين
من غضاضة الاسلام وكثرة اعدائه والقذى ما يقع في العين فيؤذيها
كالغبار ونحوه والشجى ما ينشب في الحلق من عظم ونحوه فيغص به وهما
كنايتان عن الغم ومرارة الصبر والتالم من الغبن وتراثه قيل هو ما خلفه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابنته كفدك والعوالي لان مال الزوجة في حكم
مال الرجل والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلاثة لها بالخبر الذي رواه ابو
بكر رضي الله عنه نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وقيل
اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما في قوله تعالى يرثني
ويرث من آل يعقوب اي العلم ومنصب النبوة والماضي الاول ابو بكر
وسبيله طريق الآخرة وهو الموت وفلان بعده عمر رضي الله عنه وادلى بكذا
القاه اليه وكنى بذلك عن نص ابي بكر اليه بالخلافة بعده واما البيت فهو للاعشى
قيس واسمه ميمون بن جندل من قصيدة يمدح بها عامرا ويهجو علقمة اولها
شاقتك من قتلة اطلالها بالشط فالوتر الى حاجر
وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة
سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية وكان الاعشى ينادمه
واراد ما ابعد ما بين يومي يومي على كور المطية اداب وانصب في الهواجر
ويومي منادما حيان اخي جابر وادعا في نعمة وخفض وروي ان حيان عاتب
الاعشى في تعريفه باخيه فاعتذر بان القافية جرته الى ذلك فلم يقبل
عذره واليوم الاول رفعه بانه فاعل اسم الفعل والثاني عطف عليه وغرض

البيت تمثيل حاله بحال القائل والفرق بين ايامه مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحاله معه في العز وقرب المنزلة والحصول على العلوم ومكارم الاخلاق
وايامه مع القوم وحاله من المناصب والمشاق ومقاسات المحن وقيل اراد
الفرق بينه وبين القوم في ظفرهم بمطلوبهم وفوزهم به وفوات مطلوبه
هو وحصوله على الحرمان والمشقة وقوله فيا عجبا الى قوله بعد
وفاته الضمير راجع الى ابو بكر واستقالته هي قوله اقيلوني فلست
بخيركم ووجه التعجب هو استقالته منها في الحيوة لثقلها مع تحمله لها
في الممات اليه لعقدها لغيره واللام في اشد للتاكيد واستعار لها لفظ
الضرع لشبهها بالناقة ولهما وصف مشترك وهو اخذ كل منهما شطرا لا
شتراكهما في امر الخلافة واخذهما لها فكانهما اقتسماها اقتسام الحالبين اخلاف
الناقة والحوزة الناحية وكنى بها بوصف خشنها عن طبع عمر فانها كانت
توصف بالجفاوة وتغلظ كلمها عن غلظته في المواجهة بالقول وغيره والكلم
الجرح وخشونة مسها عن عدم لينه لمن يلمس منه امرا ويكثر العثار والاعتذار
منها عما كان تيسرع اليه من الاحكام ثم تركها والنظر فيها فيجدها غير
صائبة فيحتاج الى الاعتذار منها كقصة الجحفة وغيرها والضمير في
منها يعود الى الحوزة وكذلك في قوله فصاحبها ان الصاحب لتلك الطبيعة
الخشنة كراكب الناقة التي لم ترض وقوله ان اشنق لها خرم وجه
الشبه والمعنى ان صاحبها ان انكر ما تسرع اليه اذى اليه ساقته وفساد الحال
بينهما وان سكت عنه ادى ذلك الى الاخلال بالواجب كما ان راكب الصعبة
ان اشنق لها ولما جذب الزمام في وجهها خرم انفها وان اسلس لها في
قيادها تقحمت به في المهالك وركبت به في العسف وقيل الضمير في صاحبها يعود
الى الخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها ووجه شبهه براكب الصعبة ان
الخليفة يحتاج الى مداراة الخلق وجذبهم عن طرفي الافراط والتفريط الى حاق

الوسط فلو اشتد عليهم في طلب الحق التشديد الموجب لعجزهم وقصورهم وفساد
الامر بينه وبينهم كمن اشنق للصعبة ولا يمهلهم فيتعدوا الواجب و
يهلك بهلاكهم كمن اسلس لها وقيل اراد بصاحبها نفسه لانه ايضا بين
خطرين اما ان ينهض ساكتا عن طلب الامر فيتقحم بذلك في موارد الذل كما تقحم
مسلس قياد الصعبة واما ان يتشدد في طلبه فيشق بذلك عصى الاسلام كمن
اشنق لها فخرم انفها وقوله فمني الناس اي ابتلوا واستعار لفظ
الخبط والشماس وهو كثرة نفار الدابة والتلون والاعتراض وهو المشي
في عرض الطريق لما كان يقع من تغير اخلاق الرجل واختلافه وحركاته
كالفرس الذي لم يرض وقيل اراد ما ابتلي به الناس من تفرق الكلمة و
اضطراب الامر لذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم والمدة مدة البلوى
وشدة المحنة لفوات حقه وقوله حتى اذا مضى اي الثاني والجماعة التي
جعلها فيهم هم اهل الشورى والشورى مصدر كالنجوى وخلاصة خبرهم
انه لما طعن عمر دخلت عليه وجوه الصحابة وسألوه ان يستخلف رجلا يرضاه
فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا الا تشير علينا فقال ان احببتم
فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر سبعة وهم سعيد بن زيد وانا
مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
وطلحة والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فيمنعني منه عنفه ومن عبد الرحمن
فانه قارون هذه الامة ومن طلحة فتكبره ومن الزبير بخله ومن عثمن حبه
لقومه ومن علي حرصه على هذا الامر وامر ان يصلي صهيب بالناس ثلاثة
ايام وتخلوا ستة النفر في بيت ثلاثة ايام فان اتفق خمسة على رجل
وابى واحد قتل وان اتفقت ثلاثة وابى ثلاثة فليكن الناس مع الثلاثة
الذين فيهم عبد الرحمن ويروى فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن
فلما خرجوا واجتمعوا للامر قال عبد الرحمن ان لي ولسعد من هذا الامر الثلث

فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار خيركم للامة فرضي القوم غير علي فانه
قال اري وانظر فلما آيس عبد الرحمن من رضاء علي رجع الى سعد وقال له
هلم نعين رجلا فنبايعه والناس يبايعون من بايعته فقال سعد
ان بايعك عثمن فانا لكم ثالث وان اردت ان تولي عثمن فعلي احب الي فلما
آيس من رضاء سعد رجع فاخذ بيد علي وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب
الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ابي بكر وعمر فقال تبايعني على ان اعمل
بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رأيي فترك يده واخذ بيد عثمن وقال له
مقالته لعلي فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلاثا واجاب كل بما اجاب به
اولا فبعد ذلك بايع عبد الرحمن عثمن وبايعه الناس ثم اردف حكاية
الحال باستغاثته الله للشورى ولاستفهام على سبيل التعجب من عروض
الشك في مساواته بالاول الى ان قرن بالجماعة المذكورين في الفضل ولا استحقاق
واسف الطاير قارب الارض بطيرانه وكنى بذلك عن مقارنته لهم واتباعه اياهم
في مرادهم والصغو الميل والضغن الحقد والذي صغى هو سعد لانه كان منحرفا
عنه عليه السلم وتخلف عن بيعته بعد عثمن والذي مال لصهره هو عبد الرحمن
وكان بينه وبين عثمن مصاهرة لان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت
عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمن لامه اروى بنت كريز وقوله مع هن
وهن يريد ان ميله لم يكن لمجرد المصاهرة بل لاشياء اخرى كنفاسة
عليه او حسد له فكنى بهن وهن عنها وثالث القوم عثمن والحضن الجانب و
النفج كالنفخ والنثيل الروث والمعتلف ما يعتلف به من الماكول وكنى بذلك
عن انه لم يكن همه الا التوسع ببيت مال المسلمين والاشتغال بالتنعم
بالماكل والمشارب ملاحظا في ذلك تشبيهه بالبعير او الفرس المكرم وبنو
ابيه بنو امية وكنى بالخضم وهو الاكل بكل الفم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين
كما نقلناه في الاصل وكنى بانتكاث فتله عن انتقاض امور عليه وما كانت

بيوم

يبرمه من الاراء دون الصحابة واستعار وصف الاجهاز الذي هو منه سبق
الجراح والاثخان بضرب ونحوه لقتله المسوق بسبق اصلات الاسنة
وكذلك وصف الكبو الذي هو حقيقة في الحيوان لفساد امره بعد استمراره
كالكبو بعد استمرار العدو من الفرس وكنى ببطنته عن توسعه ببيت المال
ايضا واسند الكبو اليها لانها السبب الحامل على فساد امره والواو في و
الناس للحال وخبر المبتدا محذوف دل عليه متعلقه وهو الي اي مقبلون
نحوي وفاعل راعني اما ما دلت عليه هذه الجملة من المصدر اي فما راعني
الا اقبال الناس الي وانثيالهم علي والانثيال التتابع اي يتلو بعضهم بعضا
وهو كقوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه واما الجملة
الاسمية وينثالون اما هي ما راعني وخبر ثان للمبتدا او الاشارة الى حال
الناس وقت بيعته وشبههم في ازدحامهم عليه يومئذ يريدون بيعته
بعرف الضبع في تكاثفه وقيام بعضه والعرب تسمي الضبع عرفا لعظم
عرفها والحسنان ولداه عليهما السلم وقيل الابهامان والحسن الابهام وانشد الشنفرى
مهضومة الكشحين خرماء الحسن
اراد انهم وطئوا ابهاماه وشقوا عطفاه وهو رداه المحتبي به وروي عطفاي
وهما جانبا قميصه او جانبا ردائه ومجتمعين حال وشبههم بربيضة الغنم
وهي القطعة المجتمعة رابضة لاجتماعهم حوله والطائفة الناكثة اصحاب
الجمل لنكثهم بيعته والمارقة الخوارج لمروقهم من الدين كمروق السهم من
الرمية وهو لفظ الخبر النبوي والقاسطون اصحاب معوية لبغيهم والقسط
الخروج عن سنن العدل وحليت زانت وقوله اما والذي الى اخره
اشارة الى الاعذار الحاملة له على قبول الخلافة بعد تخلفه وفلق الحبة خلقها
وقيل هو شقها الذي في وسطها وقد نبهنا على الحكمة فيه في الاصل واشار الى
ثلاثة اعذار وهي حضور الحاضرين لمبايعته وقيام الحجة عليه بوجود الناصر

للحق معتد وما اخذ على العلماء من العهد على انكار المنكر والامر بالمعروف
عند التمكن وكنى بكظة الظالم وهي بطنته وشبعه في فوق ظلمه لان قدرته
مظنة ذلك وسغب المظلوم وهو رجوعه عن كونه مظلوما والضمير في
حبلها وغاربها للخلافة ملاحظا في استعارتهما تشبيه الخلافة بالناقة وكنى بذلك
عن تركها كما يترك الناقة لترعى اي كنت اترك اخرها كما تركت اولا والعيت
اليه وجدته والغبطة الحبقة وقيل العطسة ويفهم انه عليه السلم كان طالبا
للدنيا لكن ليس لها بل لنظام الخلق وامتثالا لاوامر الله في اجراء امورهم على
قانون العدل كما هو المقصود من بعثة الرسل عليهم السلام وانزال الكتب
اطردت مقالتك اجريتها وافضت وصلت ولو للتخصيص والشقشقة اللحمة
التي تخرج من فم البعير عند هياجه ومن خطبة له عليه السلم بنا
اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم
يفقه الواعية كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان
ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم
جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جواد
المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم
العجماء ذات البيان عزب رأي امرء تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته
لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم
تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ **اقول** استعار
لفظ الظلماء للجهل الحاجب لابصار البصائر عن ادراك الحق ووصف التسنم
لما حصلوا عليه من شرف الاسلام وعلو المرتبة به ووصف الانفجار لظهورهم
في انوار الاسلام من سرار الشرك والسرار الليلة والليلتان في آخر الشهر يستتر
القمر فيهما ويخفى ولفظه مستعار للشرك في الجمل التابع والوقر الثقل في السمع
وهو دعاء على سمع لا يفقه صاحبه بسماعه علما من مقاصد الكتب الالهية وحوله

والغبطة بدل

الصمم لعدمه فانه خلق منه والنباة الصوت الخفي وكنى بها عن دعائه
لهم الى الحق وبالصيحة عن خطاب الله ورسوله وهو في معرض العذر
لنفسه في عدم نفع دعائه لهم اي اذا كانت دعوة الله ورسوله التي
اصمتكم بقوتها لم تسمعوا بها فكيف تراعون دعوتي لكم التي هي كالنباة
من الصيحة وقوله ربط جنان للقلوب التي تحقق ضوء امر الله بالثبات
والسكينة اي ثبت قلب كان كذلك وروي ربط بالبناء للمفعول اليه بطه
الله وقوله اتوسمكم اي اتفرسكم والمغترين الغافلين عن عواقب
الامور اي ما زلت اعرفكم بصفات الغدر في البيعة والنكث لها والجلباب الملحفة
واستعار لفظه للدين باعتبار ستره وحجبه عن العنف بهم وحمله على التسلم
او ستره عنه عليهم في قوته وباسه ولو لم يكن ذلك لستر لعرفوه بذلك
وروي سترني عنكم اي عصم الدين مني دماءكم واتباع مدبركم وقوله
وبصرنيكم اي عرفني بكم صدق نيتي واخلاصي لله وما يؤول اليه عاقبة
امركم كما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم
اشار الى فضيلته ليقتدوا به بقوله اقمت لكم على سنن الحق اي طريقه
من الكتاب والسنة وفي جواد المضلة وهي الشبهة اذ كان عليه السلم العالم
بالكتاب والموضح لطريق الحق منه ولطرق الباطل والهادي فيها وذلك
حيث تلتقون في ظلمة الجهل فلا تبصرون دليلا سواه وتطلبون ماء الحياة
بالبحث والفحص عنه اذ ويد القلوب فلا تجدون بها ماء الا معه وماهت
البير ضرج ماؤها واستعار وصف الاحتفار للبحث عن مظان العلم ولفظ
الماء له وكنى بالعجماء عن الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة وعن كمال فضله
وهدايته الى الله فان هذه الامور وان لم يكن لها نطق الا انها مبينة بلسان
حالها ما ينبغي ان يفعل مطابقة في الافصاح عن ذلك لاوامر الله ورسوله فلذا
ذات بيان فانطاقها هو تنبيهه عليه السلام عليها اذ عبر بلسان مقاله عما

كانت تقتضيه ويشاهده من نظر اليها بعين الاعتبار وهو كقولهم سل
الارض من شق انهارك واجرى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وروي بعضهم انطق بفتح الهمزة على ان العجماء صفة مصدر محذوف اي
الكلام العجماء ونحوه واراد بها ما ذكر في الخطبة من الرموز واستعار لها لفظ
العجماء وكونها ذات البيان لما فيها من الفوائد وعزب الراي ذهب وقوله
ما شككت في الحق مذ اريته تنبيه على وجه عزوب راي من تخلف عنه
وقوله ولم يوجس الى قوله الضلال اي لم يخش موسى عليه السلم في
نفسه خوفا اشد عليه من خوف غلبة الجهال على الدين وفتنة الخلق
بهم واراد اني كذلك واوجس احس والشفقة الخوف وقيل اشفق في
تقدير الاستدراك بعد النفي اي لكن اشفق وليس هي افعل التفضيل
وقوله اليوم تواقفنا الخطاب للمقاتلين والمراد اني واقف على
سبيل الحق وهم واقفون على سبيل الباطل وقوله من وثق بماء
لم يظما مثل نبه به على وجوب الثقة بما عنده اي ان سكنتم الى قوله ووثقتم
به كنتم اقرب الى الهدى والسلامة كان الواثق بالماء في اداوته آمن من
العطش وخوف الهلاك بخلاف من لم يثق بذلك واستعار لفظ الماء لما اشتمل
عليه من العلم وكيفية الهداية به الى الله فاثر الماء الذي لا تطاع معه
ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبه
العباس رضي الله عنه وابو سفيان بن حرب في ان يبايعا له بالخلافة ايها
الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا
تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة
يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان
اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات هيهات
بعد اللتيا والتي والله لابن طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل اندمجت

على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة
اقول السبب انه لما بويع ابو بكر بالسقيفة اراد ابو سفيان الفتنة
بين المسلمين فقال للعباس ان هؤلاء قد ذهبوا بالامر عن هاشم الى
تيم والله ليحكم فينا غدا الفظ الغليظ من بني عدي فقم نبايع عليا فانه
عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا قاتلناهم
وقتلناهم فاتيا عليا فحضه ابو سفيان على الامر وعلم عليه السلم من حاله
انه يريد الفتنة فاجابه عليه السلام بهذا الكلام واستعار لفظ الامواج
لقيام الفتنة كالبحر في هياجه وتموجه ولفظ سفن النجاة للمهادنة
والمسالمة لاستلزامهما السلامة كالسفينة والتعريج العدول عن الطريق
ولفظ التيجان لما تفتخر به قريش على تيم في ذلك من اثارة الاحقاد ثم
اشار بعد النهي عن المنافرة والمفاخرة الى ما ينبغي ان يكون حال طالب
الخلافة قدر عليه ليفوز بمطلوبه او ينجوا من الفتنة فحكم بالفوز لمن نهض في
طلبه بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار لان بهم النهوض
وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما فلاح وقوله
ماء آجن الى آكلها تنبيه على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة
بالكدر واستعار لفظ الماء الآجن واللقمة الموصوفة لمتاع الدنيا باعتبار
ما فيهما من شائبة التكدير بالمحن من المنافسات ونحوها وقصد بذلك
التنفير عنها تسكينا للفتنة وقوله ومجتني الثمرة الى قوله كالزارع
بغير ارضه تمثيل لحاله في طلبه للامر في غير وقته من ذكر وايناع الثمرة
ادراكها ووجه تشبيهه بالزارع في غير ارضه انه في حال انه ممنوع من التصرف
ويبطل سعيه وغرض التشبيه التنفير عن التشبه بمن هذه حاله وان اقل اي
اطلب الامر وان اسكت اي عنه وهيهات اي بعد جزعي من الموت بعد تعاقب
الشدائد علي وبعد اللتيا والتي كالمثل واصله ان رجلا تزوج قصيرة سيئة الخلق

فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ذلك فطلقها
فقال بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابدا فكنى بهما عن الشدائد المتعاقبة وكونه
عليه السلم آنس بالموت من الطفل بثدي امه ظاهر من حاله اذ كان سيد اولياء
الله وقد علمت ان محبة الموت امر حاصل لهم لكونه وسيلة لهم الى
لقاء محبوبهم الاعظم واشهر به انس عقيل ثابت فكان اشد من انس الطفل
بالثدي لكونه عن ميل شهواني في معرض التغير والزوال وقوله بل
اندمجت الى آخره استدراك بعد نفي الجزع من الموت واشارة الى سبب
آخر لسكوته وهو العلم الذي انطوى عليه والاندماج الانطواء وذلك
علمه بعواقب الامور وادبارها وما ينتظر من الوقايع والفتن مما علمه بتعليم
الله ورسوله ونبه على عظمة ذلك بقوله لو بحت به الى آخره واشار
باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت رايهم عند علمهم بما سيقع من
ذلك ومن انتقال الامر الى بني امية ومدة دولتهم فان ذلك يكون سببا لتقاعدهم
ووجه التشبيه باضطراب الارشية في الطوي البعيدة شدة الاضطراب
لان البير كلما كانت اعمق كان اضطراب الرشا فيها اشد لطوله والرشا
حبل البير والطوي البير المطوية وقيل اراد بالعلم المنطوي عليه علم
الآخرة وما بعد الموت فانه لو شرح لهم ذلك لاضطربوا اشد
اضطراب خوفا من الله ولذهلوا عما هم فيه من المنافسة في الدنيا ومن
كلام له عليه السلم لما اشير عليه ان لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد
لهما القتال والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها
ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع
العاصي المريب ابدا حتى ياتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي
مستاثرا علي منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا اقول المنقول
ان الذي اشار عليه بذلك كان ابنه الحسن عليه السلم واللدم بسكون الدال

الدال الضرب بالحجر او غيره على الارض ليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل
في حجرها بمثل ذلك لتسكن حتى تصطاد والختل الخديعة والاستيثار بالشيء الانفراد
به ومفهوم التشبيه انه لو اخر القتال لكان ذلك سببا لتمكن الخصم من
خداعه والمريب الشاك في وجوب طاعته وفي الابد بمعنى اليمين لانه الابد
الممكن له واردف ذلك بالشكاية في دفعه عن حقه والاستبداد به
دونه من حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خطبة
له عليه السلم اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له
اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر
باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل
من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اقول
روي ملاكا وملاك الامر ما يقوم به والاشراك جاز ان يكون جمع شريك
كشريف واشراف او جمع شرك وهو حبال الصائد والفصل ذم للمخالفين
له واستعار لهم لفظ الاشراك باعتبار انهم اسباب لدعوة الخلق الى
مخالفة الحق فكان الشيطان يصطاد الخلق بواسطة طاعتهم له وتفرقهم
فيهم ووصف البيض والافراخ له باعتبار ملازمته لصدورهم ملاحظا في
ذلك تشبيهه بالطائر وتشبيه صدورهم بالوكر ووصف الدبيب والدرج
له باعتبار ملازمته لهم كالولد لحجر امه وكنى بنظره باعينهم ونطقه بالسنتهم
عن وجوه تصرفه فيهم وركوبه بهم الزلل وتزيينه لهم الخطل وهو الفاسد
من القول اشارة الى ثمرة متابعته وانتصب فعل على المصدر اي فعلوا كذا
ومن كلام له عليه السلم يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك يزعم انه
قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليات
عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه الوليجة
الدخيلة في الامر واصل الفصل احتجاج على الزبير بلزوم البيعة له واشار الى

عدل الزبير عن ذلك وهو زعمه انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه وهو التعريض
في العهود والايمان وهما من الزبير ان ذلك لم تقبله الشريعة واجاب عليه
السلام بضمير صغراه قوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي الامر
يلزمه شرعا وادعى انه اضمر في باطنه ما يفسده وتقدير الكبرى وكل من فعل
ذلك احتاج الى بينة لدعواه واشار الى النتيجة بقوله فليات لها بامر
ومن كلام له عليه السلام وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل
ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى اصحاب الجمل ومعرض ذمهم
والارعاد والابراق كنايتان عن التهدد والوعيد الصادر منهم له والفشل الضعف
واراد ان مع وعيدهم وتهديدهم ضعفهم عما توعدوا به من الحرب وكنى
ان فضيلة السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه وسيلة
لمطره اشارة الى انه كذلك في مقارنة وعيده لهم بايقاع الحرب بهم وسيل
عذابه لهم بامطاره عليهم ومن كلام له عليه السلام الا وان الشيطان قد جمع حزبه
واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لا
فرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه
مداره على ثلاث امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم بكونهم من حزب
الشيطان والاستجلاب بمعنى الجمع والثاني التنبيه على فضيلة نفسه وعدم جواز
التلبيس منه وعليه في شبهة قتل عثمن ونحوها وهو قوله وان معي الى قوله
علي والثالث الوعيد لهم بحرب المهلكة واستعار وصف افراط الحوض وهو
ملاه لجمع الجند وتهيئة اسباب الحرب يقال افرطت الحوض افرطه بالفتح اي ملاته
وماتحه مستقي الماء فيه وكنى به عن كونه هو المتولي لذلك بنفسه وعنى بقوله
لا يصدرون عنه الواردين منهم له لا ينجو منه وهو كمن يغرق فيه وبقوله ولا يعودون
اليه فان من نجا منهم لا يطمع في مثل ما طمعوا فيه خوفا فلا يعود واصل ايم الله ايمن جمع
يمين حذفت النون تخفيفا كما في قولهم لم يك وقيل هو اسم براسه وضع للقسم

وتحقيقه

وتحقيقه في النحو ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية
يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في الارض
قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله
اقول اشار الى ذات الحرب ونهى عن الفرار والكر والتقدير لو زالت
الجبال لا تزل وهو نهي على تقدير امر محال وذلك يستلزم النهي على كل حال
بطريق الاولى والناجذ السن بين الناب والضرس وللعض عليه فائدتان
احدهما ربط الجاش وتماسك اجزاء البدن للتجربة والثانية تصلب عضل
الراس وتقاوم ما عساه يقع فيه من الضرب واستعار لفظ العارية لجمجمته
قيل وفي ذلك تنبيه له رضي الله عنه واشار له بانه لا يقتل في ذلك
الحرب وتد في الارض قدمك اي اجعلها كالوتد في الثبات وفائدة رمي بصره
اقصى القوم ان يعلم على ما ذا يقدم وغض بصره بعد ذلك ليكون علامة
للسكينة ولان ادامة النظر الى وقع السيوف مظنة الرهبة وربما خيف
على البصر ونبهه ان علم بان النصر من الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ومن
كلام له عليه السلام لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت
ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال له
عليه السلام اهوى اخيك معنا قال نعم قال فقد شهدنا ولقد شهدنا
في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان
ويقوى بهم الايمان اقول اراد بالحضور الحضور القوي او ان محبته
قائمة مقام حضوره والشهود من كان بعد في الامكان ووقع ان يشهد
نصرة من شيعته اذ هو بمنزلة الحاضر اطلاقا للفظ ما بالفعل على ما بالقوة
مجازا واستعار وصف الرعاف لوجودهم ونسبه الى الزمان لانه من
اسباب وجودهم **ومن كلام له عليه السلام** في ذم اهل البصرة كنتم
جند المراة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فهربتم اخلاقكم دقاق

عندكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن
بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة
قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق في ضمنها وفي
رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة
او نعامة جاثمة وفي رواية كجؤجؤ طير في لجة بحر **اقول** اراد بالمرأة عائشة
رضي الله عنها اذ كانت واسطة عقدهم في الحرب وبالبهيمة جملها فانهم
كانوا محيطين به مجيبين لرغائه وهاربين لعقره وكنى برغائه عن دعوته
او كونه سببا لاجتماعهم ما دام واقفا ودقة اخلاقهم صغرها لحقارتها واراد
انهم في غاية رذائل الاخلاق وشقاق العهد نكثهم لبيعته عليه السلم وعهودهم
مع امرائه وولاته والزعاق المالح وذكره في معرض ذمهم وان كان المقيم بينهم
لاكتسابه رذائل اخلاقهم غالبا ولذلك كان الشاخص عنهم اي الراحل متداركا
برحمة من ربه لسلامته من الميتهم وشبه نفسه عليه السلم في مشاهدته لهيئة
المسجد حينئذ بالمشاهد لذلك والحاضر لرؤيته بعين الحس في الجلاء والظهور
ووجه شبه السفينة والطائر صدره والجاثمة الباركة والمنقول ان البصرة غرقت في
ايام القادر بالله مرة وفي ايام القايم بامر الله مرة اخرى باجمعها وغرق من في
ضمنها وخربت دورها حتى لم يبق الا اعلى مسجدها حسب ما اخبر عليه السلم و
كان غرقها من قبل البحر ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فوقها
في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت
احلامكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائد **اقول** اما قربها من
الماء فظاهر واما بعدها من السماء فقيل اراد بالسماء المطر فان امطارها
قليلة وقيل اراد انهم لرذائلهم بعداء عن الرحمة وسماء الجود الالهي وخفة عقولهم
اي العملية ضعفها عن ادراك المصالح وتسرعهم الى الباطل وسفه الحلم تبدله
بضده واستعماله في غير موضعه وكنى بكونهم غرضا لنابل الى آخره عن كونهم

مظنة لاطماع الناس فيهم وقصدهم بالبلاء لضعفهم ونقصان عقولهم
واستعار لفظ الغرض والفريسة لهم ووجه الاستعارة ظاهر ومن
كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي
الله عنه والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته على
حاله فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق **اقول**
قد كان عثمان اقطع اقاربه من ارض بيت المال قطائع فردها عليه السلم
حين ولي الامر ووجه سعة العدل بالقياس الى الجور ان الانسان
يتمكن من التصرف بالعدل عن التصرف بالجور لان التصرف العدل محل
لرضاء من يعتقد كونه مظلوما ولرضاء الظالم لعلمه بانه عند انتزاع الحق
منه لا ياخذ ما ليس له وناهيك بذلك بالوعيد للظالمين فالظالم وان كان
سلطانه عند انتزاع الحق منه وضاق العدل عليه فهو في محل الرضا بخلاف
الجور فانه اضيق عليه في الدنيا والآخرة لسؤال الاوامر والنواهي الشرعية عليه
وجوه التصرف الباطل وربما انتزع منه قهرا ولانه اذا انزل عليه عدل اعتقد
انه اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا انزل عليه جور اعتقد انه اخذ ما لا ينبغي
اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما
ينبغي اخذه وخص قطائع عثمان دون قطائع عمر بالرد لاختلاف غرض الامامين
ومن خطبة له عليه السلم لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم
ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم
الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق
لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم
واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا
سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا
اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في

النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم
الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل
الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل قال السيد واقول ان في هذا
الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان وان حظ
العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة
لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقول الا من ضرب في
هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون اقول
الذمة العهد والزعيم الكافل والمثلات العقوبات والحجز المنع وتقحم
الامر رمى بنفسه فيه واشار الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى وان العبر
بما نفعله في الدنيا من عقوبة من اغتر بها وتبدلها لانها عليهم مستلزمة في
المعتبر بصورة مثل ذلك في نفسه وذلك مستلزم لافاضة تقوى الله عليه المستلزمة
لتوقفه وامتناعه من ان يلقي نفسه في تلك الامور التي هي الشبهات الباطلة
وهي احوال الدنيا المشبهة للحق والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على تمييز
الحق وتمييزه من الشبهة واكد ذلك برهن نفسه وكفالته به ثم نبههم على انهم في الشبهات
مغمورون ليبادروا الى تقوى الله وهو قوله الا وان بليتكم قد عادت واراد
بالبلية ما هم عليه من اختلاف الاهواء وعدم الشبهات التي يلقيها اليهم الشيطان و
ذلك امر شبيه بما كانوا عليه حين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم من تو عمدهم بعاقبة
ذلك وتنزل ثمرته بهم كالبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق ونحوه وذلك
اشارة الى ما تفعله بنو امية بهم من خلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط
اكابرهم كما يفعل القدر بما فيها ولفظ الغربلة مستعار لالتقاط احادهم بالقتل
والاذى كما فعلوا بكثير من الصحابة والتابعين وقوله وليسبقن الى قوله
سبقوا اشارة الى ما علمه من ارتداد القوم وتقصير من كان له سبق في الدين
وتقدم رتبته فيه الى سبق من كان له قصر في اوله او سبق من كان قاصرا

في اول الاسلام عن الخلافة والامامة في اخر الزمان اليها وتقصير من سبق اليها عن
بلوغه ثم اشار الى ذلك الاخبار مما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم واقرانه
لم يكتم منه وشمة اي كلمة مما اخبر به وتعين عليه وان يوم غد والوشمة بالشين
المعجمة الكلمة وانه لم يكذب فيه وهذا المقام مقام بيعته الخلق له وهذا اليوم
اي يوم اجتماعهم عليه واستعار لفظ الخيل بوصف الشماس وخلع اللجم للخطايا
باعتبار ورودهم بها النار بسرعة كالفرس الجموح بالراكب المقتحم به في المهالك و
لفظ المطايا بصفة تلك الاوصاف للتقوى الموصلة صاحبها الى الجنة كراكب الذلول
يصل الى غايته بها بسهولة واختيار وقوله حق وباطل اي في الوجود ولكل
واحد منهما اهل كقول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقوله فلئن
امر الباطل اي كثر الى قوله ولعل كالاعتذار لنفسه ولاهل الحق في قلتهم وتوبيخ
لاهل الباطل على كثرتهم وفي قوله لربما ولعل تبجح واطماع لعود الحق الى
الكثرة بعد قلته متجنبا في لن ومدركي لا يضمحل بالفاذ لعنده والاحسان في كلام
السيد مصدر احسن اذا فعل حسنا ومواقع الاحسان الكلمات الحسنة منه ومواقع
الاستحسان الفكر المستحسنة له لانها لا تبلغ محاسن كلامه ولا تحيط بها وقوله
وان حظ الى قوله اي ان تعجب الفصحاء من حسنه اكثر من عجبهم بانفسهم باخراج
محاسنه لان فيه محاسن لا يمكنهم التعبير عنها وان يجيبوا امثالها ومنها شغل من
الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين
والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها
منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته
للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره لا يهلك على التقوى
سنخ اصل ولا يظمأ عليها زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة
من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه اقول معنى الفقرة
الاولى ان من كانت الجنة والنار امامه كان له بهما شغل عن غيرهما وشغله بهما

ملاحظتها والهمد بما يكون وسيلة اليهما واستعار لفظ الامام لهما باعتبار
كونهما غايتين ينتهي اليهما وبناء الفعل للمفعول لان الغرض ذكر الشغل
دون المشغول به وقوله ساع الى قوله النار قسمة للناس بالنسبة الى ما
وجب عليهم من الشغل المشار اليه الى ثلاثة اقسام ووجه القسمة ان الناس اما
طالبون لله ولما عنده او غير طالبين والطالبون اما مجتهدون في الوصول
اليه او متاولون والاول هم السابقون المقربون والثالث المقصرون الذين وقع
بهم الشيطان حيث اراد وظاهر كونهم من اهل النار ظاهر واما الثاني فذو اومتين
تجاذبانه بين جهتي السفالة والعلو فسلوكه الى الله تعالى وان ضعف جاذب له
الى الجنة ويد الشيطان جاذبة له الى النار الا ان رجاءه لله ومسكنه به اذا
انضاف الى حركته البطيئة في سبيل الله كانت السلامة عليه اغلب وانما خص
الثاني بالرجاء لانه عمدته دون عمله لضعفه ونحوه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وقوله اليمين والشمال
الى قوله الجادة اشارة باليمين والشمال الى طرفي الافراط والتفريط من الفضايل
النفسانية وبالطريق الوسطى الى العدل منها وهو الحصول على نفس الفضيلة من غير
انحراف الى الرذايل منها وهي الصراط المستقيم في الدنيا والجادة الواضحة لمن
اهتدى وعليها باقي الكتاب الكريم من المقاصد الالهية وآثار النبوة ومنفذ السنة
اي طريقها ومخرجها واليها تصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فان من العدل بداءة
السنة وانتشرت في الخلق واليه مرجع امورهم وقوله هلك من ادعى تعريض
لمعاوية ودعواه الامامة واللفظ عام خرج على سبب خاص اي هلك من ادعى ما ليس
له بحق وخاب من كذب في دعواه والخيبة دعاء او خبر بعدم حصول الخير في
الآخرة وقوله من ابدى الى قوله قد اراد من تجرد لاظهار الحق في مقابلة
كل باطل سعد اوراه من الجاهلين وحملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت كان
في مظنة الهلاك بايديهم والسنتهم وكانه عليه السلام اوما الى نفسه في موضع الاعتذار

في مقابلة معونته وغيبه على باطلهم وجهلهم لان جهل المرء بقدره ومرتبته
في الناس جهل فاحش لاستلزامه رذايل مهلكة كالعجب والكبر ونحوهما من
المهلكات وقوله لا يهلك الى قوله قوم فالسنخ الاصل وذلك ان التقوى
كالارض الحرة لا يهلك ما غرس فيها من اصل وكالماء العذب لا يظما عليه ما ذرع
وهو ترغيب فيها لغاية ما يثمر من الخير في الآخرة وامرهم بالاستتار ببيوتهم
اي لزومهم قطعا لمادة الفتنة من الاجتماع للمنافرة والمفاخرة ونبههم على
الرجوع الى التوبة وانها مقبولة منهم وكونها ورايهم باعتبار رجوع العاقل
اليها عقيب ما هو متوجه بتقليبه اليه من المعصية وقيل وراء بمعنى امام والاول اشبه
ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس هو لذلك
باهل ان ابغض الناس الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جاير
عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن
به ضال عن هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد وفاته
حمال خطايا غيره رهين بخطيئته ورجل قمش جهلا فوضع في جهال
الامة غار في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس
عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من
ماء آجن واكتنز من غير طايل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس
على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيا لها حشوا رثا من رايه ثم قطع
به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا ان اصاب
خاف ان يكون قد اخطا وان اخطا رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات
عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذري الروايات اذراء
الريح الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا يحسب العلم في شيء مما انكره
ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم
من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو

من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب
اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق بيعاً ولا اغلى ثمناً من الكتاب اذا حرف
عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر اقول البغض
من الله تعالى يعود الى علمه بمخالفة العبد لاوامره واطلاقه مجازاً اطلاق الاسم
اللازم على ملزومه ورده وكله الى نفسه جعل اعتماده عليها وشعوف معجب
والقمش الجمع والموضع بكسر الضاد المسند عجاي انه يسرع في جهال الامة اي
ما يسرعون اليه وروي موضع بفتحها اي انه ليس من اشراف الناس و
اغباش الفتنة اوايل ظلمها وروي غار اي غافل في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه
تخليصها وروي اغطاش الفتنة والغطش ايضا الظلمة والهدنة الصلح
اعمى البصيرة عنه وجد المصلحة بين الناس واشباه الناس الجهال المشبهون
للكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التمامية التي هي كمال العلوم ومكارم
الاخلاق وروي جمع منونا على ان الجملة بعده صفة له فما مصدرية او
بمعنى الذي وجمع بمعنى مجموع وروي مضافا وتقدير ان بعدها على طريقة
قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه واستعار وصف البكر للسبق في
اول العمر لجمع الشبهات والاراء الباطلة واستعار لفظ الماء الآجن
للجهل والاعتقادات الفاسدة ووصف الارتواء التكثر منها والمبهمات القضايا
الملتبسة التي يدق فيها الحق والحشو الكلام الكثير الذي لا فائدة فيه والرث الضعيف
ونسج العنكبوت مثل للامور الواهية ووجه التمثيل ان ذهن الجاهل اذا
قصد حل مبهمة كثرت عليه الشبهات فلبس على ذهنه وجه الحق ولا يخلص اليه منها
فمثله في الشبهات الواهية كالذباب في نسج العنكبوت لا يتمكن على مفعوله
ان يخلص منه وخباط جهالات كثير الخبط فيها وروي جهالات جمع جهالة فعالة
من الجهل والعشوة مصدر فلك عشوت ضوء النار اذا سرت على ضعفه
اراد انه لا يستضيء بنور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته ولم
يعض

يعض على العلم بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين المرشدة وافلد
ان الانسان بمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه واذروا الروايات تصفحها و
قد اتمها مع عدم فهمها والانتفاع بها وكونه لا يحسب العلم في شيء مما انكر
اي لا يعتقد شيئاً ولا يدخله في الحساب بل يحكم كما يقول ما انكره واراد
علوم الاصول وغيرها دون الفروع وروي يحسب بكسر السين من
الحسبان وهو الظن اي لا يظن العلم الذي هو واداه اعتقاده فضلاً
عن اعتقادها واستعار وصف الصراخ والعجيج وهو رفع الصوت لنطق الدماء
والمواريث بوصف حالها متظلمة شاكية ويحتمل ان يريد اهل الدماء فحذف
المضاف اليه والى الله اشكو او ابوا وقوله ليس فيهم الى اخره اي اذا قرئ الكتاب
على وجهه رخص عندهم والموضوع لمخالفته اغراضهم واذا حرف عن مواضعه
ووافق اغراضهم شروه باغلى ثمن ولا انكر من المعروف لقلته وعدمه بينهم
ولا اعرف من المنكر لكثرة وجوده والفهم له ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف
العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها
برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع
القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم واحد
ونبيهم واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه
ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه وتعالى دينا ناقصا فاستعان
بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل
الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وسلم عن تبليغه وادائه والله
سبحانه وتعالى يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان
الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه سبحانه لو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق
لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به في هذا

الفصل تصريح بانه عليه السلم كان يرى ان الحق في جهة واحدة وانه ليس كل
مجتهد في الفروع مصيبا كما يراه الجمهور من الاصوليين والمسئلة مشهورة
في اصول الفقه وقوله ترد الى قوله جميعا صورة ظاهر الحجة بتكرّبها د
قوله والههم الى قوله واحد شروع في بطلان ما يرونه وهو صغرى ضمير
تقديره كما انه كل قوم كانوا كذلك فلا يجوزان يختلفوا في حكم شيء ويكون
اراؤهم المختلفة صائبة وقوله فامرهم الى اخره بيان للصغرى وتقرير
ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او نهي منه عصوه فيه
او يكون عنه الامرين وعلى التقدير الثالث يجوز اختلافهم في دينه والحاجة
الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه او مع تمامه ونقص الرسول في ادائه وعلى
الوجه الاول فالاختلاف فانما يجوز على احد وجهين اما ان يكون ذلك الاختلاف
تماما لذلك النقصان او على وجه اعم من ذلك وهو كونهم شركاء في الدين
فعليه ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا اذ شان الشريك ذلك فهذه وجوه
خمسة وحصر الاقسام الثلاثة الاخيرة ثابت باستقراء وجوه الحاجة
الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها ببقية الكلام
اما الاول فلان مستند الدين كتاب الله وهو يصدق بعضه بعضا فلا
اختلاف فيه فلا يكون مبدا للاختلاف فليس اختلافهم مستندا الى الكتاب
فلا يكون من الدين واما الثاني فلان عدم جواز المعصية بترك الاختلاف
مستلزم لعدم جواز الاختلاف واما الثالث وهو نقصان دين الله
فلقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وما فرطنا في الكتاب من شيء واما الرابع
والخامس فظاهرا البطلان ولا يمكن دعواهما فلذلك لم يحتج الى بطلانهما
ثم نبههم على ان القرآن واف بجميع المطالب اذا تدبروا معناه فيحرم عليهم
قول لا يستند اليه وذلك في قوله ظاهره انيق اي حسن معجب بانواع البيان
وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر معناه واسراره الا اولو الالباب ولا

تفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضي الامور الغريبة فيه ولا تكشف ظلمات الشبه
الا به ومن كلام له عليه السلم قاله للاشعث بن قيس وهو على منبر
الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الاشعث فقال يا امير
المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما
علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك بن حائك منافق بن
كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة
منهما مالك ولا حسبك وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري
ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد يريد عليه السلم انه
اسر في الكفر مرة وفي الاسلام اخرى واما قوله عليه السلم دل على قومه
السيف فاراد به حديثا كان للاشعث مع خالد ابن باليمامة غر فيه قومه الوليد
ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم
للغادر عندهم روي انه عليه السلام كان يذكر في
خطبته امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال نهيتنا عن الحكومة ثم
امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلم احدى يديه على الاخرى
وقال هذا جزاء من ترك العقدة فظن الاشعث ان هذا جزاءي فقال
الكلمة فاشار عليه السلم الى جهله بقوله وما يدريك اذ ليس لجاهل ان يعترض
على مثله بما لا يعلمه واستحق اللعن لانه كان يعلم انه من المنافقين
واستعار له لفظ الحائك لان كندة معروفة بالحياكة وهي مظنة نقصان
العقل وقيل لان الاشعث واباه كانا ينسجان في اول امرهما برود اليمن وعيّر بها
لابنائهما وقوله لقد اسرك الى قوله ولا حسبك تاكيد لنقصان فطنته
باذا وقع نفسه مرتين في الاسر ولم يعقل وجه الخلاص فما فداك اي لم يحك
من الوقوع ولا يحمل على الفداء بعد الاسر لانه فدا نفسه كما نقل اما اسر الكفر
فلان مرادا لما قتلت اباه خرج ثائرا به مرفاسر ففدا نفسه بثلاث الاف

بعير وانما اسر كالاسلام فلانه لما ارتد بحضرموت بعد رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بعث ابو بكر بزياد ابن لبيد ثم بعكرمة ابن ابي جهل في
جيش من المسلمين فالجاوا الى حصن قومه فاسره زياد وقدم به على ابي
بكر فاستبقاه وزوجه اخته ام فروة والقصة طويلة اشرنا اليها في
الاصل وقوله وان امرأ الى قوله لا ابعد اشارة الى غدره بقومه
حين حصرهم زياد فطلب الامان لنفسه ولنفر يسير من قومه فظن الباقون
انه اخذ الامان لجميعهم فخرجوا فقتلوا او لحقت الهلاك واما قول السيد
انه اراد حديثا كان للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة فلم اقف على شيء
من ذلك في وقايع خالد باليمامة وحسن الظن به يقتضي صدق نقله واما
استعارته لعرف النار فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع ولما كان الغدر
طباعا له وهو مستلزم للنار صار كالعلم على النار قايدا لمن ابتعه اليها كاعلام
الطريق ومن خطبة له عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات
منكم لجزعتم وذهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما عاينوا وقريب ما
يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان
اهتديتم بحق اقول لكم لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن
الله بعد رسل السماء الا البشر
الوهل بالتحريك الفزع وذو
وهلعتم والهلع افحش الجزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن
فانه محجوب بظلمات هيآته ومعارضة اوهامه وخيالاته عن مشاهدة
عالم الغيب وذلك الحجاب امر قابل للزيادة والنقصان والناس فيه على مراتب ولو
قد نضى عنهم هذا الجلباب وطرح عن اعين بصائرهم ذلك الحجاب لشاهدوا من
احوال الآخرة واهوالها ما شاهد من وصل اليها قبلهم
تعالى
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فجزعوا حينئذ وفزعوا وسمعوا داعي
الله واطاعوا وقوله ولكن الى قوله الحجاب اشارة الى سبب غفلتهم وهو

الحجب

الحجب المذكورة والتهديد بقرب زواله [?] بالموت وما مصدرية في موضع رفع
بالابتداء وقوله ولقد بصرتم الى قوله اهتديتم تنبيه على طريق الهداية
وانها قد اوصلت اليهم ما ينتفع به لو انتفعوا به ومجاهرة العبر لهم ظهورها
ووضوحها وظهور دلالتها وما فيه مزدجر كالنواهي المؤكدات بالوعيد والهائلة
والعقوبات الحاضرة تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر
وقوله وما يبلغ الى آخره اي ليس في الامكان طريق وراء ما جاءتكم به رسل
الله على السنة رسله يمكن ان يبلغكم رسالة بعد رسل السماء وهم الملائكة
فلا عذر لكم في التخلف عن دعوتهم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه
السلام فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا
فانما ينتظر باولكم آخركم قال السيد اقول ان هذا الكلام لو وزن بعد
كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل كلام لمال به
وارجح عليه سابقا فاما قوله عليه السلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام
اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفها
من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف
جوهرها اراد بالغاية هي الآخرة من جنة او
نار يعبر عنهما بما هو متوجه اليه وغاية للانسان ينتهي اليها وبذلك الاعتبار
صدق عليها انها امام واستعار لفظ لها او الساعة القيمة والموت وكونها وراء
باعتبار كونها متوجها منها والمهروب منه خلف الهارب فاستعار لفظها
ووصفها بصفة السايق وهي الحداء واشار بالتخفيف الى الزهد الحقيقي الذي
به يخفف المسافر الى الله من اثقال الدنيا واوزارها المانعة من الصعود الى
حضرته المقدسة وبذلك يلحق المسافر بمنازل السابقين الاولين والكلمات
في قوة شرط وجزاء وقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي انما ينتظر بالقيمة
الكبرى على اولكم ومن سبق منكم ووصول كل الى ما يستحقه من كمال رحمة او عذاب

لحوق الآخرين الذين لم يموتوا ووصف الانتظار مستعاد لكمال مطلوب الله سبحانه
وتعالى من الخلق بأسرهم وهو وصولهم إلى نهاية عزته إذ كان نظر عنايته
إليهم واحدا واستعار السيد لفظ النطفة وهو الماء القليل الصافي
لما فيهما من الحكمة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ألا وإن الشيطان
قد ذمر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه
والله ما أنكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطلبون حقا
تركوه ودما هم سفكوه فلئن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه ولئن
كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا عندهم وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم يرتضعون
أما قد فطمت ويحيون بدعة قد أميتت يا خيبة الداعي من دعا وإلام أجيب
وإني لراض بحجة الله تعالى عليهم وعلمه فيهم فإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى
به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثهم إلي أن ابرز للطعان
وأن اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب
بالضرب وإني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني **قوله** ذمر
بالتخفيف والتشديد حث والجلب الجماعة من الناس تجمع وتؤلف والنصاب
الأصل والمنكر الذي ادعوه عليه قتل عثمان والسكوت على النكير عليه قائلين
وما كان عليه السلام بريا منه ومصدق أنهم ما أنكروا عليه منكرا فعله وتركهم لذلك
الحق وسفكهم لذلك الدم هو مشاركتهم فيه فإن المشهور أن طلحة كان من
المحرضين على قتله والساعين في ذلك وقوله فإن كنت إلى قوله
قبلهم إقامة للحجة على دفع مقالتهم وتقريرها أنهم دخلوا في دم عثمان وكل
من دخل فيه بالاستقلال أو الشركة فليس له أن يطلب غيره بدمه أو يطلب
شريكه دون نفسه واستعار وصف الارتضاع لطلبهم منه عليه السلام ما
كانوا يعهدون من الصلات من عثمان ولفظ الأم للخلافة وفي بيت المال لبنها و
المسلمون أولادها المرتضعون ووصف الفطم لمنعه عليه السلام لهم من ذلك والبدعة

التي يحيونها هو التفضيل إذ كان بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و
أماتتها تركها وقوله يا خيبة الداعي إلى قوله أجيب خرج مخرج التعجب
من عظم خيبة الدعاة إلى قتاله ومن دعا وإلى ما أجيب استفهام على سبيل
الاستحقار للمدعوين لقتاله الناصرين للداعي إذ كانوا أعوام الناس والمدعو
إليه وهو الباطل الذي دعوا لنصرته ويحتمل أن يكون لتعظيم المدعو إلى
قتاله يعني نفسه عليه السلام والمدعو إليه وهو الحرب وحجة الله أمره الصادر
بقتال الفئة الباغية لقوله تعالى فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وكل أمر الله أو نهي له فهو حجة له وكل حجة للحق
فهي حجة له والهبول الثواكل وهو مما تدعو به العرب وقوله لقد
كنت وما أهدد بالحرب أي من حيث كنت لا أخشى من وعيد الحرب واليقين
من الله بما وعد المتقون وذلك مؤكد لعدم خشيته من الحرب والقتال
وهو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** أما بعد فإن
الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان
فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة فإن
المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس
كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها
المغرم وكذلك المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين إما داعي الله
فما عند الله خير له وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه
إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام
فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في
غير رياء ولا سمعة فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له نسأل الله
تعالى منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء أيها الناس إنه لا يستغني
الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم وهم أعظم

الناس حيطة من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة نزلت به ولسان
الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره

مدار الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه وفيه تاديب
الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم وتزهيدهم في جمع المال وقدم
مقدمة حاصلها الاشارة الى ان كلما يجد من زيادة او نقصان فيما يكون
صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم من مال او جاه او اهل فانه عن قسمة
ربانية والامر الذي ينزل هو حكم القدرة الالهية على الممكنات بالوجود
المعبر عنه تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه لا بد من وقوعه وحصوله
لكل نفس مما قسم لها وهو القدر في تعالى وما ننزله الا بقدر
معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض ارض قوابل الجود في هذا
العالم ويحتمل ان يراد ظاهرهما لان السموات بحركاتها شرايط معدة لما يحدث
في الارض فكانت مبادي على بعض الوجوه لنزول الامر فجاز نسبته اليها ووجه
تشبيهه بقطر المطر ان حصوله لكل نفس مما يختلف بالاصابة وعدمها وبالزيادة
والنقصان كالقطر بالنسبة الى البقاع وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وقوله
فاذا راى الى قوله فتنة والغفيرة الزيادة وفيه تاديب لمن حصل في حظه
النقصان من احد الامور المذكورة بالنهي عن الفتنة بحال من حصلت له
الزيادة في احدها والفتنة الابتلاء اي فلا يبتلي نفسه بغبطة وحسده
وقوله فان المرء الى قوله حسبه تنبيه على فضيلة الانتهاء عن الفتنة باحد
الامور المذكورة فنبه على كونها دنايا بقوله ما لم يغش دناءة وما يعني
المرة وكالفالج ضراوة ويظهر صنعه لدناءة وتخشع عطفه على يظهر والكلام في
معرض التعليل ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه ذلك
بالتحلي بالخجل من ذكره والحياء من التعيير به ويغري به لئام الناس وعوامهم
في فعل مثله وقيل في هتك ستره به فانه يشبه الفالج الياسر اي الفائز

جز

اللاعب بالميسر وهو لعب مخصوص كانت العرب يلعب به وقد شرحنا كيفيته
في الاصل ووجه التشبيه ان الفائز الياسر قبل فوزه في لعبه ينتظر
اول فوزة من قداحه وهي الخشبات التي يلعب بها ووجد فوزه انه
يستوجب المغنم في بعض السهام ويندفع عنه بجره وجها المغرم وبعضها
يوجب غنما وغرما وبعضها لا يوجب غنما ولا يوجب غرما كذلك المسلم
البري من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله تعالى في صين
عنها ينتظر احدى الحسنيين في الدنيا اما ان يدعو الله اليه بالقبض
عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم
ولما كان مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه
المستلزم لعدم غرمه واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيصبح
وقد جمع الله له بين المال والبنين مع حفظ الحسب والدين فيفوز
الفوز العظيم وقوله ان المال الى قوله لاقوام تنبيه على تحقير
القنيات الدنيوية بالنسبة الى متاع الاخرة وقوله وقد يجمعهما الاقوام
تنبيه على وجوب التوكل على الله اذ كان جمعهما غير ممكن الا منه ثم اكد ذلك
بالتحذير مما حذر الله من نفسه والامر بالخشية الصادقة البرية من التعذير
وهو اظهار العذر من غير عذر والعمل لله البري من الرياء وجذب الى الضمير
صغراه قوله فانه الى قوله له وتقدير كبراه وكل من وكله الله الى
عمل لغير الله فهو من الخاسرين ومعاشرة السعداء العيش معهم وقوله
ايها الناس الى قوله عليهم تاديب للاغنياء بالمعونة للفقراء لينتظم
شمل المصلحة من الطرفين واستدراجهم بضمير من صغرى الاول انهم لا
يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة اذ صاحب المال احوج الى الاعوان الذين
عنده وتقدير الكبرى وكل ما لا يستغني عنه فواجب مواساته والحيطة بكسر الحاء
وسكون الياء الحفظ والمهم لشعثه اجمعهم لما تفرق منه حاله وهو الثاني

قوله ولسان الصدق الى آخره وتقديره كن ادوكل ما كان خيرا من المال فالاولى
بدل المال لاكتسابه ولسان الصدق هو الذكر الجميل الا لا يعدلن
احدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه
ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يد
واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن يلن حاشيته يستدم من قومه المودة
قال السيد وما احسن المعنى الذي اراد بقوله ومن يقبض يده عن
عشيرته الى تمام الكلمة فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد
واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته و
تثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة
الخصاصة الفقر والفصل من تمام ما قبله وحاصله النهي عن
العدول عن صلة الاقرباء ذوي الحاجة بالفاضل من المال وقوله يرى
في موضع النصب على الحال وان يسدها في موضع الجر بدلا من القرابة وقوله
لا يزيده الى قوله اهلكه اي لا يزيد امساكه في صلاح حاله ولا ينقص
اتلافه من ذلك اذا الفضل الزائد على حاجة الانسان على القدر الذي يدفع ضرورته
بحسب الشريعة ليس زيادته ولا نقصانه معتبرا في صلاح حاله وفساده فيهما
واما قوله ومن يقبض الى آخره فقد اشار السيد رحمه الله الى معناه وهو
ظاهر وقوله ومن يلن حاشيته الى آخره تاديب بالتواضع ولين الجانب
فان ذلك يستلزم الالفة من الناس وهي موجبة للمودة ومن خطبة له
عليه السلم ولعمري ما علي في قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا
ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا في الذي نهجه لكم
وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا
الادهان المداهنة والمصانعة والايهان مصدر اوهنه اي اضعفه وفي هذا
الفصل رد قول من يقول انه مصانعته عليه السلم لمحاربيه اولي عن حربهم فقال انه

ليس يجب علي في قتالهم مصانعة من جهة الدين ولا في منع عن ذلك
ووصفهم بمخابطة الغي والبغي لقيام عذره في قتالهم اذ كان قتال من
هذه صفته واجبا وامر بالفرار الى الله من الله اقبالا عليه وتوجيه السر اليه وهو
على مراتب اولها الفرار من بعض آثاره الى البعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته
الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى الى درجات القرب
والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما
يستعاذ من سخط الله الى عفوه والعفو والسخط صفتان الثالث ان
يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها وقد جمع الرسول
صلى الله عليه وسلم هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى
واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك والعفو كما يكون
صفة للعافي كذلك يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو ثم لما قرب فغني عن
المشاهدة للافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات قال واعوذ
برضاك من سخطك وهما صفتان ثم لما ترقى عن مشاهدة الصفات واقترب
الى ملاحظة الذات قال واعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه وهو مقام
الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة في لجة الوصول درجات اخر لا تتناهى
ولذلك لما ازداد صلى الله عليه وسلم قربا قال لا احصي ثناء عليك وهو حذف لنفسه
عن درجة الاعتبار واعراض عن النظر بر[illegible] الحق في ذاته وكان قوله
بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا له وعنده كن يقول
ان قوله عليه السلم وفروا الى الله من الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة
من المراتب المذكورة وما نهجه لهم واوضحه هو السبيل العدل والصراط المستقيم
وقد علمت ان غاية سلوك سبيل الله بالعبادة تطويع النفس الامارة بالسوء
للنفس المطمئنة وحينئذ تعلم ان هذه الاوامر الثلاثة هي التي عليها مدار الرياضة
فالامر بالتقوى مستلزم للزهد الحقيقي وهو معين على حذف الموانع الداخلية والخا

ولامر وبلوك سبيل الله معين على تطويع النفس الامارة ولامر بانقياد الى
الله امر يتوجه السر اليه وهذه الاغراض الثلاثة هي التي تتوجه نحوها
الرياضة المستلزمة لكمال الاستعداد المستلزمة للوصول اليه تعالى ولذلك
قال عليه السلم بعدها فعلى ضامن لفرطكم آجلا ان لم يمنحوه عاجلا والفلج
الفوز والمنحة العطية وذلك شرط الاستعداد بلزوم الاوامر المذكورة ومن
خطبة له عليه السلم وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية
على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبد الله بن العباس وسعيد
بن نمران لما غلب عليهما بسر بن ابي ارطاة فقام عليه السلام الى المنبر ضجرا
بتثاقل اصحابه الى الجهاد ومخالفتهم له في الراي وقال ما هي الا الكوفة
اقبضها وابسطها ان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك فقبحك الله وتمثل
بقول الشاعر   لعمر ابيك الخير يا عمرو انني   على وضر من ذي الاناء قليل ثم
قال عليه السلم انبئت بسرا قد اطلع اليمن واني والله لاظن هؤلاء القوم
سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ومعصيتكم امامكم
في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وبادائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم
وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب
بعلاقته اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فابدلني بهم
خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء اما والله
لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس بن غنم
هنالك لو دعوت اتاك منهم   فوارس مثل ارمية الحميم
ثم نزل قال السيد قلت انا والارمية جمع رمي وهي السحاب والحميم في هذا
الموضع وقت الصيف وانما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه اشد جفولا و
اسرع خفوقا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء
وذلك لا يكون في الاكثر الا في زمن الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا

والاستغاثة

والاستغاثة اذا استغيثوا والدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت اتاك
منهم   الضمير في قوله وانما هي الكوفة وان لم يتقدم ذكرها
لكونها المعهودة في الخطاب نحو قوله تعالى كلا انها لظى ويحتمل ان يكون
ضمير الشان ويفهم من الكلام حصر ما بقي من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب
وغيرها في الكوفة على سبيل التحقير لها بالنسبة الى ممالك الاسلام وقبضها
وبسطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها والضمير بعد الا بدل مما قبلها والجملة
الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل
ان يكون حقيقة لان الكوفة معروفة بهبوب الاعاصير فاتى بذلك
في معرض ذمها وتحقيرها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يحدث من آراء
اهلها المختلفة التي هي منبع الفتنة ووجه المشابهة الازعاج والاذى
والاستصغار اياها تمثل بالبيت لعمر ابيك الخير ووجه التمثيل ان الكوفة
تشارك الوضر وهو الدرن الباقي في الاناء بعد الاكل في القلة و
الحقارة فهو يقول اني على بقية من هذا الامر كالوضر في الاناء ومن ذوي
الراي وهو مع حسن المنظر مر الطعم فانما اراد اني على بقية من هذا
الامر كالقدر الحاصل للناظر الالاء من حسنه مع عدم الانتفاع به و
خص الكوفة دون البصرة لان جمهور من كان يعتمد عليه من العسكر
اهلها وقوله انبئت شروع في بيان غرضه وهو استنفارهم
الى الجهاد عدوهم وبسر بالسين المهملة ابن ابي ارطاة من اصحاب
معوية واطلع اليمن غشيها والادالة الغلبة وذكر من اسباب ما ظنه و
توعدهم اربعة من قبلهم هي اسباب الانقهار واربعة من قبل الخصم
هي اسباب القهر ورتب كل امر عقيب ضده لتظهر لهم المناسبة بين
افعالهم وافعال خصومهم والقعب قدح ضخم ودعاؤه عليه السلم بوجود
الاشرار جائز بشرط المصلحة في تخويفهم بذلك او لانه علم عدم صلاحهم

كما دعا نوح عليه السلم على قومه اذ قال رب اني دعوت قومي الى قوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكما دعى لوط عليه السلم والايات
الدالة وروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد الحجاج وفعله باهل
الكوفة ظاهر وقوله اما والله الى آخره تحقير لهم بتفضيل غيرهم
عليهم ليستثير طباعهم بذلك وبنو فراس بن غنم من تغلب ابوهم غنم بن
تغلب بن وايل وخصهم لشهرتهم بالشجاعة والحمية ومعنى البيت هو ما
اشار اليه السيد رحمه الله تعالى **ومن خطبة له عليه السلم** ان الله بعث
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم
معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن
وحيات صم تشربون الكدر وتاكلون الجشب وتسفكون دماءكم
وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة
اقتص حال العرب وما كانوا عليه في الجاهلية من الشدة
وسوء الحال في المعاش والمعاد في معرض الامتنان عليهم ببعثة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وشر دار ارض الحجاز لشدة الحال بها ومنيخون مقيمون والحية
الصماء قيل هي التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وقيل هي الصلبة الشديدة
والجشب الطعام الخليط الخشن وقيل هو الذي لا ادام معه ومعصوبة مربوطة — بدل مربوطة
فنظرت فليس لي معين الا اهل بيتي فضننت بهم على الموت
فاغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من
طعم العلقم الفصل من جملة اقتصاص حاله بعد النبي صلى الله
عليه وسلم في طلب الخلافة في معرض الشكاية واهل بيته بنو هاشم وضننت
بخلت والاغضاء ادناء بعض الجفون الى بعض وكنى باخذ الكظم وهو مجرى
النفس وبالامر من العلقم عن العجز والتاثر بسبب غلبته على مطلوبه يذكر
عمرو ابن العاص وكونه لم يبايع معوية حتى شرط ان يوتيه على البيعة ثمنا فلا

ظفرت يد البايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها
عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها الثمن الذي اشترط
عمرو على معوية في بيعته اياه ومتابعته على حرب علي عليه السلم طعمة مصر
ولم يبايعه حتى كتب له بها كتابا والمبتاع معوية والبايع لدينه هو عمرو وخزي
امانة المبتاع يعني معوية فيما ولي من امور المسلمين اذ كانت امانة في يد
من يبادلها وهو انما بايعه عمرو وكانت امانة لقيام الحرب فلذلك كنى
عنه بقوله فقد شب لظاها وعلا سناها اي ضوؤها كناية باستعارة
وصف النار واستعيروا الصبر اتخذوه شعارا **ومن خطبة له عليه السلم**
اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه
وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه البسه
الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه
بالاسداد واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا واني
قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم
اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا
فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا
اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري
وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المراة
المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها
ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال
رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو ان امرأ مسلما مات من بعد هذا اسفا
ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب
ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم
فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون

ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالمسير اليهم في ايام الحر قلتم
هذه حمارة القيظ امهلنا ينسلخ عنا الحر فاذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء
قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم
من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال
حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة
والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم
صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي رايي بالعصيان
والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله
ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها
وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لا يطاع
الخطبة مشهورة ذكرها المبرد وغيره واشار الى فضائل
الجهاد ترغيبا فيه واستعار له لفظ الباب لدخولهم به الى الجنة ولفظ اللباس
والدرع والجنة وهي الترس لان الانسان يتقي به العدو وعذاب الاخرة
وديث اي ذلل والصغار الذل والضيم والقماء ممدود الحقارة والذل ايضا
واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله وغفل عن مصالحه وهو
تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة واديل الحق بيّن فذوقه
عليه عدوه وسامه خسفا اي اولاه ذلا والنصف بكسر النون بمعنى الانصاف و لا شهره
لزوم الامور المذكورة عن ترك الجهاد ظاهر وقوله الا واني الى اخره
ذكر لغرضه وهو الحث على الجهاد والتوبيخ على تركه وعقر الشيء اصله واخو
غامد هو سفيان بن عوف الغامدي وغامد قبيلة من اليمن والشن الغارة و اذو شنوق
اشنها فرقها من كل جانب والمسالح جمع مسلحة وهو الحدود والاطراف من
البلاد ترتبت فيها اصحاب السلاح كالثغور والمعاهدة الذمية والحجل
الخلخال والقلب السوار والرعاث جمع رعثة بفتح الراء والعين وسكون العين

وهي القرط والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع ترديد الصوت
في البكاء والاسترحام مناشدة الرحم ووافرين غانمين والكلم الجرح وجديرا
اولى ويا عجبا نصب على المصدر والمنادى محذوف اي يا قوم ونحو
كذا المصدر بحسن وصنعه والترح الحزن وحمارة القيظ بتشديد الراء
شدة حره وانسلاخ الحر فتره وصبارة القر بتشديد الراء شدة البرد وكنى
بالقيح عن شدة التالم اذ هي غاية الم العضو والحجال جمع حجلة وهي بيت
العروس يزين بالستور والثياب ووجه تشبيه حلومهم بحلوم الاطفال
سرعتها عن ادنى سبب لا يصلح ان يقع به العاقل كحلمهم عن اهل الشام
بخدعة رفع المصاحف ووجه تشبيه عقولهم بعقول ربات الحجال اي
النساء ضعفها عن ادراك وجوه المصالح والندم الحزن على الندم وشحنتم
ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام بفتح التاء
الهم ولله ابوهم كلمة من مدائح العرب والمراس العلاج وذرفت
بتشديد الراء اي زدت وقوله لا راي لمن لا يطاع مثل قيل اول من سمع
منه عليه السلام ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الدنيا
قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع
الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار
افلا تائب من خطيئته قبل منيته الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه
الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور
اجله فقد خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة
الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم
ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى
الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف
عليكم اتباع الهوى وطول الامل تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به

انفسكم غدا قال السيد رضي الله عنه واقول لو كان كلام ياخذ
بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام
وكفى به قاطعا لعلائق الامال وقادحا لزناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه
قوله عليه السلام والا ان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة و
الغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل
وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو قوله عليه السلام والسبقة الجنة
والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة
النار كما قالوا السبقة الجنة لان الاستباق انما يكون لامر محبوب و
غرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في
النار نعوذ بالله منها ولم يجز ان يقول والسبقة النار بل قال والغاية
النار لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك
فيصلح ان يعبر بها عن الامرين معا فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل
قال عز ذكره قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز ان يقال في
هذا الموضع فان سبقتكم الى النار فتامل ذلك فباطنه عجيب وغوره
بعيد وكذلك في اكثر كلامه عليه السلام وقد جاء في رواية اخرى بضم السين و
السبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان
متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء
على فعل الامر المحمود مدار الفصل على التنفير عن
الدنيا والترغيب في الاخرة والاستعداد لها بالتوبة والاعمال الصالحة
وآذنت اعلمت بتغيرها انها زائلة ولفظ الوداع مستعار لذلك واشراف
الاخرة قربها من كل شخص ونبه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد له
وهو السباق وذكر ما يسبق اليه في قوله الا وان اليوم الى قوله النار
والمضمار المدة التي تضمر فيها الخيل للسباق وهي ان تعلف حتى تسمن ثم ترد الى القوت

وهي اربعون يوما واستعار لفظه لمدة الحياة باعتبار ان الانسان يستعد
فيها بالتقوى لتكمل قوته العقلية فيكون من السابقين الى لقاء
الله تعالى كما يستعد الفرس بالتضمير ليسبق مثله والسباق مصدر كالمسابقة
وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف والسبقة بضم السين وفتحها
ما استبق اليه من الخاطر وروي السباق مرفوعا ولا وجه له الا
ان يكون مضافا اليه اقيم مقام مضاف وهو الخبر اي وقت السباق
او يكون السباق جمع سبقة وكنى بغد عن يوم القيمة وتمام المعنى
هو ما اشار اليه السيد رحمه الله وتامر في المومنين مفعول ثاني
لاري والمفعول الاول هو المشبه بالجنة او النار والضمير في قوله
وانه ضمير الشان واستعار لفظ الظعن من السفر الى الله تعالى كالفكر في
ملكوت سمواته وارضه وعوالم خلقه والزاد الذي دلوا عليه هو التقوى
تعالى وتزودوا الاية وانما تحصل التقوى ليعود الى خشية
الله ولزوم الاعمال الصالحة ولم يمكن ذلك الا في الدنيا فحركات الفكر في
العبرة بها وحركات الجوارح بالعبادات فيها قالت في الدنيا من الدنيا فظهر
ان التقوى يحرز الانسان بها نفسه من عذاب الله يوم القيمة ومن
خطبة له عليه السلام ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم
كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في
المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة
من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل دفاع ذي الدين
المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم
تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه
ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت
والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما

دواكم ما طبتكم القوم رجالا مثالكم اقوالا بغير علم وغفلة من غير ورع
وطمعا في غير حق بنفهم على ما يستقبح في الدين وحسن اليقين
من احوالهم واقوالهم وافعالهم واجتماعهم مع تفرق ارائهم المؤجبة
لتخاذلهم عن الجهاد واما اقوالهم فكلامهم بوعيد العدو بالحرب
الذي يضعف القلوب الصلبة لطتها صدقه واستعار لفظ الصم من
الحجارة للقلوب القوية واما افعالهم فهو التخاذل والفرار من العدو
وقولهم حيدي حياد كالمثل تقوله العرب عن الفرار ومفهومه تنحي عنا
ايتها الحرب وهي كقولهم فيحي فياح وفياح اسم للحرب واعاليل جمع
اعلول جمع علة اسم لما يتعلل به ويعتذر واضاليل جمع اضلاله او جمع
ضلة اسم للضلال واعاليل خبر مبتدا محذوف اي اعذاركم اعاليل
باطلة بسببها الضلال عن سبيل الله ودفاع مصدر وهو صفة مشبه به ووجه
الشبه كثرة المدافعة واراد بدارهم دار الاسلام والسهم الاخيب من
سهام الميسر وهو الذي لا فرض فيه ولا غنم به كالتي تسمى اوغادا وفيها خيبة
وغرم كما علم في الاصل وكني بذلك عن حصول هزيمته في سهمه وعداوهم من قوته
والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل واستعار لفظه لهم باعتبار
انهم لا غناء لهم فيما اريد منهم كالسهم المذكور وقولهم بغير عمل وعدم
له بالنهوض الى الحرب مع خلفهم وقوله بغير علم اي بغير اعتقاد لذلك ولا
نية فيه والغفلة من غير ورع هي المذمومة اذ قد تعرض لذوي الورع
غفلة عن مصالح الدنيوية وتكون محمودة لهم ومنهم وهم البله
الذين قال الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله اكثر اهل الجنة البله اي سليموا الصدور
من الاهتمام بالدنيا ووجوه تحصيلها واراد غفلتهم عن مصلحة الجهاد و
طمعا بغير حق اي فيما كانوا يتوقعونه منه من التفضيل والزيادة على عطاياهم
كما فعل من قبله ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان لو امرت به لكنت

قاتلا او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول
خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير
مني وانا جامع لكم امره استاثر فاساء الاثرة وجزعتم فاساتم الجزع
ولله حكم في المستاثر والجازع اقول مفهوم الفصل التبري من دم عثمان
والدخول فيه بامر او نهي في صورة شرطيتين متصلتين يستنتج منها
نقيض ملزوميهما باستثناء نقيض لازمهما والملازمة عرفية فيما
اذا الامر بالقتل يسمى قاتلا عرفا والناهي عنه يسمى ناصرا وقوله
غير ان من نصره الى قوله خير مني فهو في معرض الجواب لمن انكر
بحضرته قعوده وجميع اكابر الصحابة عن نصرة عثمن وقال انهم لو
نصروه وهم اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وان
كانوا راوا ان الحق قتله فكان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس
ذلك لترتفع الشبهة فاجاب بذلك ومفهوم القضيتين اني لو
سلمت اني خاذل له فان الخاذلين له كانوا افضل من الناصرين
اذ الخاذلون اكابر الصحابة والناصرون بنو امية واتباعهم وليس لهم ان
يدعوا الافضلية على الخاذلين ولا للخاذلين ان يعترفوا بالمفضولية
لهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان خاذلوه
افضل من ناصريه لم يجز لاحد خاذليه وتخصيصهم بالتعنيف فانهم
لانهم افضل والافضل اولى ان يتبع وقوله وانا الى قوله
الجزع تنبيه على ان عثمن وقاتليه كانا على طرفي الافراط اما عثمن
فلاستبداده واستيثاره برايه فيما الامة شركاء فيه حتى ادى
ذلك الى قتله واما قاتلوه فلافراطهم في الجزع من فعله حتى خرجوا
عن فضيلة التثبت وما ينبغي لهم من انتظار اصلاح الحال بينهم
وبينه وقيل اساتم الجزع عليه بعد قتله واثرتم الفتنة وقوله

والله حكم الى آخره اشارة الى حكم قدرة الله النازل في عثمن بقتله وفي قاتليه
يجزعهم منه وقتلهم له او تجريهم عليه واثارتهم للفتنة ليبيره و
يحتمل ان يريد الحكم في الآخرة بما يلحقهما من سعادة او شقاوة و
ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع
الحرب يوم الجمل ليستفيئه الى طاعته قال عليه السلام لا تلقين طلحة
فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول
ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني
بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال السيد وهو اول من سمع
منه اعني فما عدا مما بدا **اقول** قوله عاقصا قرنه هو وجه الشبه
بالثور وكنى به عن تكبره وخشونة جانبه واصراره على الحرب والعقص
التواء القرنين وكنى بقوله يركب الصعب ويقول هو الذلول عن تهونه في ركوب
الامور الصعبة والعريكة الطبع وكان الزبير الين طبعا وذكر النسب
تذكيرا بالرحم وكونه ابن خاله لان صفية ام الزبير اخت ابي طالب وبنت
عبد المطلب وقوله فما عدا مما بدا مثل يضرب لمن يفعل فعلا باقبال
ثم يرجع عنه وينكص والمعنى فما جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك وظهر من
الامور وقيل المعنى فما صرفك ومنعك عما كان بدا منك من اظهار
بيعتي وطاعتي **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس انا قد
اصبحنا في دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد
الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى
تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه الفساد في الارض الا
مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت لسيفه والمعلن
بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه
او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا

ومما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب
الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من
ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية
ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته
الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس
من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق
دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت
مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية وشملتهم
الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة قد وعظوا
حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في
اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل
ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان
اشغف بها منكم قال السيد رضي الله عنه وهذه الخطبة ربما نسبها
من لا علم له الى معاوية وهي من كلام امير المؤمنين عليه السلام الذي
لا يشك فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على
ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر
هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم
تكلم بعدها بكلام في معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام
امير المؤمنين اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم
فيه عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق ومتى وجدنا معوية
في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد **اقول**
العنود الجائر والكنود الكفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم
ونسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعضها نسبة صحيحة لان

الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الحوادث والامور
المعدودة خيرا او شرا وقد تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير
والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستعداد الخير غالبا خصوصا في زمن قوة
الدين والنواميس الشرعية الناظمة للعالم وفي بعضها يكون الشر غالبا
وعد الحسن سيئا كالمتصدق مراءيا وزيادة عتو الظالم اي تجبره لضعف
سلطان الدين وعدم انتفاع العالم بعلمه وفيه عدم عمله على وفق علمه
وعدم سؤال الجاهل عما جهله لقلة الرغبة في العلم والانتفاع
به وعدم تخوف الناس من الامر المخوف حتى ينزل بهم كناية عن عدم فكرهم
فيما يصلح عاقبتهم وهو ايماء الى ما سيقبلونه من فتنة بني امية
وغيرها واما قسمته للناس فيما قسمها الى اخر الكلام يقتضي خمسة وانما
عدد اربعة لاشتراكها في غرض الذم وافرد الخامس لاختصاصه بالمدح
ووجه القسمة ان الناس اما مريد للدنيا او لا والاولون اما قادرون
عليها او ليس والثاني اما غير محتالين لها او محتالون والثالث اما ان
يؤهلوا انفسهم للملك والامرة او ليس وهذه اقسام خمسة فالاول المريدون
للدنيا القادرون عليها وهو المشار اليهم في القسم الثاني من قسمته عليه السلام
فمنهم المصلت لجنوده بنفره وهم الذين اطلقوا عنان النفس الامارة
من الشهوة والغضب في تحصيل ما يتخيلون كمالا واصلات السيف تجريده وكنى به عن
التغلب والقهر بالظلم وغيره والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب
الظلم والغلبة واشراط نفسه اعلمها ونصبها لذلك حتى صار معروفا به و
اوبق دينه اهلكه والحطام متاع الدنيا والانتهاز الاختلاس والاستلاب
بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل وفرع المنبر اعلاه
علاه وخص الامور الثلاثة لانها الاغلب في مطالب الدنيا وقوله وليس المتجر
الى اخره تنبيه لهذا الصنف على خسرانهم في افعالهم الشبيهة بالتجارة

الثاني

الخاسرة الصنف الثاني المريدين لها غير القادرين عليها ولا المحتالين في
اثارها اليهم بقوله ومنهم من لا يمنعه الى قوله وقد كني بكلال حده
عن عدم صرامته في الامور وضعفه عنها ونضيض وفره قلة ماله الصنف
الثالث غير القادرين عليها مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم للامور دون
الملك واشار اليهم بقوله ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة اي
بالعبادة رياء وسمعة الى قوله الدنيا وطامن من شخصه دخوله
في شعار الصالحين وستر الله الذي حمى به اهل التقوى من موارد
الهلكة قد تزيا به غيرهم ويجعلونه ذريعة الى معصيته وزخرف من
نفسه زينها **الصنف الرابع** غير القادرين عليها المحتالون لها المؤ — هلون
انفسهم للملك والامرة واشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده الى اخره
وضئولة نفسه حقارتها وتخيل العجز عن المطلوب وانقطاع السبب
كقلة المال وعدم الاعوان وقصرته الحال اي حال القدرة على حاله التي
لم يبلغ معها ما اراد فلم مراجعة الحيلة الجالبة لرغبة الخلق اليه من التحلي بالقناعة
والتزين بلباس الزهادة وكني بكونه ليس من ذلك في مراح ولا مغدى عن كونه
ليس من الزاهدين في شيء الصنف الخامس المريدون لله تعالى واشار اليهم
لثقات — بقوله وبقي رجال الى اخره وغض ابصارهم ذكر المرجع اي كفهم عن
الى الدنيا لاشتغال سرائرهم بجولان الاخرة والشريد الناد المطرود
الذاهب لوجهه اما لانكار المنكر او لقلة صبره على مشاهدته وقموع
منذلل مقهور والكعام شيء يجعل في فم البعير عند الهياج فاستعار
لفظه للساكت خوفا كانه مستدفاه وثكلان موجع اما لمصابه في الدين او
لكثرة اذاه من الظالمين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحال المتقين
بالنسبة الى خوف الحشر اذ فصل بكل منهم ما هذه صفته واستعار لفظ
البحر الاجاج لما هم من الدنيا واحوالها باعتبار عدم الالتذاذ بها فهي كالبحر

المالح عنده اكدر لا يلتذ به وان اجهده العطش وضامز بالراي المجهد اكنه
وضنه وي بالراي فاراد انهما ذابله لكثرة صيامهم وبعد افواههم من المضغ
وقرح قلوبهم لخوفهم من الله والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ
به والحلم المقص وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** عند مسيره لقتال
اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دخلت على امير المؤمنين
عليه السلم بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذا النعل قلت
لا قيمة لها قال والله لهي احب الي من امرتكم هذه الا ان اقيم حقا او
ادفع باطلا ثم خرج عليه السلم فخطب الناس فقال ان الله سبحانه بعث
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وليس احد من العرب يقرا كتابا ولا يدعي نبوة
فساق الناس حتى بواهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمانت
صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت
وان مسيري هذا لمثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي
ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم
بالامس كما انا صاحبهم اليوم **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة
وخصف النعل خرزه وانما لم تكن العرب يومئذ تقرا كتابا لان ما
كانت اليهود تدعيه من التورية والنصارى تدعيه من الانجيل ليس
هو ما انزل على موسى وعيسى منهما لتبديلهما وتحريفهما او انه اراد بالعرب
جمهورهم وكانوا معطلة وعبدة اوثان وقوله فساق الناس اي
الى غاياتهم من الاسلام بعضا بالترغيب وبعضا ومحلتهم منزلتهم في
الناس التي ساقهم الله اليها ومنجاتهم هو الدين والاسلام اذ هو
محل نجاتهم من عذاب الله وكنى باستقامة قناتهم عن استقامة دولتهم
وانتظام امورهم وباطمينان صفاتهم عن استقرارهم في دورهم و
ثبات احوالهم بعد اضطرابها والضمير في ساقتها للكتائب الحرب وتولت

بحذافيرها

بحذافيرها اي باجمعها وهو مع قوله وان مسيري هذا لمثلها
في معرض التهديد بالحال التابعة له في الحرب وكنى بنقب الباطل
للغاية المذكورة عن ازاحته وتخليص الحق من شائب يتبعه وقوله ما لي
ولقريش استفهام عن التخاصم بينه وبينهم مما يوجب معاندته وجحد
فضله وقوله والله الى آخره توبيخ برذيلة الكفر في معرض ذكر سبب
قتالهم لظهور عذره فيه وتهديد بالقتل على الفتنة في الدين
وتذكير لهم انه ذلك المعهود مكروه اللقاء **ومن خطبة له
عليه السلم** في استنفار الناس الى اهل الشام اف لكم لقد سئمت عتابكم
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا اذا دعوتكم
الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول
في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون فكان قلوبكم مالوسة فانتم لا
تعقلون ما انتم لي بثقة سجيس الليالي ولا انتم بركن يمال بكم
ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت
من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب انتم تكادون
ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم في
غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس
الوغا وانحرت الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الراس
والله ان امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده
لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان
شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي ذلك ضرب بالمشرفية يطير منه فراش
الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس
ان لي عليكم حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير
فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتاديبكم كيما تعلموا واما حقي عليكم

فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة
حين آمركم اقول هذه الخطبة بعد وقعة الخوارج بالنهروان واق
كلمة تنحجر وغمرة الموت سكرته والذهول السهو وترتج تغلق والحوار
الخطاب وتعمهون تتحيرون والمالوس المجنون مختلط العقل
ويجيس الليالي اي ابدا مدى الليالي والزوافر جمع زفرات وزافرة
الرجل انصاره ومسعر جمع ساعر واسعار النار تهييجها والامتعاض الغضب
وحمس الوغا اشتدت الحرب وشدة انفراجهم عنه عند اشتداد الحرب
بانفراج الراس عن البدن في عدم عودهم اليه وقيل بانفراج
بعض عظامه عن بعض وقيل انفراج من يريد ان ينجو براسه واعرقت
اللحم اعرقه بالضم اذا لم ابقي على العظم منه شيئا والمشرفية سيوف
منسوبة الى مشارف قرية من ارض العرب تدنو من الريف وفراش
الهام العظام الرقيقة تلي القحف ومدار الفصل على توبيخهم لقعودهم
عن دعايه الى قتال عدوهم ونسبتهم الى الخمول والذلة وتخويف عاقبة
الامر واعذاره اليهم في خروجه عما وجب عليه لهم مع تخلفهم عن
اداء ما وجب عليهم له والفصل واضح وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلم بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث
الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم اما بعد فان معصية الناصح الشفيق
العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في
هذه الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير
امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب
الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت انا واياكم كما قال اخو هوازن
امرتكم امري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا الرشد الا ضحى الغد

45 اقول هذه الخطبة بعد ان بلغ تمام حيلة عمرو بن العاص على ابي
موسى الاشعري في الحكومة والخطب الامر العظيم و فدحه اثقله ومنه
قوله وان اتى الدهر على كل حال وقوله لو يطاع لقصير امر مثل مضروب
لمن يخالف الناصح فيندم وقصير هذا قصير بن سعد اللخمي مولى لجذيمة
الابرش بعض ملوك العرب واصله ان جذيمة كان قتل اب الزباء ملكة
الجزيرة فبعثت اليه لتزوجها حيلة عليه وسالته القدوم عليها فاجابها
الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو
بن عدي وكان قصير اشار عليه ان لا يتوجه اليها فلم يقبل فلما قرب
جذيمة من الجزيرة استقبلته جنود الزباء بالعدة ولم ير منهم اكراما له
فاشار عليه قصير بالرجوع عنها فلم يقبل فلما دخل عليها غدرت به و
قتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح
طباق عصي وهو مصيب في رايه وارتاب الناصح في نصحه يحتمل ان يكون لا
اضرابه على مخالفته لان المشورات امور مظنونة وقد يتغير
الظن بتغير الامارات وقيل يحمل ذلك على المبالغة لانه عليه السلم
لا يعتريه شك فيما رآه صوابا و قوله وضن الزند بقدحه قيل
هو مثل يضرب لمن يبخل بفوايده والبيت لدريد بن الصمة من
قصيدة له في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض وانما قال
اخو هوازن لنسبته اليهم فان دريدا من بني جشم بن معوية بن بكر
بن هوازن كقوله تعالى واذكر اخا عاد ووجه تمثيله نفسه معهم
بهذا القائل مع قومه اشتراكهما في النصيحة وعصيانهما المستعقب
لندامة قومهم وهلاكهم والذي كان اشار به عليه السلم هو ترك الحكومة
والصبر على قتال اهل الشام ومن خطبة له عليه السلم في تخويف اهل
النهروان فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر وباهضام الغائط

على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار و
احتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء
المخالفين المنابذين حتى صرفت رأيي الى اهوائكم وانتم معاشر اخفاء الهام
سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا **اقول** الخطاب
للخوارج الذين قتلهم بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم
بما كان منهم من الخروج على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه
صلى الله عليه وسلم بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له
ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه وسلم و
يلك من يعدل اذا لم اعدل فقال عمر يا رسول الله ايذن لي في ضرب عنقه
فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية يخرجون على فترة من الناس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم و
صومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود
مخدج اليد احدى يديه كانها ثدي امراة او بضعة تقتلهم اولى الفريقين
بالحق وعن عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتلهم خير الخلق والخليقة اقربهم الى الله وسيلة والاهضام جمع هضم
وهو المطمئن من الارض وكذلك الغائط ما سفل منها وطوحت بكم اي
توهتكم والدار بالدار الكوفة واوطانهم بها كانها قذفتهم ورمت بهم
المرامي واحتبلهم المقدار وقعوا في حبايله واستعار وصف الاحتبال
لاحاطته بهم وعدم خلاصهم من حكمه وخفة الهام كناية عن رذيلة
الطيش والسفه ضد الحلم وقوله لا ابا لكم قال الجوهري كلمة مدح
وقيل كلمة ذم وقيل دعاء بالذل لكونه لازم عدم الاب والبجر الامر العظيم

ومن كلام له عليه السلم يجري مجرى الخطبة فقمت بالامر حين فشلوا
وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا

وكنت

وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها
كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد في
مهمز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له و
القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه رضينا عن الله قضاه وسلمنا
لله امره اتراني اكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لانا اول
من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي
قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في عنقي لغيري **اقول** قال بعض
الشارحين هذا الفصل فيه فصول التقطها الرضي رحمه الله من كلام
طويل قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى آخر وقت الاول قوله فقمت بالامر الى قوله برهانها
وفيه ذكر فضيلته بالنسبة الى ساير الصحابة وهي الشجاعة والذب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع الحاجة حين ضعفهم وجبنهم ثم
البلاغة والفصاحة عن مشكلات الدين حين تعتعوا وكني عن
قيامه بذلك بالنطق والتعتعة الاضطراب في الكلام عن العي والحصر ثم
التطلع وهو الاشراف من عال وكني به عن الاهتمام العالي بما ينبغي
تحصيله والقيام فيه من الجهاد في دين الله حين تقبعوا عنه والتقبع
التقبض وقبع القنفذ اذا ادخل راسه في جلده وكني بها عن قصورهم
وقعودهم عن مقاماته ومضيه بنور الله قيل في حمله سورة براءة وهي
نور الله الى المشركين حين وقف عنها كثير من الصحابة ويحتمل ان يريد مضيه
في سبيل الله عن نور العلم حين وقف عنها كثير من الجاهلين وعمي عن
موارده وكني بكونه اخفضهم صوتا عن رباطة جاشه في الامور وثباته فيها و
كان لذلك كان اشد سبقا في المعالي واقوى سعيا في درجات الكمال حيث
لا يلحق ومثل نفسه في ذلك المجرى في البرهان الذي لا يشق غباره و

استعارا لوصف الفرار من الطيران بالعنان والاستبداد بالرهان والضمير فيهما للفضيلة التي يبتدرانها الثاني قوله كالجبل الى قوله اخذ الحق منه يحكي فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على قانون العدل وشبه نفسه في الثبات على الحق بالجبل واشار الى وجه الشبه بقوله لا تحركه الى قوله العواصف والمهمز والمغمز العيب الثالث قوله رضينا عن الله قضاءه الى قوله يكذب عليه قيل ذلك في معرض تفرسه في طائفة من قومه يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وسلم من الامور المستقبلة حتى كان فيهم من يواجهه بذلك وذكر الرضا بالقضاء تسلية لنفسه عن هذا التكذيب باسناده الى القضاء الالهي الرابع قوله فنظرت الى امري وفيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل لي الى الامتناع منها لادائها الى المشاقة وقوله واذا الميثاق اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد وقوعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في معرض تحسره من تثاقل اصحابه عن الخلافة ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي قد سبقت بيعتهم واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم و

من خطبة له عليه السلم وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا

نزمن

يعطي البقاء من احبه اقول استعار لفظ الضياء لليقين بالله ورسوله وما جاء به من الغيب باعتبار هدايتهم بذلك في طريق الحق كالضياء ولفظ الدليل لقصد هدى الله في سبيله باعتبار هدايته القصد لهم كالدليل الهادي ويجوز بلفظ الضلال في المضل وهو دعاء الكفار اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه واستعار لفظ العمى للجهل ولفظ الدليل له باعتبار كونه قائدهم الذي به يقتدون وقوله فما ينجو الى آخره يشبه ان يكون كلاما منقطعا عما قبله ومن كلام له عليه السلم منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال السيد قوله عليه السلم متذائب اي مضطرب من قولهم تذاءبت الريح اي اضطرب هبوبها ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته اقول منيت ابتليت وتحمشكم تغضبكم والتغوث طلب النصرة بالنداء والثار الذحل والجرجرة يريد صوت البعير عند عسفه والسر داء ياخذ البعير في سرته والنضو البالي من تعب السير واستعار لهم وصف الجرجرة باعتبار تضجرهم من دعوة الحرب وشبه ذلك منهم بجرجرة الجمل الاسر وتثاقل النضو الادبر في شدة التضجر والضعف ومن كلام له عليه السلم في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المومن ويستمتع فيها الكافر و

يبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل و
يؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر **اقول**
وفي رواية أخرى أنه قال عليه السلام لما سمع تحكيمهم حكم الله أنتظر فيكم
وقال أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها
الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته وقوله كلمة حق أي هذه كلمة
حق أرادوا بها باطلا وهو أنه ليس للعبيد أن يحكم بغير ما نص كتاب الله
عليه فإن أكثر الأحكام الفرعية غير منصوص عليها مع أنها أحكام الله
بل تكون منتزعة بحكم الاجتهاد وقوله نعم تحقيق بحقيقتها ولما كان
من لوازم اعتقادهم أنه لا حكم لله غير ما نص الله عليه نفي الإمرة لأن استنباط
الأحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الإمرة التي هي صاحب الأمر في
رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الإمرة قال ولكن
هؤلاء يقولون لا إمرة وكذبهم بقوله ولا بد للناس إلى آخره وجملة
الكلام في صورة قياس استثنائي هكذا إذا قالوا لا حكم إلا لله كما تصوروه
فقد قالوا لا ينبغي إمرة لكن اللازم باطل فالقول بنفي الحكم إلا لله كما تصوروه
باطل وقوله ولا بد في قوة استثناء نقيض لازم المتصلة وطبيعة وجود
هذا العالم تشهد بضرورة الحاجة إلى إمام كما قال

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد

وقوله حتى يستريح غاية من قوله ويقاتل بها العدو إلى قوله من القوي
والباقي ظاهر ومن كلام له عليه السلام إن الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جنة
أوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله
الغدر كيسا ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول
القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة
عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين اقول الوفاء فضيلة نفسانية

تنشأ من لزوم العهد الذي ينبغي والبقاء عليه والصدق فضيلة تحصل
عن لزوم الأقوال المطابقة وهما داخلتان تحت فضيلة العفة فلذلك
استعار لهما لفظ التوأم باعتبار اقترانهما تحت فضيلة واحدة وفي
نشوهما عنها كالأم وقوله ولا أعلم جنة أوقى منه أي ليس من الفضائل
المتعلقة بالمعاملات والشركة المدنية شيء أشد وقاية من عذاب الآخرة
منه فإنه أصل عظيم يستلزم فضائل كثيرة والجنة ما استترت بها من
سلاح ولفظه مستعار وقوله وما يغدر إلى قوله المرجع لأن علمه
بكيفية المعاد إلى الله يستلزم امتناعه مما يبعده منه من رذيلة الغدر و
نحوها وخص الغدر بالذكر لأنه في معرض مدح الوفاء والضد نظير ضده
الضد وقوله ولقد إلى قوله الحيلة وذلك لعدم تميز أكثرهم بين
الغدر والكيس لاشتراكهما في التفطن لوجه الحيلة والخداع وإن تميز
الغدر بأنه استعمال الفطنة في تحصيل وجه حيلة تخالف القانون
الشرعي والمصلحة العامة والكيس يتميز باستعمال الذكاء في استخراج
وجوه المصالح التي تنبغي والوقوف عليها ونسبة الناس لهم إلى الكيس وحسن
الحيلة كما نسب عمرو بن العاص ومعاوية ولم يعلموا أنه لا خير في حيلة جرت
إلى رذيلة وقاتلهم الله لعنهم وإبعادهم عن رحمته والحول والقلب كثير التحول
والتقلب في استنباط الآراء الصالحة ووجوه المصالح وأراد نفسه
فإن فطنته في ذلك أتم الفطن لكن محافظته على حدود الله تحجزه عن
كثير من التصرف فيترك الحيلة رأي عينه خوفا من الله والانتهاز
المبادرة إلى الأمر وقت إمكانه والحريجة التحرز من الحرج وهو الإثم ومن
خطبة له عليه السلام أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان
اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل
فينسي الآخرة ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة

الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد اقبلت ولكل واحدة منهما بنون
فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه
يوم القيمة وان اليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل اقول
نفر عن اتباع الهوى وطول الامل بضميرين صغرى الاول قوله اما اتباع
الهوى فيصد عن الحق وهو طاعة الله وصغرى الثاني قوله واما طول الامل فينسي
الآخرة واراد طول الامل في الدنيا وتقدير الكبرى فيهما كل ما كان كذلك
فالواجب تركه ومن الصغريين يتبين انهما احق ما ينبغي ان يخاف وهذا
خفيفة مسرعة لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء و
استعار لفظها لما بقي لكل من الدنيا ولفظ البنون للناس ولفظ الام
للدنيا والآخرة باعتبار رغبة اهل الدنيا اليها واهل الآخرة اليها
كالولد للام وامرهم ان يكونوا من ابناء الآخرة لانها افضل وهو نهي
مشفق ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان الى قوله القيمة والملكات
الدنيا يومئذ منقطعة عن الخلق كان احبار ها سبب لا سل ام ذكرت
عن برا هلها وشقاهم بعدها وتقدير الكبرى وكل من سيلحق بامه
يوم القيمة فلا بد ان يستعد لها بما يقربه منها ويصلح حاله معها ايام
سوء الحضن ويزول عنه بوس الغربة وكنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما
بعدها واليوم اسم ان وخبرها محذوف اقيم على مقامه اي وقت العمل
وكذلك قوله وغدا حساب وفايدتها التنبيه على وقت العمل وعدمه
لغاية المبادرة اليه وقت امكانه ومن كلام له عليه السلم وقد اشار عليه
اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد
الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام
وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا
وعاصيا والراي عندي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت

انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم ار لي او الكفر انه قد كان على الا القتال
الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا اقول
انما كان استعداده اغلاقا للشام حينئذ لان اهل الشام حين كان جرير
عندهم في مقام التروي في اتباعه او مخالفته فلو وجهوا بالاستعداد لهم
لبلغهم ذلك واصروا على الخلاف وذلك مضاد للحزم وانما هم تاخر جرير في
المانعين المذكورين لان الموانع الاختيارية اما منهم وغالب الظن هو
خداعه حتى يتحكم امرهم واما منه وغالب الظن هو عصيانه اذ لا يتصور من
جرير في مثل هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه او
لغيره الا ان يكون عاصيا وقوله والراي مع الاناة لانها مظنة
الفكر في الاهتداء الى وجوه المصالح وارودوا امهلوا ونبه بقوله
ولا اكره لكم الاستعداد على ان تكونوا في تيقظ من هذا الامر او على استعداد
الباطن واستعار لفظ العين والانف والظهر والبطن لوجوه الاراء
اللايقة بحاله معهم في الحرب والسلم وانما يلزمه من ترك قتالهم
الكفر لانه حينئذ يكون راضيا بوقوع المنكرات مع قدرته على
انكارها ومتهاونا بامر الله ورسوله فيها وذلك كفر وقيل لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان امره بقتال الناكثين والقاسطين و
المارقين فكان تركه مخالفة لما علمه بالضرورة من امر رسول الله
له وهو كفر وقوله انه قد كان الى آخره تنبيه على وجه عذره عما
نسبه اليه معوية من دم عثمان واراد بالوالي عثمن والاحداث التي
كان احدثها هي ما نسب اليه من الامور التي انكروها واوجد الناس مقالا
اي جعل لهم بتلك الاحداث محل قول في حقه فقالوا ثم انكروا اما قهل
فغيروه والمشهور من تلك الاحداث عشرة ذكرناها في الاصل ومن
كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية

وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين واعتقهم فلما طالبه
عليه السلام بالمال خاس به وهرب الى الشام فقال قبح الله مصقلة فعل فعل
السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه
حتى بكته ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره اقول
مصقلة هذا كان عاملا لعلي عليه السلام على اردشير خره وبنو ناجية
قبيلة كانوا على دين النصرانية فاسلم كثير منهم ثم ارتدوا عن الاسلام
فقتل منهم معقل بن قيس وكان بعثه عليه السلام اليهم فارس وسبى
بعضهم فاجتازوا بالسبي على مصقلة فاستغاثوا اليه فاشتراهم بخمس
مائة الف درهم ونقد بعض المال ثم خاس بعهده اي لم يف به فبعث عليه
السلام يتهدده ويطالبه فهرب الى معاوية وقبحه الله نحاه عن الخير
وفعله فعل السادة نخوته على الاسارى وشراؤهم وفراره فرار العبيد
هربه وقوله فما انطق مادحه حتى اسكته تبكيت له بسرعة الحاقه
الفضيلة بالرذيلة حتى كانه جمع بينهما وهما انطاق مادحه بفدائه
الاسرى مع هربه قبل اتمام انطاقه وتصديقه لواصفه بفعل الجميل
مع فعل القبيح الذي كانه كذبه ولامه على مدحه والتبكيت كالتقريع
والتعنيف ووفور المال زيادته ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله غير
مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته ولا
مستنكف عن عبادته الذي لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة فالدنيا دار
مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب
والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا
فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ اقول القنوط اليأس
والاستنكاف الاستكبار ومني قدر وكني بعجلتها وخضرتها عن زينتها لمتاعها
والتبست بقلب الناظر اي خالطت قلبه محبتها واحسن ما بحضرتهم من الزاد

التقوى ولا فائدة الصالحة والكفاف ما كف عن المسألة والبلاغ ما بلغ مدة
الحياة والفصل ظاهر ومن كلام له عليه السلام عند مسيره الى الشام
اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل
والمال والولد اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا
يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا
قال السيد رحمه الله وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قفاه عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله ولا
يجمعهما غيرك الى آخر الفصل اقول وعثاء السفر مشقته وتعبه والكآبة
الحزن وفي قوله ولا يجمعهما غيرك تنزيه له تعالى عن الجسمية والجهة
اذ كان اجتماع الامرين في الجسم الواحد محالا كما قال عليه السلام ومن كلام له
عليه السلام في ذكر الكوفة كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي تعركين
بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لاعلم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه
الله بشاغل ورماه بقاتل اقول الخطاب لشاهد مصر الكوفة اي كاني
بك ومشاهد لك وتمدين وتعركين وتركبين احوال واستعار وصف المد
والعرك لفعل الظلمة باهلها كفعل دابغ الاديم من مده وعركه ووجه الشبه
شدة المد وعكاظ اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به في كل سنة
ويقيمون به سوقا مدة شهر ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك
يقول ابو ذؤيب اذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف
ووقوع ذلك بها في الاسلام والمصائب والفتن التي وقعت بالكوفة مشهورة
والجبابرة الذين ارادوا بها سوءا فمثل زياد روي انه كان جمعهم في المسجد
لسب علي والبراءة منه ليقتل من يعصيه فيه فبيناهم مجتمعين
اذ خرج حاجبه فامرهم بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان قد
رمي في تلك الحال بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله واصابه الجذام ومنهم الحجاج

وتولدت في بطنه الحيات احترق بها حتى هلك ومنهم عمرو بن هبيرة وابنه
يوسف ورميا بالبرص ومنهم خالد القسري ضرب وحبس حتى مات ومن
رمي بقاتل عبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير ويزيد بن المهلب والمختار
ابن ابي عبيدة الثقفي واحوالهم مشهورة ومن خطبة له عليه السلم عند
المسير الى الشام الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق
والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافا الافضال اما بعد فقد بعثت مقدمتي
وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى ياتيهم امري وقد رايت ان اقطع هذه
النطفة الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم
واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد رحمه الله يعني عليه السلم بالملطاط
هاهنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو شاطي الفرات ويقال ذلك لشاطي
البحر واصله ما استوى من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب
العبارات وعجيبها اقول حمد الله تعالى باعتبار تكرر وقتين ودوام
حالين وقب الليل دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمته التي
بعثها هي زياد بن النضر وشريح بن هاني في اثني عشر الف فارس والشرذمة
النفر اليسير والاكناف النواحي وموطنين جمع الطا مستوطنين واراد اهل
المداين ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله بطن خفيات الامور ودلت عليه
اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من
اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء
اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان
به لم تطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو
الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون
به والجاحدون له علوا كبيرا اقول بطونه لخفيات الامور نفوذ علمه فيها
يقال بطنت الامر اذا علمت باطنه واعلام ظهوره آياته وآثاره الظاهرة في

العالم

العالم الدالة على وجوده الظاهر في كل صورة منها كقوله تعالى سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم الآية وكونه لا ينكره من لا يبصره لشهادة فطرته لحاجته
الى مدبر حكيم وكذلك لا يبصره بعين حسه او لا يدرك حقيقته وفي هذين
المثلتين تنبيه على الفرق بين مدركات العقل ومدركات الحس اذ ليس كل
معقول يجب ان يكون محسوسا كالسلبيات مثلا وزمان متعالكشان وسبقه
للاشياء في العلو بالشرف والعلية دون المكان والجهة والزمان وقربه لها
في دنوه منها قربه لعلمه وجوده وتصريفه لها بحيث لطفه وهو اقرب الى العبد
من نفسه لعلمه بها دونه ولم يباعده عن شيء من خلقه استعلاؤه عنه
اذ ليس علوا مكانيا ولا قربه ساواهم في المكان به اذ ليس قربا حسيا وعدم
اطلاع العقول على تحديد صفته اما لانه لا صفة له فتحد او لانه لا تتناهى
اعتبارات صفاته وقد سبق بيانه ولم يحجب العقول عن واجب معرفته لشهادة
فطرها بوجود صانعها وهو القدر الواجب الضروري لها ولفظ اعلام الوجود
مستعار للآثار الموجودة الدالة على وجوده وكمال قدرته وعلمه وانما
قام على اقرار قلب ذي الجحود لان كثيرا من الناس يجحده بطريق عادته او
تربيته كالمعطلة وعبدة الاوثان والاصنام فاذا راجع قلبه اوجده عليه
عاد معترفا بوجوده وروي ان زنديقا دخل على الصادق عليه السلم فسأله
عن دليل اثبات الصانع جل وعلا فاعرض عنه ثم التفت اليه وسأله من اين
اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا
الريح وتلعبت بنا الامواج فانكسرت سفينتنا فتعلقت بساجة منها
ولم يزل الموج يقلبها حتى قذفت بي الى الساحل فنجوت عليها فقال عليه السلم
ارايت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليك الامواج فزعا اليه
مخلصا له في التضرع طالبا منه النجاة فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن
اعتقاده وذلك من قوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا

أياه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام انما بدء وقوع الفتن من
اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجالا على
غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو
ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يوخذ
من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولى الشيطان على
اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى اقول لما كان نظام العالم
انما هو بوجود الشرايع والسنن الالهية ككلت هي مبادي نظامه لزم فيما
خالفها من الآراء المبتدعة والاهواء المتبعة ان يكون اسبابا لخراب العالم
ومبداء للفتن كآراء البغاة والخوارج وقوله فلو ان الى قوله المرتادين
اشارة الى سبب اتباع الناس للآراء الفاسدة وهو امتزاج الحق
بالباطل فان المقدمات اذا كانت كلها باطلة تبين فسادها بادني بحث
ولم يخف على الطالبين فسادها وقوله ولو ان الحق الى قوله المعاندين
وذلك لو صرح الحق حينئذ والضغث القبضة من الحشيش ونحوه واستعير
لفظه للنصيب من الحق والباطل وذلك كشبهة قتل عثمن التي تمسك بها
الناكثون والقاسطون فان فيها مقدمة صادقة هي كون امام المسلمين
قتل مظلوما ومقدمة كاذبة وهي نسبة ذلك القتل اليه عليه السلام تارة
بانه اجلب عليه وتارة بانه خذله وهنالك اي عند امتزاج الحق بالباطل
يستولى الشيطان على اوليائه فزين لهم اتباع من يعوق تلك الشبهة
ونحوها وينجوا من سبقت عناية الله بتمييز الحق من الباطل وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام لما غلب اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين
ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتاخير محلة او روّوا
السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحيوة في موتكم
قاهرين الا وان معوية قاد لمّة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم

٥٢ اغراض المنية اقول استعار وصف الاستطعام لطلبهم القتال بالتحرش
بهم والمحلة المنزلة وتاخيرها عن رتبة اهل الشرف والشجاعة ونفرعن
ترك القتال بضمير صغراه قوله فالموت الى قوله مقهورين واراد موت الذكر
والقهر وتقدير كبراه وكل ما كان فيه الموت فينبغي ان يهرب منه ورغب
فيه بضمير صغراه قوله والحيوة في موتكم قاهرين واراد حيوة العز
بين العرب والذكر الجميل بالحمية بينه وتقدير الكبرى وكل ما كانت فيه
الحيوة فينبغي ان يرغب فيه واللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف
والتشديد لبس وعمى والخبر شبهة عثمن وقتله ومن كلام له عليه
السلام يجري مجرى الخطبة قد تقدم مختار منها برواية ونذكر ما هيهنا
برواية اخرى لتغاير الروايتين الا وان الدنيا قد تصرمت واذنت بانقضاء
وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت
جيرانها وقد امرّ منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها
الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم
ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال
ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم الامد فوالله لو حننتم حنين
الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجارتم جوار متبتلي الرهبان وخرجتم
الى الله من الاموال والاولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة
عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظها رسله لكان قليلا فيما
ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم
انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه ورهبة منه دما ثم عمرتم في
الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه
عليكم العظام وهداه اياكم للايمان اقول اذنت اعلمت وتنكر معروفها
تغيّر ما يونس به كل احد منها وتعرفه وتبدله وقتا فوقتا وحالا فحالا

من محنة أو جاه أو مال ونحوه وحدا ضيفته مرعة لا يدركها أحد واستعار
وصف الحفز وهو السوق الحثيث ووصف الحداء لها باعتبار سوقها
لأهلها إلى غايتهم منها وهو الموت ومصاحبتها لهم كالسائق والحادي
ومرارة ما كان حلوا منها وتكدير ما كان صفوا بالقياس إلى كل تجرع من
أهلها كالصبر بالسم واللذة بالألم والسملة بفتح الميم البقية من
الماء في الإناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة تقسم بها الماء
عند قلته يعرف بها مقدار ما يسع كل شخص والتمزز تمصص الماء قليلا
قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع سكن عطشه وقد شبه
بقيتها ببقية الماء في الإناء ونبه على وجه الشبه بقوله لو تمززها
الصديان لم ينقع وكنى به عن غاية قلتها وقلة البقاء فيها والإزماع
تصميم العزم والرحل عنها أي السفر إلى الله وقوله فوالله إلى قوله
من عقابه تنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي أن يرجى منه وعلى عظيم
عقابه وما ينبغي أن يخاف منه والوله العجال جمع واله وعجول وهما من
الإبل النوق تفقد أولادها وهديل الحمامة نوحها والجؤار رفع الصوت
المرتفع والتبتل الانقطاع إلى الله تعالى بالإخلاص والمعنى أن الذي
أرجوه من ثوابه للمتقرب إليه منكم أكثر مما يتصور المتقرب إليه أنه
يصل إليه بتقربه بجميع أسباب القربة والذي أخافه من عقابه عليه
أكثر من العقاب الذي يتوهم أنه يدفعه عن نفسه بذلك فينبغي لطالب
الزيادة من المنزلة عند الله أن يخلص بالكلية في التقرب إليه ليصل
إلى ما هو أعظم مما يتوهم أنه يصل إليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب
إليه من ذنبه أن يخلص في الفرار إليه ليخلص من هول ما أعظم مما
يتوهم أنه يدفعه عن نفسه بوسيلة فإن الأمر فيما يرجوا ويخاف من
أمر الآخرة أعظم مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وقوله

وتالله إلى آخره تنبيه على عظمة نعمته تعالى على الخلق وأنه لا يمكن جزاؤها
بأبلغ السعي وانماثت قلوبكم ذابت خوفا منه وأنعمه مفعول لجزت و
هداه في محل النصب عطفا عليه وأفرد الهدى بالذكر وإن كان من أنعم
الله لشرفه إذ هو المقصود من كل نعمة أفاضها الله تعالى على عباده
ومنها في ذكر يوم النحر في صفة الأضحية ومن تمام الأضحية استشراف أذنها
وسلامة عينها فإذا سلمت الأذن والعين سلمت الأضحية وتمت ولو
كانت عضباء القرن تجر رجلها إلى المنسك **أقول** استشراف أذنها طولها
وكنى به عن سلامتها من القطع أو نقصان الخلقة والعضباء المكسورة
القرن الداخل وكنى بجر رجلها عن عرجها والمنسك موضع النسك و
التقرب بذبحها والعلامات المعتبر فيها سلامتها عما ينقص قيمتها
والظاهر أن العجف والعور والهزال وقطع الأذن تشويه لخلقتها
ونقصان في قيمتها دون العرج وكسر القرن وفي فضلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عمل يوم النحر أحب إلى الله عز وجل
من إراقة دم وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم
ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض فطيبوا بها نفسا وكانت الصحابة
رضي الله عنهم يبالغون في أثمان الهدي والأضاحي وأفضلها أغلاها
ثمنا وأنفسها عند أهلها روي أن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة فطلبت
منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وسر ذلك أن المقصود تطهير
النفس وتزكيتها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة
في القيمة لا كثرة العدد واللحم فليس الغرض ذلك ومن كلامه عليه
السلام فتداكوا علي تداك الإبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها وخلعت

مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا
الامر بطنه وظهره فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب و
موتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة اقول الفصل اشارة الى صفة
اصحابه بصفين لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام وكان عليه السلم
يتوقع عن قتالهم انتظار التي بعضهم الى الحق الذي هو الغرض الكلي لتداركه
والمداكة المزاحمة وشبه ازدحامهم عليه حينئذ بازدحام الابل الهيم وهي
العطاش تطلبهما رعاتها من مثانيها يوم ورودها وجه الشبه شدة
الازدحام والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير وقوله
قلبت الى قوله اليوم كناية عن تقليبه لوجوه الآراء المصلحة في القتال
وتركه والكفر اللازم عن تركه لانه يستلزم تركه التهاون بامر الله ورسوله
بقتال اهل البغي والعقاب هو اللازم عن ذلك الكفر في الآخرة وموتات
الدنيا كناية عن شدايد الحرب وقتل الاقرباء والاحباء وموتات الآخرة
كناية عن تكرر عذابها ودوامه ومن كلام له عليه السلم وقد استبطا
اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم اكل ذلك كراهية الموت
فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج الموت الي واما قولكم شكا
في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان يلحق بي طايفة
فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي احب الي من ان اقتلها على ضلالها وان
كانت تبوء باثامها اقول هذا الفصل كالذي قبله وسببه انه لما طال
منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوا عليه في ذلك حتى نسبه بعضهم
الى العجز وكراهية الموت وبعضهم الى الشك في وجوب قتالهم فاورد
سؤال الاولين واجاب عنه بقوله فوالله الى قوله الي واورد السؤال
الثاني واجاب عنه بقوله فوالله ما دفعت الى آخره وعشا الى النار

استدل

٥٤

استدل عليها   ضعيف وباء باثمه رجع به وقوله احب خبر مبتدا محذوف
اي فذلك احب ومن كلام له عليه السلم ولقد كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك
الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا على جهاد
العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول
الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقي صاحبه كاس المنون فمرة لنا من
عدونا ومرة لعدونا منا فلما رأى الله صدقنا انزل الكبت بعدونا
وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه ومتبوئا اوطانه و
لعمري لو كنا نأتي ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود و
ايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما اقول صدر هذا الفصل بيان
صنع الصحابة رضي الله عنهم في الجهاد ليقتدي بهم السامعون في ذلك و
اللقم منهج الطريق الى الله ودينه والان يحمل كل واحد منهما على الآخر مرة و
الكبت الاذلال وكنى بالقاء الجران عن استقراره وثباته وجران البعير مقدم
عنقه من مذبحه الى منحره وتبوء وطنه استقر فيه واقام به واستعار
لفظ الاوطان لقلوب المؤمنين وبلادهم ولفظ العمود لاصل الدين
ووصف اخضرار العود لنضارته في القلوب ووصف احتلاب الدم لافعا لهم
ملاحظة لشبهها بالناقة التي اصيب ضرعها بتفريط من صاحبها وبالله
التوفيق وهو حسبنا ومن كلام له عليه السلم لاصحابه اما انه سيظهر
عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما
لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا انه سيامركم بسبي والبراءة مني فاما السب
فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرؤوا مني فاني و
لدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة اقول الخطاب لاهل الكوفة
قال اكثر الشارحين المراد بالرجل معوية لانه كان بطينا كثير الاكل والمندحق

البارد وروي انه كان يأكل الى ان يمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن
مللت وتعبت وكان ذلك بدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق عليه
روي انه بعث اليه مرة فوجده يأكل فبعث اليه ثانية وثالثة فوجده
يأكل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تشبع بطنه ولبعضهم في وصف
اضربا لاكل شعرا

وصاحب لي بطنه كالهاوية | كأنما في بطنه معوية

وقيل هو زياد بن ابي سفين وهو زياد ابن ابيه وقيل هو الحجاج ورخص
عليه السلام في سبه عند الاكراه ولم يرخص في البراءة منه لان السب فعل اللسان
وهو امر يمكن ايقاعه دون اعتقاده مع احتماله التعريض واما البراءة
فليس يعتبر قوليته فقط بل ما يعود اليه المجانبة القلبية وهو المنهي عنه
اذ هو امر باطن يمكن كتمانه عنده ولا يلحق بسببه ضرر فاما ان السب له زكاة
فللحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له ورحمة بما ليس فيه زيادة في جاهه
وشرفه والذي بدا بسبه معوية وقطعه عمر بن عبد العزيز رحمه الله وفيه
يقول السيد رحمه الله من قطعة له

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين | فتى من امية لبكيتك
انت نزهتنا عن السب والشتم | ولو كنت مجزيا لجزيتك
غير اني اقول انه قد طبت وان | لم يطب ولم يزك بيتك

والفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها سليمة من التدنس بالعقائد الباطلة
وعبادة غير الله وسبقه الى الاسلام سبقه الى الدخول في طاعة النبي صلى
الله عليه وسلم وملازمته له وهجرته معه ومن كلام له عليه السلام كلم
به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم آثر ابعد ايماني بالله وجهادي مع
رسول الله اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فاوبوا
شر مآب وارجعوا على اثر الاعقاب اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا و

سيفا

سيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال السيد رحمه الله
قوله ولا بقي منكم آبر يروى على ثلاثة اوجه احدها ان يكون كما ذكرناه
بالراء من قولهم رجل آبر للذي يابر النخل اي يصلحه ويروى ولا بقي منكم آثر
يراد به الذي يأثر الحديث اي يحكيه ويرويه وهو اصح الوجوه عندي كانه
قال ولا بقي منكم مخبر ويروى آبز بالزاي المعجمة وهو الواثب والهالك
ايضا يقال له آبز اقول السبب انه لما كتب عهد الصلح بينه وبين اهل
الشام اعتزلت الخوارج وتبادروا من كل جانب فقالوا لا حكم الا لله يا علي
لا لك ان الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا
وقد كنا زللنا واخطأنا حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا خطأنا فرجعنا
الى الله فارجع انت كما رجعنا وتب الى الله كما تبنا وقال بعضهم انك
اخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك فاجابهم عليه
السلام بهذا الكلام والحاصب ريح ترمي بالحصباء وهي صغار الحصى ودعاؤه
عليهم ظاهر والاستبداد والذي لحق منا الذل والقتل على يديه ويد من
بعده كالمهلب واولاده والحجاج وغيرهم والاستبداد الاثرة بعض بمال
المسلمين يصدق بما اخبرهم به وقال عليه السلام لما عزم على قتال الخوارج وقيل
له انهم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت
منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد رحمه الله يعني بالنطفة
ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما وقد اشرنا الى ذلك فيما
تقدم عند مضي ما اشبهه اقول خلاصة الحكاية عليه السلام جاء
رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم قد عبروا النهر
لما بلغهم وصولك فقال الله انت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام
والله ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم الفصل ثم سار عليه السلام اليهم
فوجدهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا دوابهم وجثوا على الركب وحكموا

تحكيمه تواصوا بصوت عظيم له زجل فلما قتلهم كان المفلت منهم تسعة
والمقتول من اصحابه ثمانية والكلمان من كراماته عليه السلم وقال عليه السلم
لما قتل الخوارج وقيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم انهم نطف
في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم
لصوصا سلابين اقول اشار بذلك الى من سيوجد منهم وكنى بالقرارات
عن الارحام واستعار لفظ القرن لمن يظهر من روسائهم ورشح بذكر
النجوم وكنى بقطعه عن قتله وجعل المراد لهم غاية وهي كون اخرهم
قطاعا للطريق وذلك كشبيب وقطري بن الفجاءة وغيرهما واخبارهم
تشهد بصدقه عليه السلم وقال عليه السلم فيهم لا تقتلوا الخوارج بعدي
فليس من طلب الحق فاخطاه كمن طلب الباطل فادركه قال السيد رحمه
الله يعني بمن ادركه معوية اقول الفرق بينهم وبين معوية ان
القوم طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومعوية طلب الباطل
بالذات في صورة تشبه الحق وانما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزموا
حدودهم ويكفوا عن العيث والفساد في الارض وقيل انما قتلهم لانه
امام عادل راي وجوب قتالهم وانما نهى عن ذلك بعده لانه علم
انه لا يلي هذا الامر بعده من له تحكم الشريعة ان يقتل او يتولى امر الحدود
ويضعها مواضعها ومن كلام له عليه السلم لما خوف من الغيلة
وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عني واسلمتني فحينئذ
لا يطيش السهم ولا يبرا الكلم اقول الغيلة القتل على غرة وقد كان عليه
السلم خوف من قتل ابن ملجم لعنه الله مرارا كما بيناه عليه في الاصل واستعار
لفظ الجنة وهي الترس ونحوه لمدة اجله المعلوم لله تعالى ووصف الانفراج
لانقضائها ولفظ السهم لاسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن اصابته ومن كلام
له عليه السلم الا وان الدنيا لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي

الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وما
اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول
كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى نقص اقول قوله لا
يسلم منها الا فيها اي لا يسلم من عذاب الله عليها في الاخرة الا بما يفعل
فيها من الاعمال الصالحة والذي يكون لها هو ما يقتنى منها للاستمتاع
به وللالتذاذ بنفعه لانه هو دون الوصول به الى الاخرة وظاهر
ان ذلك لا يكون به نجاة الاخرة والابتلاء بها اختبار المطيع من العاصي
وليس المراد منه ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد لانه
يعلم السر واخفى بل لما كانت الشرايع الالهية جاذبة للخلق عنها
الى الغاية التي خلقوا لها وكانت بحاضر لذاتها جاذبة لهم بحسب نفوسهم
الامارة اليها فمن اطاع داعي الله وصدف عنها فاز فوزا عظيما ومن
اتبع هواه بغير هدى من الله خسر خسرانا مبينا فاشبه ذلك صورة
ابتلاء من الله لخلقه بها فاستعير لذلك وصف الابتلاء ولفظ الفتنة
وما اخذ منها لغيرها هو ما يقصد به وجه الله والدار الاخرة من مال
يتصدق به وتصرف في سبيل الله او جاه او عمل لله وليس كما قدموه
عليه في الاخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل ثمرته من ثواب الله ومنافع
الاخرة وشبهها في سرعة زوالها عند ذوي العقول الناظرين اليها باعين
بصائرهم بفيء الظل واشار الى وجه الشبه بقوله بينا تراه الى اخره
واصل بينا بين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة فجذبت الالف وقد يزاد
فيهما ما والمعنى واحد وقلص نقص وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلم واتقوا عباد الله وبادروا اجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم
بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا
قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فان

الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة او النار
الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة
بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحرية بسرعة الاوبة
وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتزودوا من
الدنيا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته
غلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين
له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل
ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة
وان تؤديه ايامه الى شقوة نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا
تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا
كآبة اقول بادرة للاجال مسابقتها بالاعمال الصالحة وما يبقى لهم هو
ثواب الله الموعود في الاخرة وما يزول عنهم هي الدنيا ومتاعها واستعار
وصف الابتياع لبذل الدنيا الفانية في تحصيل الخيرات الاخروية الباقية
وذلك بالتزهد فيها والخروج عنها واشار بالترحل الى السفر في سبيل
الله اليه وبالجد به الى شدة سير الليل والنهار في هدم الاعمار و
الاستعداد للموت التحلي لها بالكمالات النفسانية التي لا يضر معها موت البدن
واظلكم اشرف عليكم وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا انبه على
وجوب اجابة داعي الله وهو لسان الشريعة والانبياء بعده آية من نوم الغفلة
ومراقد الطبيعة وسماهما ولكن بالغاية عن الاجل واراد بالغائب
الانسان ما دام في الدنيا اذ كان في دار الغربة عن الاهل والمراد مستغرق
الاهل وبحسب قصر مدة غيبته يكون سرعة اوبته وقيل اراد ملك الموت و
كذلك اراد بالقادم الانسان وبما يتزود من الدنيا فيها التقوى والاعمال
الصالحة وهي الحرز من عذاب الله وقوله فاتقى الى قوله شهوته اوامر،

ووروده بلفظ الماضي خالية عن العطف وهي بلاغة في تركيب المعنى في احسن صورة
ونصيحة النفس النظر في مصلحتها باتخاذ الزاد الابقى وهو التقوى ومن
جملتها تقديم التوبة وغلب الشهوة ونبه على وجوب ذلك بضمير صغراه قوله
فان اجله الى قوله عنها وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب ان ينصح
نفسه بلزوم اوامر الله تعالى والتسويف التمادي في الامر واصله قول الرجل
سوف افعل واغفل نصب على الحال وحسرة على التمييز للمتعجب منه المدعو واللام
في لها للاستغاثة كانه دعا الحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل ان الجر
فتحت لدخولها على الضمير المنادى المحذوف اي يا قوم ادعوكم لها حسرة
وان في موضع النصب بحذوف الجار اي على كون اعمارهم حجة عليهم يوم
القيمة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الذي لم يسبق
له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون
باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف
وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز
وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد
منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره
غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان
ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن
خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن
ولم ينأ عنها فيقال هو منها باين ولم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ
ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن
وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم اقول لما
ثبت ان السبق والقبلية والتأخر والبعدية من لواحق الزمان لذاته ومن
لواحق الزمانيات بواسطته وكان تعالى منزها عن لحوق الزمان في ذاته

كمال صفاته لا جرم لم يلحقه شيء من اعتبار القبلية والبعدية لان القبلية و
البعدية تطلقان باعتبار آخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات و
العلية لكن قد بيّنا في الخطبة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من
الصفات فاعتبارات ذهنية تحدثها العقول عند مقايسته الى خلقه وانه لا سبق
لشيء منها على الآخر بالنظر الى ذاته المقدسة والا لكانت كمالات ذاته قابلة
للزيادة والنقصان وبعضها علة للبعض واشرف وبعضها معلولا وانقص
بالنظر الى ذاته وذلك من لواحق الامكان هذا خلف وذلك سر قوله عليه السلم
الذي لم يسبق له حال حالا الى قوله باطنا بل معنى اوليته هو اعتبارنا كونه تعالى
مبدأ لكل موجود وآخريته هو اعتبارنا لكونه غاية لكل ممكن واستحقاقه
البقاء لذاته واستحقاق غيره له ببقائه تعالى وهذه الاعتبارات بالنظر الى
ذاته تعالى عن سواء وقوله كل مسمى بالوحدة غيره قليل يريد انه لا
يوصف بالقلة وان كان واحدا وذلك ان الواحد يقال لمعان والمشهور منها
هو كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عادا لها ومكيالا وهو الذي يلحقه القلة
والكثرة الاضافيتين فان كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة الى الكثرة
التي تصلح ان يكون مبدأ لها والمتصور لاكثر الناس كونه تعالى واحدا بهذا
المعنى فلذلك نزهه عليه السلم بذكر لازمه وهو القليل الظاهر بطلان
هذا الملزوم المذكور وذلة كل عزيز غيره لدخولهم تحت الحاجة اليه
وضعف كل قوي غيره لدخوله تحت قدرته التامة ومملوكية كل مالك غيره
لدخوله تحت الملك المطلق الذي تفرد سبحانه بكل ملك في جميع الموجودات
باستحقاق دون غيره وتعلم كل عالم غيره لكون كل علم مستفادا من فيض
جوده وهو العالم المطلق الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات و
لا في الارض وعجز غيره عن بعض الاشياء يشهد بكمال قدرته وانها مبدأ قدرة
كل قادر وكونه تعالى سميعا يعود الى علمه تعالى بالمسموعات لتنزهه عن الآلة التي من شأنها

ان تصم لان ادراكها للصوت على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص
فانه ان كان الصوت ضعيفا جدا او بعيدا جدا لم يصل الى الصماخ فلم تدركه
القوة السامعة فلذلك كانت تصم عن لطيف الاصوات ويذهب عن السامع ما
بعد منها وان كان في غاية من القوة والقرب فربما اشتد قرعه للصماخ فشق
لتفرق اتصال الروح الحامل للقوة السامعة عنه بحيث يبطل استعدادها لتأدية
الصوت ويحدث الصمم فلذلك قال ويصم كبيرها ويذهب تنزه تعالى عن
هذه الآلة لا يعزب عنه ما خفي من الاصوات ولم يذهب عليه ما بعد منها ولم
يلحقه لواحقها من الصمم والنقصان وضعف الالوان مثلا كاللون في الظلمة و
اللطيف فقد يراد به عديم اللون كالهواء وقد يراد به دقيق القوام كالذرة
وهو غير مدرك بالمعنيين للحيوان ولا اطلق اسم العمى على عدم الابصار مجازا
ولما كان كونه تعالى بصيرا يعود الى علمه بالمبصرات لم يعزب عنه شيء منها و
ان خفي على غيره ولطف ولم يلحقه من لواحق الآلات كالعمى ونحوه وقوله
قوله وكل ظاهر غيره غير باطن يريد انه تعالى هو المنفرد بالجمع بين وصفي البطون
والظهور دون غيره وقد بينا معناهما في الاصل وقوله لم يخلق الى
قوله منافر لانه تعالى لا يفعل لغرض وتشديد السلطان تقويته والند
المثل والمثاور المواثب والمكاثر المفاخر وبرهان كونه غير محتاج
الى الاشياء ولا مباين له في سبق في الخطبة الاولى ولم يؤده اي لم يثقله
تدبيره للاشياء على وجه الحكمة ولم تعرض له شبهة فيما قضى اي حكم به من
خلقه لتنزه علمه عن عوارض القوى البشرية التي هي منشأ الشكوك والشبهات
وبحث دخلت والمبرم المحكم وقوله المأمول مع النقم فيه ايماء
مولا الى تنزيهه تعالى عن خواص البشرية فان المستقر من الناس حين انتقامه لا يكون ما
وحال نقمته لا يكون مرجوا ومن كلامه عليه السلم كان يقوله لاصحابه
في بعض ايام صفين معاشر الناس استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا

على النواجذ فانه ابنا للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في
اغمادها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبي وصلوا السيوف بالخطا
واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله فعاودوا الكر واستحيوا من الفر
فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا
الى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب واضربوا
ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا
فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم
اعمالكم **اقول** قد اشتملت هذه الاوامر على تعليم كيفية الحرب وبدأ
بالامر باستشعار خشية الله اي اتخاذها شعارا والشعار ما يلي الجسد من
الثياب واستعار وصف تجليب السكينة للتلبس بها كالجلباب وهي الملحفة
وفايدته طرد الفشل واذهاب العدو والنواجذ اقصى الاضراس وفايدة العض
عليها نبو السيوف عن الهامة لتصلب عصل الراس ومقاومته حينئذ للضربة
واللامة بوزن فعلة الدرع واكمالها بالبيضة والسواعد ويحتمل ان يريد
بها جميع آلة الحرب والغرض منه التحصن وفايدة قلقلة السيوف
في اغمادها سهولة سلها وقت الحاجة اليها ولحظ الخزر من امارات الغضب و
الحمية وفايدته اخذ الفرصة من العدو والشزر ليكون الزلل وهو الطعن على
غير استقامة بل يمينا وشمالا وفايدته توسعة المجال للطعان والمنافحة
بالظبا التناول باطراف السيوف وفايدته توسعة المجال ايضا فان تقارب من
العدو يمنع من ذلك ووصل السيوف بالخطا وفايدته ان السيف قد يكون قصيرا
فيطول بالخطوة ومد اليد ولان فيه الاقدام على العدو والزحف اليه وذلك
مما يوجب الانفعال والتاخر وفيه قول الشاعر

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها　　خطانا الى اعدائنا فنضارب

وكونهم بعين الله اي بحيث يراهم ويعلم ما يفعلون وقوله وطيبوا

عن انفسكم نفسا تسهيل الموت عليهم بما يستلزم من الثواب الاخروي والنفس
الاولى هي الشخص الزايل بالموت والنفس المنصوبة على التمييز هي النفس المدبرة
للبدن وسجحا سهلا والسواد الاعظم جماعة من اهل الشام والرواق المطنب
مضرب الفسطاط لمعوية وكان يومئذ في مضرب عال باطناب عظيمة وحوله
من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان لا ينفرجوا عنه حتى يقتلوا
ثبجه وسطه واراد بكون الشيطان في كسره كونه موطن الشيطان اذ هو يبعث على
طاعته ومعصية الله تعالى وقيل استعار لفظ الشيطان لمعوية باعتبار اغوائه للخلق
وكنى بتقديمه يدا وتاخيره رجلا الى قوله اخرى عن كونه مترددا في امره وعلى غير يقين
في قتاله فهو في مظنة ان يرجع او يهرب وكسر البيت جانبه والصمد القصد
اي اقصدوا العدو قصدا حتى يتبين لكم ان الحق معكم ينصركم على عدوكم
اذ الطالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار في مقاومته ولن
يتركم اي ينقصكم والله الموفق **ومن كلام له عليه السلم** في معنى الانصار
قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلم انباء السقيفة بعد وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلم ما قالت الانصار قالوا قالت منا
امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة
عليهم قال عليه السلم لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فما
ذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلم احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة **اقول** الانباء التي بلغته
هي اخبار المشاجرة بين المهاجرين والانصار في الخلافة في سقيفة
بني ساعدة واما ما اشار عليه السلام من الوصية بالانصار فهو ما رواه
مسلم والبخاري في مسنديهما عن انس قال مر ابو بكر والعباس رضي الله
عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا

ذكرنا مجلس رسول الله قد خلا عنه فاخبر ابي بذلك فخرج عليه الصلاة و
السلام معتصبا راسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد
قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن
مسيئهم والاستعارة في لفظ الشجرة لقريش باعتبار انهم اصل للرسول عليه
الصلاة والسلام ولفظ الثمرة لنفسه واهل بيته فانهم ثمرة النبوة في
فضلهم وكان نفوسهم القدسية والكلام في صورة احتجاج له على قريش
بمثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان كانوا احق بهذا الامر من
الانصار لكونهم شجرة رسول الله فنحن اولى لكوننا ثمرته والثمرة هي غرض
الشجرة لكن الملزوم حق فاللازم مثله وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل رحمه الله تعالى وقد
اردت تولية مصر هاشم ابن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهز
لهم الفرصة بلا ذم لمحمد فقد كان لي حبيبا وكان لي ربيبا اقول كان قتله
رحمه الله بعد وقعة صفين واضطراب الامر على علي عليه السلام وطمع معاوية في
البلاد وقتله عمرو بن العاص وحشا جثته في جوف حمار ميت واحرقه فبلغه
عليه السلام ذلك فجزع له حتى ظهر في وجهه وقال الفضل وهاشم هو بن عتبة بن
ابي وقاص وكان من شيعة علي والمخلصين في ولايته وقتل معه بصفين
وكان رجلا مجربا والنهزة الفرصة واراد انه لم يمكنهم مما ارادوا وكان محمدا
حبيبا اليه لتربيته في حجره صغيرا حين تزوج امه اسماء بنت عميس وكانت
اولا تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله
بن جعفر وقتل عنها يوم موتة فتزوجها ابو بكر فاولدها محمدا فلما مات
عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشا على ولايته منذ صغره فكان
يقول عليه السلام محمد ابني من ظهر ابي بكر ومن كلام له عليه السلام في ذم اصحابه

كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب
تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل
منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها الذليل والله
من نصرتموه ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل انكم لكثير في الباحات قليل تحت
الرايات واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى اصلاحكم
بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم
الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق اقول الفصل في ذم
اصحابه لتقاعدهم عن الحرب والبكار العمدة التي انشدخ باطن اسنمتها
لثقل الحمل ويتضح ذلك العمد ووجه شبههم بها انهم بمداراتهم فوق المداراة
وكثرتها وضعف البكار جمع بكرة لانها اشد تضجرا بالحمل عند ذلك لتداويهم
الى وجه شبهها بمداراة الثياب المتداعية اي المتتابعة في التمزق وبقوله
كلما حيصت الى قوله آخر وحيصت خيطت وجمعت اي كلما اصلح بعضهم
وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه وتفرق عنه واطل اشرف والمنسر بفتح
الميم وكسر السين وبالعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين و
الوجار بيت الضبع والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل ويتمثل به
في الاستعانة بمن لا غناء فيه والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج
واراد بما يصلحهم ويقيم اعوجاجهم الضرب والقتل وان كان على غير
وجه شرعي كما يفعل الملوك وقوله ولكني الى قوله نفسي كالعذر عن
عدم فعل ذلك بهم لما يستلزمه من الاثم المفسد للدين المهلك في الاخرة
واضرع اي اذل واتعس اهلك والجد الحظ وقوله لا تعرفون الى آخره
تبكيت لهم بالجهل وغلبة الباطل على افعالهم وعقايدهم وقال عليه السلام
في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وانا جالس فسنح لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد

ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي شرا لهم مني قال
السيد رحمه الله ويعني عليه السلام بالاوذ الاعوجاج وباللدد الخصام
وهذا من افصح الكلام واقول ملكه عينه كناية عن نومه وسنح له ظهر (عرض ظهر)
في المنام ومن كلام له عليه السلام في ذم اهل العراق اما بعد يا
اهل العراق فانما انتم كالمرأة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها
وطال تأيمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم
سوقا ولقد بلغني انكم تقولون يكذب قاتلكم الله فعلى من اكذب اعلى الله
فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله انها لهجة
غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء
ولتعلمن نبأه بعد حين **اقول** هذا الكلام منه بعد حرب
صفين والملصت المرأة اسقطت والايم التي لا بعل لها ووجه تمثيلهم
بالمرأة الموصوفة ما فيه من تشبيهات حالهم بحالها فاستعدادهم
لحرب اهل الشام يشبه حمل المرأة ومشارفتهم للظفر يشبه الاتمام فان
مالك الاشتر رحمه الله شارف دمشق صبيحة ليلة الهرير لينهب خيامهم من غير
حرب لولا خدعة معوية وقومه برفع المصاحف ولخداع اصحابه عليه السلام
ورجوعهم عنه وقصورهم بعد ظفرهم يشبه الاملاص وخروجهم عنه
وايه عليه السلام وتفرقه عليه يشبه موت قيمها وهو زوجها المستلزم لذلها
وعجزها واخذ عدوهم ما لهم من البلاد وتغلبهم عليها يشبه ميراث
الابعد لها واشار بقوله اليهم الى حكم القضاة الآلية عليه بذلك اولى
اكراههم له على البيعة بعد امتناعه منها كما وصفه غير مرة وما بلغه
من تكذيبهم له فهو كلام منافقي اصحابه فانهم كانوا يكذبونه في بعض ما كان يخبرهم
به من الامور المستقبلة وروي انه عليه السلام لما قال لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل
التورية بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم

وبين

وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل
ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء نزلت قال رجل من تحت
المنبر يا لله الدعوى الكاذبة وقوله ولكنها الى آخرها اشارة اجمالية الى
جهل كلامه وانه غير ما ادعوه من الكذب واللهجة اللسان والقول الفصيح
واشار بقوله غبتم عنها الى انفراده عليه السلام بسماعها من الرسول صلى
الله عليه وسلم وبقوله ولم تكونوا من اهلها الى ان لا استعداد لفهم
مثل ذلك وسماعه طورا آخر وراء عقولهم الضعيفة انما حصلت لمثله عليه
السلام وحاله مع هؤلاء مختصرة من حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع
منافقي قومه وقوله ويل امه كلمة تقال للاسترحام وقيل للتعجب
من الامر واصلها الدعاء على الام بفقد ولدها او ترحم لها عند ذلك
وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يلقيه اليهم من الحكم البالغة والتعليم
النافع لا يريد به جزاء ثم لا يفقهونه فلذلك تعجب منهم وكيلا مصدر
اي اكيل لهم العلم والهداية كيلا بغير ثمن لو كان فيهم من يعيه او
يعقله وقوله ولتعلمن الآية في معرض التهديد بثمرة الجهل والتثاقل
عن المتابعة الى دعوته وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام علم الناس
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات
وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق
والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل
كما حمل فاضطلع به قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم
ولا واه عن عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى
اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم واقام موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المأمون

وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق
اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على
بناء البانين بناءه واكرم لديك منزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع بيننا و
بينه في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء
الدعة ومنتهى الطمانينة وتحف الكرامة اقول في هذا الفصل فصول ثلثة
الاول في صفات المدعو تعالى وتمجيده والثاني في صفات المدعو له وهو النبي
صلى الله عليه وسلم والثالث في انواع المدعو به فالاول هو قوله اللهم
الى قوله وسعيدها والمدحوات المبسوطات اي باسط الارضين السبع و
المسموكات السموات وداعمها حافظها بدعايم قدرته وجابل القلوب على
فطراتها خالقها على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلي الخير
والشر واستحقاق السعادة والشقاوة بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى
ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وشقيها بدل من القلوب
اي خالق شقي القلوب وسعيدها على ما فطر عليه وكتب في اللوح المحفوظ
كقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد الثاني ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم احد وعشرين
وصفا يوجبها استحقاق الرحمة من الله والخاتم لما سبق اي من انوار الوحي والرسالة
والفاتح لما انغلق اي من سبيل الله قبله وطريق جنته باندراس الشرايع والحق
الذي اظهره هو الدين والذي اظهره به هو المعجزات والبراهين والحاصل
انه اظهر الحق بعضه ببعض وجيشات جمع جيشة وهي غليان القدر و
استعار لفظها لثوران اباطيل المشركين وفورات فتنهم والدمغ كسر عظم
الدماغ ويستعمل في القهر والغلبة والاضاليل جمع ضلال وهو الجهل
وقوله كما حمل فاضطلع اي صل عليه صلاة مشابهة لحمله رسالتك واضطلاعه
بها قوته عليها ونهوضه بها وقائما وما بعده من المنصوبات احوال والقدم التقدم

اي غير راجع عن تقدم في امر الله وحفظه لعهده اي العهد الماخوذ
عليه في تبليغ الرسالة واستعار لفظ القبس وهو الشعلة لنور العلم
والحكمة ورشح بذكر الوري اي اظهر انوار العلم في سبيل الله حتى اضاءت
لمن كان يخبط فيها ويمشي على غير تبيين وموضحات الاعلام الادلة الواضحة على
الحق ونيرات الاحكام هي المطالب الواضحة له ومهاة تلك الادلة وعلمه
المخزون هو علمه الغيبي المشار اليه بقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الاية وكونه شهيدا اي على امته بما علم منهم من طاعة وعصيان
الثالث المدعو به والمفسح المكان المتسع اي في حضرة قدسه وظل
جوده وبناءه هو ما شيده من الدين اي اعل دينه واظهره على سائر
الاديان وكذلك نوره دينه او نور نفسه الذي ينبغي بين يديه ومقبول
القول مفعول اخر وذا منطق نصب على الحال وكني بقوله شهادته عن تمام
الرضا عنه ومنطق عدل لا كذب فيه وخطبة فصل اي فاصلة للحق من
الباطل وبرد العيش كناية عن عدم الكلفة فيه وهو في الاخرة ثمرة
الجنة وقرار النعمة مستقرها وهو ايضا ثباتها وغايتها واهواء اللذات
ما تهواه وتميل اليه ورخاء الدعة ومنتهى الطمانينة اتساع سكون النفس
بلذة معارفه الحق ولا نسبا لملاء الاعلى وامنها من منازعات الدنيا وتحف
الكرامة ما اعده لكرامة اوليائه مما وعدوا به وبالله التوفيق وهو
حسبنا ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان ابن الحكم بالبصرة قالوا اخذ
مروان ابن الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلم
فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير المؤمنين فقال اولم
يبايعني بعد قتل عثمن لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية لو بايعني
بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربع
وستلقى الامة منه ومن ولده يوما احمر اقول كنى بقوله يهودية

على غدره وخبثه لان شاد اليهود ذلك والسبت الاست ولما كان الغدر من
اقبح الرذايل نسبه الى السبت في معرض الذم والاهانة ثم نبه من امره في
المستقبل على ثلاث امور احدها انه سيكون امير المسلمين وينبه على قصر مدته
ولاينه في معرض الاستهانة بامره بتشبيهها بلعقة الكلب انفه وكانت مدتها
اربعة اشهر وعشرا وفي سنة اشهر الثاني انه سيكون ابا الاكبش الاربعة
وكبش القوم رئيسهم فكان له اربع ذكور لصلبه وهم عبد الملك ولي الخلافة
وعبد العزيز ولي مصر ولبشر وولي العراق ومحمد وولي الجزيرة وعثمان ان
يراد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام و
كلهم ولي الخلافة ولم يليها اربعة اخوة الا هم الثالث ما يلقى الامة منه
ومن ولده من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن ذلك بالموت الاحمر وهو كناية
عن الشدايد وروي يوما احمر وكنى به عن زمان مدتهم واحوال الامة مع
بني امية مشهور ومن كلام له عليه السلم لما عزموا على بيعة عثمان لقد
علمتم اني احق بها من غيري والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم
يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك وفضله وزهدا فيما
تنافستموه من زخرفه وزبرجه اقول الضمير في بها للخلافة ولاسلمن
اي ذلك الامر وما للمدة وخاصة حال والتماسا مفعول له والعامل لاسلمن
والزخرف الذهب والزينة والزبرج بكسر الزاي والراء النقش بالحلية ومن
كلام له عليه السلم لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمن اولم ينه
امية علمها بي عن قرفي اوما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله
ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض
الامثال وبما في الصدور تجازى العباد وقوله الترف التهمة ووزع كف و
سابقته سبقه في الدين والشرف وما وعظهم الله به كقوله تعالى ان بعض الظن
اثم ولا يغتب بعضكم بعضا ايه في النهي عن الغيبة والحجيج المحاج والخصيم المخاصم

والمارقون

٦٣ والمارقون الخارجون عن الدين بالكباير والمرتابون المنافقون الشاكون في
الدين وقوله على كتاب الله الى آخره اشارة الى الحجة التي يحاج بها اي
فسيتم قتل عثمن الي بوجه فاعرضوا ذلك على كتاب الله فعليه تعرض
الامثال والاشباه فان دل على شي منه على كوني قاتلا فلكم ان تحكموا به لكن
ومن كلام له عليه السلم رحم الله عبدا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد
فدنا واخذ بحجزة هاد فنجى راقب ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا
اكتسب مدخورا واجتنب محذورا رمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب
مناه جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغرا
لزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود من العمل اقول
الحكم الحكمة والرشاد الهدى والحجزة معقد الازار واستعار لفظها لهدى
الهادي ولزوم قصده والاقتداء به وفيه تنبيه على الحاجة الى الشيخ في
سلوك سبيل الله والمراقبة المحافظة وفي عرف السالكين مراعاة القلب
للرقيب وهو الله سبحانه وتعالى اذ يقول ان الله كان عليكم رقيبا واستلزام
القلب بمراعاة جلاله ويلزمها الخوف منه وتعطل الجوارح عن الالتفات الى
المباحات فضلا عن المحظورات وخالصا اي عملا خالصا والمدخور اجر العمل
الصالح والمحذور الاثم ورميه للغرض صرفه لمقاصد الدنيا عن نفسه ويروى
عرضا بالعين المهملة وهو متاع الدنيا واحرازا العوض منه متاع الاخرة
بالعمل الصالح وما يلزمه من ملكات الخير ومكابرة هواه مقاومته لشهوته
وغضبه وقمعها وتكذيب مناه مقابلة ما يلقيه الشيطان اليه من اماني الدنيا
بالتكذيب وتجويز عدم نيلها وذكر غاياتها واستعار لفظ المطية للصبر باعتبار
ان لزومه سبب للنجاة كظهر المطية والعدة ما استعد به الانسان للامر
والغراء الواضحة واراد الشريعة وهي المحجة البيضاء والمهل اي مهلة العمل
في الدنيا ومبادرة الاجل ما بقيته بالعمل لئلا ينقطع دونه وكلام له عليه السلم

ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وسلم تفويقا والله لئن بقيت لهم
لانفضنهم نفض اللحام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على
القلب قال السيد رحمه الله ليفوقونني اي ليعطونني من المال قليلا قليلا
كفواق الناقة وهي الحلبة الواحدة والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش
او الكبد تقع في التراب فتنفض اقول استعار وصف التفويق لعطيتهم
له المال قليلا قليلا ووجه المشابهة القلة في دفعات كما يعطى الفصيل
ضرع امه لتدر ثم يدفع عنها ليحلب ثم يعاد لتدر تارات ملاحظة الى
النفع الحاصل بحركته وكذلك استعار وصف النفض المذكور لابعادهم عن
ذلك الامر وبالله التوفيق **ومن كلمات كان يدعو بها** اللهم اغفر لي
ما انت اعلم به مني فان عدت فعد بالمغفرة علي اللهم اغفر لي ما وأيت
من نفسي ولم تجد له وفاء عندي اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك
ثم خالفه قلبي اللهم اغفر لي رمزات الالحاظ وسقطات الالفاظ وسهوات
الجنان وهفوات اللسان **اقول** حاصل الفصل سؤال المغفرة ومغفرة الله
تعالى تعود الى ستره على عبده ان يقع في عذابه او يكشف مقابحه لاهل الدنيا وما
الله اعلم به منه هو ما جاز ان يكون سيئة من افعاله ولا يعلم ذلك فيفعلها
والوأي الوعد ومخالفة القلب لما يتقرب به في الظاهر من الاعمال هو الرياء
والنفاق ورمزات الالحاظ جمع رمزة وهي الاشارة بالعين والحاجب الخارجة
عن الدين كما يفعل عند التنبيه على نقص ليتظلم او يعاب وسقطات الالفاظ
الردي منها وسهوات القلوب هفواتها عن غير تثبت وروي بالشين المعجمة
وهي جواذب الشيطان للقلب الى ما لا ينبغي وهفوات اللسان من لاته و
غلطاته وقد سأل مغفرة الذنوب المتعلقة بكل واحد من الجوارح ومن
كلام له عليه السلام قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له
بعض اصحابه يا امير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت ان لا تظفر

بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام اتزعم انك تهدي الى الساعة التي
من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به
البلاء فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله
في نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغي في قولك للعامل بامرك ان يوليك
الحمد دون ربه لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التي نال فيها النفع وامن
الضر ثم اقبل عليه السلام على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا
ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن
كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله اقول
روي ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان
يتعاطى علم النجوم واعلم انه يعقل في نهي الشريعة عن تعلم النجوم امران
احدهما ان اكثر المشتغلين بها والطالبين لمعرفة احكامها يعتمدون
فيما يرجون ويخافون عليها ويفزعون الى ملاحظة اوقاتها فينقطعون
بذلك عن الالتفات الى الله تعالى والفزع اليه وذلك مما يضاد مطلوب الشارع
اذ كان غرضه الاول ليس الا دوام التفات الخلق الا اليه تعالى الثاني ان
الاخبار منها عما سيكون في المستقبل يشبه علم الغيب واكثر الخلق من العوام
لا يميزون بينهما فيكون ذلك سببا لضلال الخلق وضعف اعتقادهم في
المعجزات اذ الاخبار النبوية عما سيكون منها يستلزم تشككهم في مثل قوله
تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وكان ذلك هو السبب
في تحريم الكهانة والعرافة والعقل ايضا يطابق الشرع في تكذيب المنجم في كثير من
احكامه فانه قد ثبت في القواعد العقلية ان كل كائن فاسد في هذا العالم
فلابد له من اسباب اربعة فاعلي وغائي وقابلي وصوري ثم القابل مشروط
في قبول كل حادث بشرائط فلكية وعنصرية مما لا يتناهى وتمتنع اطلاع العقول
البشرية عليها واحاطتها بها ولان حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهر واليوم

والساعة والدرجة والدقيقة واجزائها وتغيير الحركة باجزائها وقع بينهما
نسبة عددية وكل ذلك امور غير حقيقية وانما توجد على سبيل التقريب اقصى
ما في الباب ان التفاوت بينهما لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه يشتد ان يظهر
في المدد المتباعدة ومع تجويز التفاوت كيف يمكن كليا او جزئيا اذا عرفت
ذلك فنقول انه عليه السلم الزمه في ما يدعيه الزامات شنيعة يترتب من
قبول قوله احدها قوله فمن صدقك فقد كذب القرآن وهو متضمن
ضمير تقديره كبراه وكل من كذب القرآن كان كاذبا بيان تكذيبه ان المنجم اذا
ادعى انه سيقع كذا في وقت كذا كان ذلك مكذبا **لقوله** تعالى وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا الآية الثاني استغناء مصدقه عن الاستعانة بالله فيما يهمه
من محبوب او مرجو وذلك لانه يغنيه عن الالتجاء اليه في ذلك دون الله تعالى الثالث
انه يصير اولى بحمد قائله لوليه احمد دون الله تعالى لانه بزعمه هداه الى النفع
وصون واستثنى عليه السلم مما نهى عنه من تعلمها ما يهتدى به في بر او بحر لان
ذلك تمام من الله تعالى على عباده في **قوله** تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب
وقوله فلنا الى آخره تعليل للتحذير عن تعلمها وتنفير عنها بقياس مفصول
يستنتج منه ان المنجم في النار واما معنى الكاهن والساحر فاعلم ان من النفوس
نفوسا تقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم
فتلك النفوس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله تعالى بداعي السلوك اليه
فهي نفوس الانبياء والاولياء ذوات المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة
منجذبة عن تلك الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذايل الاخلاق
وخسايس الامور كالكبر ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واكثر ما تظهر هذه
النفوس القوية في اوقات الانبياء وقبيل ظهورهم فانها تدعوا الى الكهانة
ليتقصد قصدها لان المنجم متشبه بالكاهن في الاخبار عما سيكون ويتميز

الكاهن عن المنجم بان ما يقوله عن قوة نفسانية منه بخلاف المنجم وذلك ادعى الى
فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه واما الساحر فيتميز عن
الكاهن بانه يقوى على التأثير في امر خارج عن بدنه تأثيرا خارجا عن الشريعة
موذيا للخلق ونافعا كالتفريق بين الزوجين ونحو ذلك فيكون شره اعظم
على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم
عنه خوفا ورغبة والكافر يتميز عن الساحر بالبعد الاكبر عن الله تعالى وحينئذ
صار الضلال والفساد مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد
والاضعف فالكافر اقوى فيه من الساحر والساحر اقوى من الكاهن والكاهن
اقوى من المنجم فلذلك جعل عليه السلم الكاهن اصلا في تشبيه المنجم به والساحر اصلا
في تشبيه الكاهن والكافر اصلا في تشبيه الساحر به وظهر منه ذلك ان وجه
التشبيه في الكل هو ضلالهم واضلالهم للخلق وروي انه عليه السلم سار في
تلك الساعة الى الخوارج وكان من ظفره بهم ما هو مشهور **ومن كلام**
له عليه السلم بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس ان
النساء نواقص الايمان نواقص العقول نواقص الحظوظ فاما نقصان
ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان
عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد واما نقصان حظوظهن
فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن
على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر اقول لما كانت
تلك الحرب من الوقايع الكبار والفتن العظيمة في الاسلام المشتملة على هلاك
جمع عظيم من المسلمين منسوبة الى راي امرأة اراد عليه السلم ان ينبه على
وجه نقصان النساء واسبابه ليجتنب متابعتهن ولذلك حذر بعد من
شرارهن وامر بالكون مع خيارهن على الحذر والتحرز منهن في ابداء تردد
بقول مشورة وان كانت بمعروف لما يستلزم ذلك من طمعهن وتعديهن فيما

يطمع فيه إلى حد الإفراط وتجاوز حد من هو منكر ومن كلام له عليه السلام أيها
الناس الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عن المحارم فإن عزب
ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد أعذر الله
إليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة أقول رسم الزهد
بثلاث لوازم وهي قصر الأمل في الدنيا وشكر نعم الله والورع وهي قوة خاصة
مركبة وفي ذكرها تنبيه على الأمر بلزومها ولزوم الزهد وقوله فإن عزب
إلى آخره يحتمل معنيين أحدهما أنه إن بعد عليكم وشق اجتماع هذه الأمور
الثلاثة فالزموا منها الورع وخصه بالحض لأنه من لوازم الزهد ثم الشكر وكأنه
رخص لهم في طول الأمل لما يتصور فيه مما ينبغي من عمارة الأرض لغرض الآخرة
ولأن قصر الأمل أكثر ما يعرض من غلبة الخوف على القلب والانقطاع عن الدنيا بالكلية و
ذلك غير مراد للشارع من كل الناس الثاني يحتمل أن يكون لما فسر الزهد
باللوازم الثلاثة في معرض الأمر بها قال بعدها إن صعبت عليكم هذه فاعدلوا
إلى ما هو أسهل منها وهو الصبر عن المحارم عوضا عن تمام الورع وهو لزوم
الأعمال الجميلة والتذكر لنعمة الله عند وقوع الغرض شكرها بحيث لا ينبغي بالكلية
عوضا من دوام الحمد والثناء وقوله فقد أعذر الله أي أظهر عذره إليكم
ومسفرة مشرقة ومن كلام له عليه السلام في ذم الدنيا ما أصف من دار
أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها
فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن
أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته قال السيد رحمه الله وإذا تأمل
المتأمل قوله عليه السلام ومن أبصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض
البعيد ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره ولا سيما إذا قرن إليه ومن أبصر
إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا
أقول العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها أوصافا

عشرة

عشرة فأولها إشارة إلى زمان الوجود فيها وعناء الإنسان فيها ظاهر
والفتنة الابتلاء وهو من لوازم العناء ومساعاتها استعارة كأنها مع
حرص طالبها عليها وتعسرها عليه كالهاربة منه سعيا وهو ساع في طلبها
وأقوى أسبابها فواتها لطالبها أن أكثر ما يكون تحصيلها منازعة
أهلها ومجاذبتهم إياها وذلك مما يوجب تقويتهم لها على بعض
ولما كان هذا السبب مفقودا في حق من قعد عنها كان فواتها أقل وكان
مواتاتها وإمكانها أكثر كما في حق الزاهدين فيها وإقبال الخلق عليهم في
التقرب بها إليهم وقوله ومن أبصر بها بصرته أي من جعلها سبب
هدايته ومحل إبصاره بعين عقله استفاد منها البصر والهداية وقوله
ومن أبصر إليها أعمته أي من مد إليها بصيرته محبة لها أعمته عن إدراك
أنوار الله وهو قوله تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا
منهم الآية وقد ظهر الفرق بين قوله أبصر بها وأبصر إليها فمدح السيد
لهذا الفصل ظاهر الصدق وبالله التوفيق وهو حسبنا ومن خطبة
له عليه السلام وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء الحمد لله الذي علا بحوله
ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وأزل أحمده على
عواطف كرمه وسوابغ نعمه وأومن به أولا باديا وأستهديه قريبا هاديا
وأستعينه قادرا قاهرا وأتوكل عليه كافيا ناصرا وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له الذي رفع السماء فبناها وسطح الأرض فطحاها وأتقن
حفظها وهو العلي العظيم وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عبده و
رسوله أرسله لإنفاذ أمره وإنهاء عذره وتقديم نذره أوصيكم
عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقت لكم الآجال وألبسكم الرياش
وأرفغ لكم المعاش وأحاط بكم الإحصاء وأرصد لكم الجزاء وآثركم بالنعم
السوابغ والرفد الروافغ وأنذركم بالحجج البوالغ وأحصاكم عددا ووظف لكم

سدد في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها فان
الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور
حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل حتى اذا آنس نافرها واطمأن
ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت
المرء اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل
وثواب العمل وكذلك الخلف يعقب السلف لا تقلع المنية اختراما ولا يرعوي الباقون
اجتراما يحتذون مثالا ويمضون ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء
حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف النشور اخرجهم من ضرائح
القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى
امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم
الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل
وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم
العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب
ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب عباد مخلوقون اقتدارا
ومربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا
ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب
المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف
الريب وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد واناة المقتبس المرتاد
في مدة الاجل ومضطرب المهل فيا لها امثالا صائبة ومواعظ شافية لو
صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية وآراء عازمة والبابا حازمة فاتقوا الله
عباد الله تقية من سمع فخشع واقترف فاعترف ووجل فعمل وحاذر
فبادر وايقن فاحسن وعبر فاعتبر وحذر فازدجر واجاب فاناب
وراجع فتاب واقتدى فاحتذى واري فراى فاسرع طالبا ونجا هاربا

فأفاد

فأفاد ذخيرة واطاب سريرة وعمر معادا واستظهر زادا ليوم رحيله ووجه
سبيله وحال حاجته وموطن فاقته وقدم امامه لدار مقامه فاتقوا
الله عباد الله جهة ما خلقكم له واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه واستحقوا
منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده والحذر من هول معاده اقول لما
نزهه تعالى عن العلو المكاني كما سبق فهو العلي باعتبار كونه رب كل شيء وجوده وهو
وهو اعتبار يلحقه بالقياس الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته فلذلك
قبل العلو الى حوله وادنى وليس دنوه سبحانه وتعالى مكانيا بل هو باعتبار قربه المعقول
من خلقه بحيث يشاهدونه في صور طوله وهو فضله وهبته لكل مستحق
ما يليق به والمنحة العطية والالاء النعمة وعواطف كرمه هي اثاره الخيرية التي
تعود على عبيده مرة بعد اخرى واولا وباديا حالان اما من ضمير الفاعل وهو
الاظهر ويكون باديه مفهوما والمعنى اني اول ما ابدا احمده ايماني به واما من الضمير
المجرور وباديا ظاهرا وظاهر كونه اولية ومبدايته لخلقه وظهوره لعقولهم
في جميع اثاره مبدا للايمان به والتصديق بالالهية وكذلك كونه قريبا
من عباده هاديا لهم مبدا لطلب الهداية منه وفهمه وقدرته مبدا للا ستعانة
به والغاية ان كونه معطيا لكل مستحق من خلقه ما ينبغي استحقاقا قدر استعداده
ونصح لعباده ببيان تكليفهم عليه وعذره ما يبلغ الاعذار الى الخلق من
النصائح الالهية لهم ونذره تخويفه بالوعيد وظاهر كون انفاذ اوامر
الله مع الاعذار والانذار اعراضا للبعثة والريش اللباس الفاخر وقيل
الخصب بالمال وارفغ اوسع وارغد اعذب والرفد جمع رفدة وهي العطية
والروافغ بالغين المعجمة الواسعة الطيبة وقرار الخبرة محل اختبار الله
وابتلائه لخلقه وهي الدنيا ورنق مشربها كدر لذاتها بشوائب امراضها واستعار
لفظ الردغ بالغين المعجمة لمشرعها باعتبار ان موارد تناولها والشروع فيها
مزالق اقدام العقول عن سواء الصراط الى طرفي التفريط والافراط والردغة

الوصلة المطين اللزق ويونق يعجب ويوبق يهلك فهي اشارة الى ابتهاجها
لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختيارها لعرض التلذذ بها
وغرور بالفتح غارة لاهلها والحاملة الزايلة وذوي غرور بالضم وهو مجاز و
استعار لفظ الضو لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين يقال على
فلان ضو اذا كان له منظر حسن وكذلك لفظ الافول لزوالها ولفظ الظل لما
فيه اهلها من نعيمها ولفظ السناد لما يعتمد عليه الغافلون من وجودها
الذي لا ثبات له ولفظ الميل لكونها في معرض الزوال ومظنته ونافيها وناكرها
من كان نافرا عنها بعقله ومنكر الها وكذلك استعار لفظ القمص بالارجل لا
متناعها على الانسان عند تمكنه بها عليه والقنص بالاحبل لتمكن محبتها في اعناق
النفوس ولفظ الاسهم للامراض واسباب الموت ووصف اقصادها لانها
بها تتزيد للدنيا منزلة الرامي ووصف الاعلاق بالحبال للوقوع في استعمالها
وصلها وللاوهاق جمع وهق وهو الحبل وقوله حتى اذا تصرمت الى
قوله ونوال الثواب واعلم انه قد تطابقت السن الانبياء عليهم السلام
على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز وصرح به نبينا صلى
الله عليه وسلم تصريحا لا يحتمل التاويل واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم
منعه لامتناع اعادة المعدوم وربما قلدت فلاسفة الاسلام ظاهر الشريعة
في اثباته قال ابن سينا في كتاب الشفاء يجب ان يعلم ان المعاد منه ما هو
مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق النبوة
وهو الذي يكون للبدن بعد الموت وخراب البدن وشرور معلومة لا
يحتاج الى ان تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن ومنه
ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة وهو السعادة
والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس وان كانت

الاوهام

68

الاوهام منا قاصرة عن تصورها الان لما نوضحه من العلل والحكماء الالهيون
رغبتهم في اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة
البدنية بل كانهم لا يلتفتون الى تلك ولا يستعظمونها في جنب هذه
السعادة التي هي معارف الحق الاول واعلم ان الذي ذكره عليه السلام هنا
صريح في اثبات المعاد الجسماني ولو احقه فقوله اخرجهم الى قوله
المهالك اشارة الى جمعه للاجزاء بعد تشتتها وتفرقها وتاليفها كما
كانت وازف دنا والضرايح القبور والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع
ومهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس والضرع
بالفتح الخضوع وكاظمة ساكتة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ موضع
اللجام وهو كناية عن بلوغ فم الافواه والشفق الخوف والزبرة الانتهار و
المفايضة المعاوضة والنكال التنويع العقوبة واحتفادهم طلب حضورهم
بالموت والاجداث القبور والرفات الفتات من العظم ونحوه ومدينون
مجزيون وحسابا مصدر نصب بما في معنى فعله ولذلك نحسابا عن قوله
مميزون وامهالهم في طلب المخرج تاخر مدتهم في الدنيا ليخرجوا من
ظلمات الجهل وورطات المعاصي الى نور الحق ومشرع الرحمة وهداية
سبل المنهج الهامهم باصل فطرهم وما دلت عليه الاعلام الواضحة من الكتب
الالهية والسنن الشرعية على طريق الله سبحانه ولما كان من يطلب استعتابه
ورجوعه عن غيه بامهال ومداراة كانت مهلة الله تعالى للخلقة مدة اعمارهم
ليرجعوا الى طاعته يشبه ذلك فنزلت منزلته ونصب مهل على المصدر عن
قوله عمروا ولان التعمير امهال واستعار لفظ السدف لما يغشاهم من
ظلمة الشكوك والجهالات وكشفها بما وهبهم الله من العقول وايدهم به من بعثة
الرسل وقوله وخلوا المضمار الجياد اي تركوا في الدنيا ليقيموا انفسهم
بازواد التقوى واستعار لفظ المضمار ورشح بذكر الجياد وكذلك تخليتهم

لرويته الارتياد اي ليفكروا في طلب ما يتخلصون به الى الله وليتأنوا اناة
المقتبس لانوار الله للاستنارة بها في مدة اجالهم ومحل اضطرابهم في
مهلتهم وتحصيلهم لما ينبغي من الكمالات ومن ملكه عن عبيده هذه الحالات
وافاض عليهم من ضروب هذه الانعامات فكيف يليق باحدهم ان يجاهره
بالعصيان او يجاسر ان يقابله بالكفران وصواب الامثلة مطابقتها
للممثل به او كونها من شانها ان تفعل في القلوب الزكية الواعية لها وشفاء
الموعظة تاثيرها في القلوب وازالة امراض الغفلة والجهل وانابة المتعظ
بها الى ربه وزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك
ووعي الاسماع فهم القلوب عنها ووصفها بالوعي لقبولها الالفاظ مؤدية
لها الى قوة الحس وعزم الآراء حتم الهمم لما ينبغي والثبات على
ذلك وحزامة الالباب جودة رأي العقول فيما تختاره وظاهر ان هذه الثلاثة
هي اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله الى قوله معاد امره
يتقوا الله تقية من استجمع هذه الاوصاف الثمانية عشر واقترف اي اكتسب
واعترف اي بذنبه وهو انابه اليه ما بها ووجل خوف الله فعمل له وايقن
بلقاء ربه فاحسن اي عمله اذ كان اليقين به مستلزما لحسن طاعته
وعُبّر اي رمي بالعبر فاعتبر واجاب اي داعي الله فاناب اليه ببره وامتثال
امره وراجع اي عقله فتاب من اتباع شياطينه واقتدى اي بهدى الله
فحذا حذوه واُري الحق فظهرت لعين بصيرته طريق الله فرأى اي عرفها
فاسرع فيها طالبا لما تؤدي اليه فنجا هاربا من ظلمات جهله وثمراته
فافاد اي فاستفاد بسلوكه لها ذخيرة لمعاده واطاب بسلوكها سريرته عن
نجاسات الدنيا وعمر بما اكتسبه من الكمالات المسعدة معاده وقوله جهة ما
خلقكم له اي اتقوه باعتبار ما خلقكم له من عرفانه واجعلوا تقواكم فيه
نظرا الى تلك الجهة الاولى والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون

مفعولا

مفعولا به بفعل مقدر اي اقصدوا واتقوا كم جهة ما خلقكم له وكنه ما حذركم
اي اقصدوا في حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه وذلك يستلزم
الفحص عن محل الحذر ومنه وتجنبهم لصدق ميعاده بالاستعداد لذلك بالا نواعم
طاعته وبالله التوفيق **ومنها** قال عليه السلم جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها
وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها
في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة
لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز بليته وجوائز
عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين
قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون
الآمال وشذبهم عنها تخرم الآجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم
يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني
الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء الا
آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض
وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة و
القرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر في محلة
الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته و
ابلت النواهك جدته وعفت العواصف آثاره ومحا الحدثان معالمه
وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها
والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها لا تستزاد من صالح
عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم
والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطأون جادتهم فالقلوب
قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعني
سواها وكان الرشد في احراز دنياها واعلموا ان مجازكم على الصراط فيالها

من الق دحضه واهاويل ذلله فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه و
انصب الخوف بدنه واسهر التهجد غرار نومه واظمأ الرجا هواجر يومه
وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه وتنكب المخالج
عن وضح السبيل وسلك اقصد المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات
الغرور ولم تعم عليه مشتبهات الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى
في انعم نومه وآمن يومه قد عبر معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة
سعيدا وبادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب و
راقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار
عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم عباد الله
بتقوى الله الذي اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم عدوا نفذ في
الصدور خفيا ونفث في الآذان نجيا فاضل فاردى ووعد فمنى وزين
سيئات الجرائم وهون موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته و
استغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن
اقول قوله جعل لكم الى قوله باوقاتها يذكر نعمة الله تعالى في
خلق الابدان وما تشتمل عليه اعضاؤها من الحكمة والمنافع وعناها الحمها
واستعار لفظ العشا لعدم ادراك الابصار اذ كان يحصل منه عن اذ كانت
فائدة خلقها ذلك وفائدة عن ان الجلاء ليستدعي مجلوا هو العشا ومجلوا عنه
هو قوة البصر فاقام عليه سبيل المجلو مقام المجلو عنه فكانه قال لتجلو
عن نور ها عشاها والاشلاء جمع شلو وهو الجسد والحنو الجانب اي متناسبة
الجوانب والاقطار ولارفاق المنافع وعواجز عافيته ما يحجز منها عن الاسقام
والخلاق النصيب اي ما استمتعوا به من دنياهم والخناق بالكسر حبل يخنق به
واستعار لفظه للاجل ومستفسح اي مدة الحياة ولارهاق الاعجال والتذبذب
التحرك ومهد لامر بالتخفيف والتشديد هياه وآنف الاوان اول الوقت و

البقية

المضامنة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه واونه
جمع اوان كازمنة وزمان ولما كانت هذه غايات للمرء من شبابه ينتهي
اليها اشبه المنتظر لها اذا قصر عما ينبغي له واذف دنا والعلز بالتحريك
كالرعدة تاخذ المريض والجرض ان يبتلع ريقه على هم وحزن والحفدة
الاعوان وعودة تركه والمعالم الآثار والتحيب الهالك الناحل والخرب الباليه
والاعياء الانفلاء وايقانها بغيب انبائها وتحققها ما كانت تجهله في الدنيا
من احوال الآخرة واخبارها الغائبة عنها او ما غاب عنها في الآخرة من
اخبار الدنيا وعدم استماع الميم من صالح عملها عدم صلاحيتها الذكر في
كذلك عدم استعتابها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين والقدر
بكسر القاف والدال المهملة الطريقة واعلم ان القول بالصراط حق يجب
الايمان به وهو في الدنيا يرجع الى الوسط بين الاخلاق المتضادة كالحكمة
بين الجهل والجربزة وكالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور
والجبن والعدالة بين الظلم والانظلام وبالجملة الوسط الحق بين كل طرفي
افراط وتفريط من اطراف الفضائل وهو الطريق الى الله المطلوب سلوكه
وسئل الصادق عليه السلم عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقال ارشدنا
للزوم الطريق المؤدي لمحبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا
فنعطب او ناخذ بآرائنا فنهلك اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط في
الدنيا هي مضات الخطاء من العقل والشهوة والغضب والعبور عن فضائلها
الى احد طرفي الافراط والتفريط منها واهاويل زلله هو ما يلزم ذلك
العبور من عذاب الله ثم عاد الى الامر بالتقوى كتقية من استجمع امور
الايمان واراد بالتفكر هنا الفكر في امر المعاد فانه مشغل عن محبة الدنيا
وجاذب الى الله وكذلك خوف المعاد وانصبه اتعبه والغرار النوم القليل
واظما الرجاء هواجر يومه كناية صومه في اشد اوقات الحرارة رجاء لما عنده

الله لأوليائه وجعل الهواجر مفعولا به اقامة للظرف مقام المفعول وهو
احد وجوه المجاز وظلف بالتخفيف منع واوجف اسرع والوجيف ضرب
من السير فيه سرعة والمخالج الامور القاطعة للانسان عن طاعة ربه و
تنكبها عدل عنها الى الحق واقصد المسالك اولاها بالقصد وهي طريق الله
تعالى الفتل الصرف اي لم تصرفه المغفلات الدنيوية الغدارة عن ربه ولم تعم
عليه لم تجهل الشبهة من الحق والبشرى بشرى الملائكة يوم القيمة بشراكم اليوم
جنات تجري من تحتها الانهار وراحة النعمى الراحة من متاعب الدنيا في
الآخرة واطلق لفظ النوم في قوله انعم نومه على راحته في الجنة اطلاقا
لاسم الملزوم على اللازم ومعبر العاجلة طريق الدنيا واكمش في مهل اسرع
الى طاعة ربه ايام مهله ورغب في طلب اي كانت رغبته فيما عند الله
مقرونة بطلبه له وذهب اي عن المعاصي عن هرب من خوف عذاب الله
وكنى باليوم وبالغد عن الدنيا والآخرة ونظر قدما اي لم يلتفت عن الله ولم
يعرج على سواه ونسبة الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجاز ونفث ابليس
في الصدور ونفثه في الاذان كناية عن وسوسته والقائه في القلوب
بصورة الاعمال والفاظ وغيرها والموبقات المهلكات وقرينته هي النفس الناطقة
واستدراجها اخذها بالاستغفال والوسوسة وهي ايضا رهينة باعتبار
احاطة المعاصي بها من قبل كما يتعلق الرهن بما عليه من المال وانكار ما
زين كقوله تعالى نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم وبالله التوفيق
ومنها في صفة خلق الانسان ام هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام
وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا
ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا
ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا وخبط
سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات اربه

٧١

لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في فتنته غريرا وعاش في هفوته
اسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه
وسنن مراحه فظل سادرا وبات ساهرا في غمرات الآلام وطوارق
الاوجاع بين اخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر
قلقا والمرء في سكرة ملهثة وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة
وسوقة متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا وجذب منقادا سلسا ثم
القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة
الاخوان الى دار غربته ومنقطع زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع
المتفجع اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان واعظم
ما هنالك بلية نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة
ولا دعة مزيحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين
اطوار الموتات وعذاب الساعات انا بالله عائذون عباد الله اين الذين
عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا طويلا
ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة
والعيوب المسخطة يا اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من
مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام
اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول و
العرض قيد قده منعفرا على خده الآن عباد الله والخناق مهمل والروح
مرسل في فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية وانف المشية وانظار
التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق وقبل
قدوم الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر وفي الخبر انه عليه
السلام لما خطب هذه الخطبة اقشعرت لها الجلود وبكت لها العيون
ورجفت القلوب اقول مدار الفصل على وصف حال الانسان من مبدا

ومن الناس من يسمي الخطبة الغراء

عمره بالنقصان وبيان نعمة الله عليه بترديده في اطوار الخلقة وتبكيته بمقابلتها بالكفران والغفلة من متابعة الشيطان وتذكيره بغايته وهي
الموت وتوابعه من احوال الموت وما يكون بعد ذلك من عذاب
القبر وغيره وتنفيره الدنيا بتلك الامور لغاية اصلاح معاده وذكر
مبداه لعله يتذكر او يخشى وام هنا استفهام في معرض تعديد نعم الله
تعالى تذكرة افلا تنظرون الى تمام خلق الله امرا الى هذا الانسان الذي
حاله كذا والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو غلاف القلب
والدافق المفرغ والمحاق النافص والعلقة محاق ما لم تنقض عليها الصورة
الانسانية والولد حين الرضاع يسمى رضيعا وبعده وليدا وبعده يافعا
وهو المرتفع فاذا اطرّ شاربه فهو غلام واذا ادرك فهو رجل وللرجولية
ثلاث حدود الشاب وهو تمام النمو وبعده الكهولة ثم الشيخوخة
النادر اللاهي والماتح المجتهد واستعار لفظ الغرب لما يملاه به هواه
صحائف اعماله من المآثم والكدح السعي والبدوات جمع بدوة وهو ما
يبدو له من الخواطر ودهمه بالكسر غشيه وغبّر البقية بقيته وجامحا
سعيه في هواه على غير قانون شرعي ولا ائتمار للعقل والتادر الثاني
المتحير واللدم ضرب الصدر ودوي سكرة الملهبة بالنار وكان به مستلزما
لشدة الغمرة والجذبة المكربة جذبة الملائكة للروح منه كقوله تعالى ولو ترى
اذ الظالمون في غمرات الموت والابلاس اليأس واستعار لفظ الرجيع وهو
الجمل المردد في الاسفار البالي فيها للمريض باعتبار تردده في اطوار المرض المبلي له
ولفظ النضو وهو الجمل الناحل من السير له باعتبار نحوله من الاسقام واعلم
ان قوله اقعد في حفرته الى آخره صريح في القول بعذاب القبر وسؤال منكر
ونكير والايمان بما جاء من ذلك على وجهين احدهما وهو الاظهر الاسلم ان نصدق
بذلك ونحمله على ظاهره وان هناك ملكين يقال لهما منكر ونكير يتوليان سؤال
الانسان

الانسان على الصورة المهيبة وحيات وعقارب تلدغ الميت وان كنا لا نشاهدها
اذ لا يصح لهذه العين ان تشاهد الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة
فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبريل وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يشاهده وهم لا يشاهدونه وكما ان جبريل لا يشبه
الناس فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليست من جنس
عالمنا فتدرك بحس آخر والوجه الثاني ان يرد ذلك ما يراه النائم
من صورة تحضر قد تقتله او حية تلدغه وقد نتألم بذلك حين
يراه في نومه فيصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدركه
من نفسه ويشاهده ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى
ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجودة في
حقه ولا فرق بين ان تتخيل عدوا وحية او تشاهده والمناص الملجا
والمحار المرجع والافك صرف وقيل قدّه مقدار قامته والمنعفر المترب
والعفر التراب والفنية الحين وانقطعت به الاقاليم والحوبة الحاجة والمسكنة
الضنك والضيق وكنى بالامان من منة الحياة والخناق عما يوحذ
به اعناق النفوس وهو الموت وكذلك بالغايب المنتظر وباقي الفصل
ظاهر والله اعلم ومن كلام له عليه السلم في ذكر عمرو بن العاص
عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة وانى امرؤ تلعابة اعافس
واماسر لقد قال باطلا ونطق آثما اما وشر القول الكذب انه ليقول
فيكذب ويعد فيخلف ويسئل فيبخل ويسأل فيلحف ويخون العهد و
يقطع الال فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو ما لم تاخذ السيوف
ماخذها فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القوم سبته اما والله انى
ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة انه
لم يبايع معوية حتى شرط له ان يؤتيه اتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة

البنوغ الظهور وقيل انما سميت ام عمرو ابا دعبر لشهرتها
بالنحوس والدعابة المزاح والتلعاب كثير اللعب والمعافسة المداعبة
والممارسة المعالجة بالمصارعة ونحوها واعلم انه عليه السلم انما نكر منه ع
عمرو من المزاح البالغ الى حد الافراط الصادق عليه انه لعب دون القدر
المعتدل منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا
حقا وهو من توابع التواضع وحسن الخلق وقوله لقد قال الى قوله
سبته يشتمل على رذايله المستلزمة لفقد المانع من قبول قوله وذكر
منها خمسا وهي الكذب وخلف الوعد والغدر والخيانة في العهد وقطع
الال وهو الاصل والرحم ثم الجبن ونبه عليهما بقوله فاذا كان عند الحرب
الى قوله سبته وهو ان سرقه الى ما صدر منه في بعض ايام صفين حين
حمل عليه عليه السلم فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف عن
سوءته مواجها له بها فلما راى ذلك منه غض بصره عنه وانصرف وعمرو مكشوف
العورة وبخاية ذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها بارتكاب
الذلة والفضيحة وفيه يقول ابو فراس
ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو
والاتية العطية والرضيخة الرشوة وهي مصر وقد كان معوية اعطاه مصر طعمة
على ان يظاهره في حرب علي عليه السلم وقد سبق مثله ومن خطبة له عليه
السلام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الاول فلا شي قبله
والاخر لا غاية له لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية
ولا تناله التجزية ولا التبعيض ولا تحيط به القلوب اقول كونه تعالى كي انصاره
اولا غير مسبوق بالغير واخرا غير منته في وجوده الى غاية تقف عندها تنزيه
عن ادراك الاوهام ووصفها له سبحانه وتعالى كتنزيهه عن الجسمية ولواحقها او
عدم صدق الوهم في غيرها وكونه لا تعقل له كيفية اذ لا كيفية له فتعقل ونفي

التجزية والتبعيض عنه لعدم لحوق الكمية له ولا تحيط به الابصار لتنزهه عن
مدركاتها من عوارض الجسمية ولا القلوب لعدم تركيبه وما لا تركيب فيه لا
حد له فلا تدرك كنه حقيقته وقد سبق تقريره ومنها قال عليه السلم فا تعظوا
عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالاى السواطع وازدجروا بالنذر
البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت
منكم علايق الامنية ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد المورود
وكل نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد
يشهد عليها بعملها اقول الاى جمع اية والساطع المرتفع ومفظعات
الامور شدايدها ودهمه بالكسر هجم عليه واعلم ان الاتعاظ سببا و
وثمرة فالسبب كالنظر في اخبار الماضين وقصصهم وهو الاعتبار و
اما حقيقته فالخوف والانفعال الحاصلة عن ذلك النظر لتوهم مثل
احوالهم في حقه واما ثمرته فالانزجاد عن مناهي الله تعالى واستعاد
وصف المخالب للاسباب المنية من الامراض والاعراض والله اعلم ومنها
في وصف الجنة درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها
ولا يظعن مقيمها ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اقول هذا
الوصف صادق في الجنة المحسوسة الموعودة في القران الكريم وفي
الجنة المعقولة واتفقت العقلاء على ان الاتمام بها هي المعاد وكالهيئة
والنظر الى وجه ذي الجلال والاكرام والسعداء في نيل الوصول الى هذه
الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة كما نبهنا عليه في الاصل وبالله
التوفيق ومن خطبة له عليه السلم قد علم السرائر وخبر الضماير له الا
حاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء فليعمل العامل منكم
في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل
ان يوخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه الى دار اقامته

فالله فالله ايها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى آثاركم وعلم اعمالكم وكتب آجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه ازمانا حتى اكمل له ولكم دينكم فيما انزل من كتابه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه واوامره فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم المداهنة على المعصية عباد الله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة ولا تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور

احاطته بكل شيء علمه بكليات الاشياء وجزئياتها وغلبته وقوته على كل شيء استيلاء سلطانه وقدرته على كل مقدور وازهاق الاجل سرعة لحوقه وشغله اي باهوال الآخرة و الكظم مجرى النفس والاخذ به كناية عن الموت ونبه على وجوب الحذر من مخالفة الله بضمير مغزاه قوله فانه لم يخلقكم عبثا اي خاليا عن وجه الحكمة بل لتستكملوا في العزة واشار الى وجوه حكمته في خلقهم د

الطائفة

الطائفة في حقهم من انزال الكتب وتعمير الرسول صلى الله عليه وسلم واكمال دينه الذي ارتضى لهم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يحفظ حقوقه ويحذر من تضييع ما استودعه والرخصة بها المساهلة وتوسيع المأكل والمشرب وغيرها من المباحات فان ذلك مظنة الخروج فيها عن حد الاباحة الى ما لا ينبغي في الدين ومذاهب الظلمة مسالكها و طرقها الجائرة وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهم فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له ويلك ما هذه فقال هذه الشهوات التي اصيب بها قلوب بني آدم فقال لي منها شيء فقال نعم ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر فقال هل غير ذلك قال لا فقال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا او لا تداهنوا انفسكم اي لا تصانعوها بالتأويلات الضعيفة والشبه الباطلة فان ذلك سبب للهجوم على المعصية والعبور الى الخطاء بعد الفضيلة من المباح وقوله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه انه لما كان غرض التنصح انما هو جلب الخير والمنفعة للمنصوح وكان اتم الخير والنفع هو السعادة الباقية الابدية وكانت تلك السعادة انما تنال بالطاعة فكل من كانت طاعته لربه اتم كانت سعادته اتم كان هو انصح لنفسه بمبالغته في طاعته فظهر من ذلك معنى قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه بالمعصية والحصول على الشهوات لا حث في الآخرة وتفويت نفسه نصيبها الاوفى من الجنة وقوله المغبوط اي من يستحق ان يغبط ومعنى الغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من خير او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك الخير عمن هو له و بهذا القيد يتميز عن الحسد والسعيد من وعظ بغيره اي السعيد التام و ذلك ان العظة قد تحصل للانسان من نفسه بغيره تنفع له لمرض او ام

نزل به وقد تحصل بمشاهدة الغير وهذه اتم من تلك وافضل لاستلزامها
ثواب الآخرة مع السلامة من غير تلحق المعتبر في نفسه وكذلك صغر منا
جهلا بالسعيد بما لغة واهل الهوى المنقادون لدواعي الشهوة والغضب
الخارجة من حد وداد الله ونفر عن مجالستهم باستلزامها الامرين وهو ظاهر
ونفر عن الكذب بضمير صغراه قوله فانه مجانب الايمان وهو خبر نبوي
ومجانبته له لكونه من الكباير المضادة للازم الايمان وهو الصدق ومضادة
اللازم مضادة الملزوم ومجانبة له ونفر عن الحسد بضمير صغراه قوله
فانه الى قوله الحطب ووجه التشبيه ان الحاسد قد يغرق فكره في الاهتمام
بامر المحسود حتى لا يتفرغ لطاعته وعبادة بل قد يذهل عما حصل عليه
من الكمال بسبب ذلك فينقطع به عن تحصيل الحسنات فيكون مفوتا
لها كتفصيل النار في الحطب ولفظ الاكل مستعار لذلك التفويت ونفر
عن التباغض بضمير صغراه قوله فانها الحالقة والضمير في قوله
فانها يعود الى المصدر وهي المباغضة واستعار لفظ الحالقة للمحنة
التي يقع به بسبب التباغض من الفرقة واختلاف الكلمة المستلزم لطمع
العدو في المتباغضين واستيصالهم وافناء بعضهم ببعض كالحالقة وبعد
السهو والنسيان والغفلة الى فعل الامل لما يستلزمه من الغفلة عن
الآخرة وتكذيبه برد العقل لاحكام الوهم بنيل المطلوب المامول
بذكر الموت وقواطع العدد عن بلوغه وبالله التوفيق **ومن خطبة
له عليه السلم** وفيها فصول الفصل الاول في صفات المتقين قوله
عليه السلم عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر
الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعد القرى ليومه
النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر فابصر وذكر
فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك

وصار من مفاتيح ابواب الهدى

سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا
انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى ومغاليق ابواب
الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك
من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس
قد نصب نفسه لله في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى
اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات
دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله فاستخلصه فهو
من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله
نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امها ولا
مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل
حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله اقول اعانه على نفسه افادة
قوة عقلية وقهرا لنفسه الامارة بالسوء واتخاذه الحزن شعارا ايه
على معصية الله والخوف جلبابا ايه من عقابه ووصف الاستشعار والتجلبب
مستعارات وزهر مصباح الهدى في قلبه شروق نور المعارف الالهية في
سره وهو ثمرة الاستعداد بالخوف والحزن واستعار لفظ المصباح
لنور المعرفة لاشتراكهما في افادة الهدى ولفظ القرى للاعمال الصالحة
التي تعد ثمراتها ليوم موته وما بعده ملاحظة لشبهها بما يعد من الضيافة
للقادم وتقريبه على نفسه البعيد تقصيره للامل الطويل في الدنيا بذكر الموت
او تقريبه بما بعد عنده من احوال الآخرة بدوام اخطارها بباله حتى كانها
حاضرة لديه وتهوينه للشدائد تسهيل شدائد الدنيا على خاطره واستحقارها في
جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله ووعده ووعيده او تسهيله لشدائد
الآخرة وتهوينها بالاعمال الصالحة ونظره فكره في ملكوت السموات والارض
فابصر الحق سبحانه في عجائب خلقه بعين بصيرته وذكر اليه به ومعاده

فاستكثروا به من الاعمال الصالحة والذكر حتى صار ملكة واستعار وصف العذب
بوصف الفرات للعلوم والكمالات النفسانية ووصف الادواء للغمام لاستحكار
بها وموردها مظانها من العبر والامور التي تحصل لنفوس المتقين منها العلوم
وتسهيلها لهم سرعة اخذهم عنها الكمالات لكمال استعدادهم لذلك وقد
النهل الشرب في اول الورد واستعار لفظ لستو احدهم الى اخذ الكمالات
عن مظانها والسبيل الجدد سبيل الله الواضح وخلعه سرابيل الشهوات اي رجع
الى طرف الزهد ولفظ السرابيل مستعار لما تلبس به من الشهوات والهوى الذي
انفرد به هو الوصول الى ساحل العزة واستعار لفظ العمى للجهل وابواب
الهدى هي الفضائل والطاعات وابواب الردى هي الرذايل والمعاصي ومنار اعلام
طريق الله وهي البراهين والادلة التي يهتدى بها وغمار ما كان يخوض
فيه من احوال الدنيا واوثق العرى الايمان بالله وهو امتن الحبال
لفظها مستعار له باعتبار ما قد التمسك بها وقوله فهو من اليقين الى
بالله وما جاء به رسله من احوال الغيب على انه يقين وقوله قد
نصب نفسه الى قوله اصله اي لما كمل في ذاته كان اهلا لهداية الخلق وافادتهم
لقوانين طريق الله والتفريع عنها وظلمات الجهل والعشوات ما البس على
البصاير من المسائل الدقيقة وكذلك المبهمات والمعضلات والفلوات استعارة
وقوله يقول الى قوله يسلم اي يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه
ويصيب به مقصوده واستعار لفظ المصباح باعتبار هدايته للخلق ولفظ
المفتاح لفتحه ما انغلق من مشكلات المسائل ولفظ الدليل لهدايته في مفاوز
الجهل الى طريق الله تعالى ولفظ العدل لكونه مظنة دين الله عنده يوجد
لفظ الوتد لكونه ارض الله به تحفظ ولفظ الالزام لعقله باعتبار تسليمه
الى حكم الله واوامره فكانه تعود بعقله في طريق الله تعالى الفصل الثاني
قوله عليه السلم واخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهايل من جهال وانما ليل من

جهل

منك ل ونصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور قد حمل الكتاب على
اراييه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظايم ويهون كبير الجرايم يقول اقف
عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة
انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد
عنه فذلك ميت الاحيا فاين تذهبون واني تؤفكون والاعلام قايمة
والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم
عترة نبيكم وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل
القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها
عن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم انه يموت من مات منا وليس بميت
ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر
الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم
بالثقل الاكبر وانزل فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان
ووقفتكم على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم
المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرايم الاخلاق من نفسي فلا تستعملوا
الراي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل اليه الفكر اقول الجهايل
جمع جهالة واراد الجمع المركب وهو الاعتقاد غير المطابق للحق عن شبهة
واستعار لفظ الاشراك والحبال لما يغتر به علماء السوء الناس من الاقوال
الباطلة وحمل الكتاب على تفسير بحسب رايه وكذلك عطفه على اهوائه
تاويله بحسب هواه وتاميره الناس من العظايم كاستعمال علماء السوء
وجهال الوعاظ ايات الوعد في كل موضع استجلابا لقلوب العوام والحكام
واستعار له لفظ ميت الاحياء باعتبار عدم الانتفاع به بجهله المركب
الذي هو موت النفس المضاد لحياتها الحقيقية باستكمال العلوم والفضايل
الخلقية فالجاهل بالحقيقة ميت وان كان في صورة حي وقوله فاين

ششتكم

يل

تذهبون الى اخره تنبيه على كونهم في ضلال وعمى عن الحق وتخويف وتبكيت
وتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليكونوا هداة لهم وتوفكون تصرفون وانى
هنا بمعنى متى اي متى تصرفون عن ضلالكم والاستفهام للتقريع واستعار لفظ
الاعلام لائمة الدين وكذلك المنار ونصبها القيام لائمة بينهم وعترة الرجل
اقاربه من ولده وولد ولده وادنى بني عمه وعترة الرسول صلى الله عليه وسلم
اهل بيته واستعار لهم لفظ الازمة باعتبار كونهم قادة للخلق الى طريق الحق
كالزمام وكونهم السنة الصدق اي تراجمة الوحي الصادق او انهم لا يقولون
الا حقا لعصمتهم وقوله فانزلوهم باحسن منازل القرآن فاعلم ان
القرآن له منازل احدها القلب وله فيه منزلتان منزلة الاكرام والتعظيم
ومنزلة التصور فقط ثم منزلة الوجود اللساني ثم في الكتب واذا عرفت
احسن منازله هي الاولى فالمراد الوصية باكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم كما
يكرم القرآن بذلك وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد
وتعليم الى الاسراع في اقتباس العلوم ومكارم الاخلاق منهم عليهم السلام
كما تسرع الهيم العطاش وهي الابل الى الشرب والهيم في قول بعض وهي الرواية
الحاضرة وهي تعتريه تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
الاية ويبلى اي يجسده وليس ببال اي بتغير وذكره وقوله ولا تقولوا
بما لا تعلمون اي ما طوي عنكم غيبه وعلمه وذلك انهم كانوا يخوضون في امر
المعاد ويقول كل منهم بحسب ما يتصوره من القرآن والحديث وللائمة عليهم
السلام اعلم بذلك ونبه على وجوب انتهائهم عن التسرع الى القول بغير علم
بضمير صغراه قوله فان اكثر الحق فيما تنكرون وتقدير كبراه وكل ما كان
اكثر الحق فيه لم يجز التسرع الى انكاره لجواز ان يكون هو الحق والثقل
الاكبر كتاب الله لكونه الاصل المتبع والثقل الاصغر العترة الطاهرة واستعار
لفظ الراية للايمان لسنته المتبعة في العمل بكتاب الله وركزها وضعها بينهم ر

ليتقدوا

ليتقدوا بها وقعر الشيء اقصاه والبصر بصر العقل والتغلغل الدخول في
الاعماق ونهى عن استعمال مجرد الراي في دقايق المسايل الالهية وامر المعاد
فان ذلك مهلكة ومنها قوله عليه السلام حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة
على بني امية تمنحهم درها وتوردهم صفوها ولا ترفع عن هذه الامة سوطها
ولا سيفها وكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها
برهة ثم يلفظونها جملة **اقول** الفصل غاية من غايات دولة بني امية وفي
اتما اخبار عما سيكون ومعقولة محبوسة واستعار لفظ الدر للذة
وقتيا بها ولفظ المجة لما يحصلون عليه من الدولة والملك باعتبار قلته
بالنسبة الى زمان عدمه ووصف التطعم لالتذاذهم بالامرة ووضع اللفظ
لزوالها عنهم ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه لم
يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم
الا بعد ازل وبلاء وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب
معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر ببصير
فيا عجبا وما لي لا اعجب من خطا هذه الفرق على اختلاف حججها في
دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب ولا
يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف
فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات الى انفسهم
وتعويلهم في المبهمات على ارائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه قد اخذ
بخ منها فيما يرى بعرى وثيقات واسباب محكمات **اقول** مقصود الفصل تو
الامة على اختلافهم في الدين وتشتت ارائهم في الاحكام والمذاهب والقصم الكسر
وجبر العظم كناية عن التقوية بعد الضعف والازل الشدة والعتب الذي
استقبلوه عتابه عليه السلام وما ينبغي منه والخطب الذي استدبروه الاهوال
التي لحقتهم من المشركين وفي دون ذلك معتبر لمن كان له قلب فانهم لو اخلفوا

حينئذٍ كاختلافهم الآن لما كان لهم من معتقداتهم وقع عند المشركين فكانت
قال فيجب الآن ان تعتبروا بذلك وتلزموا الاتحاد في الدين واللبيب من
ينتفع بلبّه وهو عقله وفائدة قوله فما كل ذي لبّ الى قوله ببصير تحريك
النفوس الى الاعتبار كيلا يبعد التأمل عن ذي لبّ ولا سميع ولا بصير ثم
ذكر من مذاهبهم انهم يعملون لما ينبغي ان يتركوه وان يعملون ما ينبغي ان
يتركوه وقدم على الكل ذكر السبب وهو اختلافهم في دينهم
لان ذلك هو الاصل الذي تنشأ عنه هذه الرذائل والغيب الذي تركوا
الايمان به هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من السمعيات القرآنية كاحوال
المعاد البدني واحوال القيمة والجنة والنار وقوله المعروف الى
قوله ما انكروا اي ان المعروف والمنكر محصور فيما عرفوه وانكروه وان
كان مما يتصور حقيته وما انكروه هو الحق والمعضلات ما اشكل امره وصعب
فهمه من الاحكام الدينية والاشياء المحكمة والنصوص الجلية ومن خطبة له
عليه السلام ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم واعتزام من
الفتن وانتشار من الامور وتلظٍّ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة
الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها
وقد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة
في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها
السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي اباؤكم بها مرتهنون وعليها محاسبون
ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم الاحقاب والقرون
وما انتم اليوم من يوم كنتم في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعكم النبي صلى
الله عليه وسلم شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون
اسماعكم بالامس ولا شقت لهم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في
ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ووالله ما ابصرتم

بعدهم شيئا جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية
جائلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما (تما)
هو ظل ممدود الى اجل معدود اقول هذا من الفصل التذكير بنعمة
الله التي نفت ما كانوا فيه من بؤس وهي بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وما استلزمته من الخيرات ليعتبروا ويذكروا والفترة بين زماني
الرسولين واستعار وصف الهجعة لما كانت عليه الناس من قبل البعثة
من الغفلة المشبهة للنوم وللاعتزام العزم ونسبتها الى الفتن مجاز
وروي اعترام بالراء المهملة وهي كثرتها وروي اعتراض من اعترض الفرس
في الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب اذا احميت والتجهم
العبوس والاحقاب الدهور واستعار لفظ النور للانبياء والشرايع
او الاولياء القائمين بها ولفظ الورق والثمر والماء لمتاع الدنيا وزينتها
ولفظ الاصفرار لتغيرها عن العرب في ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم
وخشونة مطاعمهم اذن والياس من ثمرها انقطاع امالهم عن الملك
والدولة ولفظ الاعلام لائمة الهدى وقوانين الشرع ولفظ اعلام
الردى لائمة الضلال الداعين الى النار ووصف التجهم والعبوس
الدنيا لعدم وضوح مطالبها وتيسرها لطلابها من العرب اذ الخطاب معهم
ولفظ الثمر للفتنة باعتبار انها غاية للعرب يومئذ من حركاتهم وحروبهم
ولفظ الجيفة لما لم يذكر اسم الله عليه من الذبايح او ما كانوا يأكلونه من النهب
والغارات تنفيرا عنه لحرمته ولفظ الدثار للسيف لتعلقهم غالبا وقوله
واذكروا بدل التذكير لهم بوجوه العبرة من قبايح الاعمال في القطعة التي خطايا
التي كانت عليها اسلافهم في الجاهلية في معرض التخويف بما يلزمها من
العقوبة الاخروية واذ انهم بها محبوسهم في سلاسل الهيات البدنية وقوله
ولعمري الى قوله ببعيد الحاق لهم بهم في معرض الوعيد ان يصيبهم ما

انما بهم وابداً العدد في اسماعهم كسماع الرسول صلى الله عليه وسلم اسلافهم و
استعار لفظ الغنيمة لنعمة بني امية وصف جولان الحطام ورخاوة البطان ملاحظة لشبهها
بالناقة الصعبة ووجه الشبه كونها مظنة الهلاك و البطان للعتب كالحزام
للفرس لفظ الظل لدولتهم باعتبار سرعة زوالها ونفرة عما اشبع فيه
اهل الغفلة والغرور وازاد بني امية في دولتهم وغرورهم فيها عن الله
بضميمة صغراه قوله فانما هو الى اجل وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك
فينبغي ان لا يغتر به ويركن اليه ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله المعروف
من غير رؤية الخالق من غير روية الذي لم يزل قائما دائما اذ لا سماء ذات ابراج
ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو
اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد الشمس والقمر دائبان في
مرضاته يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ذلك مبتدع الخلق ووارثه
واله الخلق ورازقهم قسم ارزاقهم واحصى آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم
وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من
الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته
على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر
من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه
ومن سأله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم
من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق
وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له
منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ اقول انه وصف
الله سبحانه وتعالى باعتبارات من صفات جلاله وقد سبق بيان اكثر هذه الاعتبارات
وقيامه دوام وجوده لذاته وقوله اذ لا سماء لقوله ذات اعتماد
اشارة الى اعتبار ازلية قيامه بذاته وسبقه لكل ممكن تقرير لقول الرسول

صلى

صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء والحجب ذات الارتاج السموات والابراج
الشمس والقمر بكل جديد كناية عن تغيرهما بعد ويحتمل ان يريد كونهما اسبابا نا
معدة لزوال كل كائن في هذا العالم وفساده وتقريبهما للبعيد جديهما
الى الموت وما بعده من احوال الآخرة وغاياتهم التي تتناهى بهم ما تحوي
به اعمالهم من سعادة او شقاوة وقوله هو الذي اشتدت الى قوله
نقمته اشارة الى كماله وتنزيهه في اعتبارات احوال الدنيا عن ملوك الدنيا فان
صفتي الرحمة وصفة الغضب فيهم متضادان لا يجتمعان ولما كان كماله تعالى
يقتضي ان يفيض على كل نفس ما تستعد له وجاز ان يستعد الشخص الواحد للنعمة
التي هي اثر الرحمة وللنقمة التي هي اثر الغضب في حين واحد لا جرم اجتماع رحمته
ونقمته سبحانه وتعالى في محل واحد في وقت واحد باعتبارين كحال الكفار مثلا
في الدنيا وقوله وغالب من عاداه وناواه وزنة النفوس اعمالها من
الخير والشر ومراعاة استقامتها على حاق الوسط من الفضائل في سبيل الله
ومحاسبة النفس ضبط اعمالها الخيرية والشرية لتركها ما ينبغي لها وعقابها
على فعل ما لا ينبغي وهو باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله واستعار وصف
التنفس لتحصيل الراحة والبهجة للآخرة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها
كما يستلزم التنفس راحة القلب من الكرب ولفظ الخناق من الحبل للموت وانقا دوا
اي لاوامر الله قبل عنف سياق الموت واعانة الله للعبد على نفسه اعداده
لعناية الالهية لقوة العقل على قهر النفس الامارة بالسوء وتهيئتها لقبول
السوانح الخيرية ومن لم يحصل ذلك لاستعداد ملكة يكون هو القاهر
لنفسه لم يتمكن من قهرها بموعظة الغير وزجره وفي ذلك تنبيه على وجوب
الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق وهو
حسبنا ومن خطبة له عليه السلام وتعرف بخطبة الاشباح روى مسعدة بن
صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين عليه

السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين
صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب عليه السلم ونادى الصلوة
جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب
متغير اللون فحمد الله سبحانه وصلى على النبي واله ثم قال الحمد لله الذي
لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع
مذموم ما خلاه هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عيال له
الخلائق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم وانهج سبيل الراغبين والطالبين
ما لديه وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل الاول الذي لم يكن
له قبل فيكون شيء قبله والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده و
الرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه
الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب سبحانه وتعالى ما تنفست
عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان و
نثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده و
لكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا
يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين فانظر ايها السائل فما
دلك القرآن عليه من صفته سبحانه وتعالى فائتم به واستضئ بنور هدايته وما
كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب فرضه ولا في سنة النبي اثره فكل علمه
الى الله سبحانه وتعالى فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم
هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة
ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله سبحانه اعترافهم بالعجز عن
تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عليه وعن
كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون
من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحا

انما

الفكر المبرأ من خطر الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت
القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا
تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة
اليه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا
تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير
مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من
ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من
الخلق الى ان يقيمها بمساك قدرته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته
وظهرت في الخلق لبدائع التي احدثتها آثار صنعته واعلام حكمته فصار
كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة
ودلالته على المبدع قائمة واشهد ان من شبهك بتباين اعضاء
خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب
ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم
يسمع تبرء التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك
باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزءوك تجزئة المجسمات
بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم واشهد
ان من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل كافر بما نزلت به
محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم
تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها
محدودا مصرفا اقول سميت خطبة الاشباح لاشتمالها على ذكر الاشباح
وهي الاشخاص وقيل لان الشبح هو الطول والامتداد وهذه الخطبة ذات
اقسام طوال ممتدة كذكر السموات وكيفية تخليقها وكذكر الملائكة واقسامهم

وكيفية خلقهم واحوالهم وذكر الارض وكيفية خلقها ويوفر يزيده وفرا وهو
المنى ويكديه ينقص حينئذ وانما لم يقبل الزيادة والنقصان لاستلزامهما
الحاجة والامكان المنزه قدسه عنهما ونزهه في الحكمين عن حدّ غيره من
المعطين والمانعين وفوائد النعم ما افادهما وعوائد المزيد والقسم
ما اعتاد منهما واستعار وصف العيال للخلق باعتبار ضمان ارزاقهم والقيام
باحوالهم ولفظ الضمان لما وجب في الحكمة من تقدير الاقوات والارزاق
التي لا بد منها كالضمان وسبيل الراغبين اليه شرايع دينه ونهج هدايته
ايضاحه بالادلة وقوله ليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل فيه لطيفة وهي ان فيضان ما يصدر عنه [illegible]
الى جوده وهي من تلك الجهة غير مختلفة في جميع الموجودات بل نسبته اليها
على سواء فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ان يكون بعض الاشياء
ابخل او ليخفا احوج فيلزم النقصان تعالى عن ذلك والثاني بالنظر الى
الممكن نفسه ولا اختلاف بالقرب والبعد الى جوده انما هو من تلك الجهة
فكل من كان اتم استعدادا واقبل كان اقرب الى جوده تعالى فالسائل اذا
وان حصل له ما سأل عنه تعالى دون ما لم يسأل فليس منعه ما لم ينال له
لعزته عنده وليس بينه وبين ما سأل بالنسبة الى جوده فرق في تفاوت بل
تخصيصه بما سأل لتمام قبوله له ولو كان قابلا لما لم يسأل لوصل اليه من غير
مسئلة وان عظم خطره والى هذا اشار علي بن موسى عليهما السلم وقد سئل عن
الجواد فقال ان لكلامك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض
الله عليه وان اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى
منه وان منع منع ما ليس له واراد عليه السلم ان جوده سبحانه وتعالى متوقف
على الاستعداد وعدمه ورد عدا ناشئ لا يفاض عنه اذ ادراك قصر هنا بدل النقصان
عن قبوله ذلك لان القوة الباصرة انما تتعلق بذي الموضع والجهة المنزه قدسه
تعالى عنهما ولم يختلف عليه دهر لعلوه عن الزمان وبذلك لم يختلف عليه الاحوال

لان

لان الزمان هو مبدأ الاختلاف وفلق اللجين حينئذ وما ينفجر الكير منه قد
العقيان الذهب الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ وحصيد محصوده وما
اجتمع منه واستعار وصف الضحك للاصداف ووجه الشبه انفتاح الصدف فتين
وانفرادهما عن اللؤلؤ الشبيه في بدوه بالاسنان وعن لحمه شبيهة باللثات
في هيئته ووضوح المشابهة تستدعي المشاهدة ولفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ
لتشبيهه بالحصيد من القوت ونبه بهذه القضية المرطية على كمال قدرته
تعالى وعدم تناهي مقدوراتها وبين ذلك بضمير صغراه قوله لانه الجواد
الى قوله الملحين وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلو وهب جميع ما
ذكر لم ينقص ملكه وقوله فانظر الى آخره تاديب للخلق في وصفهم له سبحانه
وتعالى وتعليم لهم كيفية مدحهم وثنائهم عليه فامرهم ان يقتدوا في ذلك
بكتاب الله تعالى ومن تقدم به من الانبياء والائمة من بعدهم اذ كان
اولى ما يوصف به ما وصف به تعالى نفسه وان يفوضوا علم ما لم يعلموا علمه
اليه تعالى وهو المراد بالتفويض المنهي وقوله واعلم ان الراسخين
الى قوله المحجوب تفسير لمعنى الرسوخ في العلم والاقتحام الدخول
في الامر بشدة والسدد جمع سدة وهي الابواب والحجب واعلم ان الحجب الغيوب
طبقا كثيرة من كلمات رايته النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله سبعين حجابا
من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره وقد نبهنا
عليها في الاصل وهنا لطيفة وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما
هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت
لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب
وقصر عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين
فعلى هذا ليس للرسوخ مرتبة واحدة هي تقليد ظاهر الشريعة واعتقاد
حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اول من مراتبه وما وراء ذلك مراتب غير

متناهية بحسب مراتب السالكين وقوتهم على رفع حجب الانوار وظاهر كلامه
عليه السلام لا ينافي ذلك اذا انزل عليه فان قوله ويسمى ترك التعمق فيما لم
يكلفهم البحث عنه كنهه رسوخا صادق ليتهم على من قطع جملة من منازل السائرين
الى الله وعجز عما وراءها فوقف ذهنه عن التعمق فيه اذ لا يكلف الا بما تفي
قوته بادراكه والمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد ان عقله
ادركه واحاط به علما ووجه الهلاك في ذلك الاعتقاد ان ما يحيط به
العقول البشرية محدود مركب فكان ممكنا اي المعتقد لذلك معتقد
لغير الله الها وقوله هو القادر الى آخره اشارة الى اعتبارات
آخر وترجيح حسن فضيلة حسن واذعان لا ذهام استرسالها مجردة
في المطالعة والتفتيش وعميقات الغيوب ملكوت اسرار عالم الغيب
واستعار لفظ العمق باعتبار عدم وصول غاية الفكر الى منتهاها والتوله
شدة الشوق وردعها خلقها قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب
فردع الاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس وردع الفكر و
العقول لقصورها عن ادراك حقيقة ما ليس بمحدود مركب وقدم اعتبار
قدرته تعالى على الشريطة لانها الاصل في ذلك الردع وتجوب تقطع و
نطوف واستعار وصف السدف جمع سدفة وهي الظلمة لما لا يهتدي
اليه الفكر من الغيوب ملاحظة لشبهها بالظلمة المحسوسة والواو في
قوله وهي للحال والعامل ردعها وجوب الاعتساف شدة الجولان في
بيداء جلال الله وظاهر انه غير نافع في تحصيل ما لا يمكن وقوله في
ارانا الى قوله معرفته فملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة
لان اعتبارها مبدء الوجود كله فهو مبدء المالكية واعتراف عطف على عجائب
والى ان متعلق بالحاجة وقوله ما دلنا مفعول ثاني لارانا وعلى معرفته
متعلق بدلنا واستعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة الصانع في فعله كـ

الانقياد

الانقياد والاحكام والضمير في قوله فحجته يحتمل عوده الى الله تعالى
ويحتمل الى الخلق الصامت وللسالكين في سماع نطق آثار الله تعالى
ومشاهدته في مصنوعاتها مراتب ودرجات متفاوتة وقوله واشهد
الى قوله رب العالمين التفاوت وانما جعل للشبه به هو تباين
الاعضاء وتلاحمها وان كان للشبه به هو الجسم متباين الاعضاء لان
تباين الاعضاء وهو وجه الشبه المستلزم للتركيب وكان ذكره اهم
ليظهر به تنزيهه تعالى عن هذا التشبيه سريعا لبراءته عن الاعضاء
وتباينها وتركيبها فاما شهادته عليه السلام بان المشبه له غير عارف به
والاستيقن لتنزيهه عن المثل فالقرآن والبرهان مصدقان لشهادته
اما القرآن فما نبه عليه بقوله وكانه لم يسمع الى آخر الاية وحجر
الدليل ان المشبهة وعبدة الاصنام ينكشف لهم في الآخرة انهم كانوا في ضلال
في تشبيه اصنامهم برب العالمين فرب دليله هكذا المشبهون ضالون
في تشبيههم لربهم فكل من كان ضالا فيه فليس بعارف به وكذلك كل من كان
كذلك فليس بمنزه له عن المثل واما البرهان فلان المشبه له بخلقه
يلزمه الحكم عليه بلوازم خلقه من الامكان والحدوث لان لازم
المتشابهين لا يختلف وقوله كذب العادلون الى قوله عقولهم
تكذيب لهم واشارة الى تفصيل جهات عدولهم والى سبب ذلك وهو الوهم
الذي هو منشأ التشبيه اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات ولذلك لم يرتفع المشبهة
عن تشبيهه بالاصنام واتخاذ الاجسام وتجزيتهم له تجزية الجسم اذ هو ما
يلزم حكمهم بكونه جسما من اثبات الاعضاء له وتباينها وقوله واشهد الى
قوله بينا انك شهادة ثانية بالكفر على من شبهه وبينه للالتباس سند
كبراه الى كتاب الله ونصوص آياته المحكمة وبينات الانبياء وشواهد حججهم
في تلك الآيات كقوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض واما صغراه

فلان الشبه هو المثل العديل وقوله واشهد الى قوله مصرفا شهادة
ثالثة هي خلاصة الاوليين بكمال الوهية وتنزيهه عن التناهي في العقول
البشرية واحاطتها به وتشبيهه على ما يلزم تناهيه فيها من كونه ذا كيفية تثبته
العقول وتصرفه فيها الوهم والخيال ومصرفا اي محكوما عليه في ذاته
بالتجزية والتحليل والتركيب ولما كانت هذه اللوازم باطلة كان ملزومها
وهو تناهيه في العقول باطلا ومنها قوله عليه السلم قدر ما خلق فاحكم
تقديره ودبره فاحسن تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته
ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته
كيف وانما صدرت الامور عن مشيته المنشي اصناف الاشياء بلا روية فكر آل
اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور
ولا شريك اعانه على ابتداع عجايب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته
واجاب الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطي ولا اناة المتلكي
فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها
ووصل اسباب قراينها وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرايز
والهيئات بدايا خلايق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اقول
احكام تقديره خلقه على وجه الحكمة وحسن تدبيره ايجاده متقنا لاتقع
منفعته وما خلق لاجله حسنا في صورته وتوجيهه لوجهته بعثه بحسب الحكمة
والعناية الالهية الى غايته وتيسره لها ووقوفه عندها وقد سبق ان الروية
والفكر والتجربة من لواحق الانسان وهو تعالى منزه عنها في ابداع خلقه
وقريحة الغريزة قوة الفكر واذعان خلقه دخوله في حكم قدرته وذل
الحاجة اليه والريث الابطاء والتلكي التباطؤ من لواحق الجسم فكانه تعالى
منزها في خالقيته عنهما والاود الاعوجاج واقامته لاودها افادته تماما
ينبغي لها على وجه الحكمة وحدودها طرقها ونهجه لها ايضاحه لكل شيء سبيل

هي

قصده وغايته وتيسيره لذلك ووصله لاسباب قراينها كون لكل شيء له قرينة
من غريزة وطبيعة ولازم ونحوها واقتران الشيئين مستلزم لاقتران
اسبابهما وايضا هما لاستحالة قيام الشيء بدون سببه وهو مشوب ايضا
بجعل قدرته تعالى والبدايا جمع بدية وهي الخلقة المعجبة واراد هي
بدايا اي عجايب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته سبحانه وبالله
التوفيق ومنها في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها
ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين
بامره والصاعدين باعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد اذ هي
دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام
رصدا من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء
بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها و
قمرها آية ممحوة من ليلها واجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما
في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين و
الحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات
دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها واجراها على
اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سايرها وهبوطها وصعودها
ونحوسها وسعودها اقول الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة
والصدوع الشقوق ووشج بالتشديد شبك واراد بازواجها نفوسها وهي
الملائكة السماوية بمعنى قراينها وكل قرين زوج اي ربط بينها وبين نفوسها
بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا تقبلها غيره والحزونة الصعوبة و
الاشراج جمع شرج بالفتح وهي عرى العيبة التي يخاط بها وهو استعارة
الى تاليف اجزائها في صورتها ونداؤه لها حكم قدرته الالهية عليها بالكون و
الارتتاق الالتصاق وفتق صوامت ابوابها قيل بالمطر وقيل كانت كرة واحدة

فتقنا ما بينهما كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في
الجبل والرصد الذي اقامه هو الشهب وذلك ان العرب كانت تعتقد ان
الشياطين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة ثم تلقيه الى الكهنة
والسحرة فلما آن دور السير والنهي عن التكهن ونحوه لما فيه من فساد اذهان
الخلق الى الوحي الهمهم ان هذه الشهب انما جعلت رجوما للشياطين فكل
من استرق منهم رمي بشهاب وان السموات حجبت عنهم لتنقطع اوهام
الخلق عن غير الوحي وانوار النبوة وقد مر ذلك في الخطبة الاولى وتمود
تحرك واليد القوة وروي بأيده اي بما لكه وابصار آية النهار هو تمام ضياء
الشمس الذي هو مادة للابصار ومحو آية الليل هو ما على القمر من لطخ السواد
وقيل ابصار آية النهار كون نور الشمس له بهاء ومحو آية الليل كون نور القمر
مستفادا من الشمس ومناقل مجريها ومدارج درجها هي بروجها ومنازلهما
ومقاديرهما اي مقادير سيرهما واذلال تسخيرها اذ انهما مسخرة تحت حكم
القدرة الالهية كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والسيارة
هي الكواكب السبعة النيرات والخمسة المتحيرة والثوابت هي باقي الكواكب
وفلكها الثامن وصعودها طلبها لشرفها ما دام الكوكب متوجها الى قوة
شرفه فهو في الصعود والازدياد فاذا جاوزها صار في الانتقاص والهبوط
وهبوط كل كوكب يقابل شرفه ومعنى سعودها ونحوسها كون اتصالاتها
اسبابا لصلاح شيء من عالم الكون وفساده والله اعلم منها في صفة
الملائكة عليهم السلام ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى
من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته ملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق
اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس
سترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع

سبحات

سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها وانشأهم سبحانه
تعالى على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر
في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل
الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع امره ونهيه وعصمهم من ريب
الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر
قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم
منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الآثام ولم ترتحلهم
عقب الليالي والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك
الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم
الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته في
اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم
من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الابهم ومنهم
من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق
الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية
قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته
وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره
قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء
قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول
الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم
لم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال
نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولا تغض رغباتهم
فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال

تنقطع بهمس الحنين اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى
راحة التقصير في امره رقابهم لا تعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في
هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع
الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم
الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه و
مخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تأسرهم الاطماع فيؤثروا
وشيك السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا
ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان
عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا تشعبتهم مصارف
الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ
ولا عدول ولا ونا ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه
ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة
ربهم في قلوبهم عظما **اقول** الصفيح الاعلى اشارة الى الفلك التاسع
هو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له
وفجاجها طرقها الواسعة واجوازها الامكنة العالية المتسعة بها وفجوات
الفرج متسعاتها والزجل الاصوات وسميت حظاير القدس لطهارتها عن
نجاسات الجهل والحجب اشارة الى حجب الغيب او السموات واستعار لفظ السرادق
وهو الستر الذي يمد فوق البيت لما يعقل من عظمة الملائكة في تنزيههم
عن الجسمية ولواحقها باعتبارات ذلك الحد والشرف هو الحاجب لهم عنا
وكالسرادق المضروب بيننا وبينهم والرجيج الزلزلة والاضطراب وتستك
الاسماع تصم واشار بسبحات النور الى جلال الله وعظمته وتنزيهه ان يصل
اليه ابصار الملائكة ونبه بكون ذلك وراء زجيجهم على ان معارفهم لا
تتعلق به كما هو وراء علومهم اطوار اخر من جلاله وتقصر معارفهم عنها
هو

وخاصيته دليله متحير واختلاف صورهم اختلافهم بالنوع وتفاوت
اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال واستعار لفظ الاجنحة اما للقواهم
العقلية او المعارف التي يطيرون بها في بيداء جلال الله وينتحلون
يدعون صنعة شيء من خلقه وريب الشبهات الشك الواقع واخبات المسكنة
تذللها واشعر قلوبهم ذلك التواضع جعله شعارا ملازما لها واستعار لفظ
الابواب بوصف الذلة للوجوه اللايقة من تمجيده ووصف الفتح لسهولتها
عليهم لبراءة عقولهم عن معارضات النفس الامارة ولفظ المنار لما يستفيدون
به تصور صفاته اللايقة بجلاله وكماله من اللوازم والخواص وما يستفيدون
به اثبات ذلك له من البراهين والادلة ولفظ الاعلام لصفاته وما ينبغي
ان يعرف به ونفي عنهم موصرات الاثام وهي ما اثقل الظهر منها ونوازع الشكوك
وهي الخواطر المفسدة للعقائد وما يقدح في النفوس من الاحن فيهيج
الاحقاد والحمية والوسواس الشيطانية لان مبادي كل ذلك هو النفس
الامارة وعقب الليالي والايام تعاقبها والعقبة المرة من التعاقب وروي
بنوازعها بالعين المهملة وهي الحية وهو مستعار لتلك الخواطر المفسدة ايضا
والاقتراع والتقارع التضارب والرين التغطية والغلبة والدبج جمع
الدجنة وهي الظلال بالماء والسحب العالية وقترة الظلام سواده والابهم الذي
لا يهتدي فيه والهفافة الساكنة الطيبة وسبحة التخوم عروقها
ووشيجة خيفته ما خالط منها ذواتهم فاستعار وصف الظهور لكمال
عبادتهم ولفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع ونفي الاعجاب عنهم لاستلزامه
النفس الامارة والدؤوب الجد في العمل ورغبات الملائكة الشهادية اشواقها
الى كمالاتها واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات جمع اسلة وهي طرف
اللسان وقوله ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم فالهمس الخفي من الصوت اي لم
تضعفهم العبادة فتنقطع اصواتهم فتخفى بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن

الاحوال البشرية والعوارض البدنية وقوله ولم تختلف الى قوله ... استعار لفظ المقادم من ريش الطاير لما سبق وجوبه من الطاعة لمعرفته تعالى وتوحيده ولفظ المناكب وهي الريش بعد المقادم لكذا وابهم ووجه المناسبة ان الملايكة لا تختلف ذواتهم واجرامهم الفلكية في شوق ما هم من عبادة الله ومعرفته بل ما فوق لا يتزايلون في استقامة طريقهم اليه كالمناكب التالية للمقادم وعلى نظامها وترتيبها لا يختلف ... ودي مقاوم الطاعة جمع مقام وعزيمة جدهم ارادتهم الجازمة فيه واستعار وصف الانتقال لما ترمي النفس الامارة العقل من غرورها وخداعها بشهواتها فتقطعهم عما هم به من الطاعة ولا استهتار بالشي الولوع والتجاهر به والشفقة الاسم من الاشفاق وهو الخوف ويثنوا يضعفوا ويكاسلوا ووشيك الشي قريبه ونفي الاطماع عنهم لانها من عوارض البشرية وكذلك استحواذ الشيطان عليهم اي احاطته بهم وغل الحاسد اي حقده ومصارف الريب وجوه الشكوك وتشعبتهم اقتسمتهم واخياف الهمم مختلفاتها واستعار وصف الاسرا لهم باعتبار عدم تمكنهم من الخروج عن الايمان بمقتضى ذواتهم ولفظ الربقة وهي العروة في الحبل للايمان اللازم لهم وغرض الفصل تمجيد الله تعالى بخلق العالم الاعلى من الملايكة على اختلاف انواعهم وما هم من الكمال والاشراف على ساير الموجودات وقد نبهنا على تاويلات ضعيفة عساها تصار الى بعضها في الاصل والله اعلم منها في صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة

في لجة تيارة وردت من نخوة باوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها في سهوب بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى انشا لها ناشية سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العب المحمول عليها اخرج به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره اختار آدم عليه السلم خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يوكد عليهم حجة

ربوبيته وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً حتى تمّت بنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم حجّته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج أفراحها غصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجاً لأشطانها قاطعاً لمرائر أقرانها عالم السرّ من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين ومسارق إيماض الجفون وما ضمنته أكنان القلوب وغيابات الغيوب وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع ومصائف الذرّ ومشاتي الهوامّ ورجع الحنين من المولهات وهمس الأقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الأكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها ومختبأ البعوض من سوق الأشجار وألحيتها ومغرز الأوراق من الأفنان ومحطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب ومتراكمها وما تسفي الأعاصير بذيولها وتعفو الأمطار بسيولها وعوم بنات الأرض في كثبان الرمال ومستقرّ ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار وما أوعته الأصداف وحضنت عليه أمواج البحار وما غشيته سدفة ليل أو ذرّ عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات الأنوار وأثر كلّ خطوة وحسّ كلّ حركة ورجع كلّ شفة ومستقرّ كلّ نسمة ومثقال كلّ ذرّة وهماهم كلّ نفس هامّة وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة أو نقاعة دم ومضغة أو ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه سبحانه وتعالى في ذلك كلفة

ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه وأحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله اللهم أنت أهل الوصف الجميل والتعداد الكثير إن تؤمّل فخير مأمول وإن ترج فأكرم مرجوّ اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ولا أثني به على أحد سواك ولا أوجّهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكلّ مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلّتها إلا منّك وجودك فهب لي في هذا المقام رضاك وأغننا عن مدّ الأيدي إلى سواك إنّك على كلّ شيء قدير أقول

هذا الفصل يشتمل على فصلين الفصل الأول في تمجيد الله سبحانه وتعالى باعتبار خلقه الأرض وجملة من أحوالها وإعداده فيها تمام مرافقها وخلقه تعالى لآدم وذرّيته بعد ذلك في معرض الامتنان عليهم بذلك وهو قوله كبس الأرض إلى قوله طرقها واستعار وصف الكبس لخلقها في وسط لجّة الماء والمور التحرّك واستعار لفظ الاستفحال للموج ملاحظة لشبهه بالفحل عند صياله والأواذي جمع آذيّ وهو ما عظم من موج البحر والأثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها واستعار لفظ الجماح لحركة الماء على وجه لا يملك والارتماء التقاذف والتردد والتمعّك التمرّغ واستعار لفظ الكلكل وهو الصدر للأرض والمتهدّي الخاضع وامتطاء الأمواج غلبتها والساجي الساكن واستعار لفظ الحكمة وهي ما أحاط من

اللجام بخنك الدابة لامر الله بتسكينه والمدحوة المبسوطة والتيار الموج
والبثو الفخر وشموخ الانف كناية عن التكبر والعلو تجاوز الحد وكعمتر
ستة فاه والكظة شدة الامتلاء والنزفات جمع نزفة وهي الخفة ولبد
لصق بالارض وهمد سكن والزيفان التمايل والاكتاف الجوانب والبذخ
العالية والعرنين على الانف ملتقى الحاجبين ولفظ مستعار لاعالي
الجبال والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء
وهي الفلاة ايضا والجلاميد الصخور والشناخيب روس الجبال
والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة واديمها سطحها والتسرب الدخول
في اسرابها واغماقها وجراثيم الارض اعاليها والمنتسم المستنشق والمرافق
المنافع وارض جرز لا نبات بها لانقطاع الماء عنها والمع القطع
وكذلك القزع والكفتر بالضم ما استطال من السحاب وما استدار
فبالكسر وميضه ضياوه والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام
الابيض والسح الصب واسف دنا من الارض لثقله وهيد بره ما تدلى
منه الى الارض اي تدلى وتموبره تستخرج ماءه ودرة اللبن كثرته
وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب وهو حلبات القطر بعد القطر
والشآبيب جمع شوبوب وهو الدفعة القوية من المطر والبرك الصدر
والبواني ما يليه من الاعضاء وهو مستعار لما ثقل من المطر وبعاع السحاب
ثقله بالمطر والعبو الثقل وهوامد الارض ما لا نبات به كانها ساكنة
من الحركة بالنبات تعالى وترى الارض هامدة الآية وجبلة
زعراء لا نبات بها وتردهي تزداد وتكثر والريط جمع ريطة وهي الازاهير
النيرة وسمطت زينت بالسمط وهو العقد وروي بالشين المعجمة اي
خلطت والفجاج الطرق الواسعة والمنار الاعلام وارادت الجبال والجبلة
الخلقة واراد بالجبلة الانسانية واوعز اليه بكذا امره به وما نهاه عنه

هو الاقدام على النحس واكلها وقربا نصب على البدل من الضمير في قوله
تعالى هدهم والمقطع الغاية وقد تكررت قصة آدم عليه السلم وعقابيل
المرض والفقر بقاياه والاتراح الاحزان واستعار لفظ الاسباب وهي
الحبال لما امتد من الآجال والحلج الجذب وكذلك استعار لفظ الاشطان
والمرائر والاقران جمع قرن وهي الحبال لما امتد منها وباقي الفصل
ظاهر وان تعلقت به فوائد خارجة عن المتن ذكرناها في الاصل الفصل
الثاني في تمجيد سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وعدمن
جزئياتها جملة تشهد باحاطة علمه وكماله وهي قوله عالم السر الى
قوله اهله والخافت الساكت واستعار لفظ الزجر باعتبار الوحي لظن
كما يرمي بالحجر ونحوه وعقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من
العزم عن يقين واستعار لفظ المسارق لمخارج اللحظ من العيون
على غير ورود وروي مشارق بالشين المعجمة والغيابة ظلمة قعر البئر
واستعار لفظ الاكنان والغيابات للغيوب باعتبار ما خفي فيها من
الاسرار ومصائخ الاسماع خروقها ورجيع الحنين ترديده والمولهات
النوق فقدت اولادها والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر
هو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الاندراع ولحي الشجر
قشرها والامشاج النطف مختلطة بالدم وبنات الارض حشراتها واستعار
وصف العوم باعتبار دخولها في اعماق الرمال والشناخيب روس الجبال
والدياجير جمع ديجور وهو الظلام ووصف الحضن مستعار لاشتمال
امواج البحار على ما اشتملت عليه والسدفة الظلمة وذر طلوع وسبحات
النور مضافة واثر عطف على المجرورات السابقة والهمهمة الصوت الخفي
والنفاعة نقرة يجتمع فيها الدم وكنى بها عن الادغام واعتورته احاطت
به والتعداد الكثرة تعداد اعتبارات وصغر بالنسبة الى عظمة الله

اذ كان لم يتكلّف تنبيه الى كل جري منها مدحة وثناء واستعار لفظ معادن
الجنّة للناس باعتبار انّهم مظنّة رد الطالب ومواضع التمسك في ذلك
وباقي الفصل ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
لما اراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه دعوني والتمسوا
غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا
تثبت عليه العقول وان الآفاق قد اغامت والمحجّة قد تنكّرت واعلموا
اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب و
ان تركتموني فانا كاحدكم ولعلّي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا
لكم وزيرا خير لكم مني اميرا **اقول** اراد بذلك الامر ما كان يعلم من اختلاف
الناس عليه بضروب الشبه الفاسدة وفتنتهم واستعار لفظ الوجوه
والالوان للفتن والاختلافات ووصف الغيم لما غشي البلاد من ظلمات
الظلم وتغيّر الشريعة ووصف التنكر لتغيّر طريق الشريعة وجهل
الناس بها واهمالهم لسلوكها ولا تقوم له القلوب لا تثبت عليه بل
تنفر منه لمخالفته ووزيرا واميرا حالان والعامل فيهما هو العامل في لكم
وكونه خيرا لهم في وزارته لانه في امارته يحملهم على ما يكرهون دون حال
وزارته والله اعلم ومن خطبة له عليه السلم امّا بعد ايها الناس فقد
فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج
غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل ان تفقدوني فو الذي نفسي بيده
لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة
وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط
رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا او يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني
ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير
من المسؤولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمّرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم

ضيقا

ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان
الفتن اذا اقبلت شبّهت واذا ادبرت نبّهت ينكرن مقبلات ويعرفن
مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطين بلدا الا ان اخوف
الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها
وخصّت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطا البلاء من عمي عنها وايم
الله لتجدنّ بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم
بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درّها لا يزالون بكم حتى لا
يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضائر ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون
انتصار احدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربّه والصاحب من مستصحبه ترد
عليكم فتنتهم شوهاء مخشيّة وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى
ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها
الله تعالى عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم
بكاس مصبّرة لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك
تودّ قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور
لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه **اقول** اراد بالفتنة فتنة
اهل البصرة واستعار وصف فقء العين لقتله وقتل اهل بيته
فتنتهم وقوله ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري لان الناس كانوا
لا يجسرون على قتال اهل القبلة ولا يعلمون كيفية قتالهم هل
يلحقون بالكفار في اتباع مدبرهم والاجهاز على جريحهم وسبي ذراريهم
واموالهم اذا انفوا امرهم حكما حتى اقدم عليه السلم على قتالهم وقتلهم
وعلّمهم كيف يصنع بهم واستعار لفظ الغيهب وهو الظلمة لتلك الفتنة
باعتبار التباس الحق فيها والكلب الشر واستعار اوصاف الابل ولواحقها
الناعق والقائد والسائق والمناخ والركاب والرحال للفئة الهادية و

المضلة والمهدية والفتنة باعتبار انقياد هم لدعاتهم وحوازب الامور ما عظم منها واهمه اطراق التائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وكيفية الخلاص في الدين وقوله وذلك اشارة الى قتل المسولين واستعار وصف التقلص وهو التقبض للحرب ملاحظة لشبهها بالحية في التبعي المشمر ثوبه وبقيته لا ابرار من قبلهم من دولة بني امية في دينهم ومنه يولده اهل طاعة الله وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي تكون في مبدا امرها مشابهة للحق في اذهان الخلق فاذا ادبرت نبهت اذهانهم على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج واضطراب الامر وقوله ينكرون الى قوله مدبرات تفسير له واستعار وصف الحوم لها فرانها الموهوم وقوعها على قضاء الله تعالى من دعاة الضلال في بلد دون بلد ملاحظة لشبهها بالطاير وقوله الا ان اخوف الفتن الى اخره انما كانت هذه اخوف الفتن لشدتها وطول مدتها وانهدام قواعد الدين بها فاستعار لها لفظ العمياء لانها لا يهتدي فيها للحق او لجريانها على غير طريق شرعي كالاعمى في طريقه وكذلك لفظ الظلمة وعموم خطتها الكناية عن احاطتها وشمولها للناس وخصت بليتها باهل التقوى من شيعته عليه السلم ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام ومن ابصر فيها اي علم كونها فتنة كان منها في بلاء مع نفسه بالحزن الطويل لمشاهدة المنكرات ومن ائمة الضلال تتبع من انكر افعالهم بالقتل والاذلال فكان البلاء به اخص واما من عمي عن كونها فتنة حتى خبط معهم في ضلالهم اخطاه بلاؤهم وشبههم عليه السلم في افعالهم الرديئة بالناب الضروس وهي الناقة المسنة التي تعض حالبها ووجه شبه انتصارهم من ائمة الضلال بانتصار العبد من سيده وعدم انتصافه منه الا في الغيبة والسب في الخلوة والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر

[illegible]

واستعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا وشرعا ولفظ المنار وهو العلم لامام العادل باعتبار الهداية به وقوله نحن اهل البيت منها بنجاة اي من آثامها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاها ومن يومها خنقا اشارة الى بني العباس فظهورهم عليهم واستيصالهم واستعار لفظ الكاس المصبرة لمرارة ما يفعل بهم وما لهم به ووصف الاحلاس لالزامهم البلاء حتى يظهر عليهم والحلس كساء رقيق يوضع تحت قتب البعير وقوله حتى الى اخره اشارة الى ما ينتهي اليه هذه الفرقة المتغلبة من قريش من الرذائل والضعف الى ان يتمنوا رؤيته مقاما واحدا وروي ان مروان بن محمد اخر ملوك بني امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس مارا به في صف خراسان لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذي لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي اقول الحدس في اللغة الظن وفي الاصطلاح سرعة انتقال الذهن من المبادي الى المطالب وقد مر تفسير اوليته واخريته سبحانه وتعالى منها فاستودعهم في افضل مستودع واقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وسلم فاخرجه من افضل المعادن منبتا واعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره

ورايته بريق لمعه وسيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل
أرسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة من الأمم اعلموا
رحمكم الله على أعلام بيّنة فالطريق نهج يدعوا إلى دار السلام وأنتم في
دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة والأقلام جارية والأبدان
صحيحة والألسن مطلقة والتوبة مسموعة والأعمال مقبولة أقول
الإشارة إلى الأنبياء عليهم السلام وأفضل مستودع استودعهم فيه أما
نفوسهم فحظائر القدس ومنازل الملائكة وأما أبدانهم ففي مقعد صدق
عند مليك مقتدر وأصولها فكرائم الأصلاب التي هي مستودع النطف
والأرحام المطهرات التي هي مقارّها والشيعة يطهرون أصول الأنبياء
والأئمة عليهم السلام من طرفي الآباء والأمهات عن الشرك وإليه
أشار النبي صلى الله عليه وسلم نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى
الأرحام الزكية وأفضت انتهت وكنى بكرامة الله تعالى عن النبوة و
استعار وصف المعدن والمغرس والمنبت لطينة النبوة وهي
مادته العنصرية التي استعدت لقبول مثله وقيل أراد بذلك مكة
وقيل بيته وقبيلته والأرومة الأصل ولفظ الشجرة لقريش وعترة
الرجل نسله وأسرته قومه ووجه أفضلية عترته قوله صلى الله عليه
وسلم سادة أهل المحشر سادة أهل الدنيا أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة
وجعفر ووجه أفضلية أسرته قوله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى
من العرب معدًا واصطفى من معد بني النضر بن كنانة واصطفى هاشمًا من
بني النضر واصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس تبع
لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم وقيل أراد بالشجرة في المومنين
ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقيل أراد هاشمًا وولده بفروعه قوله نبتت
في حرم وأراد مكة وبسقت طالت وكونه وعماءه مثله عليه السلم وذريته

بوصفهم بالطوال عن بلوغهم في الشرف الغاية البعيدة واستعار وصف
الثمرة لكمالهم الذي لا يدرك من العلوم والأخلاق الكريمة واستعار
وصف المصباح والسراج والشهاب والزند له باعتبار كونه سبب هداية
الخلق بأنوار الدين والفصل الفاصل بين الحق والباطل والهفوة الزلة
والغباوة الجهل واستعار وصف الأعلام لأئمة الدين ودلائله الواضحة
وطريق نهج واضح ودار مستعتب أي يمكن فيها طلب العتبى وهو الرجوع إلى
الحق وقيل أي دار تمكنهم فيها أن يطلبوا من الله العتبى وهو الرضى والعفو
عنهم والمنشورة صحف الأعمال والجارية أقلام الكرام الكاتبين وبالله
التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ومن خطبة له عليه السلام بعثه الله
والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الأهواء
واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال من
الأمر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وسلم في النصيحة ومضى على
الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة أقول الخبط المشي
على غير طريق وروي خابطون وهو مستعار لجمعهم في فتنتهم ما لا
ينبغي من أقوال وأفعال واستزلتهم استخفتهم والجهلاء وصف مما
اشتق من الموصوف تأكيدًا كما قال ليل أليل والطريقة التي مضى
عليها سبيل الله ودعوته إلى الحكمة والبرهان وإلى الموعظة الحسنة
بالخطابة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد
لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء
فوقه والباطن فلا شيء دونه أقول المراد بالظاهر هنا العالي
لتأكيده بنفي الفوقية عنه والباطن هو الذي بطن خفيات الأمور
على وهو أقرب الأشياء إليها بهذا الاعتبار فلذلك سلب ما هو دونه أي
ما هو أقرب إليها منه وقد سبق بيان هذه الاعتبارات ومنها في ذكر

الرسول صلى الله عليه وسلم مستقره خير مستقر ومنبته اشرف منبت في
معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت
اليه ازمة الابصار دفن به الضغائن واطفأ به النوائر والف به اخوانا
وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته
لسان اقول مستقره مكة وهي خير مستقر لكونها ام القرى ومحل
العبادة والخلوة بالله تعالى والسلامة من عذابه ويحتمل ان يريد ما
يتقلب فيه وينشأ عليه من مكارم الاخلاق والممهدة للسلامة من سخط
الله ونبه بقوله قد صرفت تنبيه على ان الصارف لافئدة الابرار
اليه هو لطفه وعنايته سبحانه وتعالى بهم وثنيت اي صرفت والاقران
المفترقون هم المتالفون على الشرك والذلة التي اعزها به ذلة المسلمين
والعزة التي اذلها به عزة المشركين وقوله صمته لسان اي سكوته
مما يفيد ما يفيد الكلام فان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا فعلوا افعالا
على عادتهم فسكت عنه صلى الله عليه وسلم علموا انه مباح في الدين فاشبه
ذلك البيان باللسان فاستعار لفظه له ومن كلام له عليه السلام
ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه
وبموضع الشجى من مساغ ريقه اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء
القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم
وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم
رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا
وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا شهود كغياب وعبيد كارباب
اتلو عليكم الحكم فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون
عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى اراكم متفرقين
ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة

ترجعون

فترجعون الي عشية كظهر الحنية عجز المقوم واعضل المقوم ايها الشاهدة
ابدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم
صاحبكم يطيع الله عز وجل وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام يعصي الله
وهم يطيعونه لوددت والله ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم
فاخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلا منهم يا اهل الكوفة منيت منكم
بثلاث واثنتين صم ذوو اسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو ابصار لا احرار صدق
عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب
عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر والله لكاني بكم فيما
اخال لو حمس الوغا وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج
المرأة عن قبلها اني على بينة من ربي ومنهاج من نبيي واني لعلى
الطريق الواضح القطه لقطا انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم و
اتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا
فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتاخروا
عنهم فتهلكوا لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما ارى احدا
يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا وقد باتوا سجدا وقياما يراوحون
بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان
بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل
جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء
للثواب اقول المرصاد الطريق يرصد بها والشجا الغصص وقوله ولئن
امهل الى قوله ريقه في معرض الوعيد لمعاوية اهل الشام باخذ الله وعقوبته
والقوم اهل الشام وشبههم في شهودهم للغياب لعدم فائدة خطابهم
وبالارباب مع كونهم رعية لان من شان الرعية التعبد لامرائهم ولان فيهم
عبيدا ووجه الشبه كونهم لا ياتمرون لاميرهم وايادي سبا مثل وهما

اليمان جعلوا اسماوهما المعدي كرب وسبا قبيلة من اولاد سبا ابن يشجب بن
يعرب بن قحطان وهذه القبيلة كانت بمارب وقصتهم في تفرقهم
مشهورة يضرب بها المثل وشبه رجوعهم عن الصلاح بظهر الجنية وهي
القوس والفصل النصل وانما قال بثلاث واثنتين لتناسب الثلاث
وكون الثنتين من نوع واحد والثلاث اثبات والثنتين سلب و
استعار لهم وصف الصم والبكم والعمي باعتبار عدم انتفاعهم بهذه
الالات في طاعة الله تعالى ولا احرار صدق لعدم خلوص حريتهم من
الجبن والغش وتربت اصابت التراب وهو دعاء بالخيبة والحرمان
ويروى عوض جمعت حييت اي جمعت ايف واضر احيب وحمس الوغا
اشتدت الحرب ولقط الطريق اذا مشى على بصيرة وتؤدة ويلزم ذلك ان
يعرفها خلاف المستعجل فيها ولبدوا واسكنوا وارادوا ان سكنوا عن طلب
الامر فاتبعوهم في ذلك وان نهضوا في طلبه فانهضوا ولم تسبقوهم
الى الامر لم يتقدموا فيه فان التقدم على الدليل مظنة الضلال عن
القصد وان لا يتأخروا عنه امساك اوامرهم بالمخالفة لهم او عدم اتباعهم
والتعب الغير كنا يترك متابعتهم وتركهم لزينة الدنيا وكنى بوقوفهم على مثل
الجمر عن خوفهم بذكر معادهم والله اعلم ومن كلام له عليه السلم والله
لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا
يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان
باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم
كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون
اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فاقبلوا وان
ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين اقول اشارة لبني امية فانهم
لا يزالون ظالمين وذكر لظلمهم ست غايات وهي ظاهرة واستحلوه

استحلوه

استحلوه استعملوا الحلال من غير تأثيم والعقد من عقود الدين وما عقد
الله تعالى من حدوده ونبا به المنزل اذا لم يوافقه واراد ان سوء رعيهم
الخلق يوجب نبو منازلهم بهم واشار الى وجه شبه انتصارهم منهم
بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ولما كان احسن الناس
ظنا بالله ابعدهم عن الظالمين كان اعظمهم في دولتهم عناء وتعبا
واراد العافية من ابتلاء بشرورهم لبعض الناس القائم عدل
مخلص من فتنتهم والفصل ظاهر وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلم نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعا فاة
في الاديان كما نسأله المعافاة في الابدان اوصيكم عباد الله بالرفض لهذه
الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسادكم وان كنتم
تحبون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنهم قد
قطعوه وامّوا علما فكأنهم قد بلغوه وما عسى المجري الى الغاية ان يجري
اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث
يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا
تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها
وزينتها الى انقطاع ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل
مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى فناء اوليس لكم في آثار الاولين وفي
آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون اولم تروا الى الماضين
منكم لا يرجعون والى الخلف الباقي لا يبقون اولستم ترون اهل
الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى و
صريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه
وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضين يمضوا الباقين الا فاذكروا هادم
اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة

واستعينوا بالله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه
اقول خصص الحمد بما كان لان شكر النعمة مرتب على وقوعها والاستعانة بما
يكون لان طلب المعونة انما هو فيما يتوقع فعله ولما كان للاديان سقما
اشد من سقم الابدان وهو مرض النفوس بداء الجهل ورذايل الاخلاق
سال العافية فيها ورفض الدنيا تركها والسفر المسافرون وفايدة كان في
المؤمنين تقريب الاحوال المستقبلة من الاحوال الواقعة وكم عني
وما عنى استفهام وتحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا وكنى بالطالب الحثيث
عن الموت واستعار وصف الحدو لما يتوهم من سوق اسباب الموت اليه
وما في قوله ما نحيي مصدرية وكنى بهادم اللذات عن الموت والمساوقة
المواثبة وانما اتى بوزن المفاعلة باعتبارات الفعل القبيح لا بد فيه من
مانع كوازع الشرع والعرف فيتوهم فيه معنى المواثبة وباقي الفصل ظاهر
والله اعلم ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الذي الناشر في الخلق
فضله الباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية
حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره
صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من
تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء
القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه
الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم و
يضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر فان المدبر عسى ان تزل
احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا الا ان مثل آل محمد
صلى الله عليه وسلم كمثل نجوم السماء اذا خوى منها نجم طلع نجم فكانكم قد تكاملت من
الله فيكم الصنايع واراكم ما كنتم تاملون اقول لفظ اليد مجاز في النعمة
اطلاقا لاسم السبب على المسبب وافتتح الفصل بما يكون به من امر الايمة والهدى

الحي

الشق وذلك انه صلى الله عليه وسلم صدع بامر الله بيضة الشرك وشق
عصا المشركين وقطع ما اتصل من شركهم وكفرهم وداوم من عقايدهم الباطلة
واستعار لفظ الراية لكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلوة والسلم واشار
بتقدمها الى طرف الافراط من فضيلة الاستقامة عليهما وبالتخلف عنهما الى طرف التفريط
منها والتقصير وكنى بمكيث الكلام عن نفسه عليه السلم اذ كان هو الهادي بالكتاب
والسنة الى سبيل الله كما يهتدى حامل الراية لرايته بها وكنى بكونه مكيث
الكلام بطيء عن تانيه في حركاته في الامور الى حين تبين الراي الاصلح
وبسرعة قيامه عن مبادرته الى الامر حين ظهور وجه المصلحة فيه و
انتهاز للفرصة وبالانتم رقابهم له عن خضوعهم لطاعته وباشارتهم
اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعيينه وتعظيمهم له وتنبيه بقوله
فلبثتم بعده ما شاء الله على انهم يخلون عن امام يجمعهم مدة وازاد مدة
دولة بني امية وبقوله حتى يطلع الله الى قوله نشركم على انه لا بد لهم
بعد تلك المدة من يخص بجمعهم وطلوعه ظهوره وتعينه للرياسة بعد
اختفاء فقيل هو الامام المنتظر وقيل هو قايم بني العباس بعد بني امية
وقوله فلا تطمعوا في غير مقبل اي من لم يقبل على طلب هذا الامر ممن هو
اهله واكثر الخلق بالله ولا تطمعوا فيه فان له بالله شغلا وقيل اراد
بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون
امير الكم وروى فلا تطعنوا في عين مقبل اي من اقبل عليكم من اهل
البيت طالبا لهذا الامر وهو من اهله فلو نوازعوا اهله معه وكنى عن دفعه
عما يريد وقوله ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعا اي من ادبر عن
طلب الخلافة من اهلها فلا تيأسوا من عوده الى الطلب فساد انما ادبر لاختلال
بعض الشرايط التي يتعين عليه معها القيام واشار بزوال احدى قايمتيه الى
فقد لبعض الشرايط كعدم الناصر ونحوه وبثبات الاخرى الى وجدانه لبعضها

طلع نجم

ونقول به فرجعا تحقق ثبتنا الى تكامل شرايط قيامه واراد بآل محمد الائمة منهم قالت الامامية هم الاثنى عشر من اهل البيت عليهم السلام واراد بالوجه شبههم بالنجوم بقوله كلما خوى نجم اي سقط للمغيب اي كلما خلا سيد منهم قام بالامر بعده سيد والامامية يستدلون بذلك بعد بيان عصمته عليه السلام على انه لا يخلو زمان من ازمنة التكليف عن وجود قائم من اهل البيت يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقوله فكانكم الى آخره تنبيه على منة الله تعالى عليهم بامام منتظر يظهر فتصلح بوجوده احوالهم ويكمل به نعم الله عليهم الاول قبل كل اول والآخر بعد كل آخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته وجب ان لا آخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي الامي صلى الله عليه وسلم ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطأته عضت الفتنة ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قريب تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود **اقول** المقصود لما كان معنى اوليته سبحانه وتعالى كونه مبدأ لكل موجود ومعنى آخريته كونه غاية ينتهي اليها كل شيء في جميع احوال علم من ذلك انه لا اول له ولا آخر والا لم يكن اولا وآخرا بالمعنيين المذكورين ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم واستهواه استماله والضليل كثير الضلال قيل هو

اشارة

95

اشارة الى السفياني او الدجال وقيل اراد به معاوية فان مبتدا دولته بالشام ودعوته بها وانتهت غاراته الى نواحي كوفان والانبار وكوفان اسم للكوفة والضواحي النواحي البارزة وفحص الطاير بجناحه الارض عنها وفغر فوه انفتح وهو كناية عن اقدامه وقوة طمعه في اخذ الناس واشتداد شكيمته قوة باسه وشدته وقيل اراد عبد الملك بن مروان واستعار وصف العض للفتنة باعتبار شدتها ولزومها للناس ورشح بذكر الانياب والكلوح تكشر في عبوس هو مجاز في الشدة والكدح فوق الخدش وكنى بزرعه عن اذى الفتنة وايناع الزرع ادراكه واستعار ومقه لتمام فعله ولفظ الشقاشق والبروق لحركاته الهائلة واحواله المخوفة واراد ان هذا الخارج اذا تمت فتنته اثارت فتنا كثيرة بعضها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل المظلم باعتبار انه لا يهتدى فيها للحق كما لا يهتدى في الظلمة وبالبحر الملتطم باعتبار غلطها واشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة من الوقايع والفتن واستعار وصف القاصف والعاصف لما يمر بها من الشدايد كالريح وقد وقع فيها وفق اخباره فتن كثيرة ووقايع جمة كفتنة الحجاج والمختار وغيرهم واشار بالتفاف بعض القرون ببعض الى اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم وصف الحصد والحطم ملاحظة لشبههم بما يحصد من الزرع والله تعالى اعلم

يلة

ومن خطبة يجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا **اقول** الفصل اقتصاص لبعض احوال يوم القيامة ونقاش الحساب الاستقصاء فيه والجمهم العرق بلغ منهم الافواه وهو كناية عن غاية الشدة ومنها فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تاتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها اهلها قوم شديد

كلهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون
وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا
رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر اقول
انذر في هذا الفصل بما سيقع بعده من الفتن وخص فتنة صاحب
الزنج بالبصرة وشبهها بقطع الليل المظلم في كونها لا يهتدي فيها
لوجه الخلاص منها وكنى بكونها لا يقوم لها قائمة الى قوله رايه عن
شدتها واراد بقلائدها ازمتها وبراكبها اعوانه فيها استعارة وكنى بحفزها
وهو سوقها وجهدهم سرعتهم فيها استعارة اوصاف الناقة المركوبة لغاية
استتطالها في الفتن واهلها الزنج وكلهم شرهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا
اهل حرب وعدة وخيل ووصف مقاتليهم باوصاف المتقين يحتمل
ان يريد بمجاهدتهم في الله اخلاص هممهم في دفعهم وهلاكهم وظاهر
انه لم يكن للزنج رهج وهو الغبار ولا حس اذ لم يكن لهم خيل ولا قعقعة
لجم وظاهر انهم من نقم الله تعالى للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص
الفتنة الناس لتقويم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة والموت الاحمر كناية عن القتل بالسيف وقيل ذلك اشارة
الى الطاعون ووصف الجوع بالاغبر لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه وغير
التحسن وقيل لانه يلصق صاحبه بالغبراء ووقعة الزنج معروفة مشهورة و
الله اعلم ومن خطبة له عليه السلام انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين
فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن
لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدري ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب
بالحزن وجلد الرجال فيها منسوب الى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم
فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرا تفكر فاعتبر واعتبر فابصر فكان ما
هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكان ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل

وكل

وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت دان اقول نظر الزاهدين
فيها الصادفين عنها نظر الاحتقار لها والاعراض عنها والثاوي المقيم
بها فالجلد القوة والوهن في قوله لقلة ما يصحبكم للتعليل اي لا يغرنكم
كثيرها لان الذي يصحبكم من ذلك قليل كالكفن ونحوه والاعتبار ما يفيد
حركة الفكر الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة وبالا يضار
ما يلزم ذلك الانتقال من ادراك الحق ومشاهدته ببصر البصيرة ثم
افاد بالتشبيه الاول تقريب حصول وجود متاع الدنيا من عدمه وبالتشبيه
الثاني تقريب حصول عدم الاحوال الاخروية من وجودها ونبه على ذلك
بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله وكل متوقع آت الى آخره ومنها
العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان من ابغض الرجال
الى الله لعبد وكله الله الى نفسه جائر عن قصد السبيل سائر بغير دليل
ان دعي الى حرث الدنيا عمل وان دعي الى حرث الآخرة كسل كان ما عمل
له واجب عليه وكان ما ونى فيه ساقط عنه اقول خص العالم فيمن عرف
قدره لان ذلك يستلزم معرفته بنفسه ونسبتها الى العالم ومقدار رتبته
من خلق الله تعالى وفي ذلك تمام العلم ويلزم من ذلك ان من لم يعرف قدره
لم يكن عالما لان سلب اللازم يستلزم سلب الملزوم فيكون اذا جاهلا
واشار الى قوة ذلك الجهل بقوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره و
اراد بالدليل ما يهدي الى الحق من امام او كتاب او سنة وما عمل له هو الدنيا
وما ونى فيه حرث الآخرة والعمل واضح ومنها وذلك زمان لا ينجو فيه الا
كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد اولئك مصابيح
الهدى واعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر
اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته ايها الناس سيأتي
عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه ايها الناس ان الله تعالى

قد اعاذكم من ان يجور عليكم ولم يعذكم من ان يبتليكم وقد قال اجل من قائل ان في
ذلك لآيات وان كنا لمبتلين قال السيد رحمه الله اما قوله كل مؤمن
نومة فانما اراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذي
يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذي اذا سمع
لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه و
يلغو منطقه اقول ذلك اشارة الى زمان بني امية وما بعدها او ليكون رع
الى كل مؤمن وروي نومه بسكون الواو وهو الضعيف واستعار لهم وصف
المصابيح والاعلام لهداية الخلق بهم في سبيل الله وكفات الاناء كبته لوجهه
واستعار وصف الكفاء للاسلام باعتبار صرفه وجه الانتفاع به كما يقلب ما
في الاناء من ماء وغيره وذلك وجه الشبه فاعاذة الله تعالى لعباده من الظلم
في قوله وما ربك بظلام للعبيد ومن كلام له عليه السلم اما بعد
فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا
يدعي نبوة ولا وحيا فقاتل بمن اطاعه من عصاه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم
الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته
الا هالكا لا خير فيه حتى اراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم
واستقامت قناتهم وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها واستوسقت
في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وايم الله لابقرن الباطل
حتى اخرج الحق من خاصرته قال السيد قد تقدم مختار هذه الخطبة الا
انني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان فاوجبت
الحال اثباتها اقول الحسير الذي اعيا في طريقه وقوله يحسر الى قوله
لا خير فيه يصف مكارم اخلاق الرسول عليه الصلوة والسلم من الشفقة على الخلق
ومنجاتهم هداهم بالاسلام وهو محل نجاتهم من عذاب الله ومحلتهم مقامهم من
الدين والملك وبواهم اقامهم ذلك المقام واوصلهم اياه والرحا القطعة من

الارض تستدير كذا تقع على ما حولها واستعار لفظها لحالهم باعتبار اجتماعهم
وانتظامهم على عيش هنيء والضمير في ساقتها للعرب وحذافيرها جميعها واستوسقت
انتظمت في دخول الاسلام واستعار وصف البقر لتفريق الباطل عن الحق وتمييزه منه
ولفظ الخاصرة ترشيح للاستعارة وباقي الفصل ظاهر تمام ومن خطبة
له عليه السلم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم شهيدا وبشيرا ونذيرا خير
البرية طفلا وانجبها كهلا اطهر المطهرين شيمة واجود المستمطرين ديمة
فما احلولت لكم الدنيا في لذتها ولا تمكنتم من رضاع اخلافها الا من بعد ما
صادفتموها جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة
السدر المخضود وحلالها بعيدا غير موجود وصادفتموها والله ظلا ممدودا الى
اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدي القادة عنكم
مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم
ثائرا ولكل حق طالبا وان الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله
الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم بالله يا بني امية عما قليل
لتعرفنها في ايدي غيركم وفي دار عدوكم الا ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير
طرفه الا ان اسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله ايها الناس استصبحوا من
شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر عباد
الله لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا لاهوائكم فان النازل بهذا المنزل نازل
بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع لرأي يحدثه بعد
رأي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب فالله الله ان تشكوا الى من
لا يشكي شجوكم ولا ينقض برايه ابرامكم انه ليس على الامام الا ما قد حمل من امر ربه
من الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والاحياء للسنة واقامة الحدود على
مستحقيها واصدار السهمان الى اهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن
قبل ان تشتغلوا بانفسكم عن مستثار العلم من عند اهله وانهوا عن المنكر وتناهوا

عنه فاتمّا امره بالنبي بعد التناهي **اقول** الفصل غاية الكلام سبق فيه ذكر
العرب وما كانت عليه من سوء الحال والتخابر الكرم والشيمة الخلق واستعار
له لفظ الديمة وهي المطر الذي لا رعد له ولا برق باعتبارها بيده جود صلى
الله عليه وسلم وكان اذا انصرف وآوى الى البيت فلو يجد فيه شيئا من ذهب او
فضة الا تصدق به فلم يبت في بيته شيء منه وشيمة تميز واصلي على
والخطاب للعرب واستعار لفظ الاخلاف جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة لوجوه
المطالب والمكاسب من الدنيا ووصف الناقة من جولان الخطام وقلق الوضين
وهو حزام القتب باعتبار عدم صلاح الدنيا لعدم الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن يجري الامور على سنن الحق ووجه الشبه بالسدر المخضود تحلله
الحرام واستعار لها لفظ الظل باعتبار كون ما ينتفع به منها في معرض الزوال
ولفظ الشاغر باعتبار خلوها عن مدبر يقال بقيت البلاد شاغرة برجلها
اذا خلت عن مدبرها وقوله وان الثأر الى قوله وهو اسرع تعاير يريد
ان دماؤهم عليهم السلام ودماء غيرهم ممن عصم دمه يجري مجرى الحق
لله في انه لا بد من طلبه وهو الحاكم المطلق فهو الثائر بها المنتصر كالحاكم بحق
نفسه لها وذلك في معرض الوعيد والضمير في قوله لتعرفنها للدنيا او
للامر واستعار لفظ المصباح لنفسه ورشح بذكر الشعلة ووصف المتح
لاستعادة العلوم منه والماتح جاذب الدلو من البير ولفظ العين له ووصف
ترويتها من الكدر براءة نفسه القدسية من شوائب شبه الباطل واشار بعذا
المنزل الى مقام الركون الى الجهل والانقياد للهوى وامثل جائر اي منهم
وارادات الباني لاموره على جهالة في معرض ان لا يتم عمله لكونه على غير اصل
والردي الهلاك وازاد ينقله من موضع الى آخر اي المشير بالرأي عن جهل
منه يشير على من شاوره بما يلزم اداه وهلاكه ثم ينقل ذلك الرأي المهلك الى
غيره فيكون كناقل الهلاك من واحد الى آخر لرأي يحدث بعد رأي وقوله

بعد

يريد الى قوله يتقارب اي يريد مثله يصلح بين الناس كما كان يشير به بعض
اصحابه ممن لا يرى الحرب بينه وبين معوية مع مخالفة ذلك الصلح للحق
وكون الرأي به يستلزم تفرق الكلمة فلا يليق بالحق ولا يليق به ويترتب
بذلك الرأي ما لا يتقارب من القلوب والطباع ومن لا يكفي نجوهم اي حزبهم
كالمنافقين فلا يشيرون بما ينبغي واستعار لفظ تصويح النبت بسبب موته
عليه السلم ونبه على انهم سيغفلون عن العلم وما يستفاد منه اي بالحوادث
والفتن بعده والامر الفصل ظاهر والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلم**
الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده واعز اركانه على
من غالبه فجعله امنا لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن
خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر وآية لمن توسم
وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل و
راحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج المناهج واضح الولائج مشرف المنار
مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس
السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره والموت غايته
والدنيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته اقول تسهيل الشرايع الاسلام
جعلها واضحة للذكي والغبي واعزازه اركانه حمايتها ممن قصدها واستعار
وصف الامن له باعتبار سلامة داخله من عذاب الله تعالى ولفظ السلم باعتبار
عدم اذاه لمن دخله فهو كالمسالم له ولفظ النور باعتبار هدايته وفهما فهو مما
واطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب اذ هو سبب فهم من
فهم عنه وعقل مقاصده وكذلك لفظ اللب فهو العقل اذ كان تدبره سببا
لمزايا العقل والاية العلامة والتوسم التفرس ومتفرس الخير في الاسلام كان
علامة له عليه ومن عزم على امر في الاسلام كان تبصرة وهداية الى كيفية فعله
وعبرة لمن اتعظ اي فيه معبر للذهن الخائف من الله اليه وفيه الثقة بالله لمتو كلين

كقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه والقرآن أصل الدين والإسلام وفيه
الندب إلى تفويض الأمور إلى الله عليه وعلم ما لم يعلم منها وترك التكليف
بذلك وهو راحة وجنة لمن صبر له على العمل الصالح ومنهاج الإسلام طرقه
من الكتاب والسنة والأبلج الواضح المشرق والولائج البواطن والأسرار وهي
لمن تدبرها وجوادّه طرقه واستعار لفظ المنار وهي الأعلام والمصابيح لأئمة
الدين وكنى بإشراقها عن علو قدرهم واستعار لفظ المضمار للدين باعتبار
أن النفوس تضمر فيه لسباق إلى حضرة الله تعالى وظاهر كرم ذلك المضمار وشرفه
وغايته الوصول إلى حضرة الربوبية ولا أرفع منها مرتبة واستعار لفظ الحلبة الجامعة
والسبقة للجنة ومنافس السبقة أي سبقة ما يتنافس فيها وفرسانه المؤمنون
والصديقون وقوله التصديق منهاجه إلى آخره تفسير للأمور السابقة
وأراد التصديق بالله وبما جاء به الإسلام واشتمل عليه والله أعلم ومنها في
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أورى قبسا لقابس وأنار علما لحابس فهو أمينك
المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك إلى الخلق رحمة اللهم
اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم أعل على بناء البانين
بناءه وأكرم لديك نزله وشرف لديك منزله وآته الوسيلة وأعطه السناء و
الفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ضالين ولا
مفتونين قال السيد رحمه الله وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا أنا كررناه
هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف أقول الفصل غاية من كلام مدح فيه النبي
صلى الله عليه وسلم بجهاده واجتهاده في إقامة الدين وأورى أشعل واستعار
لفظ القبس وهو الشعلة لأنوار الدين التي تقتبسها قلوب المؤمنين و
الحابس الواقف بالمكان واستعار لفظ العلم لدليل الهدى وأناره له أيضا
أدلة الهدى للواقفين في حيرة الضلال والجهل ويحتمل أن يريد بالعلم
أئمة الدين وإنارته تنوير قلوبهم بإشراق نفسه القدسية بالعلوم والكمالات

على

على مزايا نفوسهم والمقر النصيب ومتحضض عدله تعالى أن يقيم لأشرف النفوس
أشرف الكمالات وأعلى المراتب من حضرته وبناؤه ما شيده من قواعد الإسلام و
أركانه وهو دعاؤه بظهوره على سائر الأديان والوسيلة الاستعداد التام
لكمال أعلا وقيل هي درجة عالية من درجات الجنة والسناء الرفعة والناكب
المنحرف عن الطريق والله أعلم ومنها في خطاب أصحابه وقد بلغتم من كرامة
الله لكم منزلة تكرم بها إماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم
عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه إمرة وقد
ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون
وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم
وألقيتم إليهم أزمتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون
في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم أقول
كرامة الله تعالى لهم بالإسلام وقوله وكانت أمور الله إلى قوله ترجع أي
أنكم كنتم أهل الإسلام والحل والعقد فيه لأنتم المهاجرون والأنصار والظلمة
البغاة وأمور الله التي أسلمت في أيديهم أحوال العباد والبلاد وتسليمهم ذلك
بترك جهادهم وقوله وايم الله إلى آخره وعيد بهم ولبني أمية ويحتمل أن
يكون وعيدا لبقية أصحابه وذريتهم بالظهور على بني أمية عند انتهاء دولتهم
والله أعلم ومن خطبة له عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأيت
جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام وأعراب أهل
الشام وأنتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والأنف المقدم والسنام الأعظم
ولقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلو نهم
عن مواقفكم كما أزالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب أولاهم أخراهم
كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها أقول الطغام
أراذل الناس واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس واستعار لهم لفظ

اليافيخ واليافوخ اعلى الدماغ اذ كانوا سادات العرب ولفظ الانوف والسنام
والوحاوح جمع وحوحة وهي صوت فيه بحح يصدر عن المتألم كنى بها عما
يجده من التألم بسبب تعاجز اصحابه عن عدوهم والحل القطوع والاستيصال في
النضال السيوف والنجوش الطعن والهيم الابل العطاش وتداك تنازع وتطرد و
الله اعلم **ومن خطبة له عليه السلام من الملاحم** الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه
والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير روية اذ كانت الرويات لا تليق الا
بذوي الضماير وليس بذي ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض
عقايد السريرات **اقول** تجليه لخلقه بخلقه يعود الى ظهوره في بدايع مصنوعاته
لقلوب عباده وحجته اثار قدرته وغيب السترات ما غاب من الامور المحجوبة
عن علوم الخلق منها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اختاره من شجرة الانبياء
ومشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة
اقول استعار وصف الشجرة لصنف الانبياء اولاد ابراهيم صلوات الله وسلامه
عليهم باعتبار فروعها وهم الانبياء وثمرها وهي العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ
المشكاة باعتبار سطوع ضياء نور النبوة ولفظ الذوابة وهي ما تدلى من الشعر و
نحوه باعتبار هبوط هذا الصنف وتدليهم من مقام العز والشرف وهي حضاير القدس
والبطحاء مكة بسيط واديها وسرة الوادي اشرف موضع فيه واستعار لفظ المصابيح
للانبياء لهداية الخلق بهم ولفظ الينابيع لتفجر العلوم والحكمة عنهم **منها** طبيب
دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي
واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة لم يستضيئوا
باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم فهم في ذلك كالانعام السايمة والصخور
القاسية قد انجابت السراير لاهل البصاير ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت
الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح و
ارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا

غيبا

غيبا وناظرة عميا وسامعة صما وناطقة بكما راية ضلالة قد قامت على قطبها و
تفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قايدها خارج من الملة قائم
على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم
تعرككم عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمنين من بينكم استخلاص
الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه
بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤتون واني تؤفكون فلكل اجل
كتاب ولكل غيبة اياب فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا
ان هتف بكم وليصدق رايد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق
الخرزة وقرفه قرف الصمغة فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه
وعظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق
الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا
على الكذب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا
وكان اهل ذلك الزمان ذيابا وملوكه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا
وغاض الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب
وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا **اقول**
اراد بالطبيب نفسه فانه طبيب مرضى الجهل ورذايل الاخلاق ودورانه بطبه
تعرضه لعلاج الجهال ونصب نفسه لذلك واستعار وصف المراهم لما عنده
من العلم والحكمة ولفظ المواسم وهي المكاوي لما عنده من القوة على اصلاح
من لا تنفعه المواعظ وممن يحتاج الى الجلد والقطع وسائر الحدود فهو كالطبيب
الكامل يضع كل واحد من ادويته حيث الحاجة اليه من قلوب عمي بفقدها الفهم
مراد الله ومن اذان صم لعدمها السماع الموعظة وتجوز بلفظ الصمم في عدم
انتفاعها بالموعظة اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن السنة بكم نطقها بذكر
الله تعالى واستعار لفظ البكم باعتبار تكلمها بما ينبغي ومواضع الغفلة والحيرة

كناية عن قلوب الجهال واستعار لفظ الزناد للفكر ووصف القدح لاكتساب
العلم به وقوله فهم في ذلك اي في عدم استضائتهم بانوار الحكمة وغفلتهم
في الدنيا كالانعام السائمة وكالصخور القاسية في عدم انفعالهم عن المواعظ
وانجابت انكشفت والسرائر ما يكون بعده من الحوادث وذو البصائر نفسه عليه السلم
واهل بيته ويحتمل ان يريد بالسرائر اسرار الدين ومنازل سبيل الله وكذلك
قوله ووضحت محجة الحق لخابطها والمحجة الطريق القاصد وكنى بانفغار النسمة
عن بدو قطالع وقوع الفتن وقربها بعلاماتها المتفرسة وجه الفتن وكنى بكونهم
اشباحا بلا ارواح عن غفلتهم وعدم انتفاعهم بعقولهم فيما ينبغي من طاعة
الله تعالى وارواحا بلا اشباح قيل هو مع ما قبله في معرض التنقيص لهم فان
فيهم من هو كروح بلا جسد في قلة نهضته للحرب وذلك كثير من زهادهم ومعتزلي
الحرب منهم كعبد الله بن عمر وغيره والناسك بلا صلاح كناية عن من زهد منهم
عن جهل او رياء بلا ارباح لمعاملتهم لله بالاعمال المدخولة التي لا ثواب فيها
والنيام ظنونهم اي ايقاظ العيون نوم العقول وشهود بابدانهم غيبا بعقولهم
عن قبول انوار الله وناظرة اي نفسا ناظرة بحسها عميا بعين بصيرتها وكذلك
سامعة صما لفقدها قبول الموعظة وناطقة بكما عما ينبغي لها من القول وذو
عميا وصما وبكما صفة للجميع اي نفوسا كذلك وقوله راية ضلالة اي
هذه راية ضلالة واراد ما قرب ظهوره من قيام دولة بني امية فهو كالموجود
المشار اليه وكنى بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على من تدور عليه من الرؤساء
وتفرقها شعبها وانتشارها في الافاق واستعار لها وصف الكيل باعتبار اهلاكها
جزافا ووصف الخبط ملاحظة لشبهها بالناقة النفور وقيامهم على الملة و
توقفه على الضلال لاضلال الخلق وفتنتهم وكنى بالثفالة عمن لا خير فيه من
الارذال والعكر العدل ونفاضته ما بقي فيه من اثر الزاد واراد انه لا يبقى منهم
يومئذ من يلتفت اليه ممن له شهرة واستعار وصف العرك للفتن باعتبار ما

ينزل بهم من بلاياها ووصف الدوس باعتبار اهانتها لهم واستخلاص المؤمن
لالتهاء المكروه به والغياهب ظلمات الجهل والكواذب النفوس الامارة
الخادعة للانسان بالامال الكاذبة واني يتاه بكم متى اي متى تعرفون عما انتم عليه
من الغفلة والرباني العالم علم الربوبية وعنى نفسه عليه السلم وقوله وليصدق
رايد اهله مثل واصله لا يكذب رايد اهله واراد ان يبلغ كل من الحاضرين
اهله وقبيلته ما سمع منه من الحكمة والموعظة ليرجعوا الى طاعته و
ينتفعوا بعلمه كما يرجع طالب الكلا والماء الواجد له الى قومه فيبشرهم و
يصدقهم ويحتمل ان يريد بالرايد الفكر وباهله النفس الانسانية فكانه قال
فلتصدق افكاركم نفوسكم اذ كان الفكر مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها
وماء حياتها من العلوم والكمالات كالرايد لاهله وصدقها تصرفه على
حسب العقل فيما يشير به دون مشاركة الهوى فانه اذا ارسلته النفس عن
مشاركة هوى كذبها ودلاها بغروره وقوله وليجمع شمله اي ما تفرق من
خواطره وهمومه في امور الدنيا وفلق الامر اوضحه وشق ظلمة الجهل عنه
مصابيح اليقين وخص فلق الخرزة لان فلقها لا يكاد يلتئم ويخفى وقرفه
قرف الصمغة التي علم انه يهم بالكلية يبقى تركته على مثل مقرف الصمغة اذ الم
يترك له شيئا لان الصمغة تقتلع من شجرتها حتى لا يبقى عليها علقة وقو
له عند ذلك متصل بقوله من بين هزيل الحب واخذ الباطل ماخذه احكامه
واستقراره في مقامه ومراكب الجهل حملته واستعار له وصف الركوب ملاحظة
له بالمستعد المغير والطاغية الفئة الطاغية الداعية دعاة الدين وزوى
الداعية اي الفرقة الداعية الى الله واستعار لفظ الفنيق وهو الفحل المكرم
ووصف الهدير لاستعمال الباطل وقوته يومئذ ولفظ الكظوم وهو امساك
البعير عن الجرة لضعف الباطل وسكون الفتن في زمان العدل وكون الولد
غيظا اي سببا للغيظ والده لنشوه على غير دين وادب ناظر له او للحاجة الى مونته

التي تصعب في زمن الجور وكون المطر قيظا كناية عن الجدب واستعداد الزمان
للشرور المفسدة لحال الخلق بسبب الجور اذ المطر القيظي لا ينبت ما ينتفع به من
الزرع ومقتضى قسمته عليه السلم الناس اذ ذاك بعد اقسام سلاطين واكابر واوساط
وفقراء واستعارة لفظ السباع للسلاطين ولفظ الذياب للاكابر باعتبار
تسلطهم على من دونهم من اهل الحرفة والمتجر واكالا لهم جميع اكله ولفظ
الاموات للفقراء باعتبار انقطاع مادة الحياة عنهم واستيلاء الظلمة عليهم
وتشبيه لبس الاسلام بلبس الفرو مقلوبا كناية عن النفاق واستعمال الاسلام
في الظاهر دون الباطن بخلافه ومراد عنايته به كلبس الفرو والله اعلم و
من خطبة له عليه السلم كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به غنى
كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع
نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه
لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم
تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا
يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من
اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن امرك
كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت
المنتهى فلا محيص عنك وانت الموعد فلا منجى منك بيدك ناصية كل
دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما اصغر عظيمه
في جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا
من سلطانك وما اسبغ نعمك في الدنيا وما اصغرها في نعم الاخرة **اقول**
خشوع الاشياء له دخولها فيما يتوهم من ذلة الحاجة اليه وقيامها به في الوجود
قيام المعلول بعلته والملهوف المظلوم المستغيث وسمعه تعالى يعود الى علمه
بالمسموعات وقوله فتخبر عنك اي ارباب العيون او لم ترك ارباب العيون ليعرفونها

فتخبر

فحذف المضاف وقد مر تنزيهه تعالى عن الوحشة والمنفعة وقوله انت الابد
فلا امد لك اي الدائم فلا غاية لك وقيل هو الابد اي ذو الدوام والحبس
المعدل وباقي الفصل ظاهر **ومنها** من ملائكة اسكنتهم سماواتك ورفعتهم
عن ارضك هم اعلم خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا
الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم
ريب المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم
فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا كنه ما خفي عليهم
منك لحقروا اعمالهم ولازروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك
حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك سبحانك خالقا ومعبودا بحسن
بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فيها مادبة مشربا ومطعما
وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعو
اليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا
اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا
اعشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة
قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها
ولمن في يديه شيء منها حيث ما زالت زال اليها وحيث ما اقبلت اقبل عليها
لا ينزجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى المأخوذين على الغرة
حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق
الدنيا ما كانوا يامنون وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف
ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم
وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين احدهم وبين
منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من
لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها

واضدنها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها
تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنا لغيره والعبء على ظهره
والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من
امره ويزهد فيما كان يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها و
يحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط
سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر
في وجوههم يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا
به فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جيفة
بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا
يجيب داعيا ثم حملوه الى مخط في الارض واسلموه الى عمله وانقطعوا عن زورته
حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق اخر الخلق باوله وجاء من امر
الله ما يريده من تجديد خلقه اماد السماء وفطرها وارج الارض وارجفها و
قلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلاله ومخوف سطوته
واخرج من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم
لما يريده من مسائلتهم عن خفايا الاعمال وخبايا الافعال وجعلهم فريقين انعم
على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم
في داره حيث لا يظعن النزال ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم
الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية
فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم
سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره وباب قد
اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها
ولا يفادى اسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى
اقول انما كانت الملائكة اعلم خلق الله به لبراءة علومهم عن منازعة النفس

الامارة ولقربهم من ابداع قدرته ولكونهم اخوف لكونهم اعلم به وريب المنون
حوادث الموت وقوله وانهم الى قوله طاعتك اشارة الى تنزيهه تعالى
عن اطلاع الملائكة على كنه معرفته لان ذلك غير ممكن لاحد سواه كما مر بيانه
والباء في قوله بحسن بلائك قيل انها تتعلق بسبحانك اي انزهك بهذا
الاعتبار وخالقا ومعبودا حالان ويحتمل ان تتعلق بمعبود واستعار وصف
الدار للاسلام باعتبار جمعه لاهله ولفظ المادبة وهو الطعام يدعى
اليه للجنة باعتبار جمعها المشتهيات والداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقد جمعهما الخبر ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعي اليها
محمدا واستعار وصف الجيفة للدنيا لاستقذار نفوس اولياء الله لها
ووصف الافتضاح باكلها للاستهتار باقتنائها والخروج به عن
شعار الصالحين وطاعة الله تعالى ووصف العشا لما يعرض لابصار
بصائرهم من اغطية الجهل فيفسد نظرها فلا يبصر ما ينتفع به ولا
يسمع ما يتعظ به ووصف لتغريق افكاره في تحصيل المشتهيات ووصف
الاماتة لاخراج قلبه عن الانتفاع في امر الاخرة فهو كالميت فيها وولهت عليها
نفسه اي حيرته محبته لها وقوله فتغير موصوف بما نزل بهم لشدته وترك
الغمض في مطالبها تساهل في وجوه اخذها ولم يضبط دينه فيها ومصرحاتها
ما وضح منها والمهنا المصدر من هنؤ هنيئا والعبء الثقل واستعار وصف غلق
الرهون ملاحظة لعدم انفكاك نفسه من تبعاتها المشبهة لعلق
الرهن بما عليه من مال وانحسر وانكشف ورجع القول جوابه وترديده
والالتياط الالتصاق والمخط لنا يريد اللحد لانه يخط ثم يحفر وروي بالحاء
المهملة ومحط القوم منزلهم وبلوغ الكتاب اجله انقضاء المدة المقدرة لبقاء
الخلق في الدنيا او في البرزخ والمقطعات ثياب من نار والكلب الشدة و
اللجب غلبة الاصوات والقصيف الصوت الشديد والكبول جمع كبل وهو القيد

الفضة وصفة القيمة واحوالها وغاياتها في غاية الوضوح والله اعلم
في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قد حقر الدنيا وصغرها واهون بها وهونها
وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا
بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان يغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ
منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا
ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة
ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا
ومبغضنا ينتظر السطوة اقول روي حقر مخففا ومشددا اي زهد
فيها وزهد غيره وكذلك اهوانه بها وتهوينها لها والرياش اللباس الحسن والزينة
والمعذر الذي ابلى في العذر فلا يلزمه لغيره واستعار ومنه الشجرة لبني هاشم
وكذلك لفظ المعادن والينابيع والسطوة المنتظرة لعدوهم من الله والفضل
واضح والله اعلم ومن كلام له عليه السلم ان افضل ما توسل به المتوسلون
الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام
وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقامة الصلاة فانها الملة وايتاء الزكاة
فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب وحج البيت
واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها
مثراة في المال ومنساة للاجل وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة
العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنايع المعروف فانها تقي مصارع
الهوان عباد الله افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد
المتقين فان وعده اصدق الوعد واقتدوا بهدي نبيكم فانه افضل
الهدي واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القرآن فانه
احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء
الصدور واحسنوا تلاوته فانها انفع القصص وان العالم العامل بغير علمه

كالجاهل

كالجاهل الحاير الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم ١٠٤
وهو عند الله الوم اقول اراد ان افضل الوسايل الى الله تعالى الايمان
الكامل فالايمان بالله وبرسوله اصله وباقي الفرايض والسنن كمالات له
ورغب في كل منها بضمير مغراه قوله فانه كذا وتقدير الكبرى في الكل
وكل ما كان كذلك فينبغي ان يفعل واستعار لفظ الذروة للجهاد لانه اصل
لقيام الدين في الوجود فكان اشرفها اعلا من غيره من ساير العبادات و
الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها من التعبد له والاقرار بربوبيته و
جعل الصلوة هي الملة مجازا او تشريفا لانها اكثر اشتمالا على مقصود الملة
في جميع اجزائها وهو الالتفات الى الله تعالى ودوام ملاحظة عظمته قال
الراوندي رحمه الله اراد بكون الزكاة فريضة كونها سهما مقطوعا من الملك
وجوبا والا لما كان لتخصيصها بالفريضة من بين ساير الفرايض معنى وخصص صوم
رمضان باستعارة لفظ الجنة لانه اشد في كسر النفس الامارة وقطع
وسايل الشيطان من الشهوات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع فكان الصوم على
الخصوص اشد قمعا للشيطان من ساير العبادات فكان اقوى جنة في
دفع ما يلزم بسببه من العقاب وخص ورغب في الحج والعمرة بفضيلتين
دنيوية وهي كونهما ينفيان الفقر وكان ذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم
الحج وقيام الاسواق بمكة حينئذ واخروية وهو كونهما يرحضان الذنب
اي يغسلانه وكون صلة الرحم مثراة للمال لفهم له سببان احدهما ان
العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق مدة حياته فاذا اعدت
شخصا من الناس للقيام بامر جماعة وكفلته بامدادهم وجب في العناية
الالهية افاضة رزقهم بحسب استعداده لذلك وهو معنى كونه مثراة في
المال الثاني ان صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التي تمايستمال بها طباع الخلق و

يستجلب عاطفتهم فيكون سببا لامداده ومعونته من ذوي الامداد والمعونات
كالملوك وغيرهم فكان مثراة واما كونها منساة في الاجل فلانها توجب
تعاطف ذوي الارحام ومعاضدتهم وتواصلهم فيكون عن اذى الاعداء
ابعد وذلك مظنة طول العمر وتاخيره ولانها توجب تعلق هممهم ببقائه
وامداده بالدعاء الذي يكون شرطا في بقائه فكانت صلتهم منساة والمنسأ
محل النسيء وهو التاخير وكون صدقة السر تكفر الخطيئة لانها ابعد عن الريا
واقرب الى رضى الله وتكفيرها سترها وكون صدقة العلانية ترفع ميتة
السوء لاستلزامها الشهرة بفعل الخيرات والذكر الجميل ومحبة المتصدق
وذلك يمنع غالبا من ميتات السوء كالقتل والحريق وكلما يكون بقصد الغير
وفعله لمكان محبته واشتهاره بفعل الجميل ولاضافته في ذكر الله الى انه فاعل
فيه وكونه احسن الحديث قوله تعالى الله نزل احسن الحديث الاية واستعار
وصف الربيع لما فيه من فنون العلم التي هي مدارج انظار البصاير كرياض
الربيع وشفاء للصدور من امراض الجهل والحجة على العالم اعظم لان العالمين
ليس لهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والحسرة له الزم
لعلمه بما يفوته بسبب التفريط بخلاف الجاهل الجملة بما يفوته من ذلك وهو
عند الله الوم باعتبار انقطاع عذره يومئذ وقوة جرأته على المخالفة عن
علم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** اما بعد فاني احذركم الدنيا
فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت
بالامال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة
حايلة زايلة نافدة بايدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل
الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما **قال الله تعالى** كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا
لم يكن امرؤ منها في فرح الا اعقبته بترح ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته

من ضرائها ظهرا ولم تطله منها ديمة رخا الا هتنت عليه مزنة بلا وحري
اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى
امر منها جانب فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من
نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف غرارة غرور
ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من
اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما
قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمانينة اليها قد صرعته وذي
ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها
رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام
حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب
وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم
اطول اعمارا وابقى اثارا وابعد امالا واعد عديدا واكثف جنودا
تعبدوا للدنيا اي تعبد واثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ
ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة
او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح واوهنتهم بالقوارع و
ضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت
عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها واثرها واخلد اليها
حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم
الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه
تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها
ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون انكم تاركوها وظاعنون
عنها فاتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا
يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان

ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا
يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا
لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون
وقريبون لا يتقاربون حلما قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت
احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا
وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة
عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحيوة الدائمة والدار الباقية كما قال
سبحانه وتعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
اقول مدار الفصل على ذم الدنيا والتنفير عنها بذكر معايبها وما يلزمها
من غاية الموت واستعار لها لفظ الحلوة الخضرة باعتبار زينتها وبهجتها
وخص متعلق الذوق والبصر اعني الخضرة والحلاوة لاكثرية بادية الحاجة
المذكورتين الى النفس لالتذاذ بواسطتهما دون ساير الحواس وراقت
اعجبت والقليل متاعها في متاع الآخرة ووجه زينتها بالغرور ان ما
يعد فيها زينة وخيرا من متاعها انما هو بسبب الغفلة عن عاقبة ذلك
وثمرته في الآخرة وخيرتها سرورها والحايلة الزايلة ونايرتها كدرها
العوالة التي تاخذ على غرة وقوله لا تعدوا الى قوله مقتدرا اي غاية
ما يحصل للراغبين فيها وما يلغتهم انهم ان يفنى وهو وجه التمثيل
وكني بالبطن والظهر عن اقبالها وادبارها عن المربوط له اي بلتزم
استعار لفظ الديمة للرخاء ولفظ المزنة للبلاء وهتنت سالت وازادان
كل خير نال المرء فيها فانه غالب الاحوال ستعقب شرا اكثر منه ونبه على ذلك
بالطل والهتن والمتنكرة المتغيرة واعذوذب واحلولى مبالغة في
العذوبة والحلاوة واوبى امرض والغضارة طيب العيش وارهقته تعقبا
كلفته اياه ونبه باستعارة لفظ الجناح للامن ولفظ القوادم للخوف واراد

انه ما من فيها الا ويعقب خوفا اقوى وما يومنه هو الاعمال الصالحة
وما يوبقه ليس ينلكم فتنتها المهلكة بحبتها في الآخرة والا بهته العظمة
والحق الكبير ورنق كدر واستعار لفظ الاجاج والصبر والسمام لعذبها و
حلوها وغذائها باعتبار ما يلزمها في الآخرة من مرارة العقاب وسوء المنقلب
واسبابها ما يتعلق به المرء منها والرمام البالية لانها في عدم بقائها كالبالية ليد
والموفور ذو الوفر من المال والمحروب المسلوب ماله والظهر المركوب
وارهقتهم غشيتهم ورمتهم والفادح الامر الشديد والقارعة الداهية
وضعضعتهم اذلتهم والتعفير الصاق الوجه بالعفر وهو التراب والمنسم
خف البعير وريب المنون صروفها ودان اطاع واخلد الى كذا الصق
به ولزمه والسغب الجوع وقوله او نورت لهم الا الظلمة ليس ما نورت
لهم ولكن اوجبت لهم الظلمة وذلك مما يكتسبه طالبوها من الجهل
وملكات السوء ومن زينتها هو المعتقد انها المطلوبة لذاتها وذلك
الهالكين لغفلته عن حقيقتها وبيست الدار له ونعم الدار لمن لم يتهمها
فعمل فيها على وجل منها وعلم بعاقبتها والمندبة النوح وجيدوا مطروا
والقنوط اليأس وقوله جاؤها الى آخره اي فكان مجيئهم اليها بالعود
فيها كما فارقوها وانفصلوا عنها بالخلق منها وهو اشارة الى قوله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومن خطبة له ذكر فيها ملك الموت هل
تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا بل كيف يتوفى الجنين في
بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه
في احشائها كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله اقول هذا
الفصل من خطبة ذكرها في معرض تنزيه الله تعالى عن ادراك العقول البشرية
ووجه الاستدلال به ان الانسان عاجز عن وصف مخلوق مثله كملك الموت وعن
معرفة كيفية تصرفه في قبض النفوس الانسانية وكل من كان كذلك كان عاجزا

عن صفة الهدى الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة انجز. ومن كلام له
عليه السلم واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت
بغرورها وغرت بزينتها دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها و
خيرها بشرها وحلوها بمرها ولم يصفها الله لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه
خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها
يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع تنقص
السير عباد الله اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم واسألوه من
اداء حقه ما سألكم واسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم ان
الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا
ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا لقد غاب عن قلوبكم ذكر
الآجال وحضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا املك بكم من
الآخرة والعاجلة اذهب بكم من الآجلة وانما انتم اخوان على دين الله
ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا
تواددون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه وتحزنون باليسير
من الدنيا حين تفقدونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه و
يقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة
صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار مقامكم وكان متاعها باق عليكم
وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله
بمثله قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين احدكم لعقة
على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده اقول منزل
قلعة بالضم اذ لا يصلح للاستيطان والنجعة بالضم طلب الكلاء والمراد
بغرورها الاول مجازاتها ولذاتها مجازا اطلاقا لاسم المسبب وقوله غرت
اي استغفلت وهوانها على ربها يعود الى عدم العناية بها بالذات فلم تكن

خيرا

خيرا محضا ومعنى خلطت حلالها بحرامها جمعت فيها بينهما واستعار لفظ حلوها
ومرها لخيرها وشرها والعتيد المهيا وقوله من طلبتكم اي من جملة
مطالبكم في الدنيا وقوله واسألوه الى قوله ما سألكم اي اسألوه الذي
سألكم اياه من اداء حقه بالاعانة عليه والتوفيق له واسماعهم دعوة الموت
اذانهم اخطارهم ولهم بالبال من سماع ذكره وقلة صبركم عطف على
وجوهكم واللعقة بالضم اسم لما تأخذه الملعقة مما يلعق واستعار للاقرار
بالدين وكنى به عن متعة وقلته وصنيع مصدر اي تصنعون في ترك الدين
الصنيع المذكور ومن كلام له عليه السلم الحمد لله الواصل الحمد
بالنعم والنعم بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه ونستعينه على هذه النفوس
البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به علمه
واحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين
الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك و
نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان
فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي
الزاد وبها المعاد زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا اليها اسمع داع ووعاها
خير واع فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء
الله محارمه والزمت قلوبهم مخافته حتى اسهرت لياليهم واظمأت
هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري بالظمأ واستقربوا الاجل فبا دروا
العمل وكذبوا الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير
وعبر فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه لا تخطئ سهامه ولا تؤسى جراحه
يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب
لا ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى

الله لا أمل الأجل ولا أبناء نفعل ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط
مرحوما ليس ذلك إلا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها أن المرء يشرف
على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان
الله ما أغر سرورها وأظمأ ريها وأضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد
وسبحان الله ما أقرب الحي من الميت للحاقه به وأبعد الميت من الحي
لانقطاعه عنه إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه وليس شيء بخير من
الخير إلا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من
الآخرة عيانه أعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب
الخبر واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من
الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر إن الذي
أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم
فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع وقد تكفل لكم بالرزق وأمرتم بالعمل
فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله مع أنه و
الله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض
عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل فإنه لا
يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق
رجي غدا زيادته وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته الرجاء
مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا و
أنتم مسلمون **أقول** وصله تعالى الحمد بالنعم إفاضتها على الشاكرين بحسب
استعداده بحمده ومقتضى وعده الكريم لئن شكرتم لأزيدنكم ووصله النعم
بالشكر إفاضة صورة الشكر على قلوب المنعم عليهم واعترافهم بالنعمة وذلك لإفاضة
نعمة أخرى منه وفضله ويحتمل أن يريد أنه تعالى يصل نعمه على حامديه بشكرهم
والله شاكر عليهم وجعل الحمد على البلاء أصلا في التنبيه لأن الابتلاء نعمة

عظيمة

عظيمة في حق أولياء الله أقوى من النعم المشهورة تنبيها وجذبا إلى الله و
كتابه اللوح المحفوظ الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
ومن غائب الغيوب الذي شاهد بعين يقينه الأمور الغائبة وكشف
بالموعود من أحوال الآخرة وتبعدات القول إلى محل القبول من حضرة
العزة لأنه أصدق في الإيمان وأسمع داع هو النبي صلى الله عليه وسلم
أي أشدهم إسماعا للخلق وتبليغا وخير واع هو علي عليه السلام ومن سارع إلى
إجابة داعي الله ونسبة السهر إلى الليل والظما إلى الهواجر مجاز إقامة
للظرف مقام المظروف المفعول به مبالغة كقولهم نهاره صائم وليله
قائم وقوله فأخذوا إلى قوله الظماء أي استعدوا واتبعهم في
الدنيا وظمئهم فيها الراحة الآخرة والري من رحيقها المختوم وروي
فلاحظوا بالفاء والأشبه الواو لترتب تكذيب الأمل على ملاحظة الأجل
دون العكس والواو لا تفيد الترتيب ويحتمل الفاء لإفادة الملازمة
بين تكذيب الأمل وملاحظة الأجل وترتب تصور كل منهما على تصور الباقي
منهما في الذهن والأوبي أي لا يمكن طبها ودواؤها ولا ينفع لا يودي وقوله
ومن غيرها إلى قوله وبؤسا نزل أي أنك ترى المرحوم بما هو الفقير
العاجز قد استبدل بفقره غنى وبذله عزا فصار مغبوطا بعد أن
كان مرحوما وتارة ترى العكس من ذلك وليس ذلك إلا نعيما زل عن
المغبوط وبؤسا نزل به وهو معنى تغيرها واستعار لفظ الري لكمال
الالتذاذ بها ولفظ الفيء للانتفاع بغنائها وإذ ذاك أقرب صارف يشغل
العبد عن الله تعالى فسرورها أقوى ما يصحب صاحبه وريها أعظم ما يظمأ به صاحبه
من شراب الأبرار في دار القرار وفيها أشد ضحى للمستظل بها والضحى البروز
لحر الشمس وقوله ليس شيء إلى قوله ثوابه يريد الخير والشر المقرونين
بالقياس إلى شرور الدنيا وخيراتها فإنها أمور مستحقرة في جنب عقاب

الله وثوابه ويحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين لكونهما لغيره اذ يقال
هذا اشد من الشدائد وقوله فليكفكم ايها من عيان الامور الاخروية
سماعها ومن غيبها الخبر عنها اذ لا يمكن الاطلاع عليها في هذا العالم و
ما نقص من الدنيا كالزكاة والعبادة البدنية الآخذتين من المال و
البدن فانه مستلزم لزيادة الدرجة في الآخرة لمن قصدها به وما
يقابل ذلك من الزيادة في الدنيا مستلزم للغفلة عن الآخرة ونقصان
الحال فيها وما امر به واحل لنا اوسع من الذي نهينا عنه وحرم علينا
لان الحلال اقسام اربعة وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه و
الحرام قسم واحد فقط واقتراص الشك فيما اقول من ضمان الرزق وفرض
العبادة وقوله الرجاء مع الجاي اي مع الرزق والبلى مع الماضي
اي العمر ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء اللهم قد انصاحت
جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها و
عجت عجيج الثكالى على اولادها وملت التردد في مراتعها والحنين الى
مواردها اللهم فارحم انين الآنة وحنين الحانة اللهم فارحم
حيرتها في مذاهبها وانينها في موالجها خرجنا اليك حين اعتكرت علينا
حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ
للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا
تواخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا اللهم وانشر علينا رحمتك بالسحاب
المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحا وابلا تحيي به ما قد
مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة
طيبة مباركة هنيئة مريئة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش
بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا
منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل

بها

بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين بها ضواحينا
من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك
المهمل وانزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها
الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام عارضها
ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون و
يحيى ببركتها المسنتون فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك
وانت الولي الحميد قال السيد رحمه الله تفسير ما في هذه الخطبة من
الغريب قوله عليه السلام قد انصاحت جبالنا اي تشققت من المحول
يقال انصاح الثوب اي تشقق ويقال انصاح النبت وصاح وصوح
اذا جف ويبس وقوله هامت دوابنا اي عطشت والهيام العطش و
قوله حدابير السنين جمع حدبار وهي الناقة التي انضاها السير
فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا
مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا وقوله ولا قزع ربابها
القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب وقوله ولا شفان ذهابها
فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها
والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع
به اقول اعتكرت اختلطت والمخايل جمع مخيلة للسحابة التي ترجى المطر و
المنبعث الحزين والمنبعق والمنبعج السحاب المنصب بشدة والمغدق كثير
الماء ويحتمل ان يريد بالربيع هنا المطر والسحا بالفتح الانهر من السقي و
الخلب السحاب الذي يكذب الظن فيه والمربع المخصب والنجاد جمع نجد
للمرتفع من الارض والضاحي البارزة اي اهل نواحينا المرملة قليلة المطر
والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام المظلم لا ماء فيه والمسنتون الذين
اصابتهم شدة السنة وتحامضدنا وحضر والسماء المخضلة المطر نقص والفصل

واضح ومن خطبة له عليه السلم أرسله داعيا إلى الحق وشاهدا على الخلق
فبلغ رسالات ربه غير وانٍ ولا مقصر وجاهد في الله أعداءه غير واهن
ولا معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى أقول الواهن الضعيف
والمعذر المقصر في عذره واستعار له وصف البصر لهداية الخلق به ومنها
فلو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه إذاً لخرجتم إلى الصعدات تبكون
على أعمالكم وتلتدمون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف
عليها ولهمت كل امرء منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها ولكنكم نسيتم ما
ذكرتم وأمنتم ما حذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم لوددت
أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم قوم والله
ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما
على الطريقة وأوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة
أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال يأكل خضرتكم ويذيب
شحمتكم إيه أبا وذحة أقول ما طوي عنهم علم غيبه هي الفتن المستقبلة
وقيل الأحوال الأخروية والصعدات جمع صعد جمع صعيد وهي
الطرق وكنى بذلك عن قوة جزعهم لو علموا ما سيقع والالتدام ضرب
الوجه والصدر ونحوه وتشاغلهم بما ذكروا من آيات الله تعالى وقوله
قوم تفسير لمن هو أحق به منهم وأراد من درج من أصحابه رضي الله تعالى
عنهم ورأي ميمون مبارك وقدما بضم الدال أي متقدمين في سبيل
الله لم ينثنوا عنها والوجيف ضرب سرعة والمحجة طريق الله الواضحة و
الذيال الطويل الذيل بعيد تبختراً وكنى به عن تكبره وكنى بخضرتهم عن دنياهم
وإيه كلمة من أسماء أفعال الأمر يستدعى بها الحديث أو الفعل المعهود و
تنون في الذبح وأصل الوذحة بفتح الذال ما يتعلق بذنب الشاة من بعرها
واستعار لفظها للخنفساء وأبا وذحة كناية عن الحجاج فإنه من أسمائه ودو

أنه كان عليه السلم جالسا على سجادة له فدبت إليه وكان يكرهها فقال نحوها
فإنها وذحة من وذح الشيطان ومن كلام له عليه السلم فلا أموال
بذلتموها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله
على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من كان
قبلكم وانقطاعكم عن وصل إخوانكم أقول تكرمون بالله أي يعظمكم
عباد الله بطاعته ودعوتكم في دينه ووصل إخوانهم هي الدنيا وري
أصل أي أقربهم إليهم أصلا وورد أو وصل والفصل ظاهر ومن كلام
له عليه السلم لأصحابه أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن
يوم البأس والبطانة دون الناس بكم أضرب المدبر وأرجو طاعة
المقبل فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فإني والله
لأولى الناس بالناس أقول الجنة ما استترت به من سلاح و
بطانة الرجل خاصته والمدبر المنكر ومن كلام له عليه السلم وقد
جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلم ما بالكم أمخرسون
أنتم فقال قوم منهم يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك فقال ما
بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج
إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم ولا
ينبغي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين
المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى
أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وإنما أنا قطب الرحى تدور علي
وأنا بمكاني فإذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأي
السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو لو قد حم لي لقاؤه
لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال
طعانين عيابين حيادين رواغين إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة

اجتماع فلو بكم لقد حملتكم على الطريقة الواضحة التي لا يهلك عليها الا
هالك من استقام فالى الجنة ومن زل فالى النار اقول الحفض التحريض
والكتيبة الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع
منها واستعار لنفسه لفظ القطب باعتبار دوران رحى الاسلام عليه
واستعار تردد واضطرب وثقل الرحى الجلد الذي توضع لحفظ الدقيق وحجر
قدر ولقريب جلب اولا وجواب لو مقدر في ما قبلها ومن كلام له
عليه السلم تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات
وعندنا اهل البيت ابواب الحكم وضياء الامر الا وان شرايع الدين
واحدة وسبله قاصدة من اخذ منهما بحق غنم ومن وقف عنها ضل
وندم اعملوا اليوم تذخر له الذخاير وتبلى فيه السراير ومن لا ينفعه
حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغايبه اعوز فاتقوا النار نار حرها
شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد الا وان
اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده
اقول علم تبليغ الرسالات علمه بكيفية ادائها بحسب كل فهم واتمام العدات اي
ما وعد الله تعالى عباده الصالحين وتمام الكلمات تفسير كلام الله وتاويله وضياء
الامر بيانه الامور المشتبهة في الدين واستعار لفظ الشرايع والسبل
لقوانين الدين اولا يميته لانهم موارد للحق يغترفون منها فرات العلم
الحكمة وكونها واحدة اي في مقصدها وغايتها وقاصدة لا جور فيها والذخاير
الاعمال الصالحة وابتلاء السراير اختبارها بالسؤال في محفل القيمة ومن لا
ينفعه حاضر لبه اي في الحياة الدنيا فعازبه اي حين الموت اعوز اي اشد
فوتا المنفعة وقوله حليتها حديد كالسلاسل والاغلال واللسان الصالح
هو الذكر الجميل بفعل الخير ومن كلام له عليه السلم وقد قام اليه رجل من اصحابه
فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلم

احدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة اما والله لو
اني حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا
فان استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم
لكانت الوثقى ولكن بمن والي من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش
الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت اطباء هذا
الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي اين القوم الذين دعوا الى الاسلام
فقبلوه وقرءوا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا اللقاح اولادها
وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا
بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى مره العيون
من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من
السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني الذاهبون فحق
لنا ان نظما اليهم ونعض الايدي على فراقهم ان الشيطان يسني لكم
طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة
فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم
واعقلوها على انفسكم اقول كان عليه السلم نهاهم عن الحكومة حين
طلبها اهل الشام فلما غلبه عليها اكثر اصحابه رجع اليها فعيبت الخوارج
على انكارها وقال له بعضهم كنت نهيتنا الى قوله ارشد فصفق باحدى
يديه على الاخرى فعل المغضب لنا دم والعقدة ما عقده من الراي
في البقاء على الحرب وهو المكروه الذي لو حملهم عليه لجعل الله فيه الخير
هو الظفر وسلامة العاقبة وتقويمهم وتداركهم بما يمكن كالضرب والقتل
ونحوه وقوله لكانت الوثقى اي لفعلت الفعلة المحكمة ولكن بمن اي بمن
افعل ذلك من الاعوان والى من ارجع فيه وقوله كناقش الشوكة الى قوله
معها كالمثل يضرب الى من يستعان به وميله مع المستعان عليه والضلع يفتح

الضاد وسكون اللام الميل واصل ان الشوكة لما ثلمتها اختها ربما انكسرت في
عضو الانسان معها فكانه تقول كيف استعين ببعضكم على بعض مع
اتحاد طباعكم وميل بعضكم الى بعض واستعار لفظ الداء والدوى لما
هم عليه من مخالفة امره ولفظ الاطباء لنفسه واعوانه وكذلك لفظ
النزعة ووجها انه يتريع لهم وجوه الآراء الصالحة كما ينزع المستقي
الدلو من البير والولد اشد الحزن وتوليه اللقاح اولادها تفريقهم بينها
في الجهاد ونصب اولادكو بها بحذف الجار اذ لا يتعدى الفعل الى مفعولين
بنفسه واغمادها بدل من الشيوف وقوله لا يبشرون الى قوله القتلى
كناية عن شدة تجردهم للجهاد حتى لا يعتنوا بحياة حي منهم فيبشرون به
او بعزون عنه وعين ما دهمه اذا فسدت والمرء الجمع ومنه لكذا احسنه
وستلد وعقد الدين ما احكم منه في النفوس واعتقد وصدف عن الامر
اعرض عنه ونزغات الشيطان حركاته بالافساد من الناس وتفثاته
الفاه وساوسه في الصدر واعمالها اختيوها ومن كلام له عليه
السلم قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار
الحكومة فقال عليه السلام اكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد
ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة
ومن لم يشهدها فرقة حتى اكلم كلا منكم بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا
عن الكلام وانصتوا لقولي واقبلوا بافئدتكم الي فمن نشدناه شهادة فليقل
بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلم بكلام طويل من جملته ان قال الم تقولوا عند رفعهم
المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا
واستراحوا الى كتاب الله تعالى فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم
هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة واخره ندامة فاقيموا
على شانكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق

نحن

نعق ان اجيب اضل وان ترك ذل ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه و
سلم وان القتل ليدور بين الاباء والابناء والاخوان والقرابات فما
نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا
على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل
فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل فاذا طمعنا في خصلة يلم الله
بها شعثنا ونتدانا الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها
اقول ظاهره ايمان لانه اجتهاد في الدين وباطنه عدوان اذ كان
حيلة للظلم والغلبة واوله رحمة منكم واخره ندامة منكم عند تمام الحيلة
عليكم وشانهم وطريقتهم ما كانوا عليه من الرأي في الحرب والعض عليه
بالنواجذ كناية عن لزومه والناعق معوية وعمرو بن العاص وقوله
ولكنا الى اخره اي انا الان لا نقاتل على ما كنا نقاتل عليه من الكفر
في اول الدين ولكنا اصبحنا نقاتل على ما دخل فيه من الزيغ والشبهة
بالتاويل وغرضنا الاول هو قيام الدين فاذا وجدنا خصلة ينتظم
بها امره ويجمع الله بها ما تفرق من امر المسلمين وينقادون بها الا ان
يبقوا بينهم شيئا من الالفة والاجتماع في الحق وجب ان نبادر اليها
وتلك الخصلة ما كان يرجو من تمام الصلح ورجوع الفئة الباغية
الى الحق ومن كلام له عليه السلم في ساعة الحرب واي امرء منكم احس
من نفسه رباطة جاش عند اللقاء وراى من احد اخوانه فشلا فليذب
عن اخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء
الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه
الهارب ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش في غير طاعة الله اقول
جاش القلب روعه واضطرابه من الفزع ورباطته ثباته والنجدة فضيلة

تحت الشجاعة ودر غيبة الاقدام في الحرب بضميرين صغرى الاول قوله ان الموت الى قوله الهارب وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي الفرار منه اذ لا فائدة فيه وصغرى الثاني قوله ان اكرم الموت الى آخره وتقدير الكبرى وكل ما كان اكرم الموت الذي لا بد منه فينبغي ان يموت الانسان عليه رزقنا الله تعالى الموت على الايمان ومن كلام له عليه السلم وكاني انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تاخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم اقول كشيش الضباب صوت حك جلودها بعضها ببعض كنى بذلك عن حالهم في الازدحام في الهزيمة والطريق طريق الاخرة وانتصب على المفعول معه والنجاة للمقتحم اي المقتحم الجهاد والمتلوم المتوقف عن سلوكها واراد الهلاك الاخروي

ومن كلام له عليه السلم في حض اصحابه على القتال فقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه امور للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجأش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فان الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها وراءها وامامها لا يتاخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزاء امرؤ قرنه واسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآجلة انتم لهاميم العرب والسنام الاعظم ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفار غير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من رائح الى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالي اليوم تبلى الاخبار والله لانا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم اللهم فان

دوا

دوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم اقول صدر الفصل بتعليم كيفية الحرب ونبه على كل امر بضمير صغراه قوله فانه الى اتمام الكلام وقد سبق مثله والحاسر العاري من الدرع وامور اشد حركة ونفوذا والمور الحركة وفائدة غض البصر انه يمنع الى العدو ويوجب انفشالا عنه وربما خيف على البصر من بريق النصال والاسنة والذمار ما يحميه الرجل والحقائق كناية عن الامور الشديدة التي حق نزولها ووجب في القدر وحفافا الشيء جانباه وقوله اجزاء وواسى خبران في معنى الامر واللهاميم الاشراف جمع لهموم والموجدة الغضب كالظمآن في بحل التشبيه صفة للرائح اي من يروح الى الله بهذه الصفة والعوالي جمع عالية للقناة والاخبار المبلوم اخبار بواطن اهل الحرب يختبر بها والضمير في لقائهم لاهل الشام وابسلهم اسلمهم للهلكة ودراك والمنسر القطعة من الجيش والحلائب جمع حلوبة اي حتى ترموا بكتائب في الخيل تتبعها الابل وقيل الحلائب جمع حلبة وهي الخيل تجمع للسباق وفي الحرب الخميس الجيش والدعق الدعق ونواحر ارضهم اواخرها واقاصيها جمع نحرة واعنان مساربهم ومسارحهم نواحي مراعيهم **ومن كلام له عليه السلم** في معنى الخوارج لما انكروا تحكيم الرجال ويذم فيه اصحابه قال عليه السلم انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله وقال الله تعالى فان

فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى
الرسول ان نأخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس
به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم بها واما قولكم لم جعلت بينك
وبينهم اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل
الله تعالى ان يصلح في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا تؤخذ باكظامها فتعجل
عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس عند الله من كان
العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه فائدة و
زاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم استعدوا للمسير الى قوم حيارى عن الحق
لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق
ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر عز يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب
انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار
عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء اقول الفصل من اوله الى قوله
اولاهم به جواب لما انكره الخوارج من موافقته عليه السلم على التحكيم و
قوله ليتبين الجاهل اي طريق الحق والهدنة الصلح والكظم مجرى النفس
ولا اخذ به كناية عن الاعجال والاخذ بغتة فانه عليه السلم لو اخذهم بالقتال
بغتة الجأهم الى لزوم ضلالهم من غير تروّ وذلك يخالف مقصود
الشارع من جمع الخلق على الدين وكرثه حزبه ومن الباطل متعلق باحب
وموزعين بكذا اي مغرين به وجفاة عن كتاب الله بعيدون افهامهم عنه
ونكب بضم النون والكاف وسكونها جمع نكوب وهو كثير العدول عن الطريق والزوافر
ما يوثق به في الشدائد وزافرة الرجل انصاره وعشيرته والحشاش ما يحش
به النار اي توقد والبرح الحزن وروي برحا اي شدة وقوله يوما
الى آخره اي يوما اناديكم للنصرة في الدين ويوما اسارّكم فيه بالنصيحة
والمشورة بالرأي الصالح فلا احرار صدق عند النداء اذ شأن الحر ان يخلص

من وثاق اللائمة والتقصير ولا اخوان يوثق بهم فيما يسر اليهم ويلقى
من النصيحة اذ كانوا يفشون سره ولا يقبلون نصيحته ومن كلام
له عليه السلم لما عوتب على تصييره الناس اسوة في العطاء من غير تفضيل
اولي السابقة والشرف فقال اتأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن
وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما ام نجم في السماء نجما لو كان المال
لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله لهم ثم قال عليه السلم الا وان
اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا
ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في
غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم
وان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والأم خدين
اقول التسوية سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولما وليها ابو بكر رضي الله
عنه فلما فضل من بعده اعتاد كبار الامة ذلك فلما ترك عليه السلم التفضيل
شق على القوم وتارة اضغانهم حتى كان من طلحة والزبير وغيرهما ما كان
من نكث البيعة والخلاف عليه والنفر نفار الناس له ولا اطور به اي لا اقربه
والسمير الدهر يعني لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله
ما ام نجم نجما وهما الليل والنهار والتبذير والاسراف في ذلك الافراط
من فضيلة السخاء وظاهر ان الرذائل سبب للاهانة عند الله في الآخرة
والفقير في اهله للمال وبالحري ان يمنعه الله شكرهم اذا عدل عنهم
بما هو به احق والخدين الخليل وقيل اراد بالذين يمنعه الله شكرهم
الذين اعطاهم المال من غير اهله ويلوح من سر ذلك ان عطاء غير
المال لغير اهله يكون اما رغبة او رهبة للمعطي منه دون الله ويصير الآخذ
الى تلك الجهة فيمنعه عن الشكر ويصرفه عن معاونة المعطي ومن كلام
له عليه السلم للخوارج ايضا قال ابيتم الا ان تزعموا اني اخطأت و

ضللت فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي وتأخذونهم بخطاي وتكفرونهم
بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرآة والسقم وتخلطون
من اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم
الزاني ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل ثم ورث اهله ميراثه
وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا
المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنوبهم واقام حق الله
فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام ولم يخرج اسمآءهم من بين اهله
ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك
في صنفان محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به
البغض الى غير الحق وخير الناس حالا النمط الاوسط فالزموه والزموا
السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من
الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى هذا الشعار
فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن
ويميتا ما امات القرآن واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق عنه
فان جرنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم آت لا ابا لكم
بجرا ولا ختلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم انما اجتمع رأي ملئكم على
اختيار رجلين اخذنا عليهما ان لا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا
الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا
عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما **اقول** كانت
الخوارج تقول انه عليه السلم ضل واخطأ في التحكيم وكل مخطئ كافر وكانوا يقتلون
حين اعتزالهم عنه من خالف اعتقادهم فبين عليه السلم كذب دعويهم بان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج احدا من الاسلام بذنب ارتكبه بل كان يجريه
على احكام المسلمين ويؤاخذه بما فعل والضمير في قوله ونكحا يرجع الى السارق

والزاني

والزاني وفي قوله فاخذهم راجع الى كل من جرى ذكره من المذنبين والضمير
في اهله اخيرا يرجع الى الاسلام ومرامي الشيطان الخطايا والمعاصي
تيهه حيث لا يهتدي الضال لوجه الحق والغلو في محبته طرق الافراط من
فضيلة محبته كما عليه الغلاة وفي بغضه تفريط كما عليه الخوارج وكلاهما
رذيلتان يستلزمان الكفر والهلاك الاخروي والنمط الاوسط هم اهل
فضيلة العدل في محبته وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط
يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي والسواد الاعظم جمهور المسلمين المتفقين
على عمود الاسلام المتمسكين بسنة الله واستعار لفظ اليد لعناية الله و
الشعار شعار الخوارج في مفارقتهم الجماعة وما ارتكبوه من البدعة وقوله
ولو كان تحت عمامتي هذه قيل اراد ولو كنت انا ذاك وقيل انه مبالغة
في صفة من كان بغاية القرب منه والعناية به والبجر الشر والامر العظيم
والختل الخديعة والصمد القصد وسوء رأيهما مفعول به لسبق ومن كلام
له عليه السلم وهو مما يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كاني به وقد
سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل
يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام يومي عليه السلم بذلك
الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلم ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة
التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا
يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها
وناظرها بعينها **اقول** الملحمة الوقعة العظيمة الفتنة والاشارة في
ذلك الى صاحب الزنج وقصته بالبصرة مشهورة والجيش بالصفة المذكورة
هم الزنج لانهم لم يكونوا اصحاب خيل واللجب الصوت الهائل وشبه اقدامهم
باقدام النعام باعتبار عرض صدورها وتفرق اصابعها وقصرها والسكك
المحلة واستعار لفظ الاجنحة للقطانيات ولفظ الخراطيم للميازيب من

الحسب والحوص المقيرة وقوله لا يندب الى قوله غايتهم فقيل اراد
انهم لا يبالون بالموت والقتل لشدة باسهم وليس يريد ان يكون ذلك
لانهم غرباء مجهولون لا اهل لاحد يبكيه ويفتقده وقوله انا
كاب الدنيا الى آخره كناية عن زهده فيها عن علمه بها وبقدرها وما
خلقت له فيها كالبيت الشيء لوجهه اذا لم يلتفت اليه وقدرها منزلتها
في اعين المعتبرين التي وضعها الله عليه وعينها هي العين التي ينبغي
ان يعتبر بها وهي عين البصيرة ومنها يومي به الى وصف الاتراك
كاني اراهم قوما وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون السرق والديباج
ويعتقون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح
على المقتول ويكون المفلت اقل من المأسور فقال له بعض اصحابه لقد
اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلم وقال للرجل وكان
كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم
الغيب علم الساعة وما عدده الله تعالى بقوله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام فيعلم سبحانه ما في الارحام
من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخي او بخيل وشقي او سعيد ومن يكون
للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا
يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله تعالى نبيه فعلمنيه ودعا لي
بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي اقول المجان جمع مجن وهي الترس
والمطرقة بضم الميم وتخفيف الراء وفتحها التي اطرقت بالجلود والعصب
والسرق شقق الحرير واحدتها سرقة ويعتقون الخيل اي يحتبسونها ويرتبطونها
والعتق الجياد وفرس عتيق رائع واستحرار القتل اشتداده وشبه وجوههم
بالمجان باعتبار اتساعها واستدارتها ووصف كونها مطرقة باعتبار غلظها
وكثرة لحمها ونبه عليه السلم على الفرق بين علم الغيب وغيره بما يعود حاصله

الى

116

الى ما كان بلا واسطة معلم ومفيد فليس بعلم غيب وما كان من دون واسطة
فهو علم غيب ومن كلام له عليه السلم في ذكر المكاييل والموازين عباد
الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون
مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح
خاسر قد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا
اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته
وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس
فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا
اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين
خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون في مكاسبهم
والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدار الدنية
والعاجلة المنغصة وهل خلفتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان
استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون ظهر
الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله
تعالى في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته
ولا تنال مرضاته الا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له و
الناهين عن المنكر العاملين به اقول اثوياء جمع ثوي وهو الضيف
ومدينون عليهم دين واراد كونهم مكلفين بامور تقتضى منهم وتطلب وهي
اوامر الله ونبه بقوله فرب دائب اي مجد في العمل مضيع على قلبه وان
كثر عمله ودوي مضيع ومعناه ان العامل قد يدأب في عمله لكنه يكون
مضيعا العمل لجهله بكيفية ايقاعه ولما يريد من الوجه المرضي وكذلك
قوله رب كادح خاسر والكدح العمل واستعار لفظ الفريسة للانسان
باعتبار استيلاء الشيطان عليه واهلاكه له وقوله اضرب بطرفك الى

قوله وقد اشرح لانواع الشرّ وازدياد اقباله والوفر المال والمتمرد الخارج عن
الطاعة والوفر العميم والحنالة الثفل والردي من كل شيء واستعار لفظه لاهل
الزمان وباقي الفصل واضح ومن كلام له عليه السلم لابي ذر رحمه الله ورضي
عنه لما اخرج الى الربذة يا باذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم
خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب
منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم واغناك عما منعوك عنه
وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارضين كانتا على
عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يونسك الا الحق ولا يوحشك
الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك **اقول**
الربذة موضع قريب من المدينة والمخرج لابي ذر هو عثمان قيل لانه كان يغلظ
له في القول وينكر عليه ما كان يراه منكرا من افعاله وينفر عنه واراد ما خافوك
عليه فاستغنى بالثاني عنه وما في قوله وما منعتهم مصدرية ويحتمل ان يريد
ما منعتهم بحروجك عنهم من دينك وانكارك للمنكر وما منعوك عنه هو
دنياهم والرتق ضد الفتق وهو كناية عن شدة الضيق والغرض كناية عن
لا اخذ منهم وقبول عطاياهم **ومن كلام له عليه السلم** ايتها النفوس
المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم
اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات
ان اطلع بكم سرار العدل واقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن
الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد
المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيامن المظلوم من عبادك و
تقام المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني
الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة احد وقد علمتم انه لا ينبغي ان
يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل

فيكون

فيكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا
الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق
ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة **اقول** المختلفة
مختلفة الآراء واظأركم اعطفكم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل ما خفي
منه واصله الليلة او الليلتين تكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر واراد
ببعد ان اظهر بكم العدل لتخاذلكم وتفرق اهوائكم والذي كان منه عليه السلم
هو الحرب والمقاومة في امر الخلافة والمعالم جمع معلم وهو المنار ينصب في
الطريق للهداية فاستعاره لقوانين الدين ونواميسه واناب رجع الى الله وسمع
بنيه واجاب داعيه لانه عليه السلم اول الناس دخولا في طاعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقوله وقد علمتم الى آخره اشارة الى تميز الامام بفضائل
يجب ان تكون فيه والى رذائل تنافي الامامة وبرذيلة الجهل وحوف الدول
وتعطيل السنة خرج معوية عن الصلاحية لها وبالبخل خرج الزبير ونهمته
حرصه على الدنيا وبالجفاء خرج طلحة والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلم**
الحمد لله على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل
سريرة العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره (تخون)
وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان
اقول ابلى وابتلى اختبر وبطن الامر خبر باطنه وخائنة الاعين نظرها
الحرام وكنى بموافقة السر للشهادة لاعلانها عن اخلاصها ومنها
فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه
واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رايت من كان
قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعد
الاجل كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من مامنه محمولا
على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل

اما رأيتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا كيف اصبحت
بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم
لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر
التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة
عملها فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم لتتزودوا منها
الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال
اقول الضمير في فانه للشان ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه
والانذار به وهو الموت ولذلك فسره به فقال وما هو الا الموت
اسمع واعجل في محل النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا
يغرنك سواد الناس من نفسك اي فلا يغرنك دونها كثرة الناس
والوسوسة من نفسك بذلك عن ملاحظة الموت ونزوله اذ كثيرا
ما يرى الانسان الميت محمولا فتدركه رقة وروعة ثم يعاوده الوسواس
الخناس ويأمره باعتبار كثرة المستعين لامر الناس اليهم ويسكن الى
الدنيا باعداده فيهم ومن جمع بدل ممن كان وطول الامل نصب على
المفعول له والبور الهلاك ولا من سيئة يستعتبون اي لا يطلب منهم
العتبى وهو الرجوع عن السيئة لعدم امكان ذلك منهم واستعار وصف
الاشعار لاتخاذ التقوى كالشعار في ملازمتها للقلب والشعار ما يلي
الجسد من الثياب واهتبلوا هبلها اي اهتموا لها اهتمامها الذي
ينبغي والضمير للتقوى والاوفاز جمع وفز بالتحريك والتسكين وهو العجلة
وقوله وقربوا الى آخره كناية عن الاستعداد الى الآخرة بما ينبغي من
ازوادها وتذكير الموت ومن خطبة له عليه السلم وانقادت له الدنيا
والآخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له
بالغدو والآصال الاشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النار المضيئة وآتت

اكلها بكلماته الثمار اليانعة اقول انقياد الدنيا والآخرة له كناية عن دخولهما
في ذل الحاجة والامكان تحت تصريف قدرته ولفظ الازمة مستعار للامكان
الموجب للمتابعة وقال ابن عباس مقاليد السموات والارض مفاتيحها
بالرحمة والرزق وقيل خزائنها والمقاليد جمع مقلاد وهي الخزائن و
سجود الاشجار دخولها في الحاجة اليه والخضوع له وكمال قدرته وحكمته
بخروج الثمار واليانعة المدركة ومنها ارسله على حين فترة من الرسل
وتنازع من الالسن فقفى به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين
عنه والعادلين به اقول قفا اتبع والعادلين اي الجاعلين له عديلا و
شبيها ومنها وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيى لسانه وبيت لا
تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه اقول استعار للكتاب لفظ الناطق
لما فيه من البيان ولفظ البيت له لحفظه من حفظه وعمل به واركانه قواعده
الكلية واعوانه العالمون به وناصروه ومنها وانما الدنيا منتهى
بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان
الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود
والاعمى لها متزود اقول استعار لفظ الاعمى للجاهل لعدم ادراكه الحقائق
الامور كالاعمى وكونه لا يبصر من وراء الدنيا شيئا اشارة الى جهله باحوال
المعاد ولفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه بعد الموت من
احوال الآخرة وقوله والبصير منها شاخص اي العالم منها راحل قد
جعلها طريق سفره الى الله تعالى والاعمى اي الجاهل اليها شاخص اي متطلع اليها
بعين بصره وهمته محبته وقوله والبصير منها متزود اي زاد التقوى
والعمل الصالح والاعمى لها متزود اي حاصل همته اياها فهي زاده الذي
عليه يعتمد ومنها واعلموا انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع منه
ويمله الا الحياة فانه لا يجد له في الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي

هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العميا وسمع للأذن الصماء وري للظمآن
وفيها الغنى كله والسلامة من كتاب الله تبصرون به وتسمعون به وينطق
بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف
بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم
وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب الأموال لقد استهام
بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وأنفسكم **أقول**
قال بعض الشارحين فقد أن الراحة بالموت مخصوص بأهل الشقاوة
في الآخرة أما أولياء الله فلهم الراحة الكبرى كما قال صلى الله عليه
وسلم ليس للمؤمن راحة دون لقاء ربه وقال بعضهم بل هو عام لأن بالموت
ينقطع بحسب الآخرة الازدياد من الكمالات الباقية وذلك لا ينافي الخبر
لأن بازدياد الكمال في الحياة يحصل راحة أعظم مما قبله ولأن المعارف
لما لم تكن ضرورية لم تتمكن النفوس البشرية ما دامت في عالم الغربة من
الاطلاع على ما بعد الموت من الأحوال الأخروية فبالحري أن يخاف
العاقل الموت ويكون ستر عنه وإن لم يكن له راحة دونه كما نقل عن
الحسن عليه السلام أنه حين احتضاره بكى فقال له الحسين عليه السلام ما لي أراك
تجزع مع علمك بأنك تقدم حيث تقدم على جدك وأبيك فقال
نعم يا أخي لا أشك في ذلك إلا أني سالك مسلكا لم أسلكه من قبل وأقول
لا منافاة بين القولين لأنه لا راحة في نفس الموت لأحد لأنه مجرد ألم
ومخاوف لكنه مستعقب لراحة أولياء الله بالغاية فكانت فيه راحتهم و
كلامه عليه السلام أشبه بالعموم لأن الولي وغيره لا يجد في الموت راحة حين
نزوله وقوله وإنما ذلك أي الأمر الذي هو أحق أن لا يمل ولا يشبع منه
إنما هو ما كان بمنزلة الحكمة وأراد الحكمة نفسها ولا يقتضي الكلام أن شيئا
في منزلتها غيرها واستعار لها لفظ الحياة باعتبار أنها تحيي القلب الميت بداء

بجهل ولفظ البصر والسمع لعين الجهل وأذنه اللتين يستفيد بهما عبرة
ولفظ الظمآن للجاهل المتعطش إلى العلم ولفظ الري لأنها كالماء
في استغناء النفس بها وكتاب الله خبر مبتدأ أي أما خبر ثان لذلك وبمنزلة
الحكمة خبر أول أو لمبتدأ محذوف تقديره وهو أي الذي بمنزلة الحكمة
كتاب الله ولا ينافي ذلك أيضا أن يكون نفسه حكمة وتفسير الهاء وقوله
تبصرون به أي تهتدون لمقاصدكم الدنيوية والأخروية وتنطقون به
أي في الفتوى والاستدلال والقصص ونحوه وتسمعون به أي ينفعكم
من الموعظة الحسنة والعبر النافعة فيستشهد ببعضه على أن المراد
ببعض آخر وهو كالذي قبله وقوله ولا يختلف في الله أي لا يختلف
في الدلالة على المقاصد الموصلة إلى الله بل كلها متطابقة على ذلك
وإن تعددت ولا يخالف بصاحبه عن الله أي لا يعدل بمن يتبعه
في سبيل الله عن الوصول إليه واستعار وصف الاصطلاح لما جعلوا
عليه من الغل وهو الغش والحقد لاتفاقهم ذلك في جميعهم واشتراكهم
فيه وقوله ونبت المرعى على دمنكم مثل مضروب للمتصالحين في
الظاهر مع غل القلوب ووجهه أن ذلك المتصالح سريع الزوال الأصل
لدى النبات في الدمن وهي ما يلبد من آثار القوم ومرابط أنعامهم و
الآمال الكلي ما يؤمل كل واحد منهم من نفع عاجل وهو الجامع بينهم وسبب
تصافيهم في الظاهر واستهام بكم الخبيث أي استدعتكم الشيطان لكم
وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته وهو المغرور أيضا
ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
الخروج إلى غزو الروم فقال عليه السلام وقد توكل الله لأهل هذا الدين
بإعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم
وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك

فلعلهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم وليس بعدك مرجع
يرجعون إليه فابعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة
فإن أظهر الله فذاك ما تحب وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للمسلمين ومثابة
لهم أقول توكل الله تعالى لأهل دينه وعده إياهم بالنصر والإعزاز
والحوزة الناحية وكنى بعوراتهم عن حريمهم وحماهم وكنفه حفظه وآواه
والمحرب بالحاء وكسر الميم وفتح الراء الرجل صاحب حروب واحفز معه
أي ادفع وأهل البلاء هم الذين اختبروا وجربوا وأظهر الله نصرهم
والردء العون والمثابة المرجع ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت
بينه وبين عثمان مشاجرة فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان أنا أكفيكه
فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة يا ابن اللعين الأبتر والشجرة التي
لا أصل لها ولا فرع أنت تكفيني فوالله ما أعز الله من أنت ناصره ولا قام
من أنت منهضه اخرج عنا أبعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا أبقى الله
عليك إن أبقيت أقول الأبتر كل أمر انقطع من الخير أثره والنوى
القصد الذي ينويه المسافر وروي نواك والنوى لغة في النأي وهو
البعد واستعار لفظ الشجرة لبيته وكنى عن سقوط أصله بنفي أصلها
وفرعها ولا أبقى الله عليه لا رعاه ولا رحمه ومن كلام له عليه السلام
لم تكن بيعتكم إياي فلتة وليس أمري وأمركم واحداً إني أريدكم لله وأنتم
تريدونني لأنفسكم أيها الناس أعينوني على أنفسكم وايم الله لأنصفن
المظلوم ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً
أقول الفلتة وقوع الأمر من غير تدبر ولا روية وفيه إيماء إلى بيعة
أبي بكر حيث قال عمر إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين
شرها وليس أمري وأمركم واحداً أي ليس مقصدي ومقصدكم واحداً وبين
ذلك الفرق بقوله إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم أي لحظوظ

أنفسكم من العطاء وسائر منافع الدنيا وقوله أعينوني على أنفسكم أي
على قهر أنفسكم الأمارة وذلك بموافقتي على العمل بطاعة الله تعالى والخزامة
حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد فيها الزمام وهو كناية عن قوده
للظالم ذليلاً مطاوعاً والمنهل المورد ومن كلام له عليه السلام
في معنى طلحة والزبير والله ما أنكروا علي منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم
نصفاً وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه فإن كنت
شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة
إلا قبلهم وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم وإن معي لبصيرتي
ما لبست ولا لبس علي وإنها للفئة الباغية فيها الحماء والحمة والشبهة
المغدفة وإن الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه
عن شغبه وايم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا
يعبون بعده في حسي أقول النصف النصفة والحق والدم دم عثمان
والطلبة المطلوب وقوله وإن أول عدلهم أي إن كان لهم عذر وطلب
حق وبصيرته عقله وعلمه والبصيرة أيضاً البرهان وفي تعريفه للفئة
باللام تنبيه على أنه كان حالها معلوماً له من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما ظهرت أشار إليها بما عهد منها واستعار لفظ الحماء
وهو الطين المتغير للغل والحسد في صدور القوم لدورهما ووجه المشابهة
استلزام ذلك لتكدير صفاء المسلمين كالحماء ولفظ الحمة بضم الحاء والتخفيف
وهو سم العقرب لذلك باعتبار ما يلزمه من الأذى وروي الحمة مشدداً
وهو السواد وأراد به ظلمة جهلهم وشبهتهم ولذلك وصفها بالمغدفة وهي
المظلمة لأنها لا يهتدى فيها للحق وقوله وإن الأمر لواضح أي أمر تلك الشبهة
والنصاب الأصل وأراد أن باطلهم لا أصل له وقولهم فيه منقطع عنه
ولأفرطن أي لأملأن واستعار لفظ الحوض لاستعداده في حربهم والغيث

الماء من غير ثمر والحسي موضع يجتمع فيه الماء، ومنها فاقبلتم إليّ اقبال
العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها
ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي
وألبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما وأرهما المساءة
فيما أملا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستأنيت بهما أمام الوقاع
فغمطا النعمة وردّا العافية أقول العوذ جمع عائذ بالذال المعجمة
وهي كل أنثى قريبة العهد بالولادة وهي لسبعة أيام إلى عشرة أيام و
خمسة عشر يوما ثم هي مطفل أي ذات طفل والجمع مطافيل والضمير في أنهما
لطلحة والزبير والتأليب التحريض وما عقداه وأبرماه من الآراء والعزم
على الحرب واستثبتهما طلبت إنابتهما وروي بالتاء من التوبة أي من
ذنبهما في نكث بيعته واستأنيت توقفت وغمطا النعمة احتقراها وبطراها
وردّا العافية أي من البلاء بالحرب **ومن كلام له عليه السلام** يومي
فيها إلى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على
الهوى ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي أقول
الإشارة هنا إلى الإمام المنتظر الموعود به في الخبر والأثر فعطفه الهوى
على الهدى صرفه لميول النفس الأمارة على قوانين الحق وردّه إليها وكذلك عطف
الرأي على القرآن ردّه إليه ومنها حتى تقوم الحرب بكم على ساق باديا
نواجذها مملوءة أخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها ألا وفي غد وسيأتي
غد بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمالها وتخرج له الأرض
أفاليذ كبدها وتلقي إليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي
ميت الكتاب والسنة أقول قيامها على ساق كناية عن غاية شدتها
وكذلك بدو نواجذها ملاحظة لتشبيهها بالسبع عند غضبه ومملوءة أخلافها
كناية على تمام استعدادها برجالها وآلتها كاستعداد الضرع باللبن وأخلاف الناقة

حلوا رضاعها واستعار لفظ الحلو للذة فيها باعتبار إقبال أهل النجدة عليها
ولفظ العلقم لعاقبتها ولما يجده الناس بعدها من الهلاك والضعف
وقوله ألا وفي غد إخبار بما سيكون من أمر الإمام المنتظر وهو المراد
بالوالي وقوله من غيرها إشارة إلى أن يكون قد سبقه ذكر طائفة من
الناس أو البلاد ذات ملك أو إمارة فأخبر عليه السلام أن الوالي من غير
تلك الطائفة وهو الإمام يأخذ عمالها بذنوبهم وأفاليذ جمع الجمع للفلذة
وهي القطعة من الكبد واستعار لفظ الكبد لما في الأرض من الكنوز باعتبار غتبار
خفائها وعزتها كالأكباد في الأجسام والمقاليد الخزائن وميت الكتاب
والسنة مستعار لما ترك منهما فإن قلت قوله ويريكم يدل على أن
المخاطبين يدركونه مع أنكم زعمتم أنه يكون في آخر الزمان فكيف ذلك
قلت خطاب الحاضرين عام وفي حكم العام المخاطبون بدليل العقل
ومنها كأني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف
عليها عطف الضروس وفرش الأرض بالرؤوس قد فغرت فاغرته وثقلت
في الأرض وطأته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في أطراف
الأرض حتى لا يبقى منكم إلا القليل كالكحل في العين فلا تزالون كذلك
حتى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها فالزموا السنن القائمة والآثار
البينة والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة واعلموا أن الشيطان
إنما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه أقول قيل الإشارة إلى عبد الملك
بن مروان لأنه ظهر بالشام حين جعله أبوه الخليفة من بعده وسار
إلى الكوفة إلى قتال مصعب بن الزبير فقتله ودخل الكوفة وبعث الحجاج
إلى عبد الله بن الزبير فقتله وهدم الكعبة وقتل خلقا كثيرا من العرب في
وقائع عبد الرحمن بن الأشعث ورمى الناس بالحجاج ونعقه صياحه وهو كناية
عن دعوته وفحص التراب قلبه وضواحي كوفان وهي الكوفة نواحيها

البارزة وقصد بها كناية عن تقليبه لأمور الكوفة وأهلها ببطونه وبالضروس الناقة سيئة الخلق تعض حالبها ووجه شبهه عطفه على الكوفة بعطف الضروس شدة الحنو والغضب وفغرت فاغرته انفتح فوه وهو كناية عن إقباله بالأذى كاشتباع الصائل وأكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه وكنى بثقل وطأته عن شدة بأسه وبعد جولته عن اتساع تصرفه وتمكنه وجولاته في البلاد البعيدة وبعيد وعظيم حال أن رفعهما خبر المبتدئ وعوارب أحلام العرب ما كان ذهب من عقولها العملية في نظام أحوالهم في الاجتماع والعرب قيل هم بنو العباس ومن نصرهم أيام ظهور دولتهم كقحطبة ابن شبيب الطائي وبني زريق وغيرهم وبسبب تسهل ومن كلام له عليه السلم في وقت الشورى لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلال وشيعة لأهل الجهالة أقول أشار إلى بعض فضائله لغاية سماع قوله والذي أمرهم بسماعه هو التنبيه على عاقبة أمر الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم

ومن كلام له عليه السلم في النهي عن الغيبة إنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيره ببلواه أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به فكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فإن لم يكن ركب مثل ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله تعالى فيما سواه مما هو أعظم منه وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أعظم يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن

على

على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليها فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره أقول أهل العصمة هم الذين أعانهم الله على قهر نفوسهم الأمارة فملكوها والمصنوع إليهم أي من اصطنع الله تعالى عنده نعمة السلامة من الذنوب ورحمتهم لأهل الذنوب تظهر في كفهم عن غيبتهم وإعانتهم على الخروج منها بصالح القول والعمل وقوله فكيف بالعائب أي إذا كان أهل السلامة ينبغي لهم أن يرحموا أهل الذنوب ويشتغلوا بشكر الله تعالى عن غيبتهم فكيف يليق العيب من غيرهم من الناس وأراد بما هو أعظم عيبه لأخيه لأن الغيبة من الكبائر وجعلها أكبر مبالغة أو بالنسبة إلى بعض الكبائر ومن كلام له عليه السلم أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ويحيل الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع فسئل عليه السلم عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت أقول حاصل الفصل النهي عن التسارع إلى سماع الغيبة وقوله أما إنه إلى قوله الكلام تنبيه على قوة أذى الكلام وأنه أشد من الرمي بالسهام إذ السهام قد تخطئ ولا تؤثر والكلام لا بد وأن يؤثر ويحيك وأحاك أي أثر وروي يحيل بالام أي يبطل وقوله وباطل ذلك يبور أي الغرض منه يهلك من مال أو جاه ونحوه وقيل الباطل من ذلك القول يهلك ولا ينفع به ويبقى شهادة الله وجزاؤه وقوله الباطل أن تقول سمعت يحتمل كلام الخطيب يحتمل بصدق بجزئه ومن كلام له عليه السلم وليس لواضع المعروف في غير حقه ولا غير أهله من الحظ فيما أتى إلا

محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليهم ما اجود يده
وهو عن ذات الله بخيل فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه
الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر
نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب فان فوزا بهذه الخصال
شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة ان شاء الله تعالى اقول غرض
الفصل التنبيه على مواضع المعروف التي ينبغي صرف المال فيها وغير
حقه اي غير وجهه الذي ينبغي صرفه فيه وفيما اتى اي فيما فعل
من المعروف وارشد من مواضعه الى خمسة والعاني هو الاسير والغارم
من عليه الدين والنوائب ما ينوب الانسان مما يوجب غرمه كالمصادرات
ونحوها واراد بالخصال مواقع المعروف المذكورة فانها فضائل داخلة
تحت فضيلة الكرم والمواظبة عليها تصيرها ملكات واخلاقا محمودة
وذكر الفوز ليفيد شيئا غادون تقييد بالامر لابهامه الخصوص والجزئية
واحتمالهما **ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء** الا و
ان الارض التي تحملكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما اصبحتا
تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوه منكم ولكن
امرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله
يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات و
اغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر
مزدجر وقد جعل الله سبحانه وتعالى الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة
للخلق فقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا فرحم الله امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته
اللهم انا خرجنا اليك من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم
والولدان راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك

ونقمتك

ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين
ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا
نشكو اليك ما لا يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا
المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة
اللهم انا نسألك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا
بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك
ورحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات
وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروي بها القيعان
وتسيل بها البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما
تشاء قدير اقول نبه بقوله الا وان الارض الى قوله فقامتا على
انهما ليستا مبدأين اولين للرزق بل هما مطيعتان لله عز وجل
في اخراجهما الرزق للحيوان وهو الذي جعل السماء كالاب بارسالها
مدرارا وجعل الارض كالام في قبولها للماء واستعدادها به للنبات
واخرج منهما رزق العباد كما قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وطاعتهما دخولهما تحت تصريف قدرته
وامرهما بمنافعهم واقامتهما على حدود مصالحهم حكم العناية الالهية
عليهما باخراج هذه المنافع وجعلها وفق مصالح الحيوان وقيامهما
وطاعتهما وجود ذلك منهما بحسب مقتضى القدرة الالهية والارادة المنزلة
وقوله ان الله الى قوله مزدجر حكمة تنبيه على سبب حبس المطر ووجه
الحكمة الالهية في ابتلاء الخلق بما ذكر هو قوله تعالى ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع الآية والاقلاع عن السيئة النزوع عنها وقوله
وقد جعل الى قوله مدرارا تنبيه على وجه الخلاص من الابتلاء المذكور
وذلك هو الاستعداد بالاستغفار والمبادرة المسابقة بالعمل الصالح

والعجيج رفع الاصوات بالحنين والبكا والقنوط اليأس وتداحمت اتصلت
والواجم الذي اشتد حزنه ومقايستهم باعمالهم جزاؤهم بما يشبهها
ويقايسها من السيئة والنافعة المروية والقيعان جمع قاع وقوع
وهو المستوي من الارض والبطنان جمع بطن وهو المنخفض من
الارض وباقي الفصل ظاهر ومن خطبة له عليه السلم بعث رسله
بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة
لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق
الا ان الله سبحانه وتعالى قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من
مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون
الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم
دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم وادخلنا
واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا
في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم
اقول الضمير في قوله لهم واليهم للخلق وهو اشارة الى قوله تعالى
رسلا مبشرين ومنذرين ولسان الصدق دعوته صلى الله عليه وسلم
المؤيدة بالمعجزات الباهرة وسبيل الحق شريعته الغاية الى الله تعالى
والبواء الجزاء واما الذين زعموا انهم الراسخون في العلم فجماعة من الصحابة
كان كل منهم يدعي الافضلية في فن من العلم فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم
من كان يدعي انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال والحرام رووا
افرضكم زيد بن ثابت واقرأكم ابي وذلك بالنسبة الى باقي الصحابة ورووا
مع ذلك اقضاكم علي ولما كان القضاء مستجمعا لانواع العلوم لزم انه
افضل لاستجماعه ما تفرق من الفضائل فعلم صدقه في تكذيبهم وان في
محل النصب بالمفعول اليه وهو اشارة الى العلة الحاملة لهم على تكلف

هذه

هذه الدعوى واعطانا اي الملك والنبوة وادخلنا اي في عنايته الخاصة
واستعار لفظ العمى للجهل وقوله الائمة من قريش نص متفق عليه من
النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص ذلك بهذا البطن من هاشم نص منه
يجب اتباعه لعصمته ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في حقه انه مع الحق
وان الحق معه يدور حيث دار ولاشارته بهذا البطن الى ولده الاحد عشر
بنص كل منهما على من بعده ومنها آثروا عاجلا واخروا آجلا وتركوا صافيا
وشربوا آجنا كأني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه وبسئ به ووافقه
حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي
ما غرق او كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة
بمصابيح الهدى والابصار اللامحة الى منار التقوى اين القلوب التي وهبت لله
وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع
لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار
باعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا
واقبلوا اقول اشارة الى بني امية ومن تبعهم ممن خف دينه والعاجل
متاع الدنيا واستعار لفظ الآجن باعتبار ما يخالطه من كدر الاغراض و
الامراض المنغصة والآجل هو ثواب الآخرة واستعار لفظ الصافي باعتبار
خلوصه عن الاكدار المذكورة وفاسقهم قيل اراد به معينا قيل هو عبد
الملك بن مروان وبسئ بالامر الفه وانس اليه وكنى بشيب مفارقه في ذلك عن
صيرورته ملكة وخلقا له وشبه اقباله في حركاته الخارجة عن الحق بالتيار الطامي
واستعار لفظ المزبد وكذلك شبه فعله بوقع النار في الهشيم وهو ما
تكسر من نبت الارض بعد يبسه باعتبار سرعة افنائه وعيثه في البلاد
من غير مبالاة بالدين كما قال لا يبالي ما حرق واستعار لفظ مصابيح الهدى
ومنار التقوى لاعلامهما الائمة الذين اولو التقوى وهي انه ووصف هذه القلوب ب

الدين صح

معاقد نما يقعرها على طاعة الله والضمير في قوله ازدحموا على الحطام عائد
الى من سبق وهو الى آخره ذم لهم وانما قال واقبلوا باعمالهم ولم يقل
بوجوههم كما قال فصرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات
الدنيا يستلزم صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها
من الجنة ثم لما كانت غاية الانسان من الدنيا هو الحصول على لذاتها وكانت
النار لازمة للاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما عرضيا لم تكن النار
غاية ذاتية فلذا اقبلوا بوجوههم وقصودهم اليها بل كان اقبالهم عليها باعمالهم
المستلزمة لها وباقي الفصل واضح والله اعلم ومن خطبة له عليه
السلام ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا
مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا تنالون منها نعمة الا بفراق
اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله ولا تجدد
له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له اثر الا مات له اثر
ولا يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة الا
وتسقط منه محصودة وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب
اصله اقول استعار لهم لفظ الغرض لرميهم بسهام المنايا والانتضال
الرمي وكنى بالجرعة والاكلة عن لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما يلزمها
من الاكدار وقوله لا تنالون الى قوله محصودة فرق لطيف بين
لذات الدنيا والآخرة وهو ان لذات الدنيا لا يمكن ان يجتمع للانسان منها
نوعان معا لكونها حاصلة من طرق الحواس المختلفة وعندما تتوجه النفس
الى تحصيل نوع منها وتشتغل به تفارق غيره ولان ملذاتها زمانية فهي في
معرض الزوال فلا يكاد يجتمع منها نوعان يستلذ بهما في حال واحد بخلاف
اللذات الاخروية واكله بالمد وضم الهمزة ماكولة والاثر كالولد والنابتة و
المحصودة حقيقتان في النبات كنى بهما عما يتجدد للانسان من خير وعما

بعد مثله والاصول الماضية الآباء ومنها وما احدثت بدعة الا ترك بها سنة
فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور افضلها وان محدثاتها
شرارها اقول البدعة كل ما احدث في الدين من غير حجة شرعية
ووجه استلزامها لترك السنة ان تركها من السنة فارتكابها يستلزم ترك
السنة والمهيع الطريق الواسع وهي الشريعة والعوازم جمع عوزم واراد
بها قواعد السنن التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحدثاتها
هي البدع وكونها شرارا لمخالفتها الدين ومن كلام له عليه السلام و
قد استشاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشخوص لقتال الفرس بنفسه
فقال ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله
الذي اظهره وجنده الذي اعده وامده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع
ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالامر
مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع النظام تفرق وذهب
ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون
بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحا بالعرب واصلهم
دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من
اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما
بين يديك من الحاربات ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا
اصل العرب فاذا قطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك
وطمعهم فيك فاما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان الله
سبحانه هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت
من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة
اقول حتى بلغ ما بلغ اي من الكثرة والعزة وطلع حيث طلع اي من
آفاق البلاد وموعود الله تعالى في قوله وعد الله الذين آمنوا الى قوله

وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا والعبرة بالإمام وحذافير الشيء أطرافه جمع
حذفار وقوله بحذافيره أي بأسره واستعار لفظ القطب ولفظ الرحى
لأمور الإسلام أو للحرب والعورات مواضع المخافة على الإسلام وأهله
والكلب الشر وقد كان ذكر له مسير الفرس في وقعة القادسية إلى قتال
المسلمين وذكر كثرة عددهم فأجابه عن هذين الوجهين بضميرين صغرى
الأول قوله فإن الله سبحانه إلى قوله بكره وتقدير كبراه وكل ما كان
أكره له هو أقدر على تغييره منك فيجب أن تفوض أمره إليه وصغرى الثاني
قوله فأما ما ذكرت إلى آخره وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي أن
ينظر إلى كثرة العدد ويحفل به والله أعلم ومن خطبة له عليه السلام
فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان
إلى عبادته ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم
العباد ربهم إذ جهلوه وليقروا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد أن أنكروه
فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته
وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد
بالنقمات وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه أخفى من الحق
ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند أهل
ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا أنفق منه إذا
حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من
المنكر فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب وأهله يومئذ
منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو
فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا معهم لأن الضلالة لا
توافق الهدى وإن اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة
كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم فلم يبق عندهم منه إلا اسمه ولا

يعرفون

يعرفون إلا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا
126 صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وإنما هلك من
كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي
ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة والنقمة
أيها الناس من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي
أقوم وإن جار الله آمن وعدوه خائف وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله
أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له و
سلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له فلا تنفروا من الحق
نفار الصحيح من الأجرب والباري من ذي السقم واعلموا أنكم لن تعرفوا
الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي
نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند
أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن
علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين
ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق **أقول** ذكر
الغرض من البعثة في معرض مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتجليه سبحانه
في كتابه هو ظهوره وجوده لقلوب عباده بالتنبيهات التي اشتمل عليها
كالتنبيه على أنواع المقدورات وأصنافها على كمال قدرته وبأنواع
المبدعات المحكمة على كمال علمه وحكمته وبالتخويف بالمثلات وهي
العقوبات النازلة بالقرون الماضية وإفنائهم على أن مثل ذلك واقع
بهم فيعملوا لما بعد الموت وأبور أي أكسد وأما الكذب على الله وعلى
رسول الله فروي عن شعبة وكان إمام المحدثين أنه قال إن تسعة أعشار
الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح إلا كالشعرة البيضاء
في الثور الأسود وتلي حق تلاوته أي وضع مواضعه وفسر كما هو المراد به

وتحريفه عن مواضعه حمله على غير محامله ونبذ حملته له اعراضهم عن
تدبر ما فيه والعمل به واهله هم الواعون له العاملون بما فيه و
الطريق المصطحبان في طريق الله تعالى واصطحابهما ملازمة العمل به و
اتفاقهما على الدلالة في طريق الله وهم في الناس معهم بابدانهم و
الكتاب معهم بالفاظه وكتابته وليسوا في الناس ولا معهم بقلوبهم
والكتاب بمقاصده وثمرته واشار الى وجه المباينة بينهما وبين الناس
بكونهما على هدى والناس على ضلالة والضدان لا يجتمعان في محل
واحد هو القلب وان اجتمعا الاجتماع المذكور والقوم اهل زمانه
كالخوارج وغيرهم ومن بعده كاهل الآراء والمذاهب المختلفة
وتدبر كتبته وشبههم بائمة الكتاب في جعله تبعا لآرائهم وقوله
ومن قبل ما مثلوا بالصالحين الى قوله عقوبة السيئة اشارة
الى ما فعل امراء بني امية وولاتهم كعبيد الله بن زياد والحجاج ومثل
بالتخفيف والتشديد نكل والاسم المثلة بفتح الميم وسكون الثاء وما
مصدرية محلها الرفع بالابتداء وخبرها من قبل واراد الذين فعلوا
ذلك من قبل بالنسبة الى من بعدهم من الداخلين في وصفه والفاعل
الشديد واستنصاح الله تعالى قبول قوله واتخاذه دليلا في طريقه
التي هي اقوم الطرق وجار الله من لزم بابه بطاعته وبين معرفة الله
وعظمته والتعظيم معاندة لاستلزام معرفة العارف به استصغار
نفسه في جنب عظمته وذلك مناف لتكبره وكذلك تواضع العارف لعظمته
واستيلاء قدرته واستسلامه له مستلزمان لرفعته وسلامته في
الدارين ومعرفة تارك الرشد وناقض الكتاب ونابذه شرط في المعرفة
التامة للرشد وللتمسك التام بالكتاب ولزوم ميثاقه المأخوذ على العباد
في العمل به لان المعرفة التامة للشيء تستدعي معرفة ما عليها من الشكوك

والشبهات

والشبهات التي هي سبب نقصان معرفته والتمسك فيه ولما كان الرشد
هو الحق الذي هو عليه وما يعوج والتارك له لذلك هم المخالفون من
ائمة الضلال لا جرم كان من معرفة الرشد الذي يدعوا اليه و تمام صح
تمسك به من الكتاب معرفة خصومه الذين تركوا الرشد ونقضوا الكتاب
ومعرفة شبههم الباطلة لتحصل المعرفة على بصيرة ولما نبه على تلك
المعرفة امر بالتماسها من عند اهلها واراد نفسه واهل بيته عليهم
السلام واستعار لهم وصف عيش العلم اي حياته وموت الجهل باعتبار
ان بهم وجود العلم والانتفاع به وعدم الجهل والفقر به وحكمهم منطقهم
بالحكمة ولما كان صمت الحكيم في موضعه كان من جملة حكمته وظاهرهم هيئة
الخاشعين العابدين وهو دال على ما في نفوسهم بكمال قوتي العلم و
العمل واستعار لفظ الصامت الناطق للدين باعتبار افادته الاحكام
الشرعية منه عند الرجوع اليه وعدمها ومن خطبة له عليه
السلام في ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه
عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله بحبل ولا يمدان اليه بسبب كل واحد
منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا
الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا وقد
قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم
لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم
يسمع الناعي ويحضر الباكي اقول يشير الى طلحة والزبير والامر
الامارة ويعطفه يجذبه اليه واراد انهما مختلفان في نفس الامر وان اتفقا
على خلافه وليس غرضهما الا التقدم وان غرضهما انكار المنكر ومت
يمتان توسل به والضب الحقد والغل واستعار لفظ القناع لظاهره الساتر
لباطنه وقد نقل انهما اختلفا قبل الحرب في الاحق بالتقدم في الصلاة

حتى قامت عائشة ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلي بالناس هذا يوما
وهذا يوما وادعى كل منهما انه احق بسمعة ذكرها فامرت الناس ان يسلموا
عليهما جميعا بالامرة وهم الفئة الباغية هو لقناوا المحتسبون طالبوا
الاجر والثواب من الله تعالى والخبر الذي تقدم لهم ما اخبر به الرسول
صلى الله عليه وسلم بقوله يا علي انك ستقاتل الناكثين والقاسطين
والمارقين والمرادات من سمع هذا الخبر من طالبي ثواب الله وجب
عليه قتال هؤلاء لنكثهم وقوله ولكل ضلة شعبة كالجواب لمن يقول
انهم يحتجون بكذا واللدم الضرب على الصدر والوجه ونحو اراد انه
يبعد عليه لقصد هؤلاء لقتاله بامارات ظاهرة لا ينام عنهم حتى يوقع
فيكون في الغرور كمستمع اللدم والبكاء الذي هو مظنة الخطر ثم لا
يصدق حتى يحضر الباكي ليشاهد الحال فيسلم نفسه للعدو وقد كان
الاولى ان يكتفي بذلك السماع ويستعد للقتال او الهرب منه **ومن كلام
له عليه السلام قبيل موته** ايها الناس كل امرء منكم لاقيه ما يفر منه
في فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام
ابحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون
اما وصيتي لكم فالله لا تشركوا به شيئا ومحمدا صلى الله عليه وسلم فلا
تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين
وخلاكم ذم ما لم تشردوا وحمل كل امرء منكم مجهوده وخفف عن الجهلة
رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لي ولكم انا بالامس صاحبكم
وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك
المراد وان تدحض القدم فانا كنا في افياء اغصان ومهاب رياح وتحت
ظل غمام اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا
جاوركم بدني اياما وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة

بعد نطق ليعظكم هدوي وخفوت اطرافي وسكون اطرافي فانه اوعظ
للمعتبرين من النطق البليغ والقول المسموع وداعي لكم وداع امرئ
مرصد للتلاقي غدا ترون ايامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد
خلو مكاني وقيام غيري مقامي اقول انما كان في فراره كون الانسان
ابدا فارا من الموت وان كان لا بد من لقائه قياما فلقاؤه في فراره و
الاجل قد يراد به مدة الحياة وهو مساق النفس الى غايتها وفي قوله
والهرب منه موافاته لطف فان الفرار منه مثلا بالحركات والعلاجات
ونحوها يستلزم فناء الاوقات وفي فنائها موافاته فكان الهرب منه
موافاة له واطردت الايام جعلتها طريدة لي اتبعها بالبحث عن مكنون هذا
الامر وهو قتله فان الرسول عليه الصلوة والسلام اخبره به اجمالا حيث
قال اتدري من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة قال اتعلم من اشقى
الآخرين فقال لا فقال من يخضب هذه واشار الى لحيته من هذا واشار
الى راسه والمكنون وقته وكيفيته بالتفصيل وهيهات اي بعد ذلك
العلم وخزنه لقوله تعالى وعنده علم الساعة الآية وروي الله ومحمد
منصوبين اي اعبدوا الله واتبعوا محمدا واستعار لفظ العمودين
للتوحيد والسنة باعتبار قيام الدين بهما ولفظ المصباحين باعتبار
هداية الخلق بهما وانقيادهما احياهما وخلاكم ذم مثل
يضرب لمن تبرأ من العيب واول ما قاله قصير مولى جذيمة وقوله ما
لم تشردوا استثناء من نفي لحوق الذم لهم وقوله وحمل كل امرئ الى
قوله الجهلة الى تفاوت التكليف بذلك وان الله قد حمل كل امرئ اشارة
اي مجهوده وما استعد لقبوله واراد بالامام العليم الرسول صلى الله
عليه وسلم ونفسه عليهما السلام لعلمهما بوضع الدين وتفاوت قسمته
بحسب الاذهان وكنى بثبات الوطأة عن البقاء في حال الدنيا تلك وتدحض

القدم وهو تلقد عن الموت واستعار لفظ افياء الاغصان لما يشبه الظل
من الحياة ومتاعها للاستراحة اليه كالظل ولفظ الاغصان للابدان و
كذلك لفظ ثمرات النتايج لانها فوايد للنفس الالهية ولفظ ظل الغمام لما ينقل
من البقاء ومتاع الدنيا ولفظ الغمام لاسباب البقاء المجتمعة ووصف
اضمحلالها بالتقشع من الغمام واجتمع لزوال تلك الاسباب وتفرقها و
الضمير في محطها يعود الى النتايج ولفظ المحط مستعار للابدان ايضا
كالمهاب وعفافها فناؤها وقوله جاوركم بدني فيه تنبيه على ان
الانسان امر وراء هذا البدن وان نفسه القدسية كانت متصلة
بالملاء الاعلى وستعقبون اي توجدون في العاقبة مني جثة خالية
من الروح وقوله وداعيكم اي وداعي لكم ومرصد للتلاقي اي معد
للقائكم يوم القيمة وقوله غدا اي بعد موتة الى آخره اراد انهم
لم يكونوا عارفين بحقه في امر الدين ومقاصده في حروبه وانما يعرفون
ذلك وينكشف لهم بعد خلو مكانه وقيام غيره فيه مقامه ومن كلام
له عليه السلم يومي فيه الى الملاحم واخذوا يمينا وشمالا طعنا في مسالك الغي
وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كاين مرصد ولا تستبطئوا ما يجي
به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من
تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون
الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين
ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في سترة عن
الناس لا يبصر القايف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها شحذ القين
النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير في مسامعهم ويغبقون كاس الحكمة
بعد الصبوح اقول الضمير في قوله واخذوا المنفصل من المسلمين عن طريق
الهدى واليمين والشمال طرفا التفريط والافراط من الفضايل التي ذكرناها

حتى

١ قبل وتلك الاطراف هي الرذايل ومسالك الغي ومذاهب الرشد هي الفضايل النفسانية
والكاين المرصد هو ما كانوا يتوقعونه من الفتن الموعود بها وكانوا كثيرا ما
يسألونه عنه وقت وقوعها فنهاهم عن استعجال ما لا بد من وقوعه واستبطائه وابان
الشيء وقته ومن ادركها اي تلك الفتن منا اي من اهل البيت الائمة الاطهار
واستعار لفظ السراج لكمالات النفس التي استضاءت بها في طريق الله واستعار
لفظ الربق وهو الحبل فيه عدة عرى تشد بها البهم لما انعقد في النفوس من
العقايد الباطلة والشبهات والامام يحلها ويعتق الرقاب من رق اثامها
ويصدع ما انشعب والتام من الباطل ويشعب ما انصدع من الحق وهو مغمور
في الناس والقايف قصاص الاثر واراد انه لا يعرفه من يتعرفه وما زالت
ائمة اهل البيت عليهم السلم مغمورين في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم
وقوله ثم ليشحذن الى قوله النصل فاستعار وصف الشحذ وهو التحديد
لاعداد اذهان قوم فيها القبول للعلوم والحكمة كما يعد الحداد النصل
للقطع بالشحذ وقوله تجلى بالتنزيل الى آخره بيان لكيفية ذلك الشحذ
والاعداد واسبابه وهي تدبر القرآن وجلاء ابصار بصايرهم بانوار
علومه وحكمه وقذف تفسيره في مسامعهم كما ينبغي من امام الوقت و
اشار بقوله يغبقون الى آخره الى دوامهم لتلقي الحكمة واستفادتها
من امام الوقت ولفظ الصبوح والغبوق مستعاران ومنها وطال
الامد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل و
استراح قوم الى الفتن واشالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر
ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع
مدة البلاء حملوا بصايرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم
حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رجع قوم على الاعقاب وغا لتهم
السبل واتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي

الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه معادن
كل خطيئة وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في
السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن او مفارق
للدين مباين اقول اشار بمن طال الامد بهم الى من كان من اهل الجاهلية
وقوله ليستكملوا الى قوله الغير كقوله تعالى ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم حتى اذا اخلق اجلهم واستراح قوم
منهم الى الفتن والوقايع واشتالوا عن لقاح حربهم لهم اعدوا انفسهم
لها كما تعد الناقة نفسها بشول ذنبها ورفعه للقاحها وتسمى شايلة و
الضمير في قوله لم يمنوا يرجع الى ذكر ما سبق للصحابة في هذه الخطبة
حين قام الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وبهم الحرب فلم يمنوا على الله
نصرهم معه ولم يستعظموا بذل انفسهم في نصرة الحق حتى اذا
وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية حمل
هؤلاء الذين لم يمنوا على الله بنصرهم لراي بروسهم على سيوفهم في
نصرة الدين ودانوا لربهم بامره واعظم وهو النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا قبض الله تعالى رسوله رجع قوم عن الاسلام على اعقابهم وارتاد
من ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم من العرب السبل لهم استرقاق
طرق الباطل المشتبهة عليهم واتكالهم على الولايج اعتماد كل منهم في نصرة
رايه الفاسد على شيعته التي يلج فيها او على اهل خاصته وبطانته وهي الوليجة
والسبب الذي امروا بمودته هم اهل البيت عليهم السلم واستعار لهم
لفظ السبب باعتبار اتصالهم للمتمسك بولايهم الى الله تعالى والامر بمودتهم
في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله
ونقلوا الى قوله غير موضعه اشارة الى عدول من عدل بامر الخلافة
عنه الى غير بيته واستعار لهم لفظ الابواب باعتبار انهم مبادي الشبه

والآراء

والآراء الفاسدة التي يدخل الناس في الجهل منها والضارب في الغمرة الداخل
في غمرة الجهل وماروا ترددوا ولفظ السكرة مستعار لغفلة الجهل ومن
خطبة له عليه السلم واستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره والاعتصام
من حبايله ومخايله • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ونجيبه وصفوته لا يوازى فضله ولا يجبر فقده
اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية
والناس يستحلون الحريم • ويستذلون الحليم • يحيون على فترة ويموتون على
كفرة • ثم انكم معشر العرب اغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات
النعمة واحذروا بوايق النقمة • وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج
الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها • وانتصاب قطبها ومدار
رحاها • تبدا في مدارج خفية • وتؤول الى فظاعة جلية شبابها كشباب
الغلام • وآثارها كآثار السلام • تتوارثها الظلمة بالعهود • اولهم قائد
لآخرهم وآخرهم مقتد باولهم • يتنافسون في دنيا دنية • ويتكا لبون
على جيفة مريحة • وعن قليل يتبرا التابع من المتبوع • والقائد من
المقود • فيتزايلون بالبغضاء • ويتلاعنون عند اللقاء • ثم ياتي
بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف • والقاصمة الزحوف • فتزيغ قلوب
فريق بعد استقامة • وتضل رجال بعد سلامة • وتختلف الاهواء عند
هجومها • ويلتبس الآراء عند نجومها • من اشرف لها قصمته • ومن سعى فيها
حطمته • يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة • قد اضطرب معقود
الحبل وعمي وجه الامر • تغيض فيها الحكمة • وتنطق فيها الظلمة • و
تدق اهل البدو بمسحلها • وترضهم بكلكلها • تضيع في غبارها الوحدان
وتهلك في طريقها الركبان • ترد بمر القضاء • وتحلب عبيط الدماء • وتثلم
منار الدين • وتنقض عقد اليقين • تهرب منها الاكياس وتدبرها

الاجاس من عادمبراق كاشفة عن ساق تقطع فيها الارحام و
يفارق عليها الاسلام بريها سقيم وظاعنها مقيم **اقول** الدحر
الطرد ومداحر الشيطان مظان دحره من العبادات والطاعات
واستعار لفظ الحبائل للشهوات التي هي شباك الشيطان ومخاتله
مخادعه والايوازي اي لا يقابل بمثله اذ ليس لفضله مثل واضاءت
البلاد بسبب ما جاء به من نور الاسلام والضلالة الكفر والجفوة ما
كانت العرب عليه من الغلظة ووصفها بما اسبق منها مبالغة والناس
اهل الجاهلية والبلايا الفتن الموعود بها واستعار لفظ السكرات
للغفلة في نعمة الله عن ذكره فانها تعد لتغيرها ونزول بوايق
النقمة وهي الدواهي واستعار لفظ العنق للفتنة ولفظ
القيام بها لما يعرض من التشعث بسببها واراد فتنة بني امية ولفظ
جنينها لصغير ما يبدو امنها ولمكنيها مستورها ولفظ القطب
لصاحب الفتنة الداعي فيها وكنى بانتصابه عن قيامه فيها ومدار
رحاها عن اجتماع الخلق عليه والمدارج الخفية صدور من يتوى القيام
والقطاعة بجادرة لامر الشديد المقدار والسلام الحجارة والظلمة امراء
بني امية والضمير في بتوادتها للفتنة وهي ابرة الظالمين باعتبار ابتلاء
الخلق بها والتكالب التشارد والمرجدرات الريح والفتنة الاخرى يشبه
ان يكون فتنة التتار وقيل فتنة تاتي في آخر الزمان كفتنة الدجال
والرجوف كثيرة الارجاف واضطراب الخلق فيها والزحوف كثيرة الزحف
ونجومها طلوعها والمشرف لها المتطلع الى دفعها ومقاومتها والتاعي
فيها اي في قيامها والمراد ان قائمها ومقاومها هلكان فيها واستعار وصف
التكالب للتغالب والعانة القطيع من حمر الوحش ومعقود الحبل ما انتظم
من امر الدين ووجه الامر المصلحة واستعار وصف الغيض لعدم الحكمة

الانهر

واوصاف النفس للفتنة كالمسحل وهي حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام و
العبيط الخالص من الدم الطري ومن القضاء اصعبه كالقتل ونحوه
ومنار الدين مستعار لائمته وعقد اليقين ما انعقد في النفس من
الامور المتيقنة وتقضه ترك العمل على وفقه والاكياس اهل العقول
والآراء الصحيحة ولشعاعه ساق كناية عن اقبالها مسرعة كالمشمر في
مهمة وقوله بريتها الى آخره اي من ترك منها وهرب عنها لم ينج منها ومنها
قوله عليه السلم بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الايمان و
بغرور الايمان فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه
حبل الجماعة وبنيت عليه اركان الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا
تقدموا عليه ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان ولا
تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم المعصية وسهل
لكم سبل الطاعة **اقول** قوله بين قتيل الى قوله مستجير يشبه ان
يكون تفصيلا لحال المؤمنين في الفتنة ودم مطلول اذا هدر فلم يطلب
به وقوله يختلون الى قوله الايمان صفة استجلاب هؤلاء المقتولين
وخديعتهم عن انفسهم وانصاب الفتن واعلامها دوساوها المقتدى بهم وحبل
الجماعة نظام المسلمين بالدين وما عقدت عليه الالفة والتوازن وعلى
ذلك بني الاسلام واركان طاعة الله وقوله واقدموا على الله مظلومين
ليس فيه امر بالانظلام لكونه رذيلة بل اذا تعارض الظالمية والمظلومية فا لمظلوميته
اولى مع علم النفس بالعجز عن المقاومة او العلم بما تشتمل عليه المقاومة
في فساد زائد على القدر الفائت بالانظلام وانما يكون الانظلام رذيلة
اذا كان مع مهانة لا تنبعث النفس معها الى دفع الظلم والمقاومة و
مدارج الشيطان مذاهبه وطرقه ومهابط العدوان المظالم وكنى بلعق
الحرام عما يؤكل منه واللعقة ما تتناوله الملعقة ولفظ العين مجاز في العلم

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على أن لا شبيه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الأحد لا بتأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا بأداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد أبطل أزله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال أين فقد حيزه عالم إذ لا معلوم ورب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور

أقول حمد الله تعالى باعتبارات منها أوصاف فالأول إثبات وجوده الواجب وللناس في إثباته طريقان أحدهما إثبات وجوده باعتبار الوجود نفسه وقسمته إلى واجب وممكن وبيان أنه لا بد من وجود واجب في الجملة وهو طريق الحكماء الإلهيين والثاني الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبائعها وتغيراتها على مبدئ لها وهي طريق الطبيعيين والمليين والمتكلمين فرعوا هذه إلى طرق أربع وذلك أنهم استدلوا بإمكان الأشياء ثم بحدوثها على الصانع وعلى التقدير في ذواتها وفي صفاتها وقد أشرنا إلى تفصيلها في الأصل والكلام مستوفى في الكلام وإشارته عليه السلام بقوله الدال على وجوده بخلقه إلى الاستدلال بحدوث العالم على وجود صانعه وهي الطريقة المشهورة للمتكلمين الثاني في أزليته وأشار إليه بقوله وبمحدث خلقه على أزليته الثالث لا شبيه له وأشار إليه بقوله لا تستلمه المشاعر أي الحواس الخامس أن السموات لا تحجبه ونبه على دليل الاعتبارات الخمسة بقوله لافتراق الصانع إلى قوله والمربوب وبيانه أن لكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه بها يفارق الآخر وتقرير الحجة أن المخلوقية والحدوث والاشتباه

والملموسية بالمشاعر والحجب بالسواتر من الصفات المختصة بالمصنوع والمحدود والمربوب وكل ما كان كذلك فيجب أن يتنزه الصانع الحاد رب الكل عنه وبيان ذلك بالتفصيل قد نبهنا عليه في الأصل السادس في وحدانيته وقد سبق بيانها في الخطبة الأولى وقوله ليس بمعنى العدد أي كونه واحدا بمعنى كونه مبدأ للكثرة يعدها السابع كونه تعالى في خالقيته منزها عن الحركات والمتاعب الثامن كونه سميعا لا بأداة التاسع كونه بصيرا لا بتفريق آلة وأراد بتفريق الآلة إما توزيع آلة الإبصار وهو الشعاع على المبصرات أو الآلة المفرقة وهما القوتان في العينين أو الروح الحامل لهما العاشر كونه شاهدا أي حاضرا مع الأشياء لا بمماسة منها الحادي عشر تنزيهه عن المباينة بمعنى الافتراق في المسافة الثاني عشر كونه ظاهرا منزها في ظاهريته عن رؤيته بالأبصار وباطنا منزها في ذلك عن لطافة المقدار الثالث عشر في تفسير مباينته للأشياء ومباينتها له بالوجه اللائق بكماله ونقصانها الرابع عشر تنزيهه عن الصفات اللاحقة بالقياس إلى ذكره والمراد بوصفه هنا إشارة الوهم إليه وإدراكه له إنما جعله مبدأ لكثرة معدودة أو ذا أجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق المحدثات غير المستحقة للأزلية بالذات كان عده بأحد الاعتبارين مبطلا لأزله الذاتي الخامس عشر تنزيهه عن السؤال عنه بكيف وأين لامتناع المسؤول عنه بهما عليه وقد مرت الإشارة إلى هذه الصفات وما بعدها في الخطبة الأولى وبالله التوفيق

ومنها قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه إن الله قد خصكم بالإسلام واستخلصكم له وذلك أنه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله سبيله وبين حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى

غرايبه ولا تنقضي عجايبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات
الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه
شفاء المستشفي وكفاية المكتفي **اقول** اشار بطلوع الطالع الى ظهور امر
الخلافة له وانتقالها اليه وبلموع اللامع الى ظهور نور العدل بانتقالها
الى مقرها وبلوح اللايح الى ما يلوح من امارات الفتنة والمايل كونها في
غير قبله واعتدالها انتقالها اليه والقوم المستبدل بهم من سبقه بروق
زمانهم بزمانه وانتظار للغير توقعه لتغير الامر اليه والعرفاء النقباء
ولما ثبت في الاصول ان معرفتهم اي معرفة حقيقة امامتهم ومعرفتهم
سادوليائهم بالولاية لهم شرطين مساويين للامان والايمان واستحقاق
دخول الجنة متلازمان ثبت ان معرفتهم والمعرفة بهم ملزومة لدخول
الجنة وحينئذ يكون انكارهم ودخول النار متلازمان والا لصدق
احدهما على بعض نقيض الاخر فاما ان يصدق انكارهم على بعض من لا يدخل
النار فبعض من يدخل الجنة منكر لهم او يصدق دخول النار على بعض من لا ينكرهم
فبعض من يعرفهم يدخل النار وكلاهما باطلان لما بينا من الملازمة بين
دخول الجنة ومعرفتهم فظهر بذلك وجه الحصر في القضيتين وفضيلة
الاسلام من جهة اشتقاقه كونه عبارة عن الدخول في الطاعة التي هي سلامة الدارين
من جهة معناه كونه جامعا كرامة لان مداره على تعليم الفضايل والطهارة عن
الرذايل ومنهجه طريقه ووجهه ادلته واماراته واستعار لفظ المرابيع وهي
الامطار الربعية للعلوم والحكمة باعتبار احياها القلوب ولفظ المصابيح
لها الهداية بها من ظلمة الجهل ولفظ المفاتيح للتوصل بها الى الخيرات الحقيقية
الباقية ولفظ الحمى للمحرمات التي منعها بنواهيه ولفظ المرعى للمباحات
التي اباحها وحللها بارشاده ومن خطبة له عليه السلام وهو في مهلة
من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام

قايد **اقول** نصيف ما ان المهلة مدة العمر وهو يهوي مع الغافلين نحراطه
في سلكهم الى مهاوي الهلاك ومنها حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم
واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا
فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم فاني احذركم
ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر
فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي
والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف
في نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من
غفلتك واختصر من عجلتك وامعن الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي
صلى الله عليه وسلم مما لا بد منه ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك
الى غيره ودعه وما رضي لنفسه ودع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك
فان عليه ممرك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا
فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها
الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزايم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب
ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله
ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها
ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفس
او يقر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه
او يلقى الناس بوجهين او يمشي بينهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل
دليل على شبهه ان البهايم همتها بطونها وان السباع همتها العدوان على
غيرها وان النساء همتهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها **اقول** قوله
حتى الى قوله وطرهم وصف حال العصاة الغافلين بعد الموت واستعار
لفظ الجلابيب للابدان والهيئات المكتسبة منها باعتبار حجبها لامور

لاخرة غنمه والمدبر الذي استقبلوه امر الاخرة والمقبل الذي استدبروه
امور الدنيا والوطر الحاجة والمراد صحى الغافلين المذكورين فانها منزلة
اقدام العقول وقوله فانما الى قوله مصدق شرح لكيفية انتفاع الانسان
بنفسه كما امر به والجدد الطريق الواضح وهي سبيل الله المستلزمة للسلامة
من صرعة المهاوي وهي المعاطب والتعسف في الحق تكلف شيء كالامر بالشبهة
الضعيفة والاحتمال البعيد والطرق غير الواضحة في الدين وتحريف القول
تغييره بزيادة او نقصان وظاهر ان من عرف بذلك اوبا العوف ضاهد
في بعض ما يتوهمه فيه مضرة هان على الجهال والغواة ودعاهم ذلك منه الى
الطمع في انتقاله عنه باطلهم فكان معينا لهم على نفسه والاحتجاج بمثل
فعله بل الواجب لزوم الطريق الواضح في كل مشتبه والكف عما سواه واراد
بجملته شرعته في طلب الدنيا وما لا بد منه الموت وما بعده والجحيم
المعدل وقوله كلا تدين شدان الى قوله تحصد مثلا لمن يفعل فعله بعزبابه
لا بد من جزاء به والمقصد التوطية وقوله ان من عزائم الله الى قوله
منها اليه من جملة نصوص الله تعالى التي هي في محكم كتابه التي باعتقادها والعمل عليها
وفقها يثيب ويرضى وبتركها يسخط ويعاقب انه لا ينفع عبدا حرز وجدته من
الدنيا لارتكاب شيء من هذه الخصال المذكورة وما شاكلها وان اجهد نفسه
في العمل واخلص فيه والشرك في العبادة المفترضة الريا ويحتمل ان يريد
الشرك المعهود وشفاء غيظه بهلاك نفسه ان يشفيه بجرم يستعقب
الهلاك في الدارين او في الاخرة وروي بهلاك نفس والاقرار بفعل الغير
النميمة والسعاية به والبدعة المتوصل بها الى الحاجة كشهادة الزور
ولا رضاء الملوك بفعل بعض المحرمات ولقاء الناس بوجهين او لسانين
كناية عن النفاق وهذه الرذائل بئس الزاد ليوم المعاد وقوله اعقل ذلك
الى اخره اي اعقل ما ضربه لكم من المثل واحمل عليه ما يشبهه فان المثل دليل على

مجمعه وذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله والفساد فيها فقوله ان
البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة
اذ همها ما تستفيد من طعام وشراب وقوله ان السباع همها العدوان
اشارة الى ان متبع القوة الغضبية بمنزلة السباع في اتباعهما وجنة
الانتقام وقوله وان النساء الى قوله فيها اشارة الى ان النساء
متبعات للنفوس الشهوانية ولما كان همهن زينة الحيوة الدنيا والعصيبة
ولما كان همهن الفساد في الارض فالتابع لشهوته بهيمة والغضب سبع
ولهما امرأة ولما حصر منابع الشر في قوتي الشهوة والغضب حتى للمؤمن صفات
تقتل من كسر تلك القوتين ليلزمهما مستدبرا المثل والله اعلم ومن خطبة
له عليه السلام وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع
دعى وراعي رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار الفتن
واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون
المكذبون نحن الشعار والاصحاب والخزنة والابواب لا تؤتى البيوت
الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا اقول ناظر قلب
اللبيب فكره به يبصر غايته وهي الموت وما بعده وغوره ونجده
كنايتان عن طريقي الخير والشر واشار بالداعي الى النبي صلى الله عليه وسلم
والقران اكريم وبالراعي الى نفسه والضمير في خاضوا الى محاربيه اذ ذلك
بتبع الآراء القبضوا وانقبضوا واستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته
باعتبار قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم كالثوب الذي يلي الجسد دون باقي
الثياب والخزنة والابواب اي خزنة علم الرسول صلى الله عليه وسلم كما
قال عليه الصلوة والسلام انا مدينة العلم وعلي بابها وقوله لا تؤتى البيوت
الا من ابوابها ارشاد للناس الى نفسه واهل بيته بقصد صغرى قوله
فمن اتاها الى اخره وتقدير كبراه ومن يسمى سارقا لحقه الاثم والعار والعقاب

ومنها فهم كرائم الإيمان وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا
فليصدق رائد أهله وليحضر عقله وليكن من أبناء الآخرة فإنه منها
قدم وإليها ينقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله
أن يعلم أن عمله عليه أم له فإن كان له مضى فيه وإن كان عليه و
قف عنه فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق فلا يزيده بعده
عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته والعامل بالعلم كالسائر على
الطريق الواضح فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع واعلم أن لكل ظاهر
باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث
باطنه وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العبد ويبغض
عمله ويحب العمل ويبغض بدنه واعلم أن لكل عمل نباتا وكل نبات
لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت
ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرت ثمرته **أقول** الإشارة
إلى فضائل أهل البيت عليهم السلام وكرائم الإيمان نفائسه كالاعتقادات
الحقية والأخلاق الفاضلة وكنوز الرحمن استعارة باعتبار كونهم
خزان علم الله وخصص وصف الرحمن لأنه مبدأ بعثة الأنبياء والأولياء
إذ جعلهم الله برحمته هداة خلقه وقوله لم يسبقوا أي عند صمتهم
لا يسبقون إلى فضيلة نطق إذ كان صمتهم في موضع النطق حكمة و
قوله فليصدق رائد أهله كالمثل وقد سبق مثله وفائدة التنبيه
على فضله والأمر بصدق الخبر عنه لمن يعنيهم أمره وأن عنده من مراتع
النفوس ومائها ما ينبغي وليحضر عقله أي ليفهم ما يقوله واستعار
لفظ الأبناء للآخرة كالمنقلب عنه الأم الراجع إليها وقوله واعلم أن لكل
ظاهر باطنا إشارة إلى ما اقتضته الحكمة الإلهية من جعل العالم الجسماني
مثالا للعالم الروحاني وطريقا للنفوس البشرية إلى أمثالها من المعقولات

وأنه لولا ذلك لتعذر السلوك إلى الحظيرة الإلهية ومن ذلك ما أشار إليه السلام
من اختصاص الناس وأفعالهم الظاهرة فإنها دالة على ما يناسبها في
بواطنهم من الأخلاق وأعمال القلوب دلالة أكثرية فرب حسن الصورة
قبيح الباطن ورب خبيث الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بالخبر
النبوي فإن الله تعالى يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى
الحكمة الإلهية وأنسب إلى الوجود من القبيحة التي هي أنسب إلى العدم
ويبغض عمله من جهة ما هو شر مكروه بالذات ويبغض العبد من
حيث بدنه ويحب عمله ومن النص الحكيم على دلالة الظاهر على الباطن
قوله تعالى والبلد الطيب إلى آخر الآية واستعار لفظ النبات لزيادة
الأعمال ونموها ولفظ الماء للمادة الفعلية من المرادات والنيات
المنبعثة وظاهر أن طيب الأعمال بطيبها وخبثها بخبثها كالماء وما
ينبت به ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش
الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول
فلم تجد مساغا إلى بلوغ غاية ملكوته هو الله الملك الحق المبين أحق و
أبين مما ترى العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع
عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة
مشير ولا معونة معين فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته فأجاب ولم
يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من
غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء
ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت أعينها [illegible] ضيائها
المضيء في سبحات إشراقها وأكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي
مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به في
التماس أرزاقها فلا يرد أبصارها إسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق

وجنته فاذا القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها
على الضباب في وجارها اطبقت اجفان اماقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش
في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل
لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الاذان
غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها جناحان
لما ترقا فينشقا ولم تغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئا اليها
حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحاه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح
نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره اقول الخالد
لا اوصاف كلولها عن كشف حقيقته لبرائتها عن التركيب وردعت كعت في
المناهج المسلك واشار الى هويته سبحانه وتعالى المطلقة بقوله هو ولما
لم يكن ان يدل عليها الا باعتبارات من السلوب والاضافات اللازمة
والعارضة واللوازم الاضافية اشرفها تعريفا والاكمل في التعريف
هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب وذلك كون تلك الهوية الها
فان الاله هو الذي ينسب اليه غيره اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي
فلاجرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لا تحليته في التعريف
ثم لما شرح اسم الهوية اشار الى كونه حقا اي موجودا ثابتا وجوده عند
العقل الحق وابين مما ترى العيون اذ هو فطري ومن الاعتبارات
السلبية كون العقول لم تبلغه بتحديد لما يلزم من التشبيه لانك علمت ان
العقل انما ينسب المعقول بصورة تحاكيه المتخيلة بها من المحسوس فيكون
مشبها بها ثم نبه على لطائف حكمة الله تعالى في خلق الخفاش ومخالفته لساير
الحيوانات في قبض الضياء لابصارها الجامع كونه مادة لساير ابصار الحيوانات
وبسط الظلام لها مع قبضه لساير الابصار واشار الى ما يصلح علة لذلك
وهو عشاء ابصارها وضعفها عن الاستمداد بنور الشمس وقيل في سبب ضعفه

انه

انه تحلل النور الباصر منه اذا لقي حر النهار فيستكمل بالبرد بقرب الليل لمكان
برده فيعود مبصرا والعلونية الظهور وردعها عطف على ادنانا وسبحات
اشراقها بهاؤه وضياؤه والبلج جمع بلجة وهو اول ضوء الصبح وايتلافها
لمعانها ولاسداف مصدر اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل
واستعار لفظ القناع لما ستر الشمس قبل طلوعها ووضح النهار ضوءه ووجار
الضب بيته وشظايا الاذان رؤسها اليابسة ثم نبه على عظمته تعالى باعتبار خلقه
لها مخالفة لساير الحيوانات في خلقة الجناح وفي حالها مع ولدها وشرح ذلك
بافصح عبارة تكشف عن الغرض **ومن خطبة له عليه السلم** خاطب بها
اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل
نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله تعالى
على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة
فادركها راي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال
من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على
الله **اقول** مفهوم الفصل انه سبق قبله ذكر فتن وحروب بعده بين
المسلمين يجب على من ادركها ان يعتقل نفسه على الله اي يحبسها عن
الدخول فيها على طاعة الله وسبيل الجنة هو الدين القيم ولزوم المتقرر
فيه ظاهر كالجهاد وفلانة عائشة وراي النساء رايها في حرب بالبصرة
ورايهن الضعف واما الضغن الذي كان لها وهو الحقد فقد نبهنا
عليه في الاصل فلا نطول بذكره وحرمتها الاولى حرمتها برسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي قوله والحساب على الله وعيد لها بالعقاب ومنها سبيل
ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل
على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم
الدنيا وبالدنيا تحرز الاخرة وان الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في

١٣٦

مضمارها الى الغاية القصوى اقول السبيل الابلج هو الدين والابلج
الواضح والايمان هو التصديق القلبي بالله ورسوله وما جاء به والاعمال
الصالحة ثمراته ومعلولات يستدل بوجودها من العبد على وجود الايمان
في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة وبوجوده في قلبه على لزوم
الصالحات استدلالا بالعلة على المعلول ولما كانت ثمراته وكمالات له فالاحرى
ان يكون بها عمارة العلم لاي الايمان بالمعنى المذكور اذا عضده البرهان
وهو قليل الغاية كالخراب اذا لم يعضد بالعمل ولما كان من الايمان العلم
باحوال المعاد استلزم ذلك العلم دوام ملاحظة الموت المستلزم لخشيته
ولما كانت الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد كان بها
احراز الآخرة والارقال ضرب من السير السريع وهو مستعار لسيرهم المتوهم
في مدة اعمارهم الى الآخرة والغاية القصوى هي السعادة والشقاوة
الاخروية **ومنها** قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا الى مصير الغايات
لكل دار اهل لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها وان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لخلقان من خلق الله تعالى لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق
وعليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع
العصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا
تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق فقام اليه
رجل فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن الفتنة وهل سالت عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لما انزل الله سبحانه وتعالى قوله الم
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون علمت ان
الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه
الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون بعدي
فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد

من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة
من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس
هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر والبشرى فقال يا علي ان القوم سيفتنون
بعدي باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته
ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية ويستحلون الخمر بالنبيذ
والسحت بالهدية والربا بالبيع قلت يا رسول الله فباي المنازل انزلهم
عند ذلك ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة اقول
صدر الفصل تمام لصفة سبقت لحال اهل القبور ومصائرهم لغايات الجنة او
النار ولكل دار منهما اهل ونبه على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بضميرين صغرى الاول منهما قوله انهما لخلقان من خلق الله وتقدير
كبراه وكل ما كان كذلك وجب التخلق به وصغرى الثاني قوله لا يقربان
الى قوله من رزق وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي ان
يحذر فعله والناقع المروي ويستعتب يطلب منه العتبى وهي الرجوع
عن الاساءة والرد الترديد في الالسنة وحيزت اي قبضت ومنعت والسحت
الحرام وباقي الفصل ظاهر **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي
جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته
عباد الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه
ولا يبقى فيه سرمدا ما فيه آخر فعاله كاوله متسابقة اموره متظاهرة
اعلامه فكانكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير
نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في
طغيانه وزينت له سيء اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين
اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع
اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك

الغاية القصوى عباد الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان
الله تعالى قد اوضح سبيل الحق وانار طرقه فشقوة لازمة او سعادة
دائمة فتزودوا في ايام الفنا لايام البقاء قد دللتم على الزاد وامرتم بالظعن وحثثتم
على المسير فانما انتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير الا فما
يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه وتبقى
عليه تبعته وحسابه عباد الله انه ليس بما وعد الله من خير مترك ولا
فيما نهى عنه من الشر مرغب عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الاعمال و
يكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم
رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم وحفاظ صدق يحفظون اعمالكم
وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج
وان غدا من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به وكان
كل امرئ منكم قد بلغ من الارض منزل وحدته ومخط حفرته فيا له من
بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكان الصيحة قد اتتكم والساعة
قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل واضمحلت عنكم
العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها فاتعظوا
بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر **اقول** كون الحمد لله
على الابد لاختصاص الشكر بمولى النعم وعلى عظمته لاختصاص باستحقاق
ذلك لذاته اذ هو مبدأ كل نعمة والتظاهر الترادف والتعاون والشول
النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة اشهر
الواحدة شائلة على غير قياس وانما خص الشول لخفتها وكون سوقها اسرع
وشغل المرء بنفسه تطهيرها وتزكيتها بالعلوم والكمالات وشغله بغيرها
يستلزم اهمالها وتحيرها في ظلمات الجهل والهوى والارتباك الاختلاط وشياطينه
قواه الخارجة عن اوامر عقله وسمي نفسه الامارة والمفرطون هم المقصرون
في تحصيل الكمالات النفسانية والتقوى فضيلة تجب العفة والفجور رذيلة الافراط
من العفة وحمة العقرب ابرتها ولفظها مستعار للخطايا باعتبار ما فيها من
الاذى وروي حمتها بالتشديد وهي شدتها وبتشديدها وبالتقوى الى قوله
القصوى على كمال قوة النفس العملية والعلمية والتقوى كمال العملية واليقين
كمال العلمية وبهما تنال الغاية القصوى من المطالب الحقيقية واعتق
الانفس هي النفس المطمئنة ولها الثواب وعليها العقاب ووجه
تمثيلهم بالركب ظاهر فالانسان هو النفس والمطايا هي الابدان و
القوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي كره
قبل الموت هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة
وهي الزاد لغاية السعادة الباقية والمسير الذي ينتظرونه وهو الرحيل
الى الآخرة وطرح البدن وقطع عقبات الموت وقوله انه ليس الى
قوله مترك اي ليس بعض امر يرغب فيه لنفاسته وشرفه والمرغب
فيه محل الرغبة والفحص البحث ونقاش الحساب لاستقصاء فيه واستعار
وصف الرصد للنفوس التي تظهر فيها يوم القيمة صور السيئات ولفظ
العيون للجوارح الشاهدة يومئذ وحفاظ الصدق الكرام الكاتبين و
الرتاج الغلق والامور التي صدرت بهم مصادرها هي اعمالهم واحوالهم
التي كانوا عليها في الدنيا وكل ما يتبدل على احوال الآخرة عبرة والغير جمع
غيرة فعلة من التغير واعتبارها طريق الاتعاظ والنذر جمع نذير وهو
كل ما افاد تخويفا **ومن خطبة له عليه السلم** ارسله على حين فترة من
الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي
بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن
ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما ياتي والحديث عن الماضي ودواء
دائكم ونظم ما بينكم **اقول** استعار لفظ الهجعة للغفلة الشاملة يومئذ

للتناسي عن احوال الآخرة ولفظ المبرم وهو الحبل لما كان الخلق عليه من نظام
الحال بالشرايع السابقة ولفظ الانتقاض لفساد ذلك بتغيير ما بين
يديه ولفظ النور للقرآن واستنطاقه استماع فوائده منه عليه السلم اذ هو ترجمان
الكتاب ودل عليه بقوله ولن ينطق الى قوله عنه وعلم ما يأتي من الفتن
واحوال القيمة والحديث عن الماضي من علم الاولين وقصصهم وداؤهم هو
الجهل ورذايل الاخلاق ودواؤهم منه ذلك تزكية نفوسهم بما فيه من الحث
على مكارم الاخلاق والتحلي بالكمالات النفسانية ونظام ما بينهم بما اشتمل عليه
من القوانين المصلحية والحكمة السياسية والمدنية التي بها نظام العالم
واستقامة امورهم ومنها فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله
الظلمة ترحة واولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر
ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير ورده و
سينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم
ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم
مطايا الخطيات وزوامل الآثام فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي
كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان
اقول سياق الكلام الاخبار عن حال بني امية في دولتهم من الظلم و
استحقاقهم عند ذلك التغيير وكنى عنه بعدم العاذر في السماء والناصر
في الارض والامر الخلافة والتوبيخ والوعيد بالشدائد لهم ولمن عدل
بها عنه وماكلا ومشربا نصب بفعل مضمر اي يبدلهم الله تعالى ماكلا بماكل
واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر وهو المر لما يتجرعونه من شدائد القتل
وزوال الدولة وافاد بعض الشارحين انه انما خص الخوف بالشعار لانه باطن
في القلوب والسيف بالدثار لانه ظاهر كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار
ما كان فوقه واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل جمع زاملة للحمل باعتبار

حملهم

حملهم للخطايا ووصف الخزول وال الخلافة عنهم فكانهم قد لفظوها من افواههم
كالنخامة وما هنا بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار ومن خطبة
له عليه السلم ولقد احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم و
اعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما
ادركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير اقول استعار لفظ
الربق والحلق لما يخاف عليهم منه ولتغيره من الاذلال والبر القليل
اي منهم وهو طاعتهم القليلة له والمنكر الكثير منكرهم ومحل
اطراقه عنه على عدم تمكنه من ازالته لاستلزام ذلك مفسدة اكبر منه
والتجاوز عن بعض الاسآءات المنكرة من الرعية كالضروري في تدبير الدول
ومن خطبة له عليه السلم امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة
يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي وعلى ما
تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل الحمد عندك
حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك
حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم
انك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر
ادركت الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما
الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك
وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه
وحالت ستور الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره
ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرات خلقك وكيف علقت في الهواء سمواتك
وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه
والها وفكره حائرا اقول امره هو حكم قدرته الالهية وكونه قضاء
اي حكما لازما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام

الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له وعفوه يعود الى عدم عقابه للمذنبين وانما يتحقق العفو مع القدرة على العقاب فلذلك قال بعفوه بعد علمه قوله فلنشا الى اخره اعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته واشارة الى بيان وجه معرفته الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية لكونه حيا او بالاعتبارات السلبية لكونه لا تاخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر عقل ولا بصر او اضافية لكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال اخذا بالنواصي والاقدام وما في قوله وما الذي استفهامية على سبيل الاحتقار لما استعظم عنده مما عده من المدركات بالنسبة الى ما لم يدرك من عظيم ملكوته وما الثانية في قوله وما تغيب بمعنى الذي محله محل الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيهما للحال ومثهورا معلوما ونا في العمل ظاهر والله الموفق ومنها يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي للعبد ما لا يعطي للرب فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقهم ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم كاف لك في الاسوة ودليل على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما سأل ربه الا خبزا ياكله لانه كان ياكل بقلة الارض

ولقد

ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود عليه الصلوة والسلام صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة ولقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير وان شئت قلت في عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطهر صلى الله عليه وسلم فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله وتعظيمنا ما صغر لكفى به شقاقا ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه واله ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى زوجاته غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكي لا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله نبيه بذلك

اراهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم وانى بالافك العظيم وان قال
اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب
الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يامن
الهلكة فان الله سبحانه وتعالى جعل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم علما للساعة و
مبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما
لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله
عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطا عقبه والله لقد رقعت مدرعتي
هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت
اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى **اقول** ما قاله كلام في ذم
من يرجو الله تعالى بلا عمل فهو كالمدعي للرجاء وتبيينه ان رجاءه ليس بخالص
بتكذيبه ولان رجاء الى تقصيره في العمل وتوبيخه عليه والمدخول غير الخالص
وقوله ما باله الى قوله عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه ان المعتقد
غير راجي الرجاء التام وتلخيصه ان هذا المدعي لا يتبين رجاؤه في عمله
وكل من رجا تبين رجاؤه في عمله فينتج ان هذا المدعي للرجاء غير راج
وتقديرا لاستثناء مع المستثنى منه وكل رجاء لراج يعرف في عمله خلوص
رجائه الا رجاء الراجي بتبة فانه غير خالص وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول
والتقدير وكل رجاء محقق او خالص لتطابق الكليتين على ما سبق واحد و
الضمان ما لا يرجى منه الوعد وقبض اطراف الدنيا عنه كناية عن منعه منها والاكناف
الجوانب وذوي غيب واستعار لفظ الادام للجوع ولفظ السراج للقمر والظلال
لمشارق الارض ومغاربها ومضت التاسي بمحمد صلى الله عليه وسلم لكونه مستجمعا
لجميع ما تقدم ثم سبق فالمقتدي به مقتد بجميعهم والقضم الاكل باد في الفم والهضيم
الخميص والكشح الخاصرة والهادة المعاداة وجلسة العبد كما في التشهد والرياش
الزينة والاخلاق التي عددها فيه صلى الله عليه وسلم هي امور المقتدى به فيها و

الزلفة القربة والمنزلة وقوله فما اتى حين في معنى الامر بالتاسي والنبذ الالقاء
واعزب تباعد وقوله فعند الصباح الى آخره مثل يضرب لمحتمل المشقة
ليصل الى الراحة واصله ان القوم يسيرون ليلا فيحمدون عاقبة ذلك
بقرب المنزل اذا اصبحوا ومطابقته الصباح لاتصال النفس العاقلة بالملاء
الاعلى واشراق نور الحق عليها عند مفارقة ظلمة البدن والهيئات البدنية
بالزيادة الكاملة التي عندها تحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا ومعانات
شدايدها مطابقة ظاهرة حسنة الموقع والله الموفق للصواب **ومن خطبة**
له عليه السلام ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي
والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها
معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد
منها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر
به الشرايع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام
المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته
وتعظم كبوته ويكون مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل واتوكل
على الله توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المودية الى جنته القاصد
الى محل رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فانها النجاة
غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا و
انقطاعها وزوالها وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم منها لقلة ما
يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا
عنكم عباد الله غمومها واشغالها لما ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها
واحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا بما قد
رايتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم وزالت اسماعهم
وابصارهم وذهب شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا

بقرب الاولاد بعدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا
يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتجاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب
لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم قائم و
الطريق جدد والسبيل قصد اقول استعار لفظ النور لهدى النبوة
والبرهان الجلي المعجزات والمنهاج البادي شريعته الواضحة و
اسرته اهله واستعار لفظ الشجرة لقريش ولفظ الاغصان لال
بيته عليهم السلام واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل
ولفظ الثمار لفضائلهم العلمية والعملية ولفظ المتهدل لظهورها
وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وطيبة اسم للمدينة وامتداد صوته
كناية عن انتشار دعوته وبلاغ دعوته تداركها للخلق وانقاذها اياهم
من الهلكة والشرائع المجهولة لتطرق دينه والمدخولة التي فيها دخل
بالتحريك اي عيب وعروته استعارة في تمسكه من عصم النجاة والوبيل
المهلك والضمير في رهبة ورغبة لله تعالى والاعراض عن الدنيا هو الزهد
الحقيقي وعفت ضنوها كتفها والكادح المجد في السعي والعمل والغالب لنفسه
اي الامارة بالسوء الناظر بعين عقله مقابح شهواته والامر الواضح سبيل
الخير والشر والعلم القائم كتاب الله وسنته والفصل واضح ومن كلام
له عليه السلام وقد سأله بعض اصحابه كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر و
انتم احق به فقال عليه السلام يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في
غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم
اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول
نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين و
الحكم الله والمعود اليه القيامة ودع عنك نهبا صيح في حجراته وهلم الخطب
في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له

خطبا

خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه
وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيا فان ترتفع عنا
وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون اقول الوضين الحزام
والمثل يقال لمن لا يتثبت في قوله والسداد الصواب والذمام ما يكر
الحرمة فاما كونه لاسدي صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا والمصاهرة المشار اليها هي هذه وقيل بل كان
علي عليه السلام متزوجا في بني اسد والنوط التعلق والاثرة الاستبداد بالشيء ونها
لما يستبد به والمراد الخلافة والبيت لامرئ القيس واصله انه تنقل في
احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من جديلة طي يقال له طريف
فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يمنعه فتحول فنزل الى
خالد بن النبهاني فاغارت بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما
علم ذكر ذلك لخالد فقال له خالد اعطني رواحلك الحق عليها فارد عليك ابلك ففعل
فركب خالد في اثر القوم حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري
فقالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله فرجعوا اليه فانزلوه
عنهن وذهبوا بهن وبالابل فعنى امرؤ القيس القصيدة التي اولها البيت و
النهب المنهوب وحجراته نواحيه وحديثا الثاني مبتداه ولا اولى جنس وما للتنكير
وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقولهم لامر ما جدع قصير انفه
واراد اني لا ادري كيف هو وذلك انه قيل ان خالدا هو الذي ذهب بالرواحل
فكان عنده شك في امرها فاما نظائره لما هو فيه فهو ان الائمة التابعين
وان كانوا قد استبدوا بهذا الامر فحديثهم مشهور اذ لهم الشبهة بالقدمة
في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من النبي صلى الله عليه وسلم فدع ذكرهم وذكر
نهبهم لهذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الان من خطب معوية

والخطيل الحادث ولا غرو اي لا عجب ولا ودلا غو جاج والقوم قريش واستعار
لفظ المصباح لنفسه لان انوار دين الله تقتبس منه ولفظ الينبوع
اذ هو منبع ما يغور من العلوم التي هي ماء الحيوة الابدية ولفظ المشرب الوبي
لما حصل بحصده ورهطه من الاجن بسبب هذا الامر حتى لزم عنه القتل
والقتال الى يوم القيمة ووصف الحدج بالجيم بعد الهاء وهو الخلط الكدر
الواقع بينهم واختلاط الامر بسبب ذلك ومن البلوى المحن بما ابتلاهم الله به
من الخلاف ومن التيه خالص والله الموفق للصواب ومن خطبة له
عليه السلم الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس
لاوليته ابتدا وليس لآخريته انقضا هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل
خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشيا عند خلقه لها ابانة له من
شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات
لا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا
يقال فيما لا شبح فينقضى ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشيا بالتصاق
ولم يبعد عنها بالافتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور
لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج
يتفيا عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول
وتقلب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل
كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات
الاقدار ونهايات الاقطار وتاثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه
مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشيا من اصول ازلية ولا من
اوائل ابدية بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته
ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين
كعلمه بالاحيا الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين

التنفل

التنفل اقول ساطح المهاد جاعل الارض مهادا للحيوان والوهاد جمع
وهد وهي المطمئن من الارض والنجاد جمع نجد وهو المرتفع منها
واشار بعدم ابتدا اوليته الى قدمه لذاته وبعدم انقضا ازليته
الى سلب الغاية عن وجوده وحد للاشيا جعلها ذات حدود ونهايات
من اشكال واجزا واقطار تنتهي بها ولما ظهر من خلقه تعالى للموجودات
انه مباين لها بذاته اشبهت ارادته لايجادها قصدا ابانته منها فاستعار
لفظها التمييز بذاته عنها ولما كانت الاوهام لا تدركه لا جرم لم يمكن
تقديرها اياه بما من شانها الادراك به من حد وكما تنزه سبحانه وتعالى
عن الزمان والمادة والمكان لم تصدق عليه الالفاظ المسؤل بها
وشخوص اللحظة مد البصر وازدلاف الربوة تقدمها اي الربوة المتقدم
والضمير في عليه للغسق وفي يعقبه للقمر وقوله من اقبال ليل متعلق
بتقليب والبدية المبتداة واشار بتشابه علمه في الماضين والباقين
وبما في السموات وما في الارض الى ازليته وعدم تجدده وتغيره و
منها ايها المخلوق السوي والمنشا المرعى في ظلمات الارحام ومضا عفات
الاستار بديت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر
معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا
تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل
منافعها فمن هداك لاجترار الغذا من ثدي امك وعرفك عند الحاجة
مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات
فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد اقول
الخطاب للانسان والسوي المستوي الخلقة والمرعي المعتنى بامره ونجعل
بكونه مخلوقا سويا مرعيا في اطوار خلقته وتقلبات حالاته الى غايته على
وجود الصانع الحكيم اللطيف الخبير وهذا القدر من المعرفة هو الفرق

للنظر وان احتاج الى تنبيه ما وما وراء ذلك فامر لا تطلع العقول البشرية
عليه الا على اعتبارات ومقايسات له الى خلقه كما سبق بيانه ونبه بعجز
ادراكه بتوليه صفات الخلق وليه والادوات اي منه بعجز عن صفات نفسه
في هذه تخليقه والاطلاع على منافع جزويات اعضائه مع كونها اقرب
الاشياء اليه فهو عن وصف خالقه الذي هو ابعد الاشياء عنه لمناسبة
اعجز ومن ادراكه بالمقايسة والتشبيه بحدود المخلوقات وصفاتها
ابعد ومن كلام له عليه السلم لما اجتمع الناس اليه وشكوا
ما نقموه على عثمن رضي الله عنه وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم
فدخل عليه السلم على عثمن فقال ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك
وبينهم والله ما ادري ما اقول لك ما اعرف من هذا الامر شيئا تجهله
ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء
فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رايت كما راينا وسمعت
كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صحبنا وما ابن ابي
قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله
وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك
فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان
اعلام الدين لقائمة واعلم ان افضل عباد الله عند الله امام عادل
هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان
السنن لظاهرة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر
الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة ماخوذة واحيا
بدعة متروكة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى
يوم القيمة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور
فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها يا عثمن واني انشدك الله ان لا

تكون امام هذه الامة المقتول فانه يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها
القتل والقتال الى يوم القيمة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها
فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا
فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر
فقال له عثمن كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال ع
ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك اليه اقول
استسفروني بعثوني اليك رسولا والوشيجة عروق الشجر واستعار وصفها للنسب
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كونه اقرب من الشيخين فلكونه من ولد
عبد مناف دونهما والطرق الواضحة طرق الدين واعلامه ادلته او ايمته و
السيقة بتشديد الياء ما يسوقه العدو في الغارات من الدواب وقد
كان مروان من اقوى الباعثة على قتله بتعصبه ايذاء على حسب ارائه وعكس
الاراء التي كان يشار عليه بها **ومن خطبة له عليه السلم** يذكر فيها
عجيب خلقة الطاووس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي
حركات واقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما
انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على
وحدانيته وما ذرا من مختلف صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق
فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة
في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج
كونها بعد ان لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة و
منع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفا وجعله يدف دفيفا و بدل دفيفا
نسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس
في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد
طوق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاووس الذي اقامه في احكم

تعديد وتفقد الوانه في يحسن تنضيد بجناح اشرع وقيسته وذنبه اطار
مشبه اذا درج الى اسلالئة نشره من طيه وسما به مظلا على راسه كانه
قلع داري عنجه نوتيه يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء
الديكة ويابر بملاقحه اختلك من ذلك على معاينه لا كمن يحيل على
ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تنشجها مدامعه
فتقف ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح
فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال
قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص
العقيان وفلذ الزبرجد وان شبهته بما انبتت الارض قلت جنى جني
من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او كمونق
عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت
باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه
ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا
معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه
حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية
خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالا
بريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة
مراة ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه
وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خط
كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما
هنالك ياتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله
وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار
ربيع ولا شموس قيض وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى

بجزء

وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا
حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في
غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية
وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة
هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال
الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة
ان تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته
محدودا مكونا ومولفا ملونا واعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها
عن تادية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من
الحيتان والفيلة ووأى على نفسه ان لا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح
الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته اقول غرض الخطبة التنبيه
على عجائب صنع الله لغاية الالتفات اليه وشواهد البينات ما ظهر
للعقول من لطائف المخلوقات فاستدلت بها على حكمته وقدرته وما
الاولى لا قام والضمير في له يرجع الى ما وفي به وله الثانية يرجع الى
الله وفي دلائله يحتمل الى كل منهما وما الثانية محلها الجر عطفا على
الضمير في دلائله واستعاد وصف النعق لظهور تلك الدلائل في العقل
كالاصوات الظاهرة عند السمع والاخاديد شقوق الارض وشعابها
والفج الطريق بين الجبلين ورواسي اعلامها ثوابت جبالها وعبل الجثة
كالنعام وخص الطاوس بشرح الوصف لكونه ادل على كمال القدرة لاشتماله
عفاب
على جميع الالوان وقصبه قصب ريشه واشرج قصبه ضبط اصولها بالا
والعظام وشرج بعضها ببعض والقلع والداري نسبة الى دارين مدينة
بساحل القطيف من البحرين يقال ان الطيب كان يجلب منها وشبه ذنبه
بالقلع الداري عند ادارته للسفاد باعتبار انه يرفعه وينشره فيصير كالشراع

وعجنه عطفه واداره والنوتي الربان للسفينة ونجتا البيت اخلد الخيلاء و
الافضاء التناكح وان النحل تلقح بالحاء المهملة والملاقحة المناكحة وروي
ملاقحة اي مجالسة الفاحد وقوله ولو كان تكثر الى قوله المبجس اي لو كان
في التناكح كثير من نيران الذكر يلقح به معه تنتجهما من امعن اي يعقب
فتقف الدمع منه في حجفو تداي جانباها فتقطعها الانثى فتلقح من تلك
الدمعة لما كان ذلك باعجب مما يقال في مطاعمة الغراب فان العرب
تزعم ان الغراب لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب ويقول
ان اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى وايصال جزء من الماء الذي في
قانصته اليها بان يضع كل منهما منقاره في منقار الاخر ويتزاقا وروي عوض
تنتجها تنتجها والمبجس المتفجر وهو عليه السلم لم يتعرض لنفي ذلك التزيد ولا
اثباته وتقل الشيخ في الشفا ان اللقحة تحملها الريح تهب من ناحية الجبل
ومن سماع صوت رعد والنوعي المستحي ما لا قيا يتلاصق بافواهما ثم تتشابك
فذلك سفادها وشبه قصبة ذنبه بالمداري من الفضة جمع مدري
بالدال المهملة وهو كالميل يتخذ من قرن او فضة تخلل به المراة شعرها
ودارات وشموسه ما على ريشه من الدوائر الملونة المشبهة والعقيان
الذهب والفلذ القطع والمضاهات المشابهة والموشي المنقوش وعصب
اليمن برود تعمل بها ونطقت بالتحجين سنه بالفضة والحمش الدقاق والخلاسية
هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي والطنبوب حرف الساق و
الصيصية الشوكة النابتة في مؤخر ساق الديك والقنزعة شعرات تجتمع
في موضع من الراس والوسمة نبت يخضب به والتلفع التلحف والاسود ويسمى	لا محرم
القلم بفتح الدال الاسد وبكسرها ايضا واليقق خالص البياض والاجد الحكم والذر
صغار النمل والهمجة ذبابة صغيرة كالبعوضة ووصفه عليه السلم بعجائب صنع الله
في خلق هذا الطائر لا مزيد على بلاغته والله الموفق للصواب ومنها في وصف

الجنة فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما
اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر
في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل انهارها وفي
تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وافنانها وطلوع تلك الثمار
مختلفة في غلف اكمامها تجنى من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها ويطاف
على نزالها في افنية قصورها بالاعسال المصفقة والخمور المروقة قوم لم تزل
الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا نقلة الاسفار فلو شغلت
قلبك ايها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة
لزهقت نفسك شوقا اليها ولتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل
القبور استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن سعى بقلبه الى منازل الابرار برحمته
اقول اكثر الالفاظ المستعملة ههنا استعارات اذ ليس اشجار الجنة
وانهارها وكثبان مسكها وكبائس لؤلؤها كما هو المحسوس عندنا بل اعلى من
ذلك واشرف وهذه امثلة لها تعقل منها لما بينهما من المناسبة وانت
بعد معرفتك بقواعد التاويل ووقوفك على ما دل البرهان عليه من
العلوم الالهية ربما امكنك ان تعرف طرفا صالحا من مناسبة هذه الامثلة
والكبائس جمع كباسة وهي العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج
والافنان جمع فنن وهي الغصون والاكمام جمع كمامة بكسر الكاف وهي غلاف
الطلع والمصفق المصفى ومن خطبة له عليه السلم ليتاس صغيركم بكبيركم
وليرأف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين يتفقهون ولا
عن الله يعقلون كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها
شرا اقول قيض البيضة قشرها الاعلى والاداح جمع ادحي افعول من الدحو
وهو الموضع الذي تفرخ فيه النعامة وشبههم على كونهم كجفاة الجاهلية	تقديره
بقشر البيضة من الافعى ونحوه ووجه الشبه انها اذا كسرها كاسر لتاذي

الحيوان به وقيل لانه يطرق بيض القطا فيأثم كاسره وان لم تكسر تخرج حفاثها
افعى قاتلة وهو شر فكذلك هو لاء لا يحل لاحد اذاهم لحرمة ظاهر
الاسلام عليهم وان تركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الادب خرجوا
شياطين **ومنها** افترقوا بعد الفتهم وتشتتوا عن اصلهم فمنهم آخذ
بغصن اين ما مال مال معه على ان الله سيجمعهم لشر يوم لبني امية كما تجتمع
قزع الخريف يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح لهم
ابوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة
ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص طود ولا حداب ارض يذعذعهم في
بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض يأخذ بهم من قوم حقوق
قوم ويمكن لقوم في ديار قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو و
التمكين كما تذوب الالية على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر
الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو
من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه
من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم
الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم
مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق **اقول** الاشارة
الى اصحابه واصلهم هو عليه السلام اذا افترقوا عنه الى خوارج وغيرهم
واستعار لفظ الغصن لمن يخلفه من ولده من الائمة والآخذ به لزومهم
والآخذون به هم الشيعة وان افترقوا فرقا والقزع قطع السحاب
المتفرقة واراد ان الله سيجمعهم بعد تفرقهم لشر يوم لبني امية لازالة
ملكهم وقتلهم وانما خص الخريف لسرعة تألف السحاب واصطحابه والركام المتراكم
والابواب التي يفتحها لهم وجوه الآراء التي يجتمعون بها وسائر اسباب
الغلبة ونسبة خروجهم من مستثارهم ومكانهم بسيل جنتي مارب في هو سيل

سيل العرم المشار اليه في القرآن الكريم ووجه الشبه شدة خروجهم وسرعة
افسادهم ما يأتون عليه حتى لا يسلم منهم احد كما لم تسلم على ذلك السيل قارة
اي الاكمة وسننه قصده وحداب الارض جمع حدب وهو المرتفع منها و
الذعذعة بالذال المعجمة التفريق وقد كان من امر الشيعة الهاشمية
واجتماعها على ملك بني امية حتى كان منهم تابعا على وآل علي واهل بيته ومن عادة
منهم عند ذلك في اواخر ايام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ما هو معلوم
مشهور في التواريخ وتهنوا تضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والداعي هو عليه
السلام وكفيتم مؤونة الاعتساف اي في طرق الضلال والفادح المثقل وهو
ثقل الاوزار عن اعناقكم ونفوسهم **ومن خطبة له عليه السلام** في اول
خلافته ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا نهج
الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرايض الفرايض ادوها الى الله تو دكم
الى الجنة ان الله حرم حراما غير مجهول واحل حلالا غير مدخول وفضل
حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها
فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما
يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم
وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم
اتقوا الله في بلاده وعباده فانكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا
الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فاعرضوا عنه
اقول اصدفوا اعرضوا والمدخول المعيوب وقوله فضل الى قوله
معاقدها اي اوجب على الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاة
مواضعها وربط توحيده بذلك حتى صار فضله كفضل التوحيد فمن قتل
مسلما بغير حق فكانما سلب توحيد الله ومعاقدها مواضع عقد وجوبها
ومناقشة الحساب عن البقاع كما روى انه يقال لم استوطنتم هذا المكان

كونهم في ذلك وعن البهائم لم ضربتموهن وقتلتموهن ولم اجعتموها
وهو داخل في قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون ومن كلام له عليه
السلام لما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن
اجلب على عثمان فقال يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي
بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد
ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا
وهل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية وان
لهؤلاء القوم مادة ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما
ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى
يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤوا عني
وانظروا ماذا ياتيكم به امري ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط
قوة منة وتورث وهنا وذلة وسامسك الامر ما استمسك واذا لم اجد بدا فآخر
الدواء الكي اقول الالف في يا اخوتاه وهي المنقلبة عن ياء المتكلم واجلب
عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال وتخفيفها وكسر العين
وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة وانما
يدل على انه عليه السلام كان مترصدا للفرصة والتمكن من القصاص على وجه الشرع
فلم يمهل وروى انه جمع عليه السلام الناس ووعظهم ثم قال ليقم قتلة عثمن
فقام الناس الا القليل وكان ذلك استشهادا منه بصدق قوله و
الناس على حد شوكتهم وعلى انه لا قدرة له على القصاص حينئذ وقوله
فاذا لم اجد بدا الى قوله الكي اي اذا لم يمكن بد من القتال قاتلتهم وكنى
عنه بالكي ومن كلام له عليه السلام عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة ان
الله تعالى بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وامر قائم لا يهلك عنه الا هالك
وان المبتدعات والمشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله وان في سلطان الله

عصمه

عصمة لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلن او
لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يارز الامر الى
غيركم ان هؤلاء قد تمالؤا على سخطة امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم
فانهم ان تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين وانما طلبوا
الدنيا حسدا لمن افاءها الله عليه فارادوا رد الامور على ادبارها ولكم علينا
العمل بكتاب الله وسيرة رسوله والقيام بحقه والنعش لسنته والله
تعالى الهادي اقول قوله لا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك عن حجته
الا مفطر هالك كما تقول لا يعلم هذا الفن الا عالم اي بالغ في العلم
والمبتدعات المشبهات ما ابتدع في الدين شبيها بالسنة وليس منها وروي
المشبهات اي بالسنة وروي المشتبهات اي ما اشتبه على الناس ولبس عليهم
وهي المهلكات اي في الآخرة الا ما عصم الله اي حفظه من الوقوع فيها و
سلطان الله القائم بدينه وامره وهو اشارة الى نفسه وغير ملومة
اي غير ملوم صاحبها بالغش فيها وروي غير ملوية اي معوجة ويارز الامر
يارز ينحاز وينقبض وهؤلاء اشارة الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم و
تمالؤا اجتمعوا وفيالة الرأي ضعفه والنعش الرفع وباقي الفصل ظاهر
ومن كلام له عليه السلام لما لقي كليب الجرمي قبل وقعة الجمل بالبصرة فقال
اني رسول قوم ولا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال عليه السلام ارايت
لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم و
اخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا
فقال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء فقال عليه السلام فامدد اذن
يدك فقال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته
عليه السلام اقول الجرمي منسوب بني جرم قبيلة وكان قوم من اهل البصرة بعثوه
اليه ليتعلم حاله اهو على شبهة ام على حجة فلما رآه وسمع لفظه

لم يتخالجه شك في صدق قتال العدو وكان بينهما الكلام المذكور ولا لطف من
التمثيل الذي جذبه به ولذلك اقسم انه لم يتمكن من محالفته ومن خطبة
له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع
والجو المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر
ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا يسأمون
من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام
والانعام وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها
للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي و
سددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين
المانع للذمار والغاير عند نزول الحقائق من اهل الحفاظ العار وراكم
والجنة امامكم اقول كون الفلك مغيضا لليل والنهار باعتبار حركته
المستلزمة لحركة الشمس عن وجه الارض والى وجهها فباعتبار الاول يكون
كالمغيض لليل والنهار وباعتبار الثاني كالمغيض لليل واستعار له لذلك
كالاعتبارين لفظ المغيض والسبط القبيلة وكون الجبال اعتمادا للخلق
لما فيها من المرافق لهم وقوله فجنبنا البغي وسددنا للحق طلب للوقوف
على حد الفضيلة في الجهاد من طرفي الافراط والتفريط والعصمة من الفتنة
وهي الابتلاء بالمعصية في طرفي الغلب والانغلاب والذمار ما لزمك حفظه و
الحقائق ما يقع من عظائم الامور وقوله النار الى قوله امامكم اي ان
رجوعكم عن الحرب دخول النار وفي اقدامكم عليه دخول الجنة والله اعلم
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا
اقول قوله لا توارى بمعنى الستر لا بمعنى العدول اذ ليس من شانه تعالى ان
يتوارى عنه شيء والمقصود احاطة علمه بالسموات والارض وما فيهن وسلب
وصف المخلوقين عنه ومنها وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر

لحريص

١٤٩ لحريص فقلت بل انتم والله احرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت
حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه فلما
قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كانه لا يدري ما يجيبني به اللهم
اني استعديك على قريش ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم
منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان تأخذه
وفي الحق ان تتركه اقول روي ان القائل له كان سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه في ايام الشورى بعد مقتل عمر رضي الله عنه وقوله هب
اي استيقظ من غفلته وروي بهت وقوله وقالوا الى آخره انهم لم
يقتصروا على اخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم بل اخذوه مع
دعواهم انه حق لهم يجب علي ترك المنازعة فيه وهو اصعب وروي
نأخذه ونتركه بالنون في الموضعين اي نتصرف فيه بالاخذ والترك
كيف شئنا وهذه شكاية ظاهرة ومنها في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا
يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تجر الامة عند شرائها متوجهين
بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله لهما ولغيرهما في جيش
ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا
على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة
صبرا وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين وغيرهم من
اهلها فقتلوا الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جرى لحل لي قتل
ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد
دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم اقول
غرضه الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل وذكر لهم ثلاث كبائر تستلزم
اباحة قتلهم وقتالهم وهي جرهم حرمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحبيسه مع حبسهما نساءهما وذلك انتهاك لحرمة رسول الله وضير

الثلاثة لطلحة والزبير الثانية نكثهما البيعة الثالثة اقدامهم على عامله
بالبصرة وتعذيبهم له وقتلهم لجماعة المسلحة منهم صبراً اي بعد الاسر
وبعضهم غدراً اي بعد الامان وكان عامله عليها امير عثمن ابن حنيف
الانصاري رضي الله عنه وقصتهم في ذلك مشهورة وقد بحثنا عليها في
الاصل فاما جواز قتلهم فلقوله تعالى وان طائفتان الآية واما تعليل
جواز قتل الجيش بما ذكر فلعموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله الآية وما بعده دعوى آية والفصل ظاهر **ومن خطبة**
له عليه السلم امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها
الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه
فان شغب شاغب استعتب وان ابا قوتل ولعمري لئن كانت الامامة لا
تنعقد حتى تحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن اهلها يحكمون
على من غاب عنها ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغايب ان يختار الا واني
اقاتل رجلين رجلا ادعى ما ليس له وآخر منع الذي عليه اوصيكم
بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله
وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا
اهل البصر والبصيرة والعلم بمواضع الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا
عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل امر
تنكرونه غيراً الا وان هذه الدنيا التي اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها
واصبحت تغضبكم وترضيكم فليست بداركم ولا منزلكم التي خلقتم له ولا
الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وهي ان غرتكم
منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها و
سابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن
احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر

١٥٠
على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا وانه لا يضركم
تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم
بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا
وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر **اقول** الاشارة الى صفات
الامام الحق وهو كونه اقواهم على امر الخلافة اي اقدرهم على تدبيرها
بحسن علمه واعلمهم باوامر الله فيها وذلك ليستلزم علمه باصول التدبير و
فروعه ليضع الاعمال مواضعها وقد استلزم الوصف الاول فضيلة الشجاعة
والثاني فضيلتي العفة والعلم ويلزم الفضائل الثلاث فضيلة العدالة
وروى بعد قوله واقواهم عليه واعلمهم به واعلمهم باوامر الله فيه و
هذه الفضائل الاربع هي جامع مكارم الاخلاق واصولها وقوله فان
شغب شاغب اي خرج باغ على الامام والشغب هياج الشر والاستعتاب
طلب العتبى وهي الرجوع الى الحق وقوله ولعمري الى قوله ان
يختار جواب لما انكره معوية واهل الشام من الاجماع على بيعته و
انه يحتاج في انعقادها الى حضور جميع الناس فاشار الى ان
الاجماع على هذا الوجه غير ممكن وان امكن ففي غاية العسر بل
المعتبر منه هو اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد عليه السلم على امر
من الامور وهم اهل الامامة الذين يحكمون على من غاب عنها ثم ليس
لمن حضر ورضي كطلحة والزبير ان يرجع ولا للغايب كمعوية ان يختار و
هذا هو رسم الاجماع التي اتفقت كلمة محققي الاصوليين عليه وانما احتج
عليه السلم بالاجماع حيث لم يسلم له النص على امامته والمدعي ما ليس له
يحتمل معوية للامة والمانع للذي عليه كطلحة والزبير في منعهما ما له عليهما
من الطاعة وقوله وقد فتح الى قوله غير اعلام لاصحابه بحكم
البغاة من اهل القبلة اجمالا واحالة بالتفصيل على اوليه حال الحرب و

قد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال أهل القبلة ولا كيف السنة فيهم الى ان علموا ذلك منه عليه السلم ونقل عن الشافعي رحمه الله انه قال لولا علي ما عرف شيء من احكام أهل البغي وقوله ولا يحمل الى قوله الحق اي العلم بوجوب حربهم وقتالهم وقتلهم وأهل البصر أهل العقول الراجحة والصبر على المكاره وعدم التسرع الى الوسواس بالشبهة والعلم بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عليهم حرب أهل القبلة واكبروه والمقدمون على ذلك اقدموا على خوف وحذر فقال عليه السلم ان هذا العلم لا يدركه كل احد ورى العلم بفتح اللام اي علم الحرب وذلك ان صاحب الراية عليه مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة وقوله ولا تعجلوا الى قوله غيرا اي لا تتسرعوا الى انكار امر ترونه منكرا حتى تتبينوا منا ما نفعله فيه فانا نغير كل امر ينكره العرف والشرع وخص حنين الامة لان العادة ان تضرب وتؤذي فيكثر حنينها اولا الغالب عليها الضربة فتحن الى اصلها واستحفاظهم كتاب الله امرهم بالمحافظة على قوانينه والعمل به ومن كلام له عليه السلم في معنى طلحة بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما وعدني ربي من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما اجلب عليه فيه ليلتبس الامر ويقع الشك و والله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه وان كان مظلوما لقد كان ينبغي له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلث وجاء بامر لم يعرف بابه

نخ المنهنهين

ولم

151

ولم يسلم معاذيره **اقول** هذا الفصل من كلامه قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهما له بالحرب وكان نامة والواو في قوله وما اهدد للحال اي قد وجدت الى هذه الغاية وما هددت بالحرب واجلب جمع كفنه كف والمعذرين بالتخفيف المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن **ومن خطبة له عليه السلم** ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون والماخوذ منهم ما لي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب دوي انما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله صلى الله عليه وسلم الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسي الا افرغه في اذني وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها **اقول** ماخوذا منهم اي من اشخاصهم بالموت ومن اموالهم بالعدم والسائم الراعي والمدى جمع مدية ووجه تشبيههم بالنعم غفلتهم عما ينبغي لهم وقوله انما الى قوله امرها تشبيه لهم بالنعم المعلوفة باعتبار غفلتها عن غايتها وما يراد بها ووجه التشبيه هو قوله لا تعرف الى اخره ومفضيه موصله وكفرهم فيه برسول الله تفضيلهم اياه عليه والخاصة اهل العلم والثبات من اصحابه ممن يؤمن ذلك الكفر منه **ومن خطبة له عليه السلم** انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله

فان الله قد اعذر اليكم بالجلية واتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من
الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول حفت الجنة بالمكاره وان النار حفت
بالشهوات واعلموا انه ما من طاعة الله شيء الا يأتي في كره وما من معصية
الله شيء الا يأتي في شهوة فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه
فان هذه النفس ابعد شيء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية في
هوى واعلموا عباد الله ان المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون
عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها فكونوا كالسابقين قبلكم
والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل
واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا
يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا
قام عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى او نقصان من عمى واعلموا
انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد قبل القرآن من غنى
فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر
الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا
اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله بمثله واعلموا
انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيمة
شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيمة صدق عليه فانه ينادي مناد يوم
القيمة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة
القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على
انفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه اهواءكم العمل العمل ثم النهاية
النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع ان لكم
نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية

فانتهوا

فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من
وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيمة عنكم الا وان القدر السابق
قد وقع والقضاء الماضي قد تورد واني متكلم بعدة الله وحجته قال
الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد
قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة
من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها
فان اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة ثم اياكم وتهزيع
الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليختزن الرجل
لسانه فان اللسان جموح بصاحبه والله ما ارى عبدا يتقي تقوى
تنفعه حتى يختزن لسانه فان لسان المؤمن وراء قلبه وان قلب
المنافق وراء لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره
في نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان شرا واراه وان المنافق يتكلم
بما اتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه ولقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا
يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله تعالى
وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم
فليفعل واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما
اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل
لكم شيئا مما حرم عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم
الله فقد جربتم الامور وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم و
ضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم على ذلك الا اصم
ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء

من العظة وانّه النقص من نا مته حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما
الناس رجلان متبع شرعة ومبتدع بدعة ليس بعده من الله سبحانه
برهان سنة ولا ضياء حجة فان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا
القرآن فانه حبل الله المتين وسبيله الامين وفيه ربيع القلب و
ينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع انه قد ذهب المتذكرون وبقي
الناسون والمتناسون فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه واذا رأيتم شرا
فاذهبوا عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا ابن ادم
اعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلاثة
فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم
الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم
المغفور فظلم العبد نفسه في بعض الهنات اذا استغفر وتاب القصاص
هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكن ما يستصغر
ذلك معه واياكم والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من
الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه وتعالى لم يعط
احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا ايها الناس طوبى لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة
ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة
اقول الجلية اي بالاعذار الجلية وابان اوضح لكم جلية الامور وبينه
بالخير على ان مكان الله وان كانت لذيذة فان النار محفوفة بها فمن لابسها
وانهمك فيها وصل الى النار وان محابه من الاعمال وان كانت شاقة فان
الجنة محفوفة بها فلا تنال بدون الوصول اليها ونزع اقلع وقمع ردع و
النفس اي الامارة بالسوء ابعد شيء منزعا اي رجوعا عن المعصية اذ هي مجبولة

بدل طاعة

على محبتها الباطل وظنون متهم بالخيانة والتقصير في طاعة الله وتسويف التوبة
نقصه ومجالسة القرآن مجالسة اهله والاستماع اليهم والتفهم عنهم وزاد
بالفاقة الاحتياج الى ما ينبغي من الهداية والكمال النفساني وبالغنى حصولهما
وادوائكم الجهل والرذائل والادواء الشدة واستعار لفظ الشافع المشفع
للقرآن باعتبار كونه وسيلة لمن تقرب به الى الله موصلة له الى
مطالبه ومحل به الى السلطان سعى به ووجه ذلك في القرآن اعتبار
كون غير العامل به معروفا عند الله بذلك فاشبه القرآن الشاهد
عليه بذلك وحرث القرآن مستثيرا دفائنه وكنوز علمه واستنصحوه على
انفسكم اي اتخذوه انصح منها فانه اولى بالنصيحة وقوله واتهموا
عليه آراءكم اي لا آراء ولا اهواء المخالفة له والنهاية التي للخلق المطلوب
منهم اخلاصهم لله والتحلي بزينته وهي غاية الاسلام ايضا والعلم مستعار له
عليه السلام او للقرآن وقوله من حقه متعلق بقوله اخرجوا والخروج
اليه باخلاص العمل له والماضي النافذ الذي لا يرد وتورد اي دخل في
الوجود شيئا بعد شيء يقال تورد الخيل البلد اذا دخلت قطعة
قطعة واشار بالقدر الى واقع خاص وهو خلافته وما يصحبها من
الفتن والوقائع وعدة الله التي يتكلم بها ما وعد به عباده الذين
اعترفوا بربوبيته واستقاموا على سلوك سبيله من تنزل الملائكة
عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما حجته التي يحكم
بها فقوله وقد قلتم ربنا الله اي اعترفتم بالربوبية فاستقيموا
على كتابه ومنهاج امره الى قوله عنها وتفريع الاخلاق تفريقها و
تكثيرها وهو نهي عن النفاق وذو اللسانين والوجهين هو المنافق
واستعار لفظ الوراء للسان المؤمن باعتبار ان قوله موخر فكر قلبه
وللقلب المنافق اعتبار ان ذكره موخر عن كلامه والاستقامة القلب الخير

بالاعتقاد الصالح لاستقامة الايمان وصحته واستقامة اللسان اي على الاقوال
الصالحة علامة لاستقامة الايمان لا سببه لكن لما كانت العلامة متقدمة
على ذي العلامة في العلم اشار الى توقف استقامة القلب على استقامة
اللسان بحق ايه ونقاء الراحة كناية عن الخلاص من حقوق المسلمين دمائهم
واموالهم وقوله ان المؤمن الى قوله احل الله اي ان المؤمن انما
يستحل ويحرم في المستقبل ما كان حلالا او حراما في الماضي وهو ما احله
الله ورسوله او حرمه وثبت في الكتاب والسنة احلهما وتركه دون
ما احدث من البدع وضربت الامر احكمته خبرا وقوله ولا يبصر ذلك
الا امر اي بعد بيان الامر وايضاحه بما ذكر لا يبصر عنه الا امر اي شديد
العمى ولا يعمى الا اعمى اي شديد عمى الجهل وهو عمى البصيرة والامر هو
طريق الدين وقوله من امام الى الكمال الذي يتوجه اليه بوجه عقله
يفوته لنقصان عزيمته ووقوف عقله عنها وقوله حتى تزول لي
قوله عن اشارة الى غاية جهله وهو ان يتخيل تارة فيما هو منكر و
مجهول له انه عالم به وفيما هو معروف عنده وصحيح انه لا يعرفه فالمجهة
تعثر به والامين المأمون اي من تمسك به لم يخنه والهنة كناية عن الصغيرة
من الزلات المعفو عنها في ايات الوعد والتلون في الدين النفاق
فيه وافتراق القلوب عنه وباقي الفصل ظاهر **ومن كلام له
عليه السلم** في معنى الحكمين فاجمع راي ملائكم على ان اختاروا رجلين
فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون السنتهما معه
وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما
والاعوجاج رايهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل
بالحق سوء رايهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا
سبيل الحق واتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم **اقول** الاجماع تصميم

العزم

العزم ويجعجعا يحبسا نفوسهما على القرآن والخطاب لمن انكر عليه عدم
رضاه بالتحكيم بعد الرضا به والرجلان الحكمان ابو موسى الاشعري
وعمرو بن العاصي والثقة في ايدينا اي ما انيا على الحق في عدم الرضا
اذ كان رضاؤنا بحسب الشرط الذي خالفاه وقد ذكر الحكمين وطرف من حالهما

سبق

ومن خطبة له عليه السلم لا يشغله شان عن شان ولا يغيره زمان
ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا
نجوم السماء ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل
الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط الاوراق وخفي طرف الاحداق
واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه
ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته وخلص
يقينه وثقلت موازينه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبى من
خلائقه والمعتام لشرح حقائقه والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لكرائم
رسالاته والموضح به اشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى ايها الناس
ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب
من غلب عليها وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم الا
بذنوب اجترحوها لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين
تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم
ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد واني لاخشى
عليكم ان تكونوا في فترة وقد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم
فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء وما علي الا
الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف **اقول** الدخلة
بكسر الدال وضمها باطن الشيء والمعتام المختار وحقائقه وحق وثبت من دينه
وعقائل كراماته نفائس ما اكرم به عباده من قوانين الدين واشراط الهدى

علا ما تر وغرابيب العجم ما يعقل من ظلمة الجهل وسواده واظلالي كذا سكن
اليه وتنفس بخل وغفل النعمة طربيا وتجوز بلفظ الفترة في امر الجاهلية
اطلاقا للاسم الظرف على المظروف ويحتمل ان يريد الفترة من عذاب
بيتسطو بسبب مخالفتهم لارآيه قالت الامامية والامور التي بها لوافيهم انقد بهم
عليه من سبق من الائمة وقال غيرهم ميلهم عليه في تقديم عثمن وقت
الشوري وامرهم اي صلاح احوالهم التي كانوا عليها في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما علي الا الجهد اي في مثل ذلك الامر عليهم وقوله عودم
ولو اشاء لقلت نبئهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نبئتم الي
ظلمه وتخطيتهم في التقديم عليه وذكر وجوه تاخرهم له والله اعلم
ومن كلام له عليه السلم قال لذعلب اليماني وقد قال له هل
رأيت ربك يا امير المؤمنين فقال عليه السلم افاعبد ما لا ارى فقال وكيف
تراه قال لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب
بحقايق الايمان قريب من الاشياء غير ملابس بعيد منها غير مباين
متكلم بلا روية مريد بلا همة صانع بلا جارحة لطيف لا يوصف
بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف
بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتوجل القلوب من مخافته اقول حقايق
الايمان اركانه وهي التصديق بوجوده تعالى ووحدانيته واعتبارات اسمائه
الحسنى وما عدده واحترز بقوله غير ملابس وغير مباين عن القرب والبعد
المعهودين للاجسام اذ معنى قربه تعالى اتصال علمه وقدرته بكل شيء ومعنى
بعده مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شيء واحترز بسلب الروية في
الكلام عن كلام المخلوقين وبسلب الهمة عن مثلية ارادته لارادتنا في
سبق العزم لها وبسلب الجارحة عن مثلية صنعه لصنعنا وبسلب الوصف
بالخفاء عن اللطف بمعنى رقة العرم بل معنى لطفه تعالى تصرفه في الذوات

والصفات

والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لها لافادة كمالاتها و
بسلب وصفه بالرقة عن رحمتنا وباقي الفصل ظاهر ومن كلام
له عليه السلم في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل و
على ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم
تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على
امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا اباً لكم ما تنتظرون
بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله لئن جاء يومي
وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله
انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم اوليس عجيبا ان
معوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء و
انا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة او
طائفة من العطاء فتتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج
اليكم من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب
ما انا لاق الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم
ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ و
اقرب بقوم من الجهل بالله قومهم قائدهم معوية ومؤدبهم ابن النابغة
اقول انما قال على ما قضى من امر وقدر من فعل لان القضاء هو
احاطة علمه تعالى بكل شيء وهو اعم من ان يكون فعلاً ولما
كان القدر هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء على وفقه خص القدر
بالفعل وخضتم مستعار للتخبط في غير طاعة وخرتم ضعفتم او صحتم
من الخوار وقوله الموت او الذل لكم في قوة منفصلة مانعة الخلو
والمعهد التهديد والطغام اوغاد الناس وانما قال على غير معونة
ولا عطاء اي المعونة والعطاء المتعارفين بين الجند لان بذل معوية

كانه راقا لروساء القبايل وقسمه عليه السلم كان على وجه الرزق والعطاء من
غير تفضيل الشريف على من دونه وتربية الاسلام ما التقى منه وتخلق و
التربية بتضد النعام وكل يضن بالعرات بكر وبجد القاه واستعار لفظ
الشوابخ لاعطائهم ماكانوا يحرمونه من غيره من الارزاق او اعطافهم
العلوم التي لم تقبلها اذهانهم قبل ذلك كما استعار لفظ المج وقوله
لوكان الى قوله يستيقظات ره الى غفلتهم وجهلهم وابن النابغة
عمرو بن العاص وهو رئيس المنافقين والجمال فكيف تلامذته ومن
كلام له عليه السلم قاله لرجل من اصحابه وقد ارسله يعلم
له احوال قوم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على
خوف منه عليه السلم فلما عاد اليه الرجل قال له امنوا فقطنوا ام جبنوا
فظعنوا فقال الرجل بل ظعنوا يا امير المومنين فقال عليه السلم بعدا لهم كما
بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد
ندموا على ماكان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ
منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال و
العمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه اقول قطنوا اقاموا وبعدت
بالكسر هلكت واشرعت الرمح نحوه سددته واستفلهم طلب تفريقهم و
هزيمتهم والارتكاس الرجوع في الشي مقلوبا واستعار لفظ الجماح
لخروجهم عن فضيلة العدل الى طرفي الافراط على جهل بطلوبهم وهو
معنى التيه والله اعلم ومن خطبة له عليه السلم روى عن نوف
البكالي قال خطبنا بهذه الخطبة امير المومنين علي وهو بالكوفة وهو
قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف
وحمايل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير
فقال عليه السلم الحمد لله الذي اليه مصاير الخلق وعواقب الامر نحمده على

عظيم

عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء
ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به
استعانة راج لفضله مومل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول
مذعن له بالعمل والقول ونومن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه
مومنا وخضع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به
راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون
موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا
نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء
المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات
بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا
مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن بالطواعية لما
جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب و
العمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف
فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت
جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلالؤ نور القمر
فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين
المتطاطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد في افق
السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن
مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها
ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من انثى في
بطنها والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان
او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا
يبصر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك

بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من آياته عظيما بلا جوارح
ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك
فصف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين
متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو الهيئة
والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفنا فلا اله الا هو اضاء بنوره
كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي
البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء
سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان ابن داود عليهما
الصلاة والسلام الذي سخر له ملك الانس والجن مع النبوة وعظيم الزلفة
فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفنا بنبال الموت و
اصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة وورثها قوم آخرون وان
لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة اين
الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مداين الرس الذين قتلوا
النبيين واطفاوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين
ساروا بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المداين اقول
نقل الجوهري ان نوفا البكالي بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي
عليه السلم ونقل عن ثعلب انه كان منسوبا الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي
هو منسوب الى بكال حي من همدان وبكيل ... وهو اكثر وقال عبد
الحميد بن ابي الحديد انما هو بكال بكسر الباء قبيلة من حمير فمنهم هذا
الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلم وجعدة بن هبيرة ابن اخت
امير المؤمنين ام هاني والفتنة البعير ما يقع على الارض من اعضائه ونير برهانه
ما ظهر لنا من البرهان الواضح على وجوده وكماله وخضع خضوع وادع عن انقياد
وتشاور م تختلف عليه وعلامات التدبير الاحكام والاتقان في مصنوعاته

الموجوده واجابتهن دخولهن فيه وغير متلكيات اي متوقفات والاوصاف
الدعاء والاقرار والاجابة والطاعة مستعارة لشهادة حال الممكن بذلك و
الادلهمام شدة الظلمة والحندس كزبرج الحالك الليل شديد الظلمة والبقاع
المرتفع من الارض والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون
الجبال غالبا وجلجلة الرعد صوته وما تلاشت عنه بروق الغمام اي لم
تنكشف للابصار بسبب اضاءتها فكانها اضمحلت عنه ولم تنكشف لان العلم
بها اشرف لتعلقه بما لا يدركه ابصار المخلوقين دون ما تقيده لادراك
الكل له والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين
في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابلة من ساعته
في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما
خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وانما اضاف العواصف للانواء
لان العرب تضيف الاثار العلوية من الرياح والامطار والحر و
البرد اليها وسلب تحديده بالاين سلب الكمية المتصلة عنه تعالى
وبالازواج سلب الكم المنفصل عنه اي ليس فيه اثنينية وتعدد ومعالجة
النغل بالة والعظيم منايا به كما روي انه يسمع الصوت من كل الجهات ليس
على حد سماع البشر وقد ذكرنا كيفية سماع الانبياء للوحي في الاصل وقيل
اراد الايات التسع كانشقاق البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرهما وحجرات
القدس مقامات الطهارة عن كدورات الشهوة والغضب والمرجحن المايل الى
جهة تحت وهو مستعار لخضوعهم تحت سلطان عظمته والظلام اما محسوس
فاضاءته نور الكواكب او معقول وهو ظلام العدم والجهل فاضاءه نور
الوجود والعلم والشرايع وكذلك النور اما محسوس فاظلمه معاقبة
الظلام له واما معقول كانوار الوجود والنفوس البشرية فانها انوار
الالهية تغشاها ظلمة العدم والجهل والرياش اللباس والعمائر ...

اولاد لاود ابن ادم بن سام بن نوح عليه السلم فكان ملك اليمن والحجاز وما
تاخم ذلك واما الفراعنة فهم ملوك مصر واما اصحاب مداين الرس فقيل
انهم اصحاب شعيب النبي عليه الصلوة والسلام والرس بئر عظيم جدا انخسف
بهم وكانوا حوله وقيل الرس قرية باليمامة وكان يسكنها قوم من بقايا ثمود
والله اعلم ومنها قد لبس للحكمة جنتها واخذ بجميع ادبها من الاقبال
عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها
وحاجته التي يسأل عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام وضرب
بعسيب ذنبه والصق الارض بجرانه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف
انبيائه ثم قال عليه السلم ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ
بها الانبياء اممهم واديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم
بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم
اتتوقعون اماما غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه قد
ادبر من الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال
عباد الله الاخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الاخرة لا
يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين الا يكونوا اليوم
احياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم
اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم اين اخواني الذين ركبوا
الطريق ومضوا على الحق اين عمار واين ابن التيهان واين ذو الشهادتين
واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤسهم
الى الفجرة ثم ضرب عليه السلم بيده الى لحيته فاطال البكاء ثم قال اوه
على اخواني الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه و
احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد
فاتبعوا ثم نادى باعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي

فمن اراد الرواح الى الله فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلم
في عشرة الاف ولقيس بن سعد في عشرة الاف ولابي ايوب الانصاري في
عشرة الاف ولغيرهم على اعداد اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما
دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم فتراجعت العساكر فكنا كاغنام
فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان اقول الضمير في لبس للعارف
مطلقا وقيل المراد هو الامام المنتظر واستعار لفظ الجنة للاستعداد
بالزهد والعبادة الواجبة لكونها جنة والمعرفة بها اي بقدرها
ولفظ الضالة لها باعتبار طلبه اياها كما قال صلى الله عليه وسلم
الحكمة ضالة المؤمن وقوله فهو الى قوله الاسلام اشارة الى اخفائه
بين الناس وقلة وجود مثله وغربة الاسلام قلة الزهد والعمل به
كما قال صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ و
استعار لفظ عسيب الذنب وهو طرفه ولفظ الجران وهو مقدم عنق
البعير للاسلام ملاحظة لشبهه اياه في سقوطه عند ضعفه واستوسق
الامر اجتمع وانتظم وازمع صمم عزمه وقوله ما ضر الى قوله الرنق
تنبيه على عدم ضرر الموت لاخوانه المذكورين وهو عمار ابن ياسر
الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه عمار جلدة ما بين عيني
تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي وابو التيهان هو ابو الهيثم
مالك بن مالك بن عمرو بن الحارث التيهان وذو الشهادتين هو ابو عمارة خزيمة
بن ثابت الانصاري الاوسي جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين
لقصة مشهورة وابرد ارسل والفجرة امراء الشام والقائد يعني نفسه
وقيس هو ابن سعد بن عبادة الانصاري وابو ايوب هو خالد بن سعد بن
كعب من بني النجار وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر
الى المدينة حتى بنى مسجده ومساكنه ومن خطبة له عليه السلم الحمد

الله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلائق بقدرته و
استعبد الأرباب بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي أسكن الدنيا
خلقه وبعث إلى الجن والإنس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم
من ضرائها وليضربوا لهم أمثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا
عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها وأسقامها وحلالها وحرامها وما أعد
سبحانه وتعالى للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان
أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه جعل لكل شيء قدرا ولكل أجل
كتابا **أقول** نزهه في معرفته عن الرؤية وفي خالقيته عن التعب
لاستلزامهما الجسمية وقوله ليكشفوا لهم إلى أغطية الهيئات البدنية
وأغشية الجهل وكشفها بالتذكير والموعظة عن أعين بصائرهم ليروا
ما يعطي من أحوال الآخرة التي خلقوا لها ومن آثارها ما يلزم الغفلة فيها
من الضرر الأخروي وبالله التوفيق منها في ذكر القرآن فالقرآن آمر
زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه أخذ عليهم ميثاقه وارتهن
عليه أنفسهم وأكرم به دينه وقبض نبيه صلى الله عليه وسلم وقد
فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من
نفسه فإنه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك شيئا رضيه أو كرهه
إلا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه فرضاه فيما
بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد واعلموا أنه لم يرض عنكم بشيء سخطه
على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وإنما
تسيرون في أثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم
مؤونة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من ألسنتكم الذكر وأوصاكم بالتقوى
وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي أنتم بعينه و
نواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته إن أسررتم علمه وإن أعلنتم كتبه قد وكل بكم

عليكم

عليكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا أنه من يتق
الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت
نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه
ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا
الآجال فإن الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل ويسد عنهم باب
التوبة فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم وأنتم
بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم قد أوذنتم منها بالارتحال و
أمرتم فيها بالزاد واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار
فارحموا أنفسكم فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا أفرأيتم جزع
أحدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه فكيف إذا كان
بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان أما علمتم أن مالكا
إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه وإذا زجرها توثبت بين
أبوابها جزعا من زجرته أيها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير
كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق ونشبت الجوامع حتى أكلت
السواعد فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي
الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها
أسهروا عيونكم وأضمروا بطونكم واستعملوا أقدامكم وأنفقوا أموالكم
وخذوا من أجسادكم تجودوا بها على أنفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال
الله سبحانه وتعالى إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم فلم يستنصركم
من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملا
فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله و
أزارهم ملائكته وأكرم أسماعهم عن أن تسمع حسيس نار أبدا وصان أجسادهم

ان تلتقى لغوباً ونصباً ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل
اقول استعار للقرآن الاوصاف المتضادة باعتبارات مختلفة واخذ
عليه اي على العمل بما فيه وما مصدرية اي فعظموه تعظيماً يناسب تعظيمه لنفسه
وقوله فرضه الى قوله واحدا اي ان المرضي له من الاحكام او المسخوط فيما مضى
هو المرضي او المسخوط فيما بقي او استقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضياً
او مسخوطاً واحد في جميع الاوقات وفيه ايماء الى ان رفع شيء من الاحكام بالرأي
والقياس المتعارف لا يجوز وكذلك قوله واعلموا الى قوله قبلكم تاكيد له
وقوله وانما تسيرون الى قوله قبلكم اي ان الادلة لكم واضحة قد بداها
الاولون قبلكم وانتم تتكلمون بما ترددت منها في الالسنة السابقة ورجع القول
المردد منه وكونهم بعينه اي بحيث يبصرهم ويعلم ما يفعلون ولفظ العين
مجاز في العلم وخص النواصي بالاخذ لانها اشرف وفي القدرة على الاشرف
اتم واقوى ولانه تعالى في اعتبار الاوهام في جهة فوق واخذه اولا يكون بالنواصي
والدار التي اصطنعها لنفسه الجنة وكون ظلها عرشه يقتضي انها في السموات
وبهجته تعود الى بهائه وجماله المعقول المشرق على اهل الجنة ورفقاؤها
الرفقاء فيها وحسن اولئك رفيقا ويوشك تقريب وترهيب بذكرهم وقوله
فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي في صحة الحقوق من الصحة والتمكن من العمل
وهو ما يتمناه من مضى قبلكم كقوله تعالى يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا
نعمل وكونهم بني سبيل باعتبار انهم في هذه الدار باقتوتهم العنايد الاخيه
الى غاية الاخرى وتحصيع حجر لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقرين
شيطان لقوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون
والنعش الشيخ الكبير وهذه خالصه والقتير الشيب والجامعة الغل لجمعها
الايدي الى الاعناق واللغوب التعب والفصل واضح ومن كلام له عليه السلم

قال

قاله للبرج ابن مسهر الطائي وقد قال بحيث يسمعه لا حكم الا لله وكان من
الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك
خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز اقول البرج
بالباء المضمومة والجيم وقبحه الله نحاه عن الخير والاثرم ساقط الثنية
والضئيل الصغير الحقير النحيف وضئولة شخصه عند ظهور الحق كناية
عن حقارته في زمن العدل وقوة الاسلام وخمول ذكره في الصحابة وخفاء
صوته كناية عن قلة الالتفات اليه ولفظ صاح ونعور الباطل كناية عن
قوته وكثرته ووجه التشبيه بنجوم قرن الماعز سرعة ظهوره ومن
خطبة له عليه السلم روي ان رجلا من اصحابه يقال له همام كان
رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين حتى كاني انظر اليهم
فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلم يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك القول حتى عزم
عليه قال فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
عليه السلم اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن
طاعتهم امنا من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه
طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم
فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد
ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله تعالى عليهم ووقفوا
اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت
في الرخاء لولا الاجل الذي كتب لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة
عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر
ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم
والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مامونة

وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أياما قصيرة
أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم أرادتهم الدنيا فلم
يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم
تالين [لأجزاء صح] القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم ويستثيرون
دواء دائهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا وتطلعت
أنفسهم إليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف
أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول
آذانهم فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم
وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم وأما النهار
فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر
فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم
أمر عظيم لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير
فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكي أحدهم
خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم مني بنفسي
اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي
ما لا يعلمون فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزما في
لين وإيمانا في يقين وحرصا في علم وعلما في حلم وقصدا في غنى
وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال و
نشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسي
وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا لما
حذر من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة إن استصعبت نفسه
عليه فيما يكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما
لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا أمله قليلا زلله خاشعا

قلبه

قلبه قانعة نفسه منزورا أكله سهلا أمره حريزا دينه ميتة شهوته مكظوما
غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون إن كان في الغافلين كتب
في الذاكرين وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن
ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره
حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور
وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق
قبل أن يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالألقاب
ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من
الحق إن صمت لم يغمه صمته وإن ضحك لم يعل صوته وإن بغي عليه صبر
حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في
راحة أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد
عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده
بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت
نفسه فيها فقال أمير المؤمنين أما والله لقد كنت أخافها عليه
ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها فقال له قائل فما بالك
أنت يا أمير المؤمنين فقال ويحك إن لكل أجل وقتا لا يعدوه وسببا
لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فإنما نفث الشيطان على لسانك أقول
هو همام بن شريح كان من شيعة علي عليه السلام والمتقون هم الذين
استجمعوا الفضائل النفسانية المتعلقة بصلاح قوتي العلم والعمل
وقد أشار عليه السلام منها إلى نيف وسبعين فضيلة عددناها في الأصل
والصواب في القول هو فضيلة اللسان وهو قول ما ينبغي دون ما لا
ينبغي واستعار لفظ الملبس للاقتصاد في الأمور باعتبار ملازمتهم له
وقوله نزلت إلى قوله الرخاء أي كما لا تبطر برخاء يصيبها كذلك لا تقنط

في بلاء نزل بها والتقدير كالنزول الذي نزل في الرخاء ويحتمل ان يريد بالذ
الذين وتشبيههم بمن قد رأى الجنة في قوة يقينهم بما وعد المتقون
ومن قد رأى النار في قوة يقينهم بوعيد اهلها وذلك عن مشاهدتهم
باعين بصائرهم حقائق الوعد والوعيد ويجب في ذلك ان يكون غلبة الخوف
والرجاء عليهم وتنعمهم باللذة وعذابهم بالالم ما يتصورونه ومخافة اجسادهم
هم همر البرق والمراد الرؤية ونصبهم في العبادة وتحمل مصدرية
وكآبتهم هو الحمل وداؤهم ما اشتمل عليه القرآن من الاسرار و
الفضائل وحنوهم على اوساطهم كيفية ركوعهم والقدح السهم لا
ريش فيه ووجه التشبيه شدة النحافة وقد يعرض لبعض العارفين
اختلاط في القول عند اتصال النفس بالملأ الاعلى واشتغال سرّه
بالانوار الالهية فربما تكلم مما يخرج عن التعارف والحزم في اللين اي
يكون لينه حزما وفي موضعه لا عن مهانة وذلة والقصد في الغنى فضيلة
العدل فيه دون الاسراف او البخل او دون تجاوز الحد في طلب الدنيا
والوقوف على حد الحاجة والمسئلة والوجل في العمل الصالح من ان يكون
على غير الوجه المرضي لله كما روى عن زين العابدين عليه السلام انه كان في
التلبية وهو على راحلته اذ خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له
في ذلك فقال خشيت ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك وسهولة امره
في كونه لا يتكلف ولا يكلف وحرز دينه حفظه من التساهل فيه وقوله
ان كان من الغافلين اي في نظر الناس كتب في الذاكرين عند الله
لاشتغال سره بربه والفحش قول ما لا ينبغي والزلازل الفتن الكبار والامور
العظام وعدم اثمه فيمن يحب ان لا يتبع الهوى في رضاه والمنابزة
المراماة بالالقاب التي يتأذى بها ولا يعمه صمته لكونه حكمة ولا يعلو ضحكه لغلبة
ذكر الموت عليه ونفسه منه في عناء اي الامارة لمنعه ومنعه اياها وكسره لها

وبا

وباقي الكلام واضح **ومن خطبة له عليه السلام** يصف فيها اير المنافقين
نحمده على ما وفق له من الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما
وبحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله
خاض الى رضوان الله كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون
وتألب عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته
بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار واسحق
المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم
الضالون المضلون والزالون المزلون يتلونون الوانا ويفتنون
افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية
وصفاحهم نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم
شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء ومقنطو
الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع
يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا
وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل
حي قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع
باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون
ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة
الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون **اقول** ذاد طرد وذود تباعد المعصية بالمناهي
واستعار وصف حبله لدينه العاصم لمن تمسك به وغمرة الشيء معظمه واراد
كل عظيم من الشدائد وتلون الادنين تغير قلوبهم ونفاقهم والتألب التجمع
وخلع العرب اعنتها اليه كناية عن تجردهم من عين الحرب وكذلك ضربها
الى محاربته بطون رواحلها والسحق البعد ويعمدونكم يقصدونكم بالامور

الفادحة ودوتيرة ذات داء كالغل والحسد والخديعة ونحوها وذلك مع نقاء
صفاحهم اي وجوههم وسلامتها من شر ظاهر كناية عن النفاق ودبيبهم
دواء اي يقولون اقوال الزاهدين في وصف سبيل الله ويفعلون افعال
المنافقين الفاسقين وممقنطوا الرجاء اي من رجا امرا منهم قنطوه
منه والطريق كناية عن الحيلة والقصد اي كيف توجهوا اضل منهم اذى ولهم لدى
كل قلب شفيع اي من اقوال دالة افعال المشبهة للحق ودموعهم لكل شجو
عن توجعهم لكل ذي شجو وان كان عدوا ونفاقا ويتقارضون الثناء اثناء
كل منهم على صاحبه مع توقع ان يثنى عليه بمثله والالحاف الالحاح في
السؤال وان عدلوا كشفوا عيوب من يعدلونه وهم في زي الناصحين و
استعار لفظ المفتاح للحيلة ولفظ الليل لما اظلم من الامور ولفظ المصابيح
للراي الذي يدخل في تدبير كل مشكل وتوصلهم الى الطمع بالياس اي عما
في ايدي الناس باظهار الزهد والعلق النفيس من كل شيء وهو مستعار
لما يلتمسون ترويجه على الناس من امورهم والتمويه التشبيه وهيئوا الطريق
اي مسالك مقاصدهم من الاراء والحيل واضلعوا المضيق اي عوجوا مضايق
طريقهم ومضايقها دقائق المداخل في الامور واراد بتعويجها انهم اذا
ارادوا امرا اظهروا غيره تعمية على الغير وملة الشيطان جماعته
وحمة النيران مستعار لتعظيم شرورهم ومن خطبة له عليه السلام الحمد
لله الذي اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من
عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته و
اشهد ان لا اله الا الله شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين
طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم اعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم

يرسلكم

يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم فاستفتحوه و
استنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم
دونه باب وانه لبكل مكان وفي كل حين وزمان واوان ومع كل انس
وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه
نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة
عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب ولا يجنه
البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا
فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال
ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام
فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان
السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له
الاقطار وتعطل فيه صروم العشار (الاعشار) وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة
وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا
رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم ينفع ولا معذرة
تدفع اقول استعار لفظ المقلة وهي شحمة العين لقوة العقل
باعتبار ادراكها وخطرات هماهم النفوس ما يخطر لها من همهمة والهمهمة
صوت خفي وردعها استلزام كمال المطلق عجزها عن ادراك حقيقته
والايمان التصديق القلبي بالله وما جاءت به رسله وما يطابقه من
اللسان والايقان اعتقادات ذلك التصديق لا يكون الا كذلك والاخلاص
ان يترك في توحيده تعالى كل امر سواه عن درجة الاعتبار والاذعان ثمرة ذلك
الاخلاص وهي كمال العبادات التابعة له واعلام الهدى ائمة الدين والمناهج
قوانين الشريعة ودروسها وطموسها اضمحلالها قبل النبوة وكونه تعالى بكل
مكان بعلمه وفي كل زمان مساوقة وجوده لوجود الزمان اذ تعالى سبحانه

عن احاطتهما به ومع كل انس وجان بعلمه والحبا النوال واشار باجتماع الاضداد
تحت حكم قدرته الى كمالها وتنزيهها عن قدرة البشر وكذلك اجتماع الاحوال
المتضادة له كالرحمة والعقاب والبطون والظهور وغيرهما انما
هي باعتبارات مختلفة تعتبرها الاذهان المعقولية عنه تعالى
كما مر والوله شغل القلب وتحيره والهر ودراء خلق واستعار لفظ
الزمام لتقوى الله لقودها العبد الى الحق وكونها قواما اي للعبد في
سبيل الله ووثايقها ما يتمسك به منها وهو المامور بلزومه من العبادات
والطاعات وحقايقها الخالص منها الثابت في الدين والحزم تولكم
في جواب الامر بالتمسك واكنان الدعة مواطن الراحة من العذاب و
هي غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعة والمعاقل الحارزة في
منازل العز في جوار الله والقروم جمع صرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين
والعشار النوق اتى عليها بعد طرق الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال
العالية ومعهدها ما كان يسكونها والقاع الخالي والسملق الصفصف المستوي
ومن خطبة له عليه السلم بعثه حين لا علم قايم ولا منار ساطع ولا منهج
واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة
تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها باين تميد باهلها ميدان السفينة
تصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على بطون
الامواج تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك
وما نجا منها فالى مهلك عباد الله الآن فاعملوا والابدان صحيحة والاعضاء
لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل ارهاق الفوت وحلول الموت
فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه اقول استعار لفظ العلم
والمنار للهداة الى الله والساطع المرتفع ولفظ المنهج للشريعة والقاطن
المقيم وشبهها باهلها كالسفينة براكبها ووجه التمثيل قوله تصفقها

العواصف

العواصف الى آخره واشتمل هذا التمثيل على تشبيهات فالدنيا كالسفينة
في الريح العاصف وتغيراتها كحركات السفينة ورميهم بحوادثها كالاحوال 164
التي تلحق اهل السفينة حينئذ وقسمهم الى غريق وبق اي هالك والى
ناج تحفزه الرياح اي تسوقه وتحمله على الاهوال ليشبه قسمة اهل
الدنيا الى هالك بحوادثها والى ناج الى حين مع مقاساة متاعبها ولابد
من هلاكه واللدن الناعم والارهاق الالحاق وتحقيقه ولم تذكره واخطاره
بالبال وتقدير كونه واقعا بهم ونهى انتظار قدومه لاستلزام ذلك
توهم بعده والتكاسل بسبب ذلك على العمل ومن خطبة له
عليه السلم ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
اني لم ارد على الله تعالى ولا على رسوله ساعة قط ولقد واسيته
بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال وتتاخر فيها الاقدام نجدة
اكرمني الله تعالى بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري
وفاضت نفسه الشريفة على وجهي والملائكة اعواني فضجت الدار
والافنية ملاء يهبط وملاء يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون
عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا احق به مني حيا وميتا فانفذوا على بصايركم
ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة
الحق وانهم لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم
اقول المستحفظون من الصحابة العلماء الذين استحفظوا كتاب الله
ودينه فهم حفظته ومواساته عليه السلم له تقدمه الى الموت دونه في
مواطن القتال كيوم حنين وبدر والنجدة فضيلة تحت الشجاعة ونصبها
على المفعول له ونفسه الكريمة دمه يقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاء وقت موته ومايه روا وان عليا عليه السلم مسح بذلك وجهه ولا
ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخصص دم رسول الله عليه الصلوة والسلم

كما روى ابا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال لذا لا يتجع بطنك
وهو الذي غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم والفضل بن العباس يصب
عليه الماء وروي انه عصب عينيه الفضل حين اذن وكان يقول ما قلبت
منه عضوا إلا وانقلب لا اجد له ثقلا كأن معي من يساعدني عليه وما ذاك
إلا الملائكة ثم الهينمة صوت خفي وذكر هذه الفضائل لنفسه في قوة صغر
ضمير تقتدي كبر له وكل من كان بهذا القرب منه والفضيلة فلا احق
منه بامره وخلافته وامضوا الى على جهاد عدوكم وبصائرهم عقائدهم
او عقولهم السليمة **ومن خطبة له عليه السلم** يعلم عجيج الوحوش
في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف النينان في البحار
الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا نجيب الله
عليه نجيب الله تعالى وسفير وحيه ورسول رحمته اما بعد فاوصيكم بتقوى
الله الذي ابتداء خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه
منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى
الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم وشفاء مرض اجسادكم وصلاح
فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم وجلاء عشا ابصاركم وضياء سواد
ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله تعالى شعارا دون دثاركم ودخيلا دون
شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم
وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم
وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله تعالى حرز
من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة فمن اخذ بالتقوى
عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه
الامواج بعد تراكمها واسهلت له الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة
بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها

ووبلت

ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته ووعظكم
برسالته وامتن عليكم بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه
من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله تعالى الذي اصطفاه لنفسه و
اصطنعه على عينه واصطفاه لخيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل
الاديان بعزته ووضع الملل برفعه واهان اعداءه بكرامته وخذل
محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه و
اتاق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا
انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقطاع لمدته ولا عفا
لشرايعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا
سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه
ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحق اسناخها
وثبت لها اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها و
منار اقتدى بها سفارها واعلاما قصد بها فجاجها ومناهل روى بها
ورادها جعل الله تعالى فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته
فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران
عزيز السلطان مشرف المنار معوز المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه و
ضعوه مواضعه ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق
حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع واظلمت
بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف
منها قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها
وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشف من
عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه وتعالى بلاغا لرسالته وكرامة
لامته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا لانصاره ثم انزل عليه

الكتاب نورا لا تطفا مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا لا يدرك قعره
ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه
وبنيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزا لا تهزم انصاره
وحقا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع
العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه
واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها
الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون
واعلام لا يعمى عنها السائرون واكام لا يجوز عنها القاصدون جعله
الله ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء
ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته
ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى
لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم
به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله واية لمن
توسم وجنة لمن استلام وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن
قضى اقول العجيج رفع الصوت فافاد انه يعلم اصواتها حين تجار
اليه في عجيج الارض والنينان جمع نون وهو الحوت والمفزع مصدر وتقدير
فلان يرمي قصده اليه مفزعه في المهمات وداء قلوبهم وعمى افئدتهم
هو الجهل والرذايل النفسانية وشفاء مرض اجسادهم اما دنيا فلقوة
نفس المتقي على استنزال الشفاء بصالح الدعاء واما طبا فلان التقوى
تستلزم قلة الاكل والشرب واستعمالها بقدر الحاجة وقد علمت ما
في الاستكثار منهما في المضار البدنية قال النبي صلى الله عليه وسلم المعدة
بيت الداء وصلاح فساد صدورهم من الرذايل النفسانية ودنس النفوس
نجاسة الهيئات الردية واستعار لفظ العشا لما يعرض من ظلمة الجهل

الحاجبة عن ادراك الحقايق والجاش القلب وكذلك استعار لفظ السواد
لظلمة الجهل ولفظ الشعار وهو ما يلي الجسد من الثياب للتقوى و
هو امر بلزومها ومباشرة القلوب بها اذ الشعار ادخل من الدثار ثم
اكد امرهم بلزومها باتخاذها دخيلة تحت الشعار وهو امر بالاخلاص
فيها وجعلها ملكة وفسر ذلك بقوله لطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها
عن تصورها واعتقادها وبكونها بين اضلاعهم عن ايداعها القلوب و
استعار لفظ الامر لها باعتبار وجوب اكرامها والايتمار لها ولفظ المنهل
وهو المورد باعتبار انها مظنة الري من شراب الابرار ولفظ المصابيح
لاضاءتها القلوب والمتالف المكتنفة هي الرذايل التي تكتنف النفس
فتوبقها والمخاوف المتوقعة اهوال الاخرة واوار النيران حرها وغربت
غابت ومرارة الامور الاذى اللازم عنها كما يلزم عن الفقر ونحوه ولما
كان ذلك شعار الصالحين المتقين كان احلى في نفوسهم من كل شعار وان
كان مرا في اذواقهم في اول الامر واستعار لفظ الامواج لاهوال الدنيا دفعها
ولما كانت التقوى تستلزم سهولة تلك الامور كان ذلك تفرجها لهم
ويحتمل ان يريد بالامواج الهيئات البدنية الردية اذ بالتقوى تزول و
تنفرج وسهولة الصعاب لعوز الدنيا على المتقين اشرف ما هم بصدده
من المطالب الجليلة وانصبابها انهلالها والكرامة تعود الى الاضافات
الغالبة الهاطلة على نفوسهم ويحتمل ان يريد الغيث عند القحط فان
نفوس المتقين تستنزله بدعائها والتحدب التعطف وعبدوا ذللوا
واصطنعه على عينيه اي علم منه وعناية به واصطفاه خير خلقه اخلصه
له ودعائم الدين قواعده الثابتة في قلوب المؤمنين واقامتها على محبته
في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فكان اتباعه عليه السلم
واقامته لتلك الدعائم به مبينا على محبة الله ويحتمل عود الضمير على النبي

صلى الله عليه وسلم اذ لولا محبته ولزوم اتباعه لم يتم الدين ومحادوه معادوه
واستعار لفظ اركان الصلوة لتلازم اهلها ووصف البحر لافاضة علوم الدين
ولفظ الخاص لعلماء الاسلام الذين هم اوعية العلوم والحكم
ولفظ المواتح وهم المتقون لائمة الدين ايضا من الصحابة ولفظ الحياض
للمستفيدين واتاق وعلاء ولفظ العروق لما تتمسك به الانسان من العقائد
الحقة ومكارم الاخلاق ولفظ الحلقة لجماعته واهله ولفظ الاساس
للكتاب والسنة ولفظ الدعائم لاهله ولقوانينه ولفظ النجوم
لاصله ووصف الجد لانقطاع المسائل والابحاث المتفرعة عليه وتناهيها
والفنك لضيق والوعوثة الصعوبة ولفظ المسائل والابحاث المتفرعة
عليه وتناهيها الوضح وهو الضوء لانوار الفائضة الى الله تعالى ولفظ السواد
لما يكد رها من الشبهة ولفظ المصابيح لعلمائه ولفظ الدعائم لقواعده
وهي العبادات لقوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس والاناخ
الاصول واساخها اثبتها وادخلها في الحق وهو اشارة الى كون العبادات
مبنية على اسرار من الحق عميقة ولفظ الينابيع لاصوله وهي الكتاب والسنة
باعتبار تفجر العلوم عنهما ولفظ العيون لمبادي تلك الينابيع وحيث
صدرت وشبت النار الهبت ولفظ المنار والاعلام لاماراته
اهل الله وادلته ولفظ المسافرين لسالكي سبيل الله والضمير في دعائمه
لله ودعائمه دعائم دينه وقواعده التي جعلها عمدة لخلقه في صلاح امورهم
ولفظ الذروة للاسلام باعتبار شرفه على سائر الاديان فهو كالذروة
لها ولفظ البنيان لما ارتقى اليه اهله من الشرف والفضيلة ولفظ البرهان
للقرآن ولفظ النيران لعلومه واشراق نهاره علو قدر اهله ومعوز
المنار اي يعجز الخلق عن اثاره دفائنه وروى المنال والمثال وارزفونا والقياد
جبل تنقاد به الدابة اي دنا منها قيادها للرحيل واستعار لفظ التبيين وهو

الجبل

الحبل لما احكم من امورها والضمير في جعله للنبي ونور او المنصوبات بعد
اقوال الكتاب في بحبوحته وسطه والغيطان الامكنة المطمئنة من
الارض جمع غائط واستعار لفظ المنازل لمقاصد الكتاب باعتبار
وقوف الاذهان عندها بعد قصدها ولفظ الاعلام لادلته والمعقل
الجبل يعتصم به وعذرا لمن انتحله اي لمن نسب نفسه الى حمله وانتحل
اهله معتذرا عن تخليف شاق والفلج الفوز والظفر وحمله لمن حمله
قيامه صلاح حاله في الدارين واستعار له لفظ المطية لاداية بصاحبه
في سبيل الله الى الجنة والمتوسم المتدبر لاياته وعبر كقوله تعالى ان في
ذلك لايات للمتوسمين والمستليم الذي يتخذ لامته واللامة الدرع وحديثا
لمن روى باعتبار ما فيه من قصص سلا وليس او قولا وكلاما لمن نقله
كما قال تعالى الله نزل احسن الحديث الاية وفائدة وضعه بتلك ان فيه
غنية لمن اراد ان يحدث بحديث غيره مما لا يفيد فائدته وحكما اي
فيه الحكم الحق لمن قضى ورد حكما اي حاكما **ومن كلام له عليه
السلم** وكان يوصي به اصحابه تعاهدوا امر الصلوة وحافظوا عليها و
استكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا
تسمعون جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا
لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق
الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحمة على باب الرجل فهو يغتسل
منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن وقد
عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا
قرة عين من ولد ومال يقول الله سبحانه وتعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصبا بالصلوة بعد التبشير له بالجنة لقول

الله سبحانه وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها فكان يأمر بها أهله ويصبر
عليها نفسه ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الاسلام فمن
أعطاها طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجابا ووقاية فلا
يتبعنها أحد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من أعطاها غير طيب النفس
بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر ضال
العمل طويل الندم ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها انها عرضت
على السموات المبنية والأرضين المدحية والجبال ذات الطول المنصوبة
فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى منها ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو
قوة أو عز لامتنعن ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من
هو أضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما جهولا ان الله سبحانه
لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف به خبرا
وأحاط به علما أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه
وخلواتكم عيانه أقول حاصل الوصية بالمحافظة على أمور ثلاث
وهي الصلوة والزكوة والامانة والتنبيه على فضائلهما ووجوب ادائهما
وموقوتا مفروضا وقيل منجما في كل وقت وهي الصلوة الخمس وقوله
ألا تسمعون الى قوله نفسه دليل وجوبها وهي ضمائر ذكر صغريا تيها
والربق جمع ربقة وهي الحلقة في الحبل والحمة مجمع الماء وقد ذكر التشبيه
في قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيسر أحدكم أن على بابه حمة
يغتسل منها كل يوم وليلة خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء فقالوا
نعم قال فانما الصلوات الخمس ونصبا أي تاعبا وانما كان معطي الزكاة
غير طيب النفس بها ضال العمل اذ لم يقصد به وجهها ولا اهتدى الى
غاية وضعها في السنة والاقتراف الاكتساب وقد نبهنا على أسرار
العبادات فيما سبق وباقي الفصل ظاهر والله تعالى أعلم

دم

ومن كلام له عليه السلام والله ما معوية بأدهى مني ولكنه
يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ولكن كل
غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة و
الله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة أقول الدهاء
استعمال العقل والفطنة فيما لا ينبغي شرعا مع اظهار ارادة ما ينبغي و
صاحبه داه وخبيث ومكار وخبول وهو رذيلة تحت رذيلة الجربزة
ولما كان الوفاء فضيلة تحت العفة كان الغدر رذيلة تحت
الفجور الذي هو رذيلة العفة ومستلزما له فكل غدر فجور وأما
ان كل فجور كفر فيحتمل أن يريد كفر النعمة لله تعالى ويحتمل أن
يريد أن الفجور على وجه استحلاله كفر فهم من فجور عمرو وابن العاص
وقوله ولكل غادر الى قوله القيمة لفظ الخبر النبوي ولا استغمز
بالشديدة أي لا يطلب غمزي أي اضعافي وتجربتي وروي بالراء
أي استعمل شدائد المكائد ومن خطبة له عليه السلام أيها
الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله فان الناس قد
اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل أيها الناس انما
يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم
الله العذاب لما عموا بالرضا فقال سبحانه فعقروها فأصبحوا
نادمين فما كان الا ان خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في
الأرض الخوارة أيها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن
خالف وقع في التيه أقول حاصل الفصل ترغيب أصحابه في البقاء على
سلوك طريق الهدى وعدم التوحش فيه لقلة سالكيه اذ من العادة
أن يستوحش الوحيد من الطريق لعدم الأنيس فلقلته واستعار لفظ
المائدة للدنيا وكنى عن قصر مدتها بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك

فيها العذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة
الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية من الكمالات النفسانية ويحتمل
ان يريد بالجوع فقد الملذات البدنية بالموت وقوله ايها
الناس الى قوله السخط انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات
ومعاصي الله وسخطهم لها بنفرة الافعال وان لم يباشر اكثرهم ذلك
او ان سخطهم للمنكرات يكون جامعا لهم في رحمة الله تعالى ومصداق
عموم العذاب للرضا بالمنكر قصة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل
عاقر الناقة ان العقوبة عمتهم لعموم الرضا لهم بفعله والضمير في
عموه يعود الى الرجل او الى العقر الذي دل عليه قوله عقروه وقوله
فما كان الى آخره تفسير للعذاب النازل بهم وخارت صوتت والسكة
حديدة الفدان والخوارة الضعيفة واستعار لفظ الماء للعلم والهدى
الحاصل لسالكي سبيل الله الواضحة والتيه الجهل وعمى البصيرة وقصة ثمود
مشهورة بحثنا عليها في الاصل وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام روي عنه انه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام
كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره السلام عليك يا
رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قل
يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي بالتاسي
بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في
ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك انا لله وانا اليه
راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة اما حزني
فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله تعالى لي دارك التي بها انت
مقيم وستنبئك ابنتك فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم
يطل العهد ولم يخل الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا

سيئ

سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما
وعد الله تعالى الصابرين اقول المروي انما بقيت بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم اذ بعد اشهر وذلك معنى سرعة لحاقها
به وصفيته باعتبار انه كان يكثر اكرامها والفادح الثقيل ونفسه التي فاضت
دم قاءه صلى الله عليه وسلم حين وفاته واستعار لفظ الوديعة والرهينة
لها باعتبار ان النساء ودائع الكرام او لنفسها الشريفة باعتبار ان النفوس
في هذه الابدان كالودائع يجب استرجاعها وكالمرهونة على الوفاء بعهد
الله وميثاقه والمسهد المؤرق والاحفاء الاستقصاء في السؤال وقوله
هو كالمتشكي ممن يعتقد انه ظلمها والذكر ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن كلام له عليه السلام ايها الناس انما الدنيا دار
مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم
عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها
ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس
ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا
كلا فيكون عليكم اقول هتك استارهم عند الله بمجاهرتهم بالمعاصي
واخراجهم لقلوبهم من الدنيا اعراضهم بقلوبهم عنها والزهد الحقيقي
فيها وفي قوله ما ترك وما قدم لطف تنبيه على ان متاع الدنيا مفارق
متروك لتعلق الرغبة فيه وان الاعمال الصالحة مقدمة للمرء في قدومه على
الله باقية نافعة له في معاده قيل انما امر بتقديم البعض دون الكل
لان حرمان الورثة لا يجوز وانما نهى عن ترك الكل لان اهمال الزكوة
والصدقة لا يجوز وقد يكون لكم قرضا ويكون عليكم كلا اي لا منفعة فيه
مع وجود مضرته والله اعلم ومن كلام له عليه السلام كان كثيرا ما
ينادي به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل واقلوا العرجة

على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل
مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا ان
ملاحظ المنية نحوكم دانية وكانكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد
دهمتكم منها مفظعات الامور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق
الدنيا واستظهروا بزاد التقوى وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم
بخلاف هذه الرواية اقول اراد بالتجهز الاستعداد للآخرة بالاعمال
الصالحة والمنادي لسان الحال والعروج والتعريج الاقامة بالمكان
وصالح الزاد التقوى واستعار لفظ العقبة للموت والكؤود الشاقة
المصعد والمنازل المخوفة منازل البرزخ والقيمة والملاحظ مصدر
او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين واستعار لفظه لكونها لهم بالرصد
فكانها دائمة النظر اليهم ودانية قريبة ودهمه كذا وقع عليه بغتة
ومفظعات الامور شدائدها ومعضلات المحذور وما ثقل منه فاما له

ومن كلام له عليه السلم كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة
وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الامور بهما لقد
نقمتما يسيرا وارجاتما كثيرا الا تخبراني اي شيء لكما فيه حق دفعتكما
عنه واي قسم استاثرت عليكما به ام اي حق رفعه الي احد من
المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام اخطات بابه والله ما كانت لي
في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها و
حملتموني عليها فلما افضت الي كتاب الله تعالى وما وضع لنا وامرنا
بالحكم به فاتبعته وما استن النبي صلى الله عليه وسلم فاقتديته
فلم احتج في ذلك الى رايكما ولا راي غيركما ولم يقع حكم جهلته فاستشيركما
واخواني من المسلمين ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما واما ما
ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم فيه برايي ولا وليته هوى مني

بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله تعالى منه وقد قسمه الله
تعالى وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى
اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال عليه السلم
رحم الله رجلا راى حقا فاعان عليه او راى جورا فرده وكان عونا
بالحق على صاحبه اقول اليسير الذي نقماه هو ترك استشارتهما في
الامور وتسويتهما بغيرهما في العطاء وذلك وان كان صعبا عندهما
فهو عنده يسير سهل لكونه حقا والكثير الذي ارجاه اي اخراه هو ما
يعود الى مصالح الدين ويحتمل ان يريد ان الذي ابدياه ونقماه يسير
من كثير مما في نفوسهما عليه اخفياه والاربة والارب مصالح الدين والفت
والاسوة التسوية في العطاء وقوله ولا وليته هوى مني اي ولا
جعلت الحكم هواي وروي وليته بالتخفيف والكسر اي ان يكون هوى متبوعا
له والعتبى الاسم من العتاب ومن كلام له عليه السلم وقد
سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين اني اكره
لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان
اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم
احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من
ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به
وتبعه اقول وصف اعمالهم تذكيرهم بكونهم ضالين وظالمين
على وجه النصيحة والارشاد الى الدين ويرعوي يرجع ولهج بكذا اولع به
وحرص عليه وقال عليه السلم بصفين وقد راى ولده الحسن عليهما السلم
يتسرع الى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين يعني
الحسنين عليهما السلم يعني هو واخوه على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول

الله صلى الله عليه وسلم أقول املكوا اضبطوا وبهدي نبيكم والنفس بالفتح
الأصل ومن كلام له عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة
أيها الناس انه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب و
قد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك لقد كنت بالأمس
أميرا واليوم مأمورا وكنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا وقد أحببتم
البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون أقول نهكتكم أخلقتكم وهو
مستعار في اضعافهم وأخذت وتركت كناية عن تصرفها فيهم بالاختيار
ومن كلام له عليه السلام وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده
بالبصرة وهو من أصحابه فلما رأى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة
هذه الدار في الدنيا أنت اليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها
الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق
مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا أمير المؤمنين
أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباء وتخلى
من الدنيا فقال علي به فلما جاء قال يا عدي نفسه لقد استهام بك
الخبيث أما رحمت أهلك وولدك أترى الله قد أحل لك الطيبات وهو
يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا
أنت في خشونة ملبسك وخشونة مأكلك قال عليه السلام اني لست
كأنت ان الله تعالى فرض على ائمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس
كيلا يتبيغ بالفقير فقره أقول استفهامه للعلاء في معرض التوبيخ لما
ان ذلك ينافي الزهد في الدنيا وقوله بلى الى آخره هداية له الى وجوه
استعمالها في مرضاة الله بعد التفريط في بنائها ومطالع الحقوق مصارفها
الشرعية وقوله علي به ينوب مناب فعل الأمر أي ائتوني به وعدي
تصغير عدو ونهيه له عما فعل لأنه لم يكن على وجهه بل فهم منه انه عن جهل

وهوى واستلزم ترك حقوق وكرم شرعا للأهل والولد والهيام الذهاب
في التيه واستهام بك الخبيث أي طلب منك الشيطان الهيام وزينه لك
وقوله فكيف بك أي فكيف لي بك هذه الحال وأنت القدوة وجوابه عليه
السلام بالفرق بينهما ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن
أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام ان
في أيدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا
ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله في عهده
حتى قام خطيبا فقال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ
مقعده من النار وانما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس
رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج
يكذب على رسول الله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب لم
يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله رآه
وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله تعالى عن
المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده صلى
الله عليه وسلم فتقربوا الى ائمة الضلال والدعاة الى النار بالزور
والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس
وأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله تعالى
فهذا أحد الأربعة ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه يرويه
ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون انه وهم
فيه لم يقبلوه منه ولو علم انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم
أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ

الناسخ فلو يعلم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه
منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله تعالى ولا على رسوله مبغض
للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه
فجاء به على ما سمعه ولم يزد فيه ولم ينقص منه وحفظ الناسخ فعمل به
وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه
وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من النبي صلى الله عليه وسلم الكلام
له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله تعالى
ولا ما عنى به رسول الله فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه
ولا ما قصد به وما خرج من اجله وليس كل اصحاب النبي كان يسأله ويستفهمه
حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي او الطارئ فيسأله حتى يسمعوا
كلامه وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألته عنه وحفظته فهذه وجوه
ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم والله اعلم **اقول**
احاديث البدع الاحاديث المبتدعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم والمكذوبة
عليه او التي يرتكب بها منها البدع وهي محدثات الامور في الدين مما لا
حجة شرعية فيه والحفظ عنه عليه السلام والوهم ما غلط فيه فتوهم مثله
انه عام والمراد به الخصوص او انه ثابت وهو منسوخ ووجه الحصر في قسمة
رجال الحديث ان الناقل له المنتسب الى الاسلام اما منافق اولا والثاني اما
ان يكون قد وهم فيه اولا والثالث اما ان يكون قد عرف ما يتعلق
به من شرائط الرواية اولا ودل على الحصر بقوله ليس لهم خامس واشار
الى الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا احد الاربعة ومتصنع بالاسلام
يتزين به وتجمل في عيون اهله ولا يتأثم يعترف بالاثم او لا يحرج منه وفي
الشبهة في قبول قوله ظاهر الاسلام وصحبة الرسول عليه السلام وخبر الله تعالى
عن المنافقين لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الآية

ونحوها

ونحوها ووصفهم بالكذب في قوله تعالى والله يعلم ان المنافقين
لكاذبون وائمة الضلال بنو امية واشار الى الثاني بقوله
ورجل سمع الى قوله لرفضه والى الثالث بقوله ورجل ثالث الى
قوله لرفضوه والى الرابع بقوله وآخر رابع الى قوله ومحكمه وهو
ظاهر والله الهادي **ومن خطبة له عليه السلام** وكان من اقتدار
جبروته تعالى وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء اليم الزاخر المتراكم
المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر منه اطباقا ففتقها سبع سموات بعد
ارتتاقها فاستمسكت بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر
والقمقام المسخر قد ذل لامره واذعن لهيبته ووقف الجاري
منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشز متونها فارساها في مراسيها
والزمها قراراتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست اصولها في الماء فانهد
جبالها عن سهولها واساخ قواعدها في متون اقطارها ومواضع انصابها
فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها للارض عمادا وارزها اوتادا
فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ بحملها او تزول عن
مواضعها فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها واجمدها بعد
رطوبة اكنافها فجعلها لخلقه مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجي
راكد لا يجري وقائم لا يسري تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى **اقول** اشار عليه السلام هنا الى ان اصل
الاجرام السماوية والارضية هو الماء ووصف كيفية تكونها عنه وقد
مر ذلك في الخطبة الاولى وتقاصفه تراكم امواجه واليبس الجامد من
الارض وحده هو ما ضرب له من النهاية والضمير في حملها لليبس والمثعنجر
السائل الكثير الماء والقمقام البحر والجلاميد جمع جلمود وجلاميدها صخورها
والنشز المرتفع واساخ ادخل وانصابها جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز

جمع نشز وهو العوالي منها وارد بها عوذها ودروي مخففا الى ابنتها و
اكنافها اقطارها وتكركره ترديده وتصرفه والفصل والفيح ومن خطبة
له عليه السلام اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير
الجائرة والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة فأبى بعد سمعه
لها إلا النكوص عن نصرتك والإبطاء عن إعزاز دينك فإنا نستشهدك
عليه يا أكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك
وسماواتك ثم أنت بعد المغني عن نصره والآخذ له بذنبه أقول الفصل
استنفار لأصحابه إلى الجهاد بدعاء الله واستشهاده على المتقاعدين
عن صوته تخويفا وجذبا بذلك إلى نصرة الدين والنكوص الرجوع
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب
لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين الباطن بجلال
عزته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد
المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء
بالأنوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس إدراكه بالإبصار ولا
علمه بالإخبار أقول فغلبه لمقال الواصفين امتناع بجلال ذاته
وصفاته عن إحاطة وصفهم به وبطونه خفاؤه عن تعلق الفكر بجلالته
ونزاهته عن مناسبة ما من شأنه ذلك والمقدر الموجد والروية الفكر
والضمير ما أضمر من عزم وإرادة ونحوها ويرهقه يدركه وظاهر تقدس
علم الله تعالى وتنزه ذاته عن الأسباب واللواحق المذكورة وإنما لم يكن
علمنا به بالإخبار لأن الأخبار إنما تصدق إذا استندت إلى محسوس
تعالى الله عن ذلك ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أرسله بالضياء
وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة
وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال أقول أراد بالمفاتق

أمور العالم المتفرقة ورتقها انضمامها والمساورة المغالبة والصعوبة
صعوبة المشركين وحزونة طريق الله تعالى وسرح الضلال عن يمين وشمال
طرح رذيلتي الإفراط والتفريط عن قوة النفوس العاقلة كالقاء جنبتي
الحمل عن ظهر الدابة وهو من لطيف الاستعارة ومن خطبة له عليه السلام
وأشهد أنه عدل عدل وحكم فصل وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وسيد عباده
كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر
ولا ضرب فيه فاجر ألا وإن الله تعالى قد جعل للخير أهلا وللحق
دعائم وللطاعة عصما وإن لكم عند كل طاعة عونا من الله تعالى يقول
على الألسنة ويثبت الأفئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف و
اعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه
يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكأس روية
ويصدرون بريّة لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك
عقد خلقهم وأخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا
كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه
التمحيص فليقبل امرؤ النصيحة فالكرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل
حلولها ولينظر امرؤ في قصير أيامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل
به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم
أطاع من يهديه وتجنب من يرديه وأصاب سبيل السلامة ببصر من
بصره وأطاع هادياً أمره وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه وتقطع
أسبابه واستفتح التوبة وأماط الحوبة فقد أقيم على الطريق وهدي
نهج السبيل أقول نسخ الخلق نقلهم عن أصولهم بالتناسل وأراد
كلما أوجد فرقتين من الخلق عن أصولهما جعله في خيرهما كما قال
صلى الله عليه وسلم أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق

فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم ثم جعلهم بيوتا
فجعلني في خيرهم فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا ولم يسهم فيه عاهر اي
لم يكن فيه للنبي شرك وقال عليه الصلوة والسلام لم يزل ينقلني
الله تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقوله عصما
اي قوما افادله يعتصم بها ويلجا اليها في المعونة على الطاعة وقوله
تعول الى قوله لا فيل تفعيل من الحوم المعونة والضمير في تعول لله
او للعوث مجازا وقوله على الالسنة كما في القرآن الكريم وتشتيته
للافيدة اي على محبته وطاعته تذكيره تعالى ولطايف موعظته ووعده
ووعيده في كتابه العزيز كما قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب
وما فيه الكفاية هو ذلك العون والولاية بالكسر الاسم من الولي واصله
القرب وبالفتح مصدر واراد انهم يتولون في قربهم من الله وتحصيل
محبته واستعار لفظ الكاس الروية للعلم والرية الفعلة من الري
واراد انهم لا يفترقون الا عن فايدة وقوله على ذلك اي على ما
عدد من مكارم الاخلاق في صفات عباد الله تعالى ولا تشوبهم الريبة اي
لا يتهمهم احد في الدين بنفاق او في محبتهم وقوله فكانوا
كتفاضل البذر اي كانوا في الناس كالبذر المتفاضل وتعبيد انهم افضل
من غيرهم مع تفاضلهم ونبه على وجه الشبه بقوله ينتقى الى قوله
التمحيص وهو الاختيار والكرامة نصيحته في طاعته وبقبولها اي الحسن
التام والفارعة الشديدة من شدائد الدهر ومعاذ فاعالد المواضع
التي يعلم انتقاله اليها وسلم من تدنس بالعقايد الباطلة ومن
تهديد ائمة الدين ومن يرد به ائمة الضلال في مهاوي الهلاك
والحوبة الاثم والله اعلم ومن دعائه كان يدعو به الحمد لله الذي لم
يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي بسوء ولا ماخوذا باسوء

عملي

عملي ولا مقطوعا دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا لربي ولا
مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي
اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع
ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم اني اعوذ بك
ان افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام في سلطانك او
اضطهد والامر لك اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي و
اول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ
بك ان نذهب عن قولك او ان نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا
دون الهدى الذي جاء من عندك اقول الدابر الظهر والدابر بقية
الرجل من ولده ونسله والالتباس الاختلاط وكرائمه قواه واعضاؤه
التي تكرم عليه واراد متعني بجميع قواي وجوارحي سليمة الى آخر عمري
لان انتزاع النفس قبل جميع الكرائم يستلزم بقاءها سليمة من الآفات
الى حين الممات ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم متعني
بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني والفصل ظاهر ومن خطبة
له عليه السلام خطبها بصفين اما بعد فقد جعل الله تعالى لي عليكم
حقا بولاية امركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم والحق
اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف لا يجري لاحد الا
جرى عليه ولا يجري عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان
ذلك خالصا لله عز وجل دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في
كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه تعالى جعل حقه على العباد
ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه و
توسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها
لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافى في وجوهها ويوجب بعضها بعضا

ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض من تلك الحقوق حق الوالي
على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل
على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا
بصلاح الرعاة والولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا
ادت الرعية الى الوالي حقه وادى اليها حقها عز الحق بينهم و
قامت مناهج الدين واعتدلت معالم الحق وجرت على اذلالها السنن
فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعدا
واذا غلبت الرعية واليها واجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة
وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل
بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس فلا تستوحش لعظيم
حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار
وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن
التعاون عليه فليس احد وان اشتد على رضى الله تعالى حرصه وطال في
العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله تعالى اهله من الطاعة له ولكن من و
اجب حق الله تعالى على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على
اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في
الدين فضيلته بفوق ان يعان على ما حمله الله تعالى من حقه ولا امرؤ وان
صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان
عليه فاجابه رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه و
طاعته له فقال عليه السلام ان من حق من عظم جلال الله تعالى في نفسه وجل
موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك
لمن عظمت نعمة الله تعالى عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على
احد الا ازداد حق الله عليه عظما وان اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان

يظن

يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال
في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت
احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا لله تعالى عن تناول ما هو احق
به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا
علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله تعالى واليكم من البقية في حقوق
لم افرغ من ادائها وفرائض لا بد من امضائها فلا تكلموني بما
تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة
ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا لحق قيل لي ولا
التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل
ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق او
مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا آمن ذلك من
فعلي الا ان يكفي الله تعالى من نفسي ما هو املك به مني فانما انا وانتم
عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من انفسنا و
اخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا عليه فابدلنا بعد الضلالة بالهدى
واعطانا البصيرة بعد العمى اقول انما كان الحق في التواصف اوسع
منه في التناصف لان القول اسهل وايسر كلفة من العمل ومعالم
العدل مظانه واذلالها وجوهها وطرقها واجحف به ذهب باصله
والادغال الافساد والمحاج الطرق الواضحة وعلل النفوس شبهاتها
في مخالفة الحق وقوله فعليكم بالتناصح اي في حفظ حق الوالي ورعيته
وحقهم عليه وقوله وليس امرؤ الى قوله في حقه اي انه وان بلغ العبد
اعظم درجات طاعة الله تعالى فهو محتاج ان يعان عليها وليست درجته
تلك بارفع من ان يعان على ما حمله الله تعالى منها وذلك ان تكليف الله تعالى
بطاعته بحسب وسع المتكلف والوسع في الطاعة قد يكون مشروطا

بمعونة الغير فيها فلا ينبغي احد عنه ولا قول له ولا امر والى قوله
او لتعان عليه اي انه لا ينبغي ان يتقاعس احد عن الاستعانة به في طاعة
الله تعالى وان اقتحمته النفوس اي استصغرته فانه ليس بدون ان يعين
على طاعة الله ولو بقبول الصدق ثم مثله وعرضه من ذلك اتفاق
الكلمة والاتحاد في الدين واعتزاز ضعيف وصالحي الناس اكبرهم وقوله
وربما الى قوله البلاء اي ربما استحلى من ابلى بلاء حسنا ان يمدح
واحب ان يثنى عليه بعد بلائه واللام في قوله لاخراجي متعلق
بقوله كرهت واراد ان لا غرض من طاعتي اخراج نفسي من بقية
حقوق الله الواجبة علي له ولكن بامره فكانه قال واذا كانت طاعتي
اذا واجب علي فكيف استحق به ثناء والبادرة سورة الغضب وما يتحفظ
به عند اهل البادرة كثرة المسائة مثلا في مجالس الملوك ان افعلوا لا
لهم وخوفا منهم وما كنا فيه هو شدة الجاهلية وما صلحنا عليه
اي الاسلام والهدى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه
السلام** اللهم اني استعديك على قريش فانهم قطعوا رحمي و
اكفأوا انائي واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري و
قالوا الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تمنعه فاصبر مغموما او مت
متأسفا فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل
بيتي فضننت بهم على المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقي على
الشجى وصبرت من كظم الغيظ على امر من العلقم وآلم للقلب من حز
الشفار وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا اني كررته
ههنا لاختلاف الروايتين والله الموفق اقول استعديك اطلب
عدواك اي معونتك وكفأت الاناء اي كببته لوجهه وهو كناية عن قلبهم
امره وتغييرهم للخلافة عنه وهو الحق الذي كان اولى به والرافد

المعين وضننت بخلت والشجى ما اعترض في الحلق من عظم وغيره و
هو كناية عن الغم والالم الحاصل له والعلقم الحنظل وقد مر تفسيره
وبالله التوفيق اقول **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر السائرين الى
البصرة لحربه عليه السلام فقدموا على عمالي وخزان مال المسلمين الذي في
يدي وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم و
افسدوا علي جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم
غدرا وطائفة منهم عضوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله
تعالى صادقين اقول عضوا على اسيافهم اي لزموها وقد اشرنا الى طرف
من حال السائرين الى البصرة لحربه في الاصل وقد سبق بيان هذا الفصل
مشروحا وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما مر بطلحة و
عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل لقد اصبح
ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش
قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف و
افلتتني اعيان بني جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله
فوقصوا دونه اقول كان طلحة والزبير من بني عبد مناف من قبل الام
وجمح قبيلة وكان في زمنه عليه السلام منهم عبد الله بن صفوان ابن امية
بن خلف وعبد الرحمن بن صفوان وقيل كان مروان بن الحكم منهم
اخذ اسيرا يوم الجمل واستشفع بالحسن الى ابيه عليهما السلام وروي
اغيار بالغين المعجمة اي جملة وهم وبالمهملة جمع عير وعير القوم سيدهم
واتلعوا اعناقهم رفعوها ومدوها كالمتطلعين وهو كناية عن تطاولهم
الى امر الخلافة ووقصوا انكسرت اعناقهم **ومن كلام له عليه السلام**
قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع
كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى

باب السلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و
الراحة بما اشتمل قلبه وانقضت به أقول يشير إلى وصف العارف
فإنما عقله بالرياضة التامة نحو تحصيل الكمالات العلمية والعملية وتكميل
قوتيه بهما وإنما تنقص أي الأمارة بالتي تبطونها العقلية وكسرها
بالعبادة والزهد الحقيقي واستعاد وضعف الأمارة لقطعها عما يخصها
من المشتهيات التي هي مادة حياتها من حيث هي نفس أمارة وكنى بجليله عن
تدبيره ودقته لانقطاع مادة توحشه من المشتهيات وغليظه أما بدنه
أو طباعه أو قواه فإنها تلطف بالرياضة بعد غلظها وقوله وتهاوت به اللوامع
إلى ما يعرض للسالك عند بلوغ الإرادة والرياضة حداً ما من الخلسات التي
الجانب الأعلى من ظهور أنوار الإلهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه
واختفائه وتلك اللوامع مسماة في عرف المجردين بالأوقات وهذه اللوامع
في مبدأ الأمر تعرض قليلاً فإذا أمعن في الارتياض كثرت لمعات ذلك اللامع
إلى نفس ذلك النور ويكثر بروقه إلى كثرت عروضه له بعد الإمعان في
الرياضة وقوله فأبان له الطريق أي أظهر له ذلك اللمعان طريق الحق
إلى الله تعالى وكان سبباً في سلوكه إليه وتدافعته الأبواب أي أبواب
الرياضة من الزهد والعبادة وغيرهما ووجه التدافع منهما انتقاله
من باب إلى باب منها ومن عبادة إلى أخرى فكأنها تتدافعه وباب
السلامة هو الباب الذي يلقى فيه السلامة من الانحراف عن الصراط
المستقيم بمعرفة أن تلك هي الطريق ويشبه أن يكون هو الوقت
وقوله وثبتت رجلاه إلى قوله والراحة في قرار الأمن إشارة إلى
درجة أعلى وتسمى طمأنينة وذلك أن السالك ما دام في مرتبة الوقت
فإنه يعرض له عند لمعان تلك البروق نوع اضطراب وانزعاج
يحس به جليسه لأن النفس إذا فاجأها أمر عظيم انزعجت له فإذا كثرت

تلك الغواشي ألفتها فصادت بحيث لا تنزعج عنها بل تسكن إليها وتطمئن
عندها لثبوت عدم عقلها في درجة أعلى من درجات الجنة التي
هي قرار الأمن والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل متعلق
بثبتت أي ذلك له بسبب هذا وبالله التوفيق ومن كلام له عليه
السلم قاله بعد تلاوة قوله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم
المقابر يا له مراماً ما أبعده وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفظعه لقد
استخلوا منهم أي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم
يفخرون أم بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم أجساداً خوت
وحركات سكنت ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً ولأن
يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا
إليهم بأبصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم
عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في
الأرض ضلالاً وذهبتم في أعقابهم جهالاً تطؤون في هامهم وتستنبتون
في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وإنما الأيام
فيما بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم أولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم
والذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكاً وسوقاً سلكوا
في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم
وشربت من دمائهم فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون وضماراً لا
يوجدون لا يفزعهم ورود الأهوال ولا يحزنهم تنكر الأحوال ولا يحفلون
بالرواجف ولا يأذنون للقواصف غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون و
إنما كانوا جميعاً فتشتتوا وآلافاً فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلتهم
عميت أخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً و
بالسمع صمماً وبالحركات سكوناً فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران

لا يتأنسون وأحياء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت
منهم أسباب الإخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم أخلاء
لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا
شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا
فكلتا الغايتين مدت لهم إلى مباءة فأتت مبالغ الخوف والرجاء فلو
كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت
آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت
عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه
النواضر وخوت الأجساد النواعم ولبسنا أهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع
وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن أجسادنا
وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا ولم نجد من
كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب
الغطاء لك وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت أبصارهم
بالتراب فخسفت وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها و
همدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة
منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة إليها مستسلمات فلا أيد تدفع
ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب وأقذاء عيون لهم من كل
فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي وكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق
لون كان في الدنيا غذي ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعات
حزنه ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه وشحاحة
بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش
غفول إذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الأيام قواه ونظرت إليه الحتوف
من كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات

علل

علل آنس ما كان بصحته ففزع إلى ما كان عوده الأطباء من تسكين الحار بالقار
وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد إلا ثور حرارة ولا حرك بحار إلا هيج
برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء حتى
فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب
السائلين عنه وتنازعوا دونه شجي خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم إياب
عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله فبينما هو كذلك
على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة إذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت
نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعيي عن
رده ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه أو صغير
كان يرحمه وإن للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل
على عقول أهل الدنيا أقول اللام في يا له لام الجر في المستغاث له
والمنادى محذوف والمرام المتعجب منه يعني هو التكاثر إذ لا يتناهى
والزور المتعجب من غفلتهم هم زائرو المقابر والخطر المتعجب من فظاعته
أي شدته هو خطر تلك الغفلة في الآخرة والمدكر هو محل التذكر من الأموات
والاعتبار بهم من آثارهم وأحوالهم الحاضرة واستخلوا منهم أي اتخذوا
الأحياء من الأموات تخلية ذكراً ولهم دابهم وأي مدكر استفهام على
سبيل التعجب من ذلك المدكر في قوة إفادته للعبرة وتناوشوهم أي تناولوهم
من جهة بعيدة وهي افتخار كل بآبائه وقبيلته ومكاثرته بالماضين من قومه
الذين هم بعد الموت أبعد الناس عنه في أنفسهم وكالاتهم وأحجى
أولى بالحجى وهو العقل ومقام الذلة مقام الاعتبار بهم ومقام
العزة مقام الافتخار بهم وأبصار العشوة الأبصار العاشية والعشوة
ركوب الأمر على جهل وإضافة الأبصار إليها إضافة الموصوف إلى الصفة
ويرتعون فيما لفظوا أي يتمتعون فيما تركوه وراء ظهورهم من متاع

الدنيا والأيام البواكي عليهم أيام الحياة وسلف غايتكم وفراطكم مناهلكم أي
الذين سبقوكم إليها والمناهل الموارد ومقاوم جمع مقام لأن الغد
منقلبة عن واو وحلبات الفخر جماعاته وملوكا أهل والبرزخ الحائل بين
الشيئين وهو هاهنا ما بين الدنيا والآخرة والنجوة المرتفع من
الأرض والقفار الغائب الذي لا يرجى إيابه ويأذنون يستمعون ولا
فأجمع إليه وعميت أخبارهم انقطع أثرها وصمت ديارهم لم يسمع
بها صوت وهما مجازان في الإسناد والسبات النوم وقوله وكلتا
الغايتين أي غاية المؤمنين والكافرين وهما السعادة والشقاوة
مدت أي ضرب لها أجل ينتهون فيه إلى منتهاه وهي المرجع إما الجنة أو
النار فاق ذلك المرجع مبالغ الخوف والرجاء عظمة تكبر في عبوس والأهدام
جمع هدم وهو الثوب البالي وتكاءدنا شق علينا وتفتكت تهدمت و
الأشجان الأحزان وغضارة العيش طيبه ووطئ الدهر بهم حسكا المثل
يضرب لمن يقع في الشدائد والبث الهم والانتحار وما يمحق المرة وبهجة
متعلق بأنس أي أنس أوقاته بصحته والقار البارد والأسى جمع أسوة وهي
الاقتداء وتعتدل على عقول أهل الدنيا أي تستقيم تصورها لهم
وباقي الفصل ظاهر ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوة
قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إن الله سبحانه
وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد
العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة
بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم
في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة
يذكرون بأيام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الأدلة في الفلوات من أخذ
الطريق حمدوا إليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن أخذ يمينا وشمالا ذموا

إليه

إليه الطريق وحذروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات
وأدلة تلك الشبهات وإن للذكر لأهلا أخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم
تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواجر عن
محارم الله تعالى في أسماع الغافلين ويأمرون بالقسط ويأتمرون به
وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة
وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك وكأنما اطلعوا على غيوب أهل
البرزخ في طول الإقامة فيها وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا
غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون
ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة
وقد نشروا دواوين أعمالهم وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة و
كبيرة أمروا بها فقصروا عنها أو نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل
أوزارهم ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا
نحيبا يعجون إلى ربهم من مقام ندم واعتراف لرأيت أعلام هدى و
مصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت
لهم أبواب السماء وأعدت لهم مقاعد الكرامات في مقام اطلع
الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون بدعائه روح
التجاوز رهائن فاقة إلى فضله وأسارى ذلة لعظمته جرح طول
الأسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة إلى الله تعالى منهم
يد قارعة يسألون من لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون
فحاسب نفسك لنفسك فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك أقول
الذكر هو القرآن الكريم وقيل هو ذكر الله تعالى مطلقا والمنتفع به ما
كان قلبيا مع دوامه فإنه بذلك يستلزم محبة المذكور والإعراض
عمن سواه واستعار لفظ الجلاء لإزالة الذكر ما سوى المذكور عن لوح القلب

بالذكر ويسمع به ويبصر أي يدرك ما ينبغي من المواعظ ويبصر من العبر بعد وقرة
الجهل وعشوته والوقر الصمم والعشوة ظلمة العين والبرهة المدة
الطويلة وذات عقولهم أنفسهم الناطقة وتكليمهم بالإضافة والإلهام
ونور اليقظة في الأسماع إضاءات عقولهم بالفوائد المسموعة وفي
الأبصار إضاءتها من قبل العبر المبصرة وفي الأفئدة إدراكها للمعقولات
وتحكمها بها والقصد لزوم الفضيلة في القوى العقلية والنفسانية
واليمين والشمال الانحراف عنها إلى جانبي الإفراط والتفريط منها
وقوله وحققت القيامة عليهم عداتها أي بطول ذكرهم تنزل الموعود
عندهم من أمور القيامة منزلة الواقع المحقق ومقاوم جمع
مقام وهو مقامهم بين يدي ربهم في خلواتهم به والنشيج الغصص
بالبكاء دون النحيب والعج رفع الصوت والسكينة مرتبة للسالكين
سبق ذكرها والتنسم انتظار النسيم والفاقة الفقر ولني بالأيدي
الفاقة عن الدعوات في طلب ما يرغب إليه الله فيه من أفضال ثم
العالية والمناديح جمع مندوحة وهو المتسع والفصل من أفصح العبارات
وأعذبها مقاصدها والله أعلم **ومن كلام له عليه السلام**
قاله عند تلاوة قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم أدحض
مسؤول حجة وأقطع مغتر معذرة لقد أبرح جهالة بنفسه يا أيها
الإنسان ما جرأك على ذنبك وما غرك بربك وما أنسك بهلكة نفسك
أما من دائك بلول أم ليس من نومتك يقظة أما ترحم من نفسك ما ترحم
من غيرك فلربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله أو ترى المبتلى بألم
يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على دائك وجلدك على مصابك
وعزاك عن البكاء على نفسك وهي أعز الأنفس عليك وكيف لا يوقظك خوف
بيات نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من

داء

داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة وكن لله
مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه إقباله عليك يدعوك إلى
عفوه ويتغمدك بفضله وأنت متول عنه إلى غيره فتعالى من قوي ما أكرمه
وتواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته وأنت في كنف ستره مقيم
وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره
بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك أو سيئة يسترها
عليك أو بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو أطعته وايم الله لو أن هذه
الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين في القدرة لكنت
أول حاكم على نفسك بذميم الأخلاق ومساوي الأعمال وحقا
أقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات
وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في
قوتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرك ولرب ناصح لها عندك
متهم وصادق من خبرها مكذب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع
الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك
والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا وإن
السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم إذا رجفت الراجفة
وحقت بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك أهله وبكل معبود عبدته
وبكل مطاع أهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في
الهواء ولا همس قدم في الأرض إلا بحقه فكم حجة يوم ذاك داحضة وعلائق
عذر منقطعة فتحر من أمرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجتك
وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل
مطايا التشمير أقول دحض الحجة بطلانها وأبرح جهالة بالغ في
تحصيل جهالته وأعجب بذلك ولما كانت الهلكة في الآخرة بمحبة الدنيا

وباطلها وكان الانسان شديد الانس بها صدق تجنبه من انسه هلكه
نفسه والبلول الصحة والضاحي البارز وقوله فلو تمثلت الى قوله
رحمة له في قوة صغرى مثيله احتج به على وجوب رحمته لنفسه وتقرير
كبراه وكل من يرحم غيره فاولى ان يرحم نفسه من بلاء يقع فيه والجلد
القوة والمدارج الطرق والتمثيل المقصود وتمثيل قمعه وقوله
وايم الله الى قوله الاعمال اي لو كان هذا الوصف المذكور من اقبال
الله عليه وادباره عنه وصف مثلين من الناس في القوة والقدرة
والمنزلة لكانت المسيئ منهما لكانا فيما ينبغي لكم من الحياء والانفراد ان
تكون او لحاكم على نفسك بتقصيرها وقبح عملها وانما لم تغرك الدنيا
اذ لم تخلق في العناية الالهية لذلك وغرورك بها ظنك ان المقصود منها
هي لذاتها الحاضرة ومكاشفتها بالعظات ظهور ما ينبغي الاتعاظ به من الغير
والتصاريف اللازمة لها واذنتك على سواء اي اعلمتك على عدل منها تصاريفها
اذ كان ذلك مقتضى خلقها بعدل من الله وحكمة وتعرض فيها اعتبار تصاريفها
ومحلة الشفيق منزلته وقد اضاف اسم نعم وبئس هنا الى ما ليس فيه
الالف واللام لقوله فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم وجمع بين اسم
الجنس والنكرة بعده لضرورة وقد جاء مثله فنعم الزاد زاد ابيك زادا
والرجفة قيل هي النفخة الاولى في الصور وحلولها اهوالها العظيمة
جليلة والمنسك محل العبادة وهو اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيمة
بمعبودها ومقصدها في الدنيا وما احبته فيها كما قال صلى الله عليه وسلم
لو احب احدكم حجرا لحشر معه وخرق البصر في الهوى لمحه وتيسر لسفره اعده
بالزاد فيه للسفر الى الاخرة ومن كلام له عليه السلام والله لئن ابيت على حسك
السعدان مسهدا واجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان القى الله ورسوله
يوم القيمة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا

بنفس

بنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت
عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا ورأيت صبيانه شعث
الالوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكدا
وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني و
اتبع قياده مفارقا طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر
بها فضج ضجيج دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له
ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني
الى نار سجرها جبارها لغضبه اتئن من الاذى ولا ائن من لظى و
اعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها
كانما عجنت بريق حية او قيئها فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك
محرم علينا اهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية فقلت
هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني امختبط ام ذو جنة ام
تهجر والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي
الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي لاهون
من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ
بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين اقول السعدان
نبت والمصفد الموثوق غلا والقفول الرجوع من السفر والاستماحة
طلب المنح وهو العطاء والعظلم نبت يصبغ به قيل هو النيل وميسمها
اثرها وانسانها اي الذي احماها والاضافة تكفي فيها ادنى سبب واعجب
من ذلك اي من عقيل والطارق الآتي ليلا والملفوفة هدية
اتى بها قيل كانت شيئا من حلو العسل وشنئتها ابغضتها وشبهها في بغضه
لها بما عجن بالسم وذلك لما يتصور منها من ارادة خديعته من الميل معه
في امر دنيوي يستلزم الظلم وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والخباط

داء كالجنون وليس به والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سابقة
او معرفة له معك والجنة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعرة قشرها
وعرض الفصل التبري من الظلم وذلك ليشبه ان يكون لما فهم من صاحب
الحديدة ان يلتمس منه امرا يستلزم ظلم احد فايسه بهذا القول من ذلك
ومن دعائه عليه السلم اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي
بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلي
بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك ولي كله
الاعطاء والمنع وانت على كل شيء قدير اقول الغنى المطلوب
لمثله عليه السلم هو ما دفع الحاجة حسب الاقتصاد والقناعة والجاه
المطلوب لمثله هو ما اعان على طاعة الله ودفع عنه ذلة المهانة
لا انما ابتغيه الغني من المباهات الدنيوية والفصل ظاهر ومن
خطبة له عليه السلم دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم
احوالها ولا يسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها
مذموم والامان منها معدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة
ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم
فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى من قبلكم ممن كان اطول
منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم هامدة و
رياحهم راكدة واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية
فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة والصخور والاحجار
المسندة والقبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها
وشيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل
محلة موحشين واهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالاوطان ولا
يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون

بينهم

بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى وكان
قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنتم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع
فكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت بكم القبور هنالك تبلوا
كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا
يفترون اقول حاصل الفصل التنفير عن الدنيا بذكر معايبها و
الجذب بذلك الى استعمالها على الوجه المطلوب منه وجوهها
ولفظ الغدر مستعار لريبتها الظاهرة المستعقبة للهول في
الآخرة والنار المراة ومستهدفة اي جعلت هدفا وهو الغرض
وابعد آثارا اي ابعد ان تنال او تقدر على مثلها لعظمتها وركود
رياحهم كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم والنمارق جمع
نمرق ونمرقة وهي وسادة صغيرة والواو في وساكنها للحال ان
تكون للحال والكلكل الصدر وهو مستعار والبعثرة البحث و
التفريق وتبلى تختبر **ومن دعائه عليه السلم** اللهم انك آنس
الآنسين لاوليائك واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في
سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم فاسرارهم
لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك
وان صبت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك علما ان ازمة الامور
بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم ان فههت عن مسالتي او عميت
عن طلبتي فدلني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من
هداياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني
على عدلك اقول انما كان تعالى آنس الآنسين لاوليائه لانقطاعهم
اليه عمن سواه ولهف قلوبهم حرصها على الوصول اليه والغربة الموحشة
لهم غربتهم في الدنيا اذ كان مقرهم الاصلي وهو حضرة القدس

العاهر البغي والعمه الحيرة والله الموفق ومن كلام له عليه السلم
لله بلاد فلان فلقد قوم الاود وداوى العمد اقام السنة وخلف الفتنة
ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله
طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال
ولا يستيقن المهتدي اقول لله بلاد فلان كما يقال لله درّه ولله ابوه
وهي كلمة مدح قيل المراد به عمر وقيل بعض اصحابه ممن جاهد في دين
الله والاود الاعوجاج والعمد مرض يأخذ الابل في اسنمتها وهو مستعار للامراض
القلوب ومداواتها بالزواجر القولية والفعلية ونقاء ثوبه كناية
عن طهارته من المطاعن والضمير في شرها للخلافة وان لم يجر ذكرها
لكونها معهودة او لتقدم ذكرها والطرق المتشعبة طرق الفتنة و
من كلام له عليه السلم في وصف بيعته وقد تقدم بالفاظ مختلفة
وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم علي
تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطع النعل وسقط
الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها
الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكعاب
اقول التداك الازدحام والهيم العطاش والهدجان مشية الشيخ
وهو مشيه في ارتعاش والتحامل تكلف المشي مع مشقة وحسرت كشفت
وجهها والكعاب بالفتح التي تبدو ثديها والفصل احتجاج على من خالفه
من البغاة وهو في قوة صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من فعل به ذلك
فليس لكم ان تختلفوا عليه من بعد وتنكثوا بيعته ومن خطبة له
عليه السلم فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل
ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب
فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادية والاقلام

جارية

جارية وبادروا بالاعمال عمرا ناكسا او مرضا حابسا او موتا خالسا فان
الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير
محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب قد اعلقتكم
حبائله وتكنفتكم غوائله واقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته و
تتابعت عليكم عدوته فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلله واحتدام
علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته واليم ارهاقه ودجو اطباقه
وجشوبة مذاقه وكان قد اتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق نديكم
وعفى اثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم بين حميم
خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع واخر شامت لم يجزع
فعليكم بالجد والاجتهاد والتأهب والاستعداد والتزود في منزل
الزاد ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الامم الماضية
والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها واصابوا غرتها وافنوا
عدتها واخلقوا جدتها اصبحت مساكنهم اجداثا واموالهم ميراثا لا
يعرفون من اتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من
دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غدارة خدوع معطية منوع ملبسة
نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها اقول
السداد استقامة العبد على طريق الله الى جنته والتقوى مفتاح
ذلك وفيه لانه مما يعتق العبد عن ملكات السوء وهلكات الاخرة
والمطالب في الدنيا والاخرة والهارب اي من عذاب الله والاقلام
اقلام الكرام الكاتبين وعمرا ناكسا اي زاد ان طال بصاحبه الى العجز
الضعف والعجز عن العمل كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
وقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الاية والخالس المختطف والطيات
جمع طية بالكسر وهي منزل السفر والوتر الحقد والغضب والتكنف الاحاطة

والغوايل المصايب والمعابل جمع معبلة بكسر الميم وهي نصل عريض طويل
وعدوته ظلمه ونبا السيف اذا لم يوثر في الضريبة ودواجي ظلله
مظلمات غياهبه ولا احتدام شدة الحر واذهاقها انجما له وابجشونة
بالجيم غلظ الطعام والنجوى القوم يتناجون والندي القوم يجتمعون
في النادي وهو مجتمعهم ومنزل الزاد الدنيا اذ هي منزل زاد
الآخرة وغرتها مستعار لايام السلامة فيها ويحيلون يبالون
وينكسر ومن خطبة له عليه السلام في صفة الزهاد كانوا قوما من
اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا
فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهراني
اهل الآخرة يرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم
اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم اقول لا اشارة الى بعض
اصحابه الذين درجوا امامه قبله وكونهم من الدنيا بابدانهم ومشاركتهم
الضرورية لاهلها وليسوا من اهلها بقلوبهم لاستغراقهم في محبة الله
ومطالعة انوار كبريائه وعملهم بما يبصرون اي من انوار العلم
الفايد لهم في سبيل الله ومبادرتهم في الدنيا لما يحذرون مبادرتهم
الى الاعمال الصالحة دفعا لما يحذرون من عذاب الآخرة وقوله تقلب
الى قوله الآخرة اي تتقلب والمراد ان ابدانهم معاشرة اهل الآخرة
العاملين لها دون غيرهم ويحتمل ان يريد انهم مع ساير الناس
بابدانهم كما سبق والناس اهل الآخرة باعتبار مصيرهم اليها و
بين ظهرانيهم بفتح النون اي بينهم وقوله يرون الى آخره فرق
بينهم وبين اهل الدنيا اذ كانوا لا يرون ورآ كمال ابدانهم كمالا
فهم يعظمون موتها واما الزهاد فهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم
اذ لا يرون كمالا فوق كمال القلوب ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي

قار

قار متوجها الى البصرة وذكرها الواقدي في كتاب الجمل فاصدع بما امر به وبلغ
رسالة ربه فلم الله به الصدع ورتق به الفتق والف به بين ذوي
الارحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغاين القادحة
في القلوب اقول لما فصل مادح الرسول صلى الله عليه وسلم والصدع
الشق بامر الله عصا الكفار ولم الله به ما انصدع من عصا المسلمين
ورتق به ما كان منفتقا من امورهم والواغرة ذات الوغرة وهي
شدة حرارة القلوب والصدور واضغانها ومن كلام له عليه
السلام كلم به عبد الله بن زمعة وكان من شيعته فاتاه مستميحا
في خلافته فقال له عليه السلام ان هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو
فيء المسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل
حظهم والا فجناية ايديهم لا تكون لغير افواههم اقول زمعة بفتح
الميم والجلب المجلوب ويروى بالحاء وجناية الثمر ما يجنى منه ومن
كلام له عليه السلام الا ان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده
القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا اتسع وانا لامراء الكلام
وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه واعلموا رحمكم الله انكم
في زمان القايل فيه بالحق قليل واللسان عن الصدق كليل واللازم
للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان
فتاهم عارم وشايبهم اثم وعالمهم منافق وقاريهم مماذق لا
يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم اقول روي في
سبب هذا الكلام انه عليه السلام امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي
يوما يخطب فصعد المنبر فحصر فقام عليه السلام فصعد المنبر فخطب خطبة
طويلة منها هذا الفصل والبضعة القطعة والضمير في يسعده ويمهله
للسان وفي امتنع واتسع للانسان والمعنى ان اللسان لما كان آلة للانسان

فاذا امتنع الانسان من القول النفساني امتنع اللسان من النطق واذا اتسع
ذهنه بالمعاني واستحضرها امكنه القول النفساني ولم يمتنع النطق من الحركة
به وهذه دلالات تدل الاذهان المصانعة والغادر الشرس الخلق
والمماذق الذي يمزج الود ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والله اعلم
ومن كلام له عليه السلام روى اليماني عن احمد بن قتيبة عن عبد
الله بن زيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام و
قد ذكر عنده اختلاف الناس فقال انما فرق بينهم مبادي طينهم و
ذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم
على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون
فتام الرواء ناقص العقل وماد القامة قصير الهمة وزاكي العمل قبيح المنظر
وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة منكر الجلبة وتائه القلب
متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان اقول الفصل اشارة الى
السبب المادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق والطين اشارة
الى ما ذكر من التربة الممتزجة من السبخ والعذب والحزن والسهل
وهي الجزء الارضي في الابدان البشرية وانما خصصه بالذكر دون
سائر العناصر لانه الجزء الاغلب فيها كما علمت في الخطبة الاولى وظاهر ان
لتلك التربة بحسب ما يغلب عليها من الكيفيات المذكورة اثرا عظيما في
اختلاف الصور والاخلاق فان الاغلب فيمن يتولد في البلاد السبخة ان
يكون مزاجه مائيا وبحسب ذلك يكون نحافة بدنه وسرعة نزقه و
ما يتبع ذلك من ذميم الاخلاق او حميدها وكذلك من عذبة تربته كان
الاغلب عليه لطف الصورة وحسن الاخلاق والعلقة القطعة وقوله
فتام الرواء الى اخره كالتفصيل لهم في تفاوتهم وذكر اقساما خمسة والرواء
المنظر الحسن والسبر اختبار الباطن وقريب القعر كناية عن القصير قيل لبعض
الحكماء

الحكماء حين سئل ما بال القصير من الناس اذهن واحذق قال لقرب قلبه
من دماغه وكانه اراد ان القلب لما كان مبدأه الحار الغريزي وكانت
الاعراض النفسانية من الذكاء والفطنة والفهم والاقدام والوقاحة
وحسن الظن وجودة الرجاء والنشاط ورجولية الاخلاق وقلة الكسل
وقلة الانفعال عن الاشياء كل ذلك يدل على الحرارة وتوفرها واضداد
ذلك يدل على البرودة لاجرم كان قرب القلب من الدماغ في القصير
لكونه سببا لتوفير الحرارة في الدماغ وجودة استعداد القوى النفسانية
فيه سببا لتلك الاعراض المذكورة وكان بعده منه في الطويل سببا
لقلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الاعراض
والضريبة الخلق والجلبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه والله اعلم ومن
كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وتجهيزه بابي انت وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك
من النبوة والانبياء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن
سواك وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت
عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلا والكمد
محالفا وقلا لك ولكنه ما لا يمكن رده ولا يستطاع دفعه بابي انت وامي
اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك اقول بابي وامي متعلق بمحذوف
تقديره افديك ومن النبوة والانبياء بيان للغير وروى عوض الانبياء
الانباء اي الاخبار ومن على هذه بيان لما انقطع وخصصت اي مصيبتك
من حيث انها عظيمة لا يصاب الناس بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن
غيرها وماء الشؤون الدموع والشؤون مشعب قطع الراس المشعوب قطع
بعضها مع بعض والعرب تزعم ان الدموع تنشأ منها وقيل الشأنان
عرقان ينحدران من الراس الى الحاجبين ثم الى العينين ومماطلة الداء

ملازمة الحزن كانه لملازمته معه ان من شأنه المفارقة ثم اطلق فيها و
المبالغة الملازمة وضمير التثنية في قلوبكما لنقادما اي العيون ثم ماطلة
الحزن وفي لكنه لموتير و البالك القلب اي اجعلنا ممن يبالدو يخشى
به ومن كلام له عليه السلام فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف
منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعى والمسيء يرجى قبل ان يخمد
العمل وينقطع المهل وتنقضي المدة ويسد باب التوبة وتصعد الملائكة
فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ من حي لميت ومن فان لباق ومن
ذاهب لدائم امرؤ خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرؤ
الجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها فامسكها بلجامها من معاصي الله و
قادها بزمامها الى طاعة الله اقول في نفس البقاء اي في سعة
منه والصحف صحف الاعمال والمدبر اي عن طاعة الله واستعار لفظ الخمود
لوقوف العمل لما يحمله بعد جريانه وقوله فاخذ امرؤ في صورة
الخبر اي فليأخذ امرؤ من نفسه لامارة بكسرها ومنعها عن مشتهياتها
وميولها الطبيعية لنفسه العاقلة ويحتمل ان يريد بنفسه الاولى البدن
والاخذ منه بالعبادة كالصلوة والصيام وذلك كمال لنفسه العاقلة
وذخر لها في الآخرة وكذلك قوله واخذ من حي لميت اي وكذلك فليأخذ
المرء من نفسه باعتبار ما هو حي من الدنيا لنفسه باعتبار ما هو ميت
يمكنه ذلك وكذلك فليأخذ من فان وهو دنياه لباق ودائم وهو
اخراه وقوله امرؤ الى آخره كالجواب لسائل سأل عن ذلك المرء الآخذ
من نفسه لنفسه فكأنه قال هو امرؤ خاف الله وامرؤ كذا ومنظور الى
عمله اي ملتفت اليه من الله لقوله تعالى فينظر كيف تعملون واستعار لفظ
اللجام والزمام للتقوى والله الموفق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله
الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر

الدال

١٨٦

الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم
على ان لا شبيه له الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده و
اقام بالقسط في خلقه وعدل فيهم في حكمه مستشهد بحدوث الاشياء
على ازليته وبما وسمها من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء
على دوامه واحد لا بعدد دائم لا بامد قائم لا بعمد تتلقاه الاذهان
لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها
بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس بذي كبر امتدت به النهايات
فكبرته تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل
كبر شأنا وعظم سلطانا واشهد ان محمدا عبده الصفي وامينه الرضي
صلى الله عليه وآله وسلم ارسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وايضاح
المنهج فبلغ الرسالة صادعا بها وحمل على المحجة دالا عليها واقام
اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام متينة
وعرى الايمان وثيقة اقول اراد بالشواهد الحواس لكونها تشهد
ما تدركه وتحضر عنده والمشاهد المحاضر والمجالس وقوله الدال
على قدمه الى قوله لا شبيه له قد سبقت الاشارة الى الاعتبارات
المذكورة في قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وكذلك باقي
الاعتبارات كالاستدلال بعجز الخلق على قدرته وبفنائهم على دوامه
وكونه قائما لا بعمد اي ثابت الوجود من غير سبب يستند اليه وتلقي الاذهان
له لا بمشاعرة اي ما ليس من طريق الحواس اذ ليس بمحسوس بل العقول
الصرفة وشهادة المرائي له لا بمحاضرة شهادة النواظر بوجوده في
آثار قدرته من غير حضور معه ويحتمل ان يريد بالمرائي نفس
الآثار التي يرى فيها فانها شاهدة بوجوده شهادة المعلول بوجود
علته وتجليه للاوهام بها هو ظهوره لها في صورة وجودها ووجود

تدركاتها من جهة ما هو صانعها وموجدها اذ كانت الاوهام عند اعتيادها
لاحوال نفسها معترفة بحاجتها الى موجد ومقيم ومساعدة للعقول
في حكمها بذلك وان كان ادراكها على وجه جزئي فكانت مشاهدة له بحسب
ما طبعت عليه وبقدر امكانها وهو متجل لها كذلك والباء في بها للسببية
اذ وجودها هو السبب المادي في تجليه لها ويحتمل ان يكون بمعنى في
اي في وجودها فحسن بل هنا بعد سلب الاحاطة بها ان الاوهام لم
يمكن ادراكها له على وجه الاحاطة بل على الوجه المذكور الممكن من
تجليه لها وقوله وبها امتنع منها اي بخلقها قاصرة عن ادراك المعاني
الكلية المجردة كانت سببا لامتناعه عن ادراكها له وحاكمة لها
اليها جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توجهها في طلبه وجزئيته
خلف العقول حين معترفة بانه لا يمكن ادراكه وقيل الى ادبا الاوهام
العقول وقوله وبها امتنع منها اي بالعقول ونظرها علم انه لا
تدركه والى ها حاكمها اي جعل العقول المدعية انها تحيط به وتدركه
كالخصوم ثم حاكمها الى العقول السليمة فحكمت له السليمة على المدعية
بالليت له اهل او انه جعل تلك المدعية هي الحاكمة على نفسها بعد
اجتهادها في طلبه واعترافها بالعجز عن ادراكه ووجوب الحجاب
الحجج الواجبة على الخلق والفلج الفوز والمنار الاعلام والامراس جمع
مرس بفتح الراء وهو الحبل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم
النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب
عليلة والابصار مدخولة الا ينظرون الى صغير ما خلق الله كيف
احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم
والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ

البصر

البصر ولا بمستدرك الفكر دبت على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة
الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي ورودها
لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها
الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ولو فكرت في مجاري
اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في
الرأس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا
فتعالى الله الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر
ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ
غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق
تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل
والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء كذلك السماء والهواء
والرياح والماء فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر
واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال
وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات
فالويل لمن جحد المقدر وانكر المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع
ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجأوا الى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما
وعوا وهل يكون بناء من غير بان وان شئت قلت في الجرادة اذ
خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين وخلق لها
السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما
تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون
دفعها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الزرع في نزواتها وتقضي منه شهواتها
وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الله الذي يسجد له من في
السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقي بالطاعة له سلما

وضعفا ويعطي القياد ذهبت وخوفا لطير سخرة لأمره احفظ عدد الريش
منها والنفس وارسى قوايمها على الندى واليبس قدر اقواتها واحفظ اجناسها
هذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طاير باسمه
وكفل له برزقه وانشاء السحاب الثقال واهطل ديمها وعدد قسمها
فبل الارض بعد جفوفها واخرج نبتها بعد جدوبها اقول علة
القلوب مرض الجهل ومدخوله معيوبه وعيبها كونها لا تدرك العبر
ولا تنتفع بها والبشر الجلد ونقل الجاحظ من عجايب النملة انها تدخر
في الصيف للشتاء فتقدم في حال المهلة ولا تضيع اوقات الفرصة و
يبلغ من صحة تمييزها والنظر في عاقبة امرها ان تخاف على الحبوب التي
ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض فتخرجها الى
ظهرها لتعيدها الى جفافها ويضربها النسيم فينفي عنها العفن و
الفساد وربما تختار في الاكثر ان يكون ذلك العمل ليلا لانه يكون اخفى
وفي القمر لانها فيه ابصر فان كان مكانها نديا وخافت ان ينبت
الحب تغترب موضع القطمير منه وسطها لعلمها انها من ذلك
الموضع تنبت وربما فلقت الحبة نصفين فاما ان كان الحب من
الكزبرة فانها تفلقه اربعا لان انصاف حب الكزبرة تنبت من
بين جميع الحب قال ونقل من اثق به انه احتفر بيتا للنمل
فوجد الحبوب التي جمعها كل نوع وحده ووجد في بعضها ان بعض
الحبوب فوق بعض وبينهما فواصل حايلة من التبن ونحوه والجاس
الجامد والشراسيف اطراف الاضلاع المحتوية على البطن ودعايمها
ما يقوم في بدنها مقام العظام والاعصاب ونحوها وقوله لدقيق
تفصيل كل شيء الى قوله حياة الى اوسط الحجة على ما ادعاه
من اشتراك النملة على صغرها والنخلة على طولها وعظمها في الاستناد

الى صانع واحد حكيم وتقرير الحجة ان في النملة والنخلة على طولها
تفصيلا لطيفا دقيقا واختلاف شكل وهيئة ومقدار ووجودها
من الحكمة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع ومدبر حكيم خصصه
بها دون غيره فينتج انهما يشتركان في الحاجة الى صانع مدبر
حكيم خص كلا منهما بما يشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين
بالاستدلال بامكان الصفات وقوله وما الجليل الى قوله سواء
اشارة الى ان كل المخلوقات وان اختلفت صفاتها ومقاديرها
لا تفاوت فيها بالنظر الى قدرته وكمالها بين ان يفيض عنها
صورة الحقير منها كالنملة او العظيم منها كالنخلة بل التفاوت من
جانب القابل وكذلك قوله وكذلك السماء الى اخره اي ان الجميع
متساوية في الحاجة الى الصانع الحكيم وهو المخصص لكل بكماله
اللايق به اذ ليس ذلك للجسمية ولا للوازمها لتشابههما في الجميع ولا
لعوارضها لان الكلام في الاختصاص بالصفة وبلزوم التسلسل
فبقي ان يكون لامر خارج عنها هو المدبر الحكيم واشار بالجاحدين
الذين زعموا الزعم المذكور الى جماعة من العرب انكروا الخالق
والبعث وقالوا بالدهر المفني كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم نموت
ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقياس انفسهم على النبات من باب
التمثيل والاصل فيه النبات والفرع انفسهم والحكم هو ما توهموه
من كونهم بلا صانع والجامع هو ما يشتركون فيه مع النبات من الموت
والحياة او نحوه وجوابه منع الحكم المذكور والتنبيه على ما هو معلوم
بالضرورة ان كل صنعة فلها صانع وكل جناية فلها جان وقوله وان
شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة تنبيه اخر على وجود
الصانع الحكيم في وجود الجرادة وحدقتها قمراوين مضيئة والسوي المعتد

وأراد بحبسها قوتها الوهمية واجلبوا اجمعوا والذروات الربوات وتعفير
الخد تمريغه في العفر وهو التراب وارسى قوائمها اثبتها وارساها
في الثرى بحظيرة الماء وأراد بالجنس اللغوي وهو يصدق على النوع
والعنف في المصالح العلية واستعار وصف الدعاء هنا لحكم القدرة
الالهية على كل منها بالدخول في الوجود وهو كقوله تعالى فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها والفصل من افصح العبارات ومن
خطبة له عليه السلام في التوحيد وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم
ما لا تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله
ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل
معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا
باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات
ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء
ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور
عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له
ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور
بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب
بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد
وانما تحد الادوات انفسها وتشير الآلات الى نظائرها منعتها منذ
القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول
وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف
يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو
احدثه اذا لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولامتنع من الازل معناه ولكان
له وراء اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان واذا لقامت

آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج
بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره الذي لا يحول
ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد
فيصير محدودا جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة النساء لا
تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه
الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه لا يتغير بحال ولا يتبدل
في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام
ولا يوصف بشيء من الاجزاء ولا بالجوارح والاعضاء ولا بعرض من
الاعراض ولا بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية ولا
انقطاع ولا غاية ولا ان الاشياء تحويه فتقله او تهويه او ان شيئا
يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر
بلا لسان ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ
ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة و
يبغض ويغضب من غير مشقة يقول لمن اراد كونه كن فيكون لا
بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه
انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان
الها ثانيا لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات
المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي
الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق
على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها باحد من خلقه و
انشأ الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها على غير قرار و
اقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج
ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها

واستغنى عن عيونها وحدا أو ديتها فلم يهن ما بناه ولا اضعف ما قواه هو
الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته
والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته ولا يعجزه شيء منها
طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا يفوته السريع منها فيسبقه ولا
يحتاج الى ذي مال فيرزقه خضعت الاشياء له وذلت مستكينة
لعظمته لا تستطيع الهرب من سلطانه الى غيره فتمتنع من نفعه
وضره لا كفو له فيكافيه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد
وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد
ابتداعها باعجب من انشائها واختراعها وكيف ولو اجتمعت جميع
حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها واصناف
اسناخها واجناسها ومتبلدة اممها واكياسها على احداث بعوضة
ما قدرت على احداثها ولا عرفت كيف السبيل الى ايجادها ولتحيرت
عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت ورجعت
خاسئة حسيرة عارفة بانها مقهورة مقرة بالعجز عن انشائها
مذعنة بالضعف عن افنائها وان الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا
وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد
فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك
الاوقات والاجال وزالت السنون والساعات فلا شيء الا الواحد
القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء
خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع
لدام بقاؤها لم يتكاده صنع شيء منها اذ صنعه ولم يؤده منها خلق
ما براه وخلقه ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان
ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز بها من ضد مثاور ولا للازدياد

بها

بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فاراد
ان يستانس اليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسام دخل عليه
في تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة اليه ولا لثقل شيء منها
عليه ولا يمله طول بقائها فيدعوه الى سرعة افنائها لكنه سبحانه دبرها
بلطفه وامسكها بامره واتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من
غير حاجة منه اليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من
حال وحشة الى حال استيناس ولا من حال جهل وعمى الى علم والتماس
ولا من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة الى عز و
قدرة اقول الكيفية في اللغة الصفة والحال التي عليها الشيء
وفي الاصطلاح العلمي هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها
فيه نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في
اجزائه وبرهان منافاة الكيفية للتوحيد ما مر في الخطبة
الاولى في قوله فمن وصفه سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه
وظاهر ان من ثناه لم يوحده قوله ولا حقيقته اصاب من
مثله اي اثبت له مثلا فبرهانه ان المثل للشيء هو المشارك له
اما في ذاته او في بعض اجزائه او في صفة خارجة عنها وهو تعالى
لا شريك له في ذاته والا لاحتاج الى مميز من خارج لا يكون مقتضى
ذاته والا لكان مشتركا غير مميز له بل مقتضى علة اخرى فيكون
واجب الوجود محتاجا فيما يميز عن غيره الى غيره هذا خلف ولا
شريك له في بعض الاجزاء والا لكان مركبا فكان ممكنا هذا خلف
ولا في صفة خارجة عن ذاته اذ ثبت انه لا صفة له وراء ذاته و
كذلك قوله ولا اياه عنى من شبهه وصمده اي قصده وقد سبق في
الخطبة الاولى امتناع الاشارة العقلية والوهمية عليه فمن اشار

اليه فعند اشار الى غيره فلم يتحقق قصده اياه ومراده هذه الاشارات
على انه تعالى غير معلوم الذات بالكنه وقوله كل معروف بنفسه مصنوع
شروع في البرهان على ذلك وهو صغرى ضمير تقديره كلما ادرك وكل ما
هو مصنوع فهو ليس باله العالم ينتج كل معروف بنفسه فهو ليس باله
للعالم وتنعكس بعكس النقيض الى كل ما هو اله العالم فهو غير معروف
بنفسه فجعله كبرى ونضم اليه صغرى صادقة هي قولنا انه
تعالى اله العالم فينتج انه تعالى غير معروف بنفسه فاما بيان صغرى
الضمير فلان الحقيقة انما نعلمها باجزائها وكل ذي جزء فهو مركب
فله مركب فهو مصنوع قوله وكل قائم في سواه معلول لتزيده
في وجوده عن المحل وهو صغرى ضمير كالذي قبله وان شئت فهذه
الجملة في قوة شرطية متصلة هي صغرى ضمير ايضا تقديرها
لو كان قائما في سواه لكان معلولا ولينتج نقيض لازمها ينتج انه
ليس بقائم في سواه وبيان الملازمة ان القائم بغيره محتاج الى
الغير فكان معلولا له ولما يقيم فيه كما علم في مظانه وكونه
مقدرا كونه معطيا لكل مستحق مقدارا ما يستحقه ويقبله من كمال
الوجود ولوازمه من اجل ورزق ونحوهما وغناه تعالى عدم حاجته
الى غيره ولا باستفادة تزيده عن غيره ولا الصحبة الادوات اذ ليس
هو بذي وقت يقارنه ويحل فيه ويرفده تعينه ولما كان كل مسبوق
بالعدم ممكنا كان ما ليس بممكن غير مسبوق بالعدم فكان تعالى
سابق الوجود على كل عدم لغيره ولابتداء ازله اي سبقت ازليته
ابتداء العالم وقوله تبشعيره الى قوله لان المشاعر ان كانت
له من غيره كان محتاجا الى غيره هذا خلف وان كانت من ذاته فان
كانت من كمال الالهية كان موجدها لها من حيث هو فاقد كمالا فكان ناقصا

بذاته

بذاته هذا خلف وان لم يكن كذلك كان اثباتها له نقصان لان
الزيادة على الكمال نقصان وكذلك قوله بمضادته الى قوله اذ لو
كان له ضد لكان خالقا لضده ولنفسه وهو محال وكذلك تنزيهه
عن مقارنة الغير بمقارنته بين الاشياء ومضادته بين الاشياء لخلقه
لها على طبايعها المتضادة والوضح والوضوح البياض والبهمة السواد
والحرور والحرارة والصرد البرد وتفريقه بين متدانياتها با لغنا
كما جمع بين متعادياتها بالتركيب والمزج والاشملة حدا اي لا تحيط
به نهاية ولا يدخل في حساب المعدودات وقد سبق بيانه ولا دوات
الالات كالحواس ونحوها وقوله منعها الى قوله التكملة تعود
الى الالات ومحل منذ وقد ولولا الرفع بالفاعلية والمراد
ان اطلاق لفظ منذ على الالات كما يقتضي هذه الالة وجدت منذ
كذا يمنع كونها قديمة اذ كان وضعها لابتداء الزمان وكذلك يفيد
تقريب الماضي من الحال كقولك وجدت هذه الالة وقت كذا ولا شيء من
الازلي بتقريب من الحال وكذلك اطلاق لفظ لولا عند النظر الى الالات
المستحسنة كما يقال ما احسن هذا لولا كذا فيدل بها على امتناع كماله
لوجود نقصان فيه وانما اشار الى نقصانها وحدوثها ليعلم انها
في البعد بعيد عن تقديره وتحديده وقوله بها الى قوله العقول
اي بوجودها المحكم المتقن علم ان لها صانعا تعالى حكيما وقوله وبها
الى قوله العيون اي بايجادها وخلقها بحيث تدرك بحس البصر علم انه
تعالى ليس مثلها وهو كقوله تبشعيره الى قوله لا مشعر له وقيل
ان ادات وجودها لما كان سببا لكمال عقولنا وكمال العقول سببا لعلمنا
بانه لا يرى بحس البصر كانت هي اسبابا في العلم بانه لا يرى وقوله اذا
لتفاوتت ذاته الى قوله نفي بيانه لعدم جريان الحركة والسكون

عليه من سبعة او وجد في قياسات استثنائية اتحد مقدمها المتصلات فيها
وتعددت تواليها وتقريرها في الاول لو جرت الحركة والسكون عليه
لتفاوتت ذاته ومعنى التفاوت التغير والنقصان بما عقب الحركة والسكون
عليه والملازمة هنا ظاهرة وفي الثاني ان كل متحرك جسم وكل جسم
فله جزء وفي الثالث ان لكل متحرك حيز وكل حيز فليس له مزية
استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق الازلية التي معناها عدم
اولية الوجود فلو كان تعالى متحركا او ساكنا لم يكن لمعناه وحقيقته
ازلية بل ان كانت له فمن غيره وفي الرابع انه لو كان متحركا لكان
له امام يتحرك اليه وكل ما له امام فله وراء وفي الخامسة انه لو كان
كذلك لكان جسما وفيه آثار الصنع وآياته وفي السابع انه كان يحول
دليلا لكونه جسما مصنوعا يستدل به على صانعه وبطلان
اللوازم في هذه الاقيسة السبعة ظاهر في الملزوم وهو كونه
مما يجري عليه الحركة والسكون باطل وقوله وخرج بسلطان
الامتناع الى قوله غيره عطف على قوله امتنع وقيل على قوله
تجلى اي بما تجلى للعقول وخرج بسلطان امتناع كونه مثلا
لها اي بكونه واجب الوجود عن ان يكون ممكنا فيقبل اثر غيره ولا
يحول اي لا يتغير من حال الى حال والافول الغيبة بعد الظهور ولو
كان جاز عليه لما كان محبوبا لابراهيم عليه الصلوة والسلم حيث قال
لا احب الآفلين وقوله فيكون محدودا اي بالمحل الخارج عنه و
كونه تعالى لا يوصف بعرض اذ لا صفة له تزيد على ذاته وقد مر بيانه
ولان محل الاعراض الجواهر وهو تعالى ليس بجوهر فلا يوصف بالاعراض
وقوله فيقيله ويميله منصوبان باضمار ان وعليه نسخة الرضي رحمه
الله بخطه وروي مرفوعين على العطف واخباره تعالى يعود الى

خلقه

خلقه الكلام في لسان النبي عليه الصلوة والسلم على وفق ما اقتضته
المعنى كما سيفسره عليه السلم به وسماعه يعود الى علمه بالمسموعات و
حفظه يعود الى علمه بما في الفعل من الحكمة والمصلحة وهو
المعروف بالداعي ومحبته ارادته هي مبدا فعل ما يقرب منه
الرضي وهو منه تعالى علمه بطاعة العبد له وبغضه يعود الى كراهيته
وهي علمه بعدم استحقاق العبد الثواب والغضب يعود الى علمه
بعصيانه وهو منزه عن المتعارف من ثوران النفس عن تصور المؤذي
المستلزم للمشقة وقوله لا بصوت يقرع اي ليس بذي حاسة
سمع يقرعها الصوت وكذلك لا صوت له يسمع ومن تفسيره عليه
السلم لكلام الله تعالى استدلت المعتزلة على كونه محدثا ومثله
اي صوره في ذهن النبي ولسانه وقيل مثله لجبرئيل في اللوح المحفوظ
ووجه الملازمة في قوله ولو كان قديما لكان واجب الوجود
بذاته انه لو كان ممكنا لكان صفة له تعالى قديما قائمة بذاته لامتناع
قيام صفة الشيء بغيره فهي ان كانت معتبرة في كمال الالهية كان
ناقصا بذاته هذا خلف وان لم يكن كانت زائدة على كماله اللائق
والزيادة على الكمال نقصان فثبت ان لو كان كلاما قديما لكان
واجب الوجود لذاته فكان الها وقد ثبت انه تعالى واحد وخلق
سبق وارساها اثبتها ولا اود لا اعوجاج والتهافت التساقط والاسداد
جمع سد وهو ما حجز بين شيئين والكفو المثل وقوله وليس
فناء الدنيا الى قوله واختراعها تنبيه على فساد قول من زعم ان
العالم لا يفنى ومفهومه ان لا انشاء اعجب واصعب ووجه التنبيه قوله
وكيف ولو اجتمعوا الى قوله افنائها اي وكيف يكون الافناء اعجب
من الانشاء والحال لما ذكرنا ومراحها ما يراح في مرابطها وسائمها ما ارسل

منها اللَّه عني فاشناختها أصولها فان قلت كيف تغتر العقول عن افناء البعوضة
مع امكان ذلك وسهولته قلت ان العبد اذا نظر الى نفسه بالنسبة
الى قدرة الصانع جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء الا
باذن منه ومعونته وانه ليس له الا الاعداد لحدوث ما يترتب
اليه من الآثار وانما نفس وجود الاثر من واهب الكل وايضا فانه تعالى
كما خلق للعبد قدرة على النفع والضر كذلك خلق للبعوضة قدرة
على الامتناع والهرب عن ضربه بالطيران بل على ان تؤذيه فلا يتمكن
من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل افناءها من غير معونة
من صانعها وخاصية دليله وتمكن الامر شق عليه واده اثقله
والمنآد والموائب وباقي الاعتبارات له لفظا ظاهرة وقد مر في اثناء
الكلام بيانها وما يتبنى عليها والله الموفق ومن خطبة له
عليه السلام في الملاحم الا بابي وامي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة
وفي الارض مجهولة الا فتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع
وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن
اهون من الدرهم من حله ذاك حيث يكون المعطى اعظم اجرا
من المعطي ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم و
تحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير احراج ذلك اذا عضكم
البلاء كما يعض القتب غارب البعير ما اطول هذا العنا وابعد هذا
الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التي تحمل ظهورها الاثقال من
ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غب فعالكم ولا تقتحموا ما
استقبلكم من فور نار الفتنة واميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل
لها فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما
مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها فاسمعوا ايها الناس

وعوا

وعوا واحضروا اذان قلوبكم تفهموا اقول هم مبتدا خبره مقدم
وهو اشارة الى بعض اولياء الله فيما يستقبل من زمانه عليه السلام
ومعرفة اسمائهم في السماء كناية عن علو درجتهم عند الله وفي الملأ
الاعلى وجهلهم في الارض كناية عن خمول ذكرهم بين اهلها كما هو
شان اكثر الاولياء وقوله الا فتوقعوا انذار بما يكون بعده من
الفتن بدولة بني امية وغيرها المستلزمة لادبار امورهم الصالحة
وانقطاع وصلهم وهي الانتظامات الحاصلة بسبب اتفاق كلمتهم في
وجوده عليه السلام واستعمال الاراذل في تدبير امورهم وقوله
ذاك الى قوله غارب البعير اشارة الى اربع علامات لوقوع ما
انذر به احدها تعذر الدرهم الحلال على المؤمن وقلته الى الغاية
المذكورة الثانية ان يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي لما لان
اكثر اموال المعطين حينئذ مشوبة بالحرام او يقصد فيه الرياء فيقل
اجره ويكون المعطى فقيرا ذا عيال فاذا اخذ لسد خلته كان اعظم
اجرا ممن يعطيه الثالث استعار وصف السكر لغفلتهم في نعمة الدنيا
عما ينبغي ويلزم من ذلك اليمين الباطلة من غير ضرورة بل غفلة عن
عظمة الله والكذب من غير احراج اي من غير ضرورة تضيق الاعذار
بل تصير ملكة وخلقا الرابعة عض بلاء الفتن لهم وقوله ما اطول
الى قوله الرجا كلام منقطع عما قبله فكانه قال ذلك حيث يعظكم
البلاء حتى تقولوا ما اطول التعب الذي نحن فيه وما ابعد رجاءنا
للخلاص منه وهو بقيام المنتظر من الائمة ويحتمل ان يكون متصلا
ويكون كلاما له مستانفا في معنى التوبيخ على الحرص في الدنيا ما اطول
هذا العنا اللاحق لكم في طلبها وما ابعد هذا الرجا الذي ترجونه منها
ويحتمل ان يريد بالعناء الطويل عناءه في جذبهم الى الله وبالرجاء رجاءه

لصلاحهم واستعار لفظ الازمة للاراء الفاسدة المتبعة وللاهواء
القائدة الى المآثم ولفظ الظهور لانفسهم ولفظ الاثقال للمآثم
المثقلة النفوس الغافلة عن النهوض الى حضائر القدس والتصدع
التفرق وغب كل شيء عاقبته واقتصاصهم لما يستقبل من نار الفتنة
بتصدعهم عنه اذا افترق الاراء بسبب تسلط العدو عليهم وقيام
الفتنة به والاماطة والميط التنحي وكنى بالاماطة بالعدول عن الاراء
الفاسدة والتفرق عنها وقوله فلقد عمري الى قوله المسلم
منكم اماتة عليه السلم فان الدائرة في فتنة بني امية كانت على من لزم
دينه واشتغل بعبادة ربه وخاصة من اهل البيت وذرية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت الغلبة للمنافقين ومن يقرب الى
قلوبهم بالكذب على الله وعلى رسوله وولجها دخلها وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلم اوصيكم ايها الناس بتقوى الله و
كثرة حمده على الائه اليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم
بنعمة وتدارككم برحمة اعورتم له فسترتكم وتعرضتم لاخذه فامهلكم
واوصيكم بذكر الموت واقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم
وطمعكم فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى
قبورهم غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين كانهم لم يكونوا للدنيا
عمارا وكان الاخرة لم تزل لهم دارا اوحشوا ما كانوا يوطنون واوطنوا ما كانوا
يوحشون واشتغلوا بما فارقوا واضاعوا ما اليه انتقلوا لا عن قبيح
يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا آنسوا بالدنيا
فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا رحمكم الله الى منازلكم التي امرتم
ان تعمروها التي رغبتم فيها ودعيتم اليها واستتموا نعم الله
عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته فان غدا من اليوم قريب

ما اسرع الساعات في اليوم واسرع الايام في الشهور واسرع الشهور في
السنين واسرع السنين في العمر اقول استعار وصف الاعوار
وهو ابداء العورة لاظهارهم معاصي الله ومكائده التي ينبغي الاحتماء
منها وما فارقوا من احوال الدنيا وما اليه انتقلوا من الاخرة والمنازل
التي امروا بعمارتها منازل الابرار التي عمارتها بطاعة الله والفضل
اضح وعن خطبة له عليه السلم فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في
القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل
معلوم فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند
ذلك يقع حد البراءة والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في
الارض من حاجة من مستسر الامة ومعلنها لا يقع اسم الهجرة على احد
الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر ولا يقع
اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه
ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا عبد امتحن الله قلبه للايمان
ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني
قبل ان تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل
ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها
اقول قسم عليه السلم الايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما
كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع وصفاته وصدق رسوله
فيما جاء به فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكات في النفوس
فهي الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم تبلغ ذلك بل كانت
حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري واستعار لفظها باعتبار
كونها في معرض الزوال كالعارية التي في معرض الاسترجاع وكونها
بين القلوب والصدور كناية عن عدم استقرارها في جواهر النفوس

وقيل اراد بالمستقر الايمان باخلاص وبغيره ما كان على وجه النفاق
اذ كان ذلك لغرض ثم يزول وقوله فاذا كانت كرة الى قوله البراءة
معناه اذا اردتم التبري من احد من اهل الكتاب فقفوه الى حد الموت
ولا تبادروا الى التبري منه فان اعظم الكباير الكفر وجائز من الكافر
ان يسلم فاذا بلغ الى منتهى الحيوة ولم يقلع جاز حينئذ البراءة
منه قيل وهذه البراءة هي المطابقة اذ يجوز لنا ان نتبرا من الفاسق
في حياته براءة مشروطة بالاصرار عليها وقوله والهجرة قائمة
على حدها الاول لما كانت حقيقة الهجرة لغة ترك منزل الى
اخر لم يكن تخصيصها بهجرة الرسول عن مكة الى المدينة ومن معه
مخرجا لها عن حدها اللغوي واذا كان كذلك كان مراده من بقائها
على حدها الاول لصدقها على من هاجر اليه والى الائمة من اهل بيته في
طلب دين الله كصدقها على من هاجر الى الرسول عليه الصلوة و
السلم وفي معناها ترك الباطل الى قول الحق لقوله تعالى ومن
يهاجر في سبيل الله الاية ولقوله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر
ما حرم الله عليه ولان المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين و
تعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل فيمن يقوم مقام
الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا فرق الا النبوة او لا امامة ولا
مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد
الرسول دون من قصد الائمة والله اعلم فان قلت قد قال صلى
الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس في
نعيم ابن مسعود لا شجعي ان يستثنيه فاستثناه قلت يحمل ذلك
على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين
وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام ومقصود عليه السلم من هذه الكلمة

الدعوة

الدعوة الى الدين واقتباسه منه ومن اهل بيته عليهم السلم وقوله
ما كان يتد الى قوله ومعلنهما فما بمعنى المدة والهجرة قائمة على
حدها الاول مهما كان يتد في اهل الارض من استرديته واظهر
حاجته واستعار لفظ الحاجة لطلبه تعالى العبادة بالاوامر والنواهي
ويحتمل ان تكون ما نافية والكلمة وما قبلها وما بعدها وهو قوله
لا يقع اسم الهجرة الى قوله قبله كلمات ملتقطة منقطعة والحجة
في الارض هو امام الوقت ومقتضى الكلام ان اطلاق اسم الهجرة على
طلب الدين مشروط بمعرفة عين الامام وقصده ويحتمل ان يكون
الشرط معرفته بالاخبار دون المشاهدة ولكون اطلاق اسم الهجرة
على من عرفه كذلك كاطلاقه على من ترك الحرام في قوله عليه الصلوة
والسلم المهاجر من هجر ما حرم الله عليه وقوله ولا يصدق
قوله فالحجة قول الامام ولا مفهوم ان احدهما ان من بلغته
الاحكام من الامام فوعاها وفهمها وامكنه العمل بها لم يصدق عليه اسم
المستضعف كما صدق على من ذكره تعالى بقوله الا المستضعفين الاية
حتى يكون معذورا في ترك التعلم للاخبار والعمل بها بل يواخذ
على ترك العمل ويعاقب وان لم يكلف النهوض والمهاجرة اليه في طلب
الدين كما قال تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض الاية وقوله
ان امرنا صعب مستصعب فامرهم شانهم وما لهم من الكمال الخارج
عن كمال غيرهم كالقدرة عما يخرج عن وسع غيرهم والحديث
عن الامور الغايبة كالوقايع المستقبلة لزمانه التي وقعت وفق اخباره
فان هذا الشان صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء واو
صيا، الانبياء ومستصعب الفهم على الخلق معجوز عن حمل ما يلقى منه من

كانت ارادات ولا يحمله الا عبد امتحن الله قلبه للايمان فعرفه كما هو ولم يغتبه صدور مثل هذه الغرائب عنهم ولم يستنكر ذلك ويتعجب منه ويلقاه بالتكذيب كما فعل ذلك جماعة من جهال الصحابة بل يلقى ما يصدر عنهم بالايمان به واولئك هم اصحاب الصدور الامينة والاحلام الرزينة واجمع الناس على انه لم يقل احد من الصحابة سلوني غير علي عليه السلام واراد بطرق السماء الهداية الى معرفة منازل سكان السموات من الملأ الاعلى ومراتبهم من حضرة الربوبية وعلمه بما هناك اتم من علمه بطرق الارض بمقدار اتصاله بالملأ الاعلى وانقطاعه عن الدنيا وهذا اعم من قول من قال اراد انه اعلم بالدين وقوانينه منه بالدنيا واحوالها والفتنة فتنة بني امية وكنى بشغرها عن خلو تلك الفتنة من مدبر يردها ويحفظ نظام الدين يومئذ واستعار وصف الناقة المرسل خطامها فهي تخبط فيه وكنى به عن وقوع تلك الفتنة على غير نظام بل يختل فيها المؤمن من الدين ويمتنع فيها المنافق من الشقي ويذهب باحلام قومها اي تستخف ذوي العقول فيخوضون فيها ويسرعون اليها لغفلتهم فيها عن وجه الحق وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام احمده شكرا لانعامه واستعينه على وظايف حقوقه عزيز الجند عظيم المجد واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا الى طاعته وقاهر اعداءه جهادا عن دينه لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لاطفاء نوره فاعتصموا بتقوى الله فان لها حبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وبادروا الموت وغمراته وامهدوا له قبل حلوله واعدوا له قبل نزوله فان الغاية القيمة وكفى بذلك واعظا لمن عقل ومعتبرا لمن جهل وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الارماس وشدة الابلاس وهول المطلع وروعات

الفزع

الفزع واختلاف الاضلاع واستكاك الاسماع وظلمة اللحد وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضية بكم على سنن وانتم والساعة في قرن وكانها قد جاءت باشراطها وازفت بافراطها ووقفت على صراطها وكانها قد اشرقت بزلازلها واناخت بكلاكلها وانصرفت الدنيا باهلها واخرجتهم من حضنها فكانت كيوم مضى وشهر انقضى وصار جديدها رثا وسمينها غثا في موقف ضنك المقام وامور مشتبهة عظام ونار شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عميق قرارها مظلمة اقطارها حامية قدورها فظيعة امورها وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قد امنوا العذاب وانقطع العتاب وزحزحوا عن النار واطمأنت بهم الدار ورضوا المثوى والقرار الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية واعينهم باكية وكان ليلهم في دنياهم نهارا تخشعا واستغفارا وكان نهارهم ليلا توحشا وانقطاعا فجعل الله لهم الجنة مآبا والجزاء ثوابا وكانوا احق بها واهلها في ملك دائم ونعيم قائم فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم وباضاعته يخسر مبطلكم وبادروا آجالكم باعمالكم فانكم مرتهنون بما اسلفتم ومدينون بما قدمتم وكان قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ولا عثرة تقالون استعملنا الله واياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته الزموا الارض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فانه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته مات شهيدا ووقع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته لـ

بسيفه

لكل شيء مدة واجلا اقول استعار وصف الحبل والعروة لما يتمسك
به من التقوى فيعتصم به من النار والمعقل الملجأ كالجبل ونحوه وامهدوا
لها اعملوا له مهادا من التقوى ولا زماس القبور والابلاس الانكسار
والحزن والمطلع موضع الاطلاع وهو منازل الآخرة ومحل القيمة
واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة القبر المستلزمة لذلك والصفيح
حجارة يردم بها القبر ويسد والسنن القصد واراد على سنن واحد
هو طريق الآخرة وفي قرن اي مقترنين والقرن الحبل يقرن به البعير
واشراط الساعة علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها واستعار
لفظ الكلاكل وهي الصدور لاثقالها ولفظ الحضن لحصولهم فيها و
اشتمالها عليهم فهي كالام الحاضنة لهم والرث الخلق والغث
المهزول والضنك الضيق والكلب الشر والجلب الصوت والساطع المرتفع
وذاك مشتعل والزمرة الجماعة ومبادرة الاجال بالاعمال ومسابقتها
استعداد التسهيل الموت ومدينون مجزيون وقوله الزموا
الارض الى آخره قيل هو خطاب فاقر لمن يكون بعده من اصحابه ولزوم
الارض كناية عن الصبر على المكاره والثبات في زمن الفتنة و
عدم النهوض والجهاد ما لم يقم لهم قائم والباء في بايديكم على المكان
وهوى السنتهم ارادتهم للسب والشتم اي ولا تحركوا ايديكم وسيوفكم
والسنتكم بهواها ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم به من الجهاد قبل
ظهور امام عادل وقوله فانه من مات الى قوله بسيفه بيان
لحكمهم في زمن عدم قيام الامام العادل ليصبروا لطلب الامر وتنبيه على
ثمرة الصبر وهو ان من مات على فراشه مع معرفة لحق الله وحق
رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق
بدرجة الشهداء ووقع اجره على الله بذلك وقام صبره على المكاره مقام نيته

انه من انصار الحق واهله مقام جهاده بسيفه في استحقاق الاجر
وقوله ان لكل شيء مدة واجلا تنبيه على ان لجهادهم وقتا
يجب فيه ولعدوهم مدة ودولة لا يجوز لهم القيام فيها
مع غير امام حق هذا هو المتبادر الى الفهم من الكلام والله اعلم
ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الفاشي حمده والغالب
جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التؤام والآئه العظام الذي
عظم حلمه فعفى وعدل في كل ما قضى وعلم ما يمضي وما مضى
مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم ولا
احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطأ ولا حضرة ملأ واشهد ان
محمدا عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة ويموجون
في حيرة قد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال
الرين اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم و
الموجبة على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا
بها على الله فان التقوى في اليوم حرز وجنة وفي غد الطريق
الى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ لم تبرح عارضة
نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها غدا اذا اعاد الله ما
ابدى واخذ ما اعطى وسأل عما اسدى فما اقل من قبلها وحملها حق
حملها اولئك الاقلون عددا وهم اهل صفة الله سبحانه اذ يقول
وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها واكظوا بجدكم
عليها واعتاضوها من كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها
نومكم واقطعوا بها يومكم واشعروها قلوبكم وارحضوا بها
ذنوبكم وداووا بها الاسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن اضاعها
ولا يعتبرن بكم من اطاعها الا وصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا

نزاها وإلى الآخرة ولاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا
من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا
ناعقها ولا تستضيئوا بإشراقها ولا تفتنوا بأعلاقها فان برقها
خالب ونطقها كاذب وأموالها محروبة وأعلاقها مسلوبة الا وهي
المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود
الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطئها
زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب
وعطب أهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها
وأعجزت مهاربها وخابت مطالبها فأسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل
وأعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم
مسفوح وعاض على يديه وصافق لكفيه ومرتفق لخديه وزار على
رأيه وراجع عن عزمه وقد ادبرت الحيلة واقبلت الغيلة ولات حين
مناص هيهات هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا
لحال بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أقول
الغاشي المنتشر والجد العظمة والعمه غلبة الجهل والحين بالفتح
الهلاك والرين غطاء الجهل وغلبة الذنوب المغطية لأعين البصائر
واستعار لفظ الاقفال للجهل والذنوب وتستغيثوا بها على الله أي
على نيل ثوابه ودفع عقابه ولونها في اليوم حرزا وجنة أي في الحيوة
الدنيا لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وغدا أي
يوم القيمة ومستودعها بالفتح من أودعها وقبلها وحافظ أي لها
أو لنفسه من التورط في الآثام وعذاب الله وعرضها لنفسها كونها محلا
للأخذ والاقتناء واستئذن الرسل معروف واهطعوا أسرعوا أشعروا
ودريا للاحد بها والظوا أي داوموا وواظبوا عليها أي الزموا واشعروها قلوبكم

اجعلوها

١٩٨

اجعلوها شعارا لا دثارا لها وارمضوا أي اغسلوا والوله التحير من شدة
الوجد وشيم البرق انتظار أن يمطر سحابه والطمع في ذلك واستعار
لفظ البارق لما يلوح من اطماعها وكنى بناطقها عن مادحيها وما
كشف زينتها من قول أو فعل أو زينة أو متاع وسماعه من الاصغاء
إليه والميل نحوه وناعقها الداعي إليها واستعار لفظ الاشراق للآراء
الهادية إلى وجوه تحصيلها ووصف الاستضاءة بذلك للابتهاج به
وأعلاقها ما يعد فيها نفيسا والخالب الذي لا مطر معه وقوله
فان بارقها إلى قوله مسلوبة في قوة صغرى ضمير نفر به عنها
تعليلا لتلك المناهي وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي
أن يلتفت إليه والمحروب المأخوذ بأجمعه والمتصدية المتعرضة
والعنون الدابة المتقدمة في السير والعنون كثيرة العنن وهو
الاعتراض قال بعض الشارحين استعار لها وصف المرأة الفاجرة
التي من شأنها التعرض للرجال لتخدعهم عن أنفسهم ويحتمل أن يكون
استعارة لوصف الدابة التي تمشي على عرض الطريق للدنيا باعتبار كثرة
تغيراتها وتقلباتها وجريها على غير قانون تحفظ فيه واستعار لفظ
الجموح والحرن لها باعتبار عدم انقيادها وعدم القدرة على تصريفها
عند الحاجة إليها والمائنة الكاذبة والكنود الكفور للنعمة والعنود
المائلة عن القصد وكذلك الحيود كثيرة الحيد وهو الميل والميود المتمايلة
والحرب بفتح الراء سلب المال والسلب ما يسلب الانسان من ثوب وغيره
وعلى ساق كناية عن عدم استقرارهم فيها وقيل الساق الشدة و
السياق نزع الروح والسياق مصدر ساق سياقا وهو أيضا كناية عن
الامر الشديد ولحاق أي بالماضين وفراق أي لها وتحير مذاهبها عدم
الاهتداء إلى طريق خيرها ودفع شرها واسند الحيرة إلى المذاهب

مجاز اي تحير اهلها في مذاهبها وكذلك اعجزت مهاربها اي اعجزت من
طلبها في مهاربها والمهاو انجمع مهواة والدوي الحيلة وقوله فمن ناج
الى قوله عن عزمه تقسيم لاهلها باعتبار ما اثر فيهم به من مهاويها
والشلو العضو من اللحم بعد الذبح واشلاء الانسان اعضاؤه والمتفرقة
في البلاء والغيلة الاخذ على غرة والعض على اليدين كناية عن الندم
في الاخرة والمرتفق بخديه جاعل مرفقيه تحت خديه ندما وزاريا على
رايه اي في تفريطه وراجع عن عزمه في ذلك والمناص مصدر قولك
ناص نوصا اي فر وزاغ ولات حرف نفي شبه بليس واضمر فيها اسم
الفاعل ولا تستعمل الا مع حين وقد تحذف حين والبال القلب و
الضمير في مضت للدنيا وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام و
هي تتضمن ذم ابليس على استكباره وترك السجود لادم عليه السلام وانه
اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته
ومن الناس من يسمي هذه الخطبة القاصعة **اقول** في هذه
الخطبة فصول **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي لبس العز
والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره
واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم
اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتكبرين منهم من المتواضعين
فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب
اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته
الحمية فافتخر على ادم بخلقه وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام
المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع اساس العصبية ونازع
الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل الا

ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه فجعله في الدنيا مدحورا
واعد له في الاخرة سعيرا ولو اراد الله سبحانه ان يخلق ادم عليه
السلام من نور يخطف الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب
ياخذ الانفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة و
لخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه
ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار
عنهم وابعادا للخيلاء منهم فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس
اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد وقد كان عبد الله ستة
الاف سنة لا يدرى امن سني الدنيا ام من سني الاخرة عن كبر ساعة
واحدة فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله
سبحانه ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا ان حكمه في اهل
السماء وفي اهل الارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة
في اباحة حمى حرمه على العالمين فاحذروا عدو الله ان يعديكم
بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد
واغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب وقال رب
بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين قذفا
بغيب بعيد ورجما بظن غير مصيب صدقه به ابناء الحمية واخوان
العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى اذا انقادت له الجامحة
منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي الى
الامر الجلي استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فاقحموكم
ولجات الذل واحلوكم ورطات القتل واوطؤوكم اثخان الجراحة
طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم و
سوقا لكم بخزائم القهر الى النار المعدة لكم فاصبح اعظم في دينكم حرجا

واوري في دنياكم قدحا من الذين اصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على اصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم واجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فاطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهلية وانما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤسكم والقاء التعزز تحت اقدامكم وخلع التكبر من اعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم ابليس وجنوده فان له من كل امة جنودا واعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان في انفه من ريح الكبر الذي اعقبه الله به الندامة والزمه اثام القاتلين الى يوم القيمة الا وقد امعنتم في البغي وافسدتم في الارض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فانه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان اللاتي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية حتى اعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده امرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة

لالائه

لالائه فانهم قواعد اساس العصبية ودعائم اركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الادعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم باطلهم وهم اساس الفسوق واحلاس العقوق اتخذهم ابليس مطايا ضلال وجندا بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على السنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في اسماعكم فجعلكم مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده اقول القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعه قصعا صغره وحقره وقيل في معنى تسميتها بذلك انه عليه السلم خطب بها اهل الكوفة على ناقة وهي تقصع بجرتها فسميت خطبة القاصعة اي الناقة القاصعة وقيل بل لان فيها قصع ابليس وتحقيره واعلم ان مدار هذه الخطبة على النهي عن الكبر والفخر وما يلزمهما من الفرقة ووصف ابليس مستعار لوصفه تعالى بالعز والعظمة والكبرياء واختياره تعالى لهما يعود الى استحقاقه لهما بالذات اذ الممكن لا يليق به التعزز والتكبر من حيث هو ممكن محتاج وخلقه من نور خلقه شفافا او خلقه مجردا عن علايق المواد اي لو اراد خلقه كذلك لكان مقدورا له فلم يخلقه من طين ظلماني كثيف والحياء الكبرياء وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى قصة ادم عليه السلم وهي واضحة هنا ولاحباط لابطال وجهده اجتهاده وقد صرح عليه السلم ان ابليس كان من الملائكة وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى وجه الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والهوادة الصلح وقوله فمن ذا الذي يسلم على الله اي يرجع اليه سالما وتحل ان يعديكم نصب على البدل من عدو الله وخيله ورجله كناية عن

اعوانه الضالين المضلين واستعار لفظ السهم لما توعدهم به من
التزيين والوسوسة وكلمة القريب ما اشار اليه الخبر النبوي ان
الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم وقوله صلى الله عليه
وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى
ملكوت السموات والغيب ما غاب عنه فلم يعلمه فقذفه رجم بعيد
عن علمه وهو الاغواء والاغراق في النزع استيفاء مد السهم فان
قلت فلم قال غير مصيب مع ان ابليس صدق ظنه في اغواء الناس
كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الى قوله المؤمنين
اجيب عنه بوجهين احدهما انه ظن اغواءهم يكون منه وكان منهم
اختيارا لانهم استحبوا العمى على الهدى فغووا عن الطريق فكان ظنه
في نسبة ذلك اليه غير مصيب وانما صدق في وقوع الغواية منهم
وفق ظنه الثاني ان حكمه بانه ليغوي الخلق اجمعين حكم فاسد عن
ظن غير مصيب وانما استثناؤه للمخلصين فكان تصديقا لقوله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لا عن ظن منه لذلك والحمية
المذمومة العصبية في الباطل واستعار وصف الجامحة للنفوس
التي تقوى على ابليس ثم تلين له وقوله فنجمت الحال قوله الجلي
اي فظهرت الحال التي كان يرومها منكم ودنيتها فيكم وهي الغواية من
القوة الى الفعل والطاعية الطمع ودلفت مشا ودنا وقحموكم ادخلوكم
والولجة جمع ولجة بالفتح موضع كالكهف ونحوه يستتر به المار من المطر
وغيره والورطة الارض المطمئنة لا طريق فيها وانتصب طعنا وما بعده
على المصادر عن افعالها المقدرة والخزائم جمع خزامة بالكسر وهي حلقة
من شعر يكون في انف البعير يشد فيها الزمام والمناصبة المعاداة والتالب
الاجتماع وحدهم بانفسهم وسطوتهم والدفع في النسب كناية عن الوقوع

فيه وحكومته التي معظمه وما استدار منه على كثرة والملحمة قوم ذوو
سلاح يحفظون التعصب واراد بالمتكبر على ابن امه قابيل حين قتل
اخاه هابيل عن حسد وكبر وقيل انما قال ابن امه دون ابيه لان
الوالد الحق هو الام واما الاب فانه لم يصدر منه غير النطفة التي ليست
بولد بل جزء لماده بالقوة وقوله والزمه اثام القاتلين اشارة الى
قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل الى قوله جميعا
اي يكون اثمه وعقابه في الشدة كاثم قاتل الناس جميعا وعقابه و
قول النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيمة وقابيل اول من سن القتل
والشنان العداوة والمصادمة المكاشفة والملاقح جمع ملقح
بفتح الميم وهو القبيح والشنان واعتق البعيرين في السير مد عنقه
وخطوه والحنادس جمع حندس بالكسر وهو الليل شديد الظلمة
والمهينة الفعل القبيح والاعتزاء الانتساب الى اب او قبيلة كقولهم
يا لفلان واستعار لفظ الانداد لمن يكفر نعمة الله باعتبار
بعده عنه ومفارقته اياها بذلك ولفظ الحساد اذ كافر النعمة
كانه يطردها عنه بكفره فانه لها حاسد لها ويحتمل ان يكون نهيا
عن حسد الغير وقوله وشربتم بصفوكم كدرهم اي مزجتم
اكدار فتنتهم وردائلهم بما صفي من دينكم وخلص فشبتموه وصفو
الشرب مستعار وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم مرضهم اي
بخالص ايمانكم ودينكم نفاقهم ورذائلهم والحلس كساء رقيق تحت
القتب واستعار لفظ لهم باعتبار ملازمتهم العقوق كملازمة الحلس
لظهر الجمل ونصب استراقا على المفعول له او على المصدر واراد بنطق
على السنتهم بما نجد عكم به من جهة حقوقكم بالوهميات الكاذبة التي

البديهيات والعاديات التي يخدع بها العقل ومن جهة ابصاركم كالكوستر
بالمبصرات وتزيينها ومن جهة اسماعكم كتزيين الحوادث السمعية اليه
الدنيا والله الموفق الفصل الثاني في الاعتبار بحال الماضين
وما اصاب الامم المتكبرين وبحال الانبياء وفضلهم في التواضع وحمد
اختبار الله تعالى المتواضعين من خلقه باحجار نصبها بيتا لعبادته
وذلك قوله عليه السلم فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم
من باس الله وصولاته ووقايعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي خدودهم
ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه
من طوارق الدهر فلو رخص الله تعالى في الكبر لاحد من عباده لرخص
فيه لخاصة انبيائه واوليائه ولكن الله كره اليهم التكابر ورضي لهم
التواضع فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم
واخفضوا اجنحتهم للمؤمنين وكانوا قوما مستضعفين قد اختبرهم
الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم
بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع
الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والافتقار فقد قال سبحانه
وتعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في
الخيرات بل لا يشعرون فان الله سبحانه وتعالى يختبر عباده
المستكبرين في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم ولقد
دخل موسى ابن عمران ومعه اخوه هارون عليهما السلم على فرعون
وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء
ملكه ودوام عزه فقال الا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام
العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القي عليهما
اساورة من ذهب اعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه

ولو اراد الله تعالى بانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن
العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الارضين
لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الانباء ولما وجب
للقابلين اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا
لزمت الاسماء معانيها ولكن الله سبحانه جعل رسله اولي قوة في عزايمهم
وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون
غنا وخصاصة تملأ الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء اهل
قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد
اليه عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار وابعد لهم
في الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم
فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه اراد ان
يكون الاتباع لرسله والتصديق لكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة
لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة
وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل
الا ترون ان الله تعالى اختبر الاولين من لدن آدم عليه السلم الى الآخرين
من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته
الحرام الذي جعله للناس قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا
واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين جبال خشنة
ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكوا بها خف ولا حافر
ولا ظلف ثم امر آدم واولاده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع
اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار
سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم
ذللا يهللون لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا

السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء
عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا
لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام
بين جنات وانهار وسهل وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنا
متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعراص
مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على
حسب ضعف البلاء ولو كانت الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها
بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك
في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من
الناس ولكن الله تعالى يختبر عباده بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان
المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم و
اسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا
ذللا لعفوه فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء
عاقبة الكبر فانها مصيدة ابليس العظمى ومكيدته الكبرى التي
تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدي ابدا ولا تشوي
احدا لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده
المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات
تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا
لقلوبهم واذهابا للخيلاء عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه
بالتراب تواضعا والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا ولحوق
البطون بالمتون من الصيام تذللا مع ما في الزكوة من صرف ثمرات
الارض وغير ذلك لاهل المسكنة والفقر انظروا الى ما في هذه الافعال
من قمع نواجم الفخر وكف طوالع الكبر ولقد نظرت فما وجدت احدا من

العالمين

العالمين يتعصب لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء او
حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر لا يعرف له
سبب ولا علة اما ابليس فتعصب على ادم لاصله وطعن عليه في
خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا
لآثار مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن
بمعذبين فان كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الاخلاق
ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء
من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة والاحلام
العظيمة والاخطار الجليلة والآثار المحمودة فتعصبوا لخلال
الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية
للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف
للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض واحذروا ما نزل
بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا
في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم فاذا تفكرتم
في تفاوت حاليهم فالزموا كل امر لزمت العزة به حالهم وزاحت الاعداء
له عنهم ومدت العافية فيه بهم وانقادت النعمة له معهم ووصلت
الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتحاض
عليها والتواصي بها واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن
القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الايدي وتدبروا
احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء
الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا
حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم المرار
فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع

ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في
محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم
العز مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة
اعلاما وبلغت الكرامة من الله تعالى لهم ما لم تذهب الآمال اليه فانظروا
كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة والاهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة
والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة
الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على رقاب العالمين فانظروا
الى ما صاروا اليه في آخر امورهم حين وقعت الفرقة وتشتت الالفة
واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين
قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم
فيكم عبرا للمعتبرين منكم فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحق
فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تأملوا امرهم
امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة
اربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا
الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين
اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا يأوون الى
جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها فالاحوال
مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق
جهل من بنات موؤدة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات
مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث اليهم رسولا
فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة
عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها والتفت الملة بهم في
عوائد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد تربعت

الامور بهم في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب
وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين
وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم
ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا
تقرع لهم صفاة ألا وانكم قد نفضتم ايديكم من حبل الطاعة
وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية فان الله
سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه
الالفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون في كنفها بنعمة لا يعرف احد
من المخلوقين لها قيمة لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر واعلموا
انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما تتعلقون
من الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا رسمه تقولون
النار ولا العار كأنكم تريدون ان تكفئوا الاسلام على وجهه انتهاكا
لحريمه ونقضا لميثاقه الذي وضعه الله تعالى لكم حرما في ارضه وامنا
بين خلقه وانكم ان لجأتم الى غيره حاربكم اهل الكفر ثم لا جبرائيل ولا
ميكائيل ولا مهاجرين ولا انصار ينصرونكم الا المقارعة بالسيف حتى
يحكم الله تعالى بينكم وان عندكم الامثال من بأس الله تعالى وقوارعه
وايامه ووقائعه فلا تستبطئوا وعيده جهلا باخذه وتهاونا ببطشه
ويأسا من بأسه فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم الا
لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي
والحلماء لترك التناهي ألا وقد قطعتم قيد الاسلام وعطلتم حدوده
وامتم احكامه   المثلات
العقوبات والمثوى المقام ولواقح الكبر ما يلحقه من الشبهات والعقائد
الفاسدة والهمهمة الجماعة والمجاهل المستقر والتمحيص الاختبار و

الافتقار الفقر والأساور جمع سوار وهو السوار والعقيان خالص
الذهب والانباء اخبار السماء والبلاء الذي كان يسقط بلاء المتكبرين
بالمستضعفين من اولياء الله اذ لا مستضعف اذ ذاك وكذلك يسقط الانبياء بلاء وصم
بالفقر والصبر على اذى المتكبرين وكذلك جزاء العبادات والطاعات
بسقوط البلاء بها او لانها اذن تكون عن رهبة فيسقط جزاؤها الا فرق
وبحسب ذلك كان ينقطع خبر السماء اعني الوحي لان الدنيا والاخرة ضرتان
والانبياء عليهم السلام وان كانوا افضل الخلق الا انهم محتاجون الى الرياضة
بالزهد والاعراض عن الدنيا في نزول الوحي كما هو المشهور من حالهم عليهم
السلام والمنقول عن نبينا صلى الله عليه وسلم من فطام نفسه عن الدنيا
وطيباتها مشهور متواتر وكذلك لا يكون لقائل كلام الانبياء اجر
المبتلين بهم في صبرهم بزي الفقر والمسكنة وكان لا يستحق
المؤمنون ثواب المحسنين الى انفسهم بمجاهدة الشيطان عنها لان
ايمانهم يومئذ يكون عن رغبة او رهبة وثواب المحسنين اي
الانبياء بالايواء والنصر لهم حين البعثة ولا لزمت الاسماء معانيها اي
لا تكون حقا فيها مثل من كان يسمى مؤمنا لا يكون حقيقة فيه هذا
اللفظ اذ هو حقيقة في الايمان الخالص القلبي وهو غير موجود
الا باللسان عن رغبة او رهبة وكذلك من سمي مسلما او زاهدا او
نبيا لارتفاع كل ذلك والمخاصة الجوع وقوله لكان ذلك اهون
على الخلق في الاعتبار اي ان الانبياء اذا كانوا بزي الملوك كان اعتبار الناس
بحالهم ورجوعهم اليهم اسهل وكانوا ابعد من الاستكبار عليهم اذ كانوا
بزي الفقراء والنيات مشتركة اي غير خالصة لله بل لرهبة او لرغبة
ولا كانت حسناتهم في انفسهم وفي الانبياء خالصة بل مقتسمة بحسب النيات
المختلفة والوعر الصعب والنتائق جمع نتيقة وهي البقاع المرتفعة والاداد
مكة

مكة وكنى بنتقها عن شهرتها او علوها بالنسبة الى ما استفل عنها من
البلاد وقياما اي مقيما لاحوال الناس في الآخرة او لحال اهل مكة
باجتماع البدن والعطا الجانب والدمثة اللينة والوشلة قليلة الماء
وثني الاعطاف كناية عن التوجه والرجوع الى البيت والمثابة المرجع
والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الكلأ والكلاء وتهوي اليه
ثمار الافئدة اي تسقط اليه الافئدة وتميل بهواها وثمرة الفؤاد سويداؤه
وقيل ثمار الافئدة ثمار كل شيء كما قال الله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء
واضافتها الى الافئدة باعتبار انها محبوبة اليها والمفاوز الفلوات
والسحيقة البعيدة والفجاج الطرق الواسعة ووصف تلك الطرق
بالعمق باعتبار بعدها عن سائر البلاد العالية منخفضة وهزوا
مناكبهم حركاتهم في السعي والطواف ونحوهما والاهزول رفع الصوت
بالتلبية والرمل الهرولة والشعث تفرق الحال والسرابيل القمصان
والمشاعر مواضع المناسك والارياف جمع ريف بالكسر وهي الارض
ذات الزرع والخصب والمحدقة المحيطة والمغدقة كثيرة الماء
الخصيب ومصارعة الشك في الصدور وهو التشكيك في ان التكليف
بقصد هذه الاحجار حق او باطل والمعتلج اسم الفاعل او
المفعول على الروايتين من الاعتلاج وهو مغالبة الشك لليقين و
الاعتلاج المصارعة والمغالبة وفتحا مفتوحة موسعة وذللا مسهلة
ووخامة الظلم سوء عاقبته والمساورة المواثبة والضمير في قوله فانها
تعود على الجملة من البغي والظلم والكبر وقيل الى الكبر فقط وانما انثه
باعتبار جعلها اياه مصيدة ومساورة السموم القاتلة اي للطبيعة الحيوانية
واكدى الحافر اذا عجز ولم يؤثر في الارض واكدت المطالب اعجزت واشوت
الضربة اخطأت المقتل والطمر الثوب الخلق وقوله لا عاليا الى قوله

طمع اي ان رذيلة الكبر تؤثر في نفس العالم مع علمه والفقير مع فقره وان
كانت حالتهما تنافي ذلك اما العالم فلعلمه بانه رذيلة ينبغي ان يجتنب
واما الفقير فظاهر وقوله وعن ذلك الى قوله تذللا تنبيه على
الامور التي حرس الله بها الصالحين من عباده عن هذه الرذيلة وهي
الصلوة والزكوة ومجاهدة الصيام المفروض اما الصلوات فمنافاتها
لكثير للتكبر ظاهرة واما الزكوة فلانها شكر نعمة المال المنافية للتكبر
عن طاعته واما الصيام فلما فيه من مصابرة الجوع والعطش في الايام
الصايفة طاعة لله وتذللا له وذلك ينافي التكبر عن طاعته ايضا و
عتائق الوجوه جمع عتيقة وهي كرايمها وحسانها ونواجم الفخر ما ظهر منه
والتمويه التلبيس وتلبيط للتنسق والمجداء الكرام جمع ماجد والنجداء
اهل النجدة والشجاعة ويعاسيب القبايل روساوها وامراوها وقوله
بالاخلاق متعلق بتفاضلت والرغيبة الشيء يرغب فيه وقوله فتذكروا
في الخير والشر احوالهم فحال الخير حين كانوا في طاعة انبيايهم والالفة
الجامعة بينهم وحالة الشر ما انقلبوا اليه عن تلك الحال حين خالفوا
ما لحق الاعمال وحال العواذ مذموم الافعال وقوله من الاجتناب الى قوله
النواجي تفصيل وتفسير للامر الذي يلزمه العزة بزوالهم عن حالهم
برو زاحت عنهم اعداوهم له ومدت العافية بهم والبا في بهم للظرفية
وللاستصحاب والتهاتر التهاتش والعفرة الواحدة من حزازات الظهر و
التشاحن التعادي والتدابر التقاطع والذين اتخذهم فراعنة عبيدا كيوسف
ولموسى وهرون عليهما السلم ومن آمن معهما من بني اسراييل في مبدا امرهم
وابد الهم العزة مكان الذل هو ما امتن الله تعالى عليهم به في قوله تعالى
واذ انجيناكم من آل فرعون الاية واذ فرقنا بكم البحر الاية واما كونهم ملوكا
وحكاما وايمة واعلاما فان موسى وهرون عليهما السلم بعد هلاك فرعون

ورثا مصر واستقر لهما الملك والدين وكطالوت وداود بعد مجاهدتهما
لجالوت كما قال الله تعالى وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة
الاية وكذلك لم يزل الملك والنبوة في سليمان عليه السلم وولده الا ان بعض
منهم فانه لم يكن نبيا وقتله ابنه وكان بخت نصر كاتبه فغضب لذلك
واعتزل الابن حتى قتل وملك بعده ونفوذ البصاير خرقها حجب الشبهات
عن الحق واصلها اليه وغضارة النعمة طيبها وولد اسمعيل هم العرب
آل قحطان وآل معد ومن بني اسحق اولاد روم ابن عيص بن اسحق وبنو اسراييل
اولاد يعقوب بن اسحاق واستيلاء الاكاسرة والقياصرة على العرب قبل
ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر واما حال بني اسحق واسراييل
فهو ما جرى لاولاد روم ابن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية
والملكية حتى كان ذلك سبب ضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم من
الروم على بني اسراييل في الشام وازعاج بخت نصر لهم عن بيت المقدس
في المرة الثانية كما اشار اليه تعالى بقوله فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا
وجوهكم الاية وقد كان عزاهم حين افسدوا المرة الاولى
كما حكى عنهم تعالى بقوله لتفسدن في الارض مرتين فلما اتابوا رده
عنهم ثم احدثوا الثانية فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحي الله
فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله لذلك وسلط عليهم بخت
نصر ثانيا فقتل منهم وصلب واحرق بيوتهم وسبا ذراريهم ونساءهم و
الذين فروا منه ارتحلوا الى حدود المدينة كيهود خيبر وبني قريظة
والنضير وبني قينقاع وقوله فما اشد اعتدال الاحوال الى تساوي
احوالكم باحوالهم في لزوم الخير لهم بالالفة والاجتماع ولزوم الشر
بتفرق الكلمة ومهافي الريح مواضع هفوتها اي حركتها وهي البراري والقفار
والنكد شدة العيش وقلته والعالة جمع عايل وهو الفقير والعيلة الفقر

واستعار لفظ الجناح للدعوة الحاملة لهم ولاذلال الشرة والموءودة
المقتولة وقد كانت العرب تقتل البنات حين يولدون لهم واليه
الاشارة بقوله تعالى واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت وشن
الغارة فرقها والرسول المبعوث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم و
قوله والتفت الى قوله بركتها اي واشتملت عليهم في بركتها والفكاهة
طيب النفس والسرور وتربعت تمكنت والسلطان القاهر سلطان
الاسلام وكنى بعدم غمز قناتهم عن قوتهم وعدم انقيادهم للغير
وكذلك بعدم قرع صفاتهم ونفض الايدي عن حبل الطاعة كناية
عن تركها وحصن الله الاسلام ووجهم بصيص وردتهم اعرابا بعد
الهجرة لنقصان الاعرابي عن رتبة الفضائل فضلا من المهاجرين
والاحزاب الفرق تنقسم لمحاربة الانبياء واوصياهم ولما انقسم
هؤلاء الى مارقين وناكثين وقاسطين وحاربوه كانوا احزابا
وقولهم النار ولا العار كلمة تقولها اهل الكبر والانفة من احتمال
الاذى والضيم لانفسهم او لقومهم في الاستنهاض للفتنة والنار
والعار منصوبين بفعلين مضمرين وكفأت الاناء كببته لوجهه
وقوله فانكم الى قوله بينكم تحذير من الاعتماد على غير الاسلام
من حمية او شجاعة او كثرة قبيلة مع الخروج عن سلطان الدين
والتعرض بالاستلزام ذلك خذلان الملائكة لهم والخروج عن
الهجرة والنصر ونصب جبريل وميكائيل على انهما اسمان ملا وحظا
فيهما التنكير والاستثناء منقطع والامثال التي عندهم هو ما ضرب
الله تعالى لهم من الامثال بالقرون الماضية عند خروجهم عن طاعة
انبيائهم والتفرق في دينهم وبالله التوفيق **الفصل الثالث**
في اقتصاصه لحاله في تخلقه وشرح حاله مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم من اول عمره والتنبيه على موضعه منه وذلك قوله الا و
قد امرني الله تعالى بقتال اهل البغي والنكث والفساد في الارض
فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون فقد جاهدت واما
المارقون فقد دوخت واما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت
لها وجبت قلبه ورجت صدره وبقيت بقية من اهل البغي ولئن
اذن الله تعالى في الكرة عليهم لاديلن منهم الا ما يتشذر في اطراف
الارض تشذرا انا وضعت بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة
ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرابة
القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده
ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في
قول ولا خطلة في فعل ولقد قرنني الله به منذ كنت فطيما وهو
يسلكني طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد
كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي كل يوم علما من اخلاقه و
يامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه
غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنها وانا ثالثهما ارى نور الوحي
والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان لعنه الله
حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما هذه
الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع
وترى ما ارى الا انك لست بنبي وانك لولي ووزير وانك لعلى خير ولقد
كنت معه صلوات الله وسلامه عليه لما اتاه الملأ من قريش فقالوا
له يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه اباؤك ولا احد من اهل بيتك

ونحن نسألك امراان اجبتنا اليه ورايناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل
علمنا انك ساحر كذاب فقال لهم صلى الله عليه وسلم وما تسألون
قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك
فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله على كل شيء قدير فان فعل
الله ذلك اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال صلى الله
عليه وآله وسلم اني سأريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم لا تفيئون الى
خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال
صلى الله عليه وسلم يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم
الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي
بين يدي الله فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت باذن الله
ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوفة والقت بغصنها الاعلى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وببعض اغصانها على منكبي وكنت
على يمينه صلوات الله وسلامه عليه وآله فلما نظر القوم الى ذلك
قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها
بذلك فاقبل اليه نصفها كاعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا
النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره صلى الله عليه وسلم فرجع
فقلت انا لا اله الا الله اني اول مؤمن بك يا رسول الله واول من آمن
بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تصديقا بنبوتك واجلالا
لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه
هل يصدقك في امرك الا مثل هذا يعنوني واني لمن قوم لا يأخذهم
في الله لومة لائم سيماهم سيماء الصديقين وكلامهم كلام الابرار

عمار

عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل القرآن يحيون سنن الله وسنن
رسوله يعملون ولا يستكبرون ولا يعلون ولا يفسدون في
الارض قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل اقول اهل البغي
اهل الشام واهل النكث اصحاب الجمل واهل الفساد والمارقة هم
الخوارج وسموا بغاة لقوله تعالى فان بغت احداهما
على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وسموا الناكثون
بذلك لنكثهم بيعته واما المارقون فلقوله صلى الله عليه وسلم انه
سيخرج من الخوارج يخرج من ضئضئ هذا اي من اصله قوم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية واما امر الله تعالى اياه بقتال هذه
الفرق فلما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا
علي ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين وهو
اخبار في معنى الامر وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر ربه
ويحتمل ان يكون ذلك الامر في قوله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى
تفيء الى امر الله وقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا الآية وقد وضحت فهرست واذللت والركدة
النقرة تكون في الجبل يجتمع فيها الماء واما شيطان الردهة فقيل
اراد به ذا الثدية وكونه شيطانا باعتبار اغوائه لاصحابه واضافته
الى الردهة لانه وجد قتيلا في نقرة فيها ماء بعد قتل الخوارج
واما الصعقة فقيل ان ذا الثدية اصابه من خوفه منه عليه السلام غشي
وقيل يحتمل ان يريد الشيطان المعهود وهو وان كان لا يرى بحس
البصر الا ان الانبياء والاولياء عليهم السلام قد يشاهدون الامور المجردة
والمعاني المعقولة كالملائكة والجن والشياطين في صورة محسوسة
باستعانة من القوى المتخيلة والوهمية كما قرر في مقامه ويحتمل ان

ان يقال انه عليه السلام رأى الشيطان بصورة محسوسة والملكان في مقام
العصمة وملكة النصر على الشيطان وقهره وابعاده سمع من جلباب العزة
صيحة العذاب المرسلة على الشيطان فسمع لها وجبت قلبه ورجفة
صدره كما سمع رسم فيما نحكيه آخر الكلام وقيل اراد به شيطانا من
شياطين الجن الذين قاتلهم في البير واراد بالردهة البير المعمورة
والبقية من اهل البغي لمعوية ومن بقي من اصحابه بعد وقائع صفين
وقوله لاذيلن عليهم اي لاغلبنهم والاذالة الغلبة وهذا الحكم
منه عليه السلام ثقة بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره واذن الله
تعالى اشارة الى توفيقه لاسباب العود اليهم والتشذر التفرق
واستعار لفظ الكلاكل لوجه الصدور لاكابر العرب ورؤساء القبائل
الذين قتلهم في الاسلام ووضعت بهم اي اوقعت بهم القتل والاذلال
وقيل الباء زائدة ولفظ القرون لاكابر ربيعة ومضر ولنواجمها لمن ظهر
منهم واشتهر وقوله وقد علمتم الى آخره ذكر لفضيلته وقربه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لغاية طاعته له وكيفية تكنفه لي ضمه
واحاطته والخطلة السيئة من قول او فعل واثار باعظم ملك اي
جبرئيل عليه السلام وحراء بالكسر والمد جبل بمكة يذكر ويؤنث واستعار
لفظ النور لما تشاهده بعين بصيرته من اسرار الوحي والرسالة و
علوم التنزيل ودقائق التأويل واشراقها على نفسه القدسية ولفظ
الريح لما ادركه من ذلك واما سماعه لرنة الشيطان فهو ان نفسه
القدسية اخذت من الشيطان مقهورا ناقصا ما لياس من اتباع
الناس لامره والحزن على ذلك وكسته المتخيلة صورة حزين صارخ
وحطته الملوح الجبال فصارت مسموعة على الرنة كما رآه النبي صلى الله عليه و
سلم والقصف صوت صياح الطير وفي قوله ولقد كنت معه الى قوله

معه في

معه في نقل لاربع معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وهو اخباره ان
القائلين لا يفيئوا الى الخير اي لا يرجعون وان منهم من يطرح في القليب
وهو قليب بدر فمنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية ابن عبد شمس
وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب
ومن يحزب الاحزاب كابي سفيان وعمرو بن ود وصفوان بن امية
وعكرمة بن ابي جهل الثانية اجابة الشجرة لدعائه وهو مشهور في
كتب المحدثين وتعقله المتكلمون في معجزاته صلى الله عليه وسلم
الثالثة اجابة نصفها لدعائه مع بقاء النصف الرابعة عود
ذلك النصف الى موضعه وسره ما علمت ان نفوس الانبياء عليهم
السلام لها التصرف في هيولى عالم الكون والفساد فيفعل ما يخرج
عن وسع مثلهم وخطابه للنبات خطاب من يعقل مجازا باعتبار اجابتها
لدعوته كالعاقل وهذا الخطاب على راي الاشعري جائز ان
يكون حقيقة اذ لا يجعلون البنية شرطا في الحياة وما يتعلق
بها من السمع والفهم واما على راي المعتزلة فقيل الخطاب لله
فكانه قال اللهم ان كنت صادقا في رسالتك فاجعل لي ما سألت
من هذه الشجرة مصدقا لي وعدهم لوما اللائمين في الله كناية عن
لزوم طاعته والصديقون هم ملازموا الصدق في الاقوال
والافعال لطاعة الله وسيماهم علاماتهم وكلامهم الابرار الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والذكر الدائم لمعبودهم وعمار بهم الليل قيامهم
فيه بالعبادة وكونهم منارا بالنهار اي اعلاما باعتبار هدايتهم الخلق
الى طريق الحق والعلو للخيانة وقلوبهم في الجنان اي يشاهدون
باسرارهم ونفوسهم القدسية ما اعد فيها من الخيرات الباقية
وان كانت ابدانهم مشغولة بعبادة ربهم والعمل له وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم في شان الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل شوب ممن ينبغي ان يفقه ويودب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويوخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين تبوؤا الدار والايمان الا وان القوم اختاروا لانفسهم اقرب القوم مما يحبون وانكم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطا بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى **اقول** الجفا غلظة الطباع والطغام اوغاد الناس واراذلهم والاقزام جمع قزم بفتح الزاي وهو الرذال الدني من الناس والاوب الناحية والشوب الخلط ويدرب يعود بالعادات الجميلة ويولى عليه ويوخذ على يديه كنايتان عن سفههم ووجوب الحجر عليه واراد بالدار مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتبوؤها نزولها اي ليسوا من الانصار الذين اسلموا بالمدينة قبل الهجرة وابتنوا بها المساجد وفي بعض النسخ تبوؤا الدار والايمان ووصفه بكونه متبوا مستعار تشبيها له بالمنزل باعتبار انهم تبوؤا عليه وسكنت قلوبهم اليه واراد بالقوم اهل الشام والذي اختاروه لانفسهم عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة وما يحبونه هو النصرة على اهل العراق والذي اختاره اهل العراق هو ابو موسى الاشعري وكان اقرب القوم مما يكرهون من صرف الامر عنهم لانحرافه عنه عليه السلم وقوله انها فتنة فالضمير للحرب على عليه السلم لاهل الشام واصحاب الجمل وشيموا سيوفكم اغمدوها ومهل

الايام فسحتها مما ينبغي ان يعمل فيها وحياطة قواصي الاسلام حفظ اطراف بلاده كاطراف الحجاز والعراق والجزيرة ورمي صفاتهم كناية عن طمع العدو فيهم وايقاع الغارة ببلادهم **ومن خطبة له عليه السلم** في ذكر آل محمد عليه وعليهم السلم هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه من منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية وان رواة العلم كثير ورعاته قليل **اقول** عيش العلم حياته وتجوز فيهم بلفظ العيش باعتبار انهم سببه وكذلك لفظ موت الجهل واخبار حلمهم عن علمهم مجاز دلالته عليهم دلالة الالتزام لان حلمهم في مواضعه فهو يستلزم العلم بمواضعه وكذلك دلالة صمتهم على حكمتهم لان السكوت في مواضعه حكمة وعلم بما ينبغي من الصمت والقول وعدم اختلافهم في الحق كناية عن كمال علمهم به واستعار لهم لفظ الدعائم ولفظ الولائج جمع وليجة وهي الموضع يعتصم بدخوله باعتبار ان قيام الاسلام بهم وان الخلق يعتصمون بالدخول في طاعتهم وهدايتهم الى الله والنصاب الاصل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** قاله لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقد جاءه برسالة من عند عثمان رضي الله عنه وهو محصور يسئله فيها الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلم يا ابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملا ناضحا اقبل وادبر بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقبل ثم هو الان يبعث الي ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى لقد خشيت ان اكون آثما

اقول ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة والناضح الجمل يستقى عليه و
الغرب الدلو العظيمة واستعار لفظ الناضح له لوجه الاستعارة
قوله اقبل وادبر وكان بعثه اليه ان اخرج الى القوم وكلمهم ثم اخرج
اليه من مطالبهم والله تعالى هو الموفق للصواب ومن كلام له عليه
السلام يحث فيه اصحابه على الجهاد والله مستاديكم شكره ومورثكم
امره وممهلكم في مضمار محدود لتتنازعوا سبقه فشدوا عقد المآزر
واطووا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما انقض النوم
لعزائم اليوم وامحى الظلم لتذاكير الهمم اقول استيداء شكره طلب
ادائه على نعمه وامره سلطانه في الارض الذي كان فيما سلف من اهل
طاعته والمضمار الموضع والزمان تضمر فيه الخيل للسباق واستعار
لفظه لمدة الحيوة الدنيا باعتبار استعدادهم فيها بتقوى الله لغاية
السبق اليه وغاية ذلك الامهال ان يتنازعوا سبقه والسبق والسبقه
ما يستبق اليه من خطر والضمير في سبقه للمضمار اذ غايته ذلك وسبقه
هو الجنة واراد بالتنازع ما يعرض للسالكين من حرص كل امرء منهم على
ان يكون هو الاكمل في طاعة الله الفائز بقصب السبق اليه وشد عقد المآزر
كناية عن التشمير والجد في الطاعة وطيهم لفضول الخواصر كناية عن تقليل
الماكل والمشرب والاقتصاد على الاقتصاد في متاع الحيوة الدنيا وقوله
لا تجتمع عزيمة ووليمة كالمثل يقال في معرض النهي عن الجمع بين الجد
والتشمير في تحصيل معالي الامور ومصاعبها وبين حب الرفاهية والميل
الى الدعة واراد لا يجتمع العزم على تحصيل الفضائل والكمالات الباقية
مع التهاون فيها والميل الى الدنيا وكنى بالوليمة عن متاعها وكامن
لذاتها وقوله ما انقض النوم لعزائم اليوم مثل واصله ان الانسان
يعزم في النهار على المسير بالليل ليقرب المنزل فاذا جاء الليل نام الى

الصباح

٢١١

الصباح فينتقض بذلك عزمه فضرب مثلا لمن يعزم على تحصيل معالي
الامور ثم يلين ما الاناءة في ذلك واراد ان حبكم للدعة والراحة
من مشقة الجهاد ينقض ما تعزمون على تحصيله من السعادة في الدنيا
والآخرة وذلك قوله وامحى الظلم لتذاكير الهمم واصله ان الرجل تعزم
همته في مطالبه على المسير بالليل فاذا جن الظلام ادركه الكسل و
غلبه النوم على ذكر مطالبه ومن فد عنها فضرب مثلا لمن يدعوه الداعي
الى امر ويهتم به ثم يعرض له ادنى صارف فيصرفه عنه وهو كالذي
قبله وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان
منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم لحاقه به فجعلت اتبع ماخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطاء ذكره حتى انتهيت الى العرج في
كلام طويل اقول الفصل من كلام يحكي فيه حاله في خروجه من مكة
الى المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها وقد كان تخلف عنه
بمكة لقضاء دينه وما امره به ثم لحق به فجاء المدينة راجلا قد تورمت
قدماه وقد نزل على ابي ايوب الانصاري بالمدينة وماخذه الجهة التي
سلكها والعرج موضع واستعار لفظ الوطي لوقوع قدمه ذهنه على
ذكره والعلم بخبره من الناس في تلك الطريق وقيل اراد بذكره ما
ذكره له ووصفه من الطريق وحالها وبالله التوفيق **باب المختار من
كتب امير المؤمنين ورسائله الى اعدائه وامراء بلاده و**
يدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عماله ووصاياه الى اهله واصحابه و
من كتاب له عليه السلام الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة
الى البصرة من عبد الله علي ابن ابي طالب امير المؤمنين الى اهل الكوفة
جبهة الانصار وسنام العرب اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمان حتى
يكون سمعه كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين

اكثر استعتابه واقل عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه الوجيف
وارفق حدائهما فيه العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فاتيح له
قوم قتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين
واعلموا ان دار الهجرة قد قلعت باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش
المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا
الى جهاد عدوكم ان شاء الله **اقول** الوجيف ضرب من السير فيه سرعة
والعنف ضد الرفق وحدا الرجلين في التحريض على قتل عثمان
مشهور في السير واما الفلتة من قول عائشة فروي انها كانت تقول
اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع بسببه
الفلتة من قولها فالسبب الظاهر هو ما نقمه المسلمون عليه وروي
انه صعد المنبر يوما وقد غص المسجد باهله فمدت يدها
وراء الستر وفيها نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
هذان نعلا رسول الله وقميصه بعد لم يبل وقد بدلت دينه
وغيرت سنته واغلظت له في القول واغلظ لها وكان ذلك من
اقوى الاسباب لاغرائها والفلتة الفعلة من غير تروّ واتيح
قدر ودار الهجرة المدينة وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم يصلح
لاستيطانهم والمرجل القدر وجيشانها غليانها واراد اعلام اهل
الكوفة بنهوض اهل المدينة لقتال اصحاب الجمل لينهضوا معهم و
الله اعلم **ومن كلام له عليه السلم** اليهم بعد فتح البصرة
وجزاكم الله من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزي العاملين
بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم
فاجبتم **اقول** الكتاب لاهل الكوفة والفصل واضح ومن
كتاب له عليه السلم كتبه لشريح بن الحارث قاضيه وكان

اشترى

اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه عليه السلم فاستدعاه وقال
له بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا واشهدت
فيه شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر
اليه عليه السلم نظر مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سياتيك من
لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا
ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه
الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذا انت
خسرت دار الدنيا ودار الاخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك
ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء
هذه الدار بدرهم فما فوق والنسخة هذه بسم الله الرحمن
الرحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى
منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين
وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي
الآفات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث
ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي
وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من
هذا المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول
في ذل الطلب والضراعة فما ادرك هذا المشتري من درك فعلى
مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة
مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على المال فاكثر ومن بنى وشيد
وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد اشخاصهم جميعا
الى موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب اذا وقع
الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل

اذا خرج من اسر الهوى وسلم من علائق الدنيا أقول الشاخص الراحل
واراد بمن يأتيه ملك الموت وحاصل الكتاب التنفير عن الدنيا والركون
الى فضولها وفيه نكت احدها وصف المشتري بالعبودية والذلة
وذلك كسر لما يعرض في نفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار
ووصفه البائع بالموت تنزيلا لما بالقوة مكان ما بالفعل مجازا للتحذير
الثانية ان قوله من جانب الفانين الى قوله الهالكين ابتداء
في التعيين بالاعم وانتهاء بالاخص كما جرت العادة به في كتب البيع
والخطة بالكسر يختطها الرجل يبني بها الثالثة جعل الحد الاول دواعي
الآفات واشار به الى ما يلزم الدار لزوما اولا عما كالانهدام والضرورية كما
والمنادم والدابة وما يلزم ذلك ويلحقهم من الاولاد والاتباع والقنيات
وهي دواعي الآفات لان كلا منهما في معرض الآفات الرابعة جعل
الحد الثاني دواعي المصيبات واشار بها الى الامور المذكورة اعتبارا آخر
اذ كانت من حيث لحقها الآفات تدعوا صاحبها الى المصيبات بها الخامسة
جعل الحد الثالث ما ينتهي اليه من الهوى المردي اذ كان اقتناء الدار
وكمالاتها في الدنيا وخوف فواتها والمصيبة بما يفقد منها مرة بعد اخرى
يوجب محبة النفس لها والالفة التامة بها وذلك هو الهوى المردي
وكونه مغويا يعود الى جذبه للنفس عن سبيل الله الواضح وكونه
شرع باب هذه الدار باعتبار كونه مبدءا باعثا للدخول في
الدواعي الباعثة على شرائها واقتناء ما يلزمها فالشيطان كالحد وما
صدر عنه والنفع بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب
السادس جعل الثمن هو الخروج عن القناعة والدخول في ذل
الطلب والضراعة اما من خروجه بها عن القناعة فلانها كانت فضلة
في حقه عن الحاجة ولما كانت القناعة مستلزمة لاقلية الحاجة الى الخلق

المستلزمة

المستلزمة لعز القناعة وغناها عنهم كان الخروج عنه ذلك خروجا
الى ذل الطلب الى الناس والضراعة الثانية على الدرك والتبعة
اللازمة في هذا البيع بملك الموت وقطعا لامل الدرك وتذكيرا
بالموت لغاية العمل له وكذلك عنه ببلبل اجسام الملوك الى قوله
للولد تنبيها على ان المشتري اولى بذلك والبلبلة الاضطراب والاختلاط
وافناء الشيء وكسرى لقب ملوك الفرس في سمر الجنس وكذلك قيصر لملوك الروم
وتبع لملوك اليمن وحمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير ابن سبا ابن يشجب بن
يعرب بن قحطان والتنجيد تزيين الارض بالبسط ونحوها ونظر للولد
فكر في عاقبته مجمع له الثامنة جعل الشاهد بجميع ما عدده وهو العقل المجرد
من مشاركة الهوى على النفس الامارة وهو كلام في غاية الشرف والفصاحة
والله هو الهادي ومن كتاب له عليه السلام الى بعض امراء جيشه فان عادوا
الى ظل الطاعة فذاك الذي نحب وان توافت الامور بالقوم الى الشقاق
والعصيان فانهد بمن اطاعك الى من عصاك واستغن بمن انقاد معك
عمن تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من مشهده وقعوده
اغنى من نهوضه اقول الفصل من كتاب له الى عثمن ابن حنيف عامله
على البصرة حين قدم طلحة والزبير اليها ونكث معهما جماعة من اهلها وخرجوا
عن الطاعة واستعار لفظ الظل لما تستلزمه الطاعة من الراحة
عن متاعب الحرب وتوافت بهم الامور اي توافقت اسباب العصيان
والشقاق حتى تمت علتاهما ووجب عنهما وانهد اي انهض وتقاعس
اي تأخر وقعد والمتكاره للشيء هو الذي يتعاطى كراهيته ومغيبه
خير من حضوره لانه ربما ثبط الناس عن الحرب واقتدوا به في عدم
المنفعة والله اعلم ومن كتاب له عليه السلام الى الاشعث ابن
قيس وهو عامله على اذربيجان وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة

وانت مستودع لمن فوقك ليس لك ان تفتات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله وانت من خزانه حتى تسلمه الي ولعلي الا اكون شر ولاتك لك والسلام اقول ليس لك ان تفتات في رعية اي تستبد بحكم فيهم وتسبق اليه دون اذن ممن استرعاك والمخاطرة الاقدام على الامور العظام والاشراف فيها على الهلاك والوثيقة ما يوثق به في الدين واتى بلفظ الترجي اطماعا له بعدم الايقاع به والمواخذة لكي لا ينفر الى العدو لانه كان خائفا منه وروي انه استقدمه الى الكوفة فلما قدم فتش ثقله فوجد فيه مائة الف درهم فاخذها فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلم وبعبد الله ابن جعفر فاطلق له منها ثلثين الفا فقال لا تكفيني فقال لست بزايدك درهما واحدا وما اظنها تحل لك فقال الاشعث خذ من جذعك ما اعطاك

ومن كتاب له عليه السلم الى معوية انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمن على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرا الناس من دم عثمن ولتعلمن اني كنت في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلم اقول انما احتج عليه السلم على القوم بالاجماع لاعتقادهم له لانه لم يكن منصوصا عليه فلو احتج بالنص لم يقبل منه ولم يسلم له والتجني دعوى الجناية ممن لم يفعلها

ومن كتاب له عليه السلم اليه ايضا اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة نمقتها بضلالك

وامضيتها بسوء رايك كتاب امرئ ليس له بصير تهديه ولا قايد يرشده قد دعاه الهوى فاجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا اقول موصلة ملتقطة من كلام الناس ملفقة لا تناسب فيها والمحبرة مزينة والتنميق التزيين بالكتابة والبصر هنا البصيرة ويحتمل ان يريد الحسن باعتبار عدم اهتدايه من جهته والقايد الهادي في سبيل الله والهجر هذي والفحش في منطقه واللغط الاصوات المختلطة والخبط الحركة على غير نظام ومن هذا الكتاب لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن اقول هذا جواب لفصل ذكره معوية في كتابه وصورته ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك واول جوابه عليه السلم ان امامته بين اهل الشام واهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلم يكن الامر في ذلك الا واحدا لانها بيعة واحدة الى الحاضر والغايب لانها بيعة عامة وقوله الخارج منها الى اخره قسمة لمن لم يدخل في البيعة الى قسمين لانه اما خارج عنها وهو الطاعن في صحتها ويجب مجاهدته لمخالفته سبيل المؤمنين واما متروي في ذلك ومتوقف وحكمه انه مداهن وهو نوع من النفاق والله الموفق **ومن كتاب له عليه السلم** الى جرير ابن عبد الله البجلي لما ارسله الى معوية اما بعد فاذا اتاك كتابي فاحمل معوية على الفصل وخذه بالامر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته والسلام اقول الفصل فصل الحال معه في الحرب وغيرها فان معاوية كان يتلون ايام المهلة ليستعد له فلا يجيبه بجواب ومجلية تجلي عن الوطن وسلم مخزية فيها ذل وروي مجزية بالجيم اي كافية والنبذ

الالقاد هو كناية عن الفناء الوعيد بالحرب او عن ايقاعهما ومن كتاب له عليه
السلام الى معوية فاراد قومنا قتل نبينا صلى الله عليه وسلم واجتياح
اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب
واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر واوقدوا لنا نار الحرب
فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا
يبغي بذلك الاجر وكافرنا يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خلو مما
نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان امن و
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احمر الباس واحجم الناس قدم
اهل بيته فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة فقتل عبيدة بن الحارث
يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم موتة واراد من لو شئت
ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته
اخرت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم
يكن له كسابقتي التي لا يدلي احد بمثلها الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه
ولا اظن الله تعالى يعرفه والحمد لله على كل حال واما ما سالت من
دفع قتلة عثمن اليك فاني نظرت في هذا الامر فلم يسعني دفعهم
اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك
لتعرفنهم عن قريب قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا
جبل ولا سهل الا انه طلب يسوءك وجدانه وزور لا يسرك لقياه والسلام
لاهله اقول حاصل الفصل ذكر فضيلته عليه السلم وبلائه في الاسلام ليتبين
قياس غيره اليه ولذلك بني عليه التعجب ممن ساواه بغيره وهموا بنا
الهموم ارادوا الارادات وارادوا بنا الافاعيل الشرور والعذب
طيب العيش وقيل الماء فان قريشا منعتهم الطعام والشراب والحلس
كساء رقيق يجعل قتب البعير فاستعاره وصف الاخلاس لاخافتهم والجبل

الوعر من شعاب مكة وقد كانت قريش حين فشا الاسلام في القبائل اجتمعت
وتعاهدت على ان لا يناكحوا بني هاشم وبني عبد المطلب ولا يبايعوهم
فانحازوا تحولا الى ابي طالب فدخلوا معه شعبه وخرج من بني
هاشم ابو لهب فظاهر المشركين وقطعوا عنهم الميرة وحصروهم
في ذلك الشعب سنة سبع من النبوة وبقوا كذلك ثلاث سنين لا يخرجون
الا في الموسم وعزم الله ارادته لجازمة لهم واختياره ان يذبوا
عن حوزة دينه وحرمته حرمة دينه وكافرهم يومئذ كحمزة والعباس
وابي طالب على قول فانهم كانوا يمنعون عن رسول الله حمية لاصلهم
وبيتهم ومن كان يومئذ اسلم من قريش عدا بني هاشم وعبد المطلب
كانوا خالين عن الخوف في ذا الجهاد فمنهم من كان له عهد وحلف مع المشركين
يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه وعبيدة ابن الحارث
بن عبد المطلب وبدر اسم بئر واحد اسم جبل وموتة بالضم اسم
ارض بادنى البلقاء من اعمال دمشق ومن لو شئت ذكرته يعني نفسه
وواقعة بدر واحد وموتة وغيرها من وقايع النبي صلى الله عليه
وسلم مع المشركين مشهورة في التواريخ وقد نبهنا على خلاصتها
في الاصل ومن لم يسع بقدمه كناية عمن لم يماثله في الجهاد والسعي
في اقامة الدين والادلاء بالشيء التقرب به وقوله ولا اظن الله يعرفه
كناية عما لا اصل له فان ما لا وجود له لا يعلم موجودا واما عدم
تسليم قتلة عثمن الى معوية فلوجوه منها انه لم يكن ولي دمه ومنها
انه لم تتعين قتلته فيدعي عليهم ويحاكمهم الى الامام الحق ومنها انه
لما سئل عليه السلم تسليمهم قال وهو على المنبر ليقم قتلة عثمن فقام
اكثر من عشرة الاف رجل من المهاجرين والانصار وغيرهم ومعلوم
ان مثل هذا الجمع العظيم لا يتمكن عليه السلم من اخذهم وتسليمهم الى غيره

ولو امكن ذلك مع ان فيهم من شهد النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة
كعمار وسلمان فربما اقتضى الاجتهاد ان لا يقتل مثل هذا الجمع العظيم
من قواعد الدين برجل واحد احدث احداثا نقموها عليه وقتلوه لاجلها
والزور الزائرون وافرد ضميره نظرا الى افراد اللفظ وقيل هو مصدر
ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وكيف انت صانع اذا انكشفت
عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها
دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان
يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة
الحساب وشمر لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك
ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ منك الشيطان ماخذه وبلغ
فيك امله وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية ساسة
الرعية وولاة امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله
من لزوم سوابق الشقاء واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية
مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس
جانبا واخرج الي واعف الفريقين من القتال حتى تعلم اينا المرين
على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو الحسن قاتل جدك وخالك واخيك
شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت
دنيا ولا استحدثت نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين
ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمن ولقد علمت حيث وقع
دم عثمن فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من
الحرب اذا عضتك ضجيج الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا
من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع الى كتاب
الله تعالى وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة **اقول** استعار لفظ الجلابيب

لاغطية

لاغطية الهيئات البدنية من محبة الدنيا وباطلها والجلباب الملحفة
وتبهجت تحسنت ويوشك اي يقرب وما لا ينجو منه المؤمن وما
بعده من اهوال الاخرة التي هو غافل عنها في الدنيا والواقف له اما
الله تعالى او يعني نفسه على سبيل التهديد له بالقتل واقعس اي تاخر
والاهبة الاستعداد وما نزل به اما الحرب او الموت وما بعده اقام
للمتوقع مقام الواقع النازل والمترف من اطغته النعمة والباسق العالي
وسوابق الشقاء ما سبق منه في القضاء الالهي في اللوح المحفوظ في حق
كل شيء ولزوم وجوده والامنية ما تمناه نفسه وترجو من
الخلافة واختلاف علانيته وسريرته كناية عن نفاقه والرين التغطية
والمرين على قلبه من غطته عليه الذنوب والهيئات الدنيوية وجد
المقتول هو جده لامه عتبة بن ابي ربيعة ابو هند وخاله الوليد
ابن عتبة واخوه حنظلة ابن ابي سفيان وقتلهم عليه السلام يوم
بدر جميعا والثائر الطالب بالدم والكافرة الجاحدة من اصحاب معوية
اشارة الى المنافقين منهم والمبايعة الحائدة الذين بايعوه و
عدلوا عنه اليه وحاد عن الامر عدل عنه واطلاعه عليه السلام على
مصارعهم ودعائهم الى كتاب الله قبل وقوع ذلك من اياته وكراماته
والله اعلم **ومن وصية له عليه السلام** وصى بها جيشا بعثه الى العدو
فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف او
سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون لكم ردءا ودونكم مردا ولتكن
مقاتلتكم من وجه او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال و
مناكب الهضاب لئلا ياتيكم العدو من مكان مخافة او امن واعلموا
ان مقدمة القوم عيونهم وعيون القوم طلائعهم واياكم والتفرق
فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم

الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم الا غرارا او مضمضة
اقول المعسكر بالفتح موضع العسكر والاشراف جمع شرف بالفتح
وهو المكان العالي وقبلها بفتح القاف قدامها وسفح الجبل اسفله
حيث يسيل الماء واثناء الانهار منعطفها والردء العون في المقابلة
وفائدة القتال من وجه او اثنين ان القتال من جهات متفرقة
يوجب الضعف والتفرق والرقيب الحافظ وصياصي الجبال اطرافها
العالية والهضاب الجبال المنبسطة على الارض وقوله واعلموا الى
قوله طلايعهم ارشاد الى وجوب التاهب عند رؤية المقدمة
او الطليعة وان قل عددهم وكفة بالكسر اي مستديرة والغرار
النوم القليل واستعار له لفظ المضمضة ومن كتاب له
عليه السلم لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه الى الشام في ثلاثة
الاف مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك
دونه ولا تقاتلن الا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس ورفه
في السير ولا تسر اول الليل فان الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما
لا ظعنا فارح فيه بدنك وروح ظهرك فاذا وقفت حين ينبطح
السحر او حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله تعالى فاذا لقيت العدو
فقف من اصحابك وسطا ولا تدن من القوم دنو من يريد ان ينشب
الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى ياتيك امري
ولا يحملنكم شنانهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم اقول
البردين الغداة والعشي والتغوير القيلولة وقوله فاذا وقفت
اشارة الى ما جرت العادة به من وقوف صاحب الجيش في الوسط
وهو استواؤه الى الطرفين في وصول الاوامر اليهما والشنان البغض
والعداوة والله الموفق ومن كتاب له عليه السلم الى

اميرين

اميرين من امراء جيشه وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك ابن
الحارث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن
لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ولا
اسراعه عما البطؤ عنه امثل اقول الاميرين هنا زياد ابن النضر
وشريح بن هاني واستعار له لفظ الدرع والمجن لقوته ومنعته للقوم
في الحرب والوهن الضعف والسقطة الزلة في الراي ونحوه وامثل
اشبه واولى ومن وصية له عليه السلم لعسكره قبل لقاء العدو
بصفين لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة وترككم
اياهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن
الله فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا
تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات
القوى والانفس والعقول ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات
وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير
بها وعقبه من بعده اقول المدبر المولي هاربا والمعور الذي امكن
من نفسه واعور الفارس اي ظهر فيه موضع خلل للضرب واجهز على
الجريح قتله وقد فرق عليه السلم بين هؤلاء البغاة وبين الكفار بما
ذكر من الامور لانه بعد ان اوجب قتالهم وقتلهم وهجت الشي
اهجته اثرته والفهر حجر مستطيل املس يسحق به الطيب ونحوه و
الهراوة كالدبوس من الخشب والعقب الولد من الذكر والانثى وكان
عليه السلم يقول اذا لقي العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب
ومدت الاعناق وشخصت الابصار ونقلت الاقدام وانضيت
الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنان وجاشت مراجل الاضغان
اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا

رَبَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين **أقول** أفصحت
إليه فارجة عن كل شيء وانقطعت اهزلت في طاعتك والسنن إلى جهاد
عدوك والنصو المحمل الهكر السير واضعفه وصرح اظهر والشنآن
العداوة واستعار لفظ المراجل للصدور والقلوب التي هي مظنة
الاضغان والاحقاد باعتبار غليانها وكان يقول عليه السلام لأصحابه
عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة
واعطوا السيوف حقها ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا انفسكم على
الطعن الدعسي والضرب الطلحفي وأميتوا الأصوات فانه اطرد للفشل
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر
فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه **أقول** الفصل من كلام عليه السلام بصفين
وقوله لا تشتدن إلى قوله حملة اي اذا اتفق لكم ان فررتم ثم عقبتموها
بكرة فلا تشتدن عليكم الفرة فتستحيوا منها فان الكرة كالماحية و
فيه تنبيه على الامر بالكرة بعد الفرة وكذلك قوله ولا جولة
وهي الدورة بعدها حملة واذمروا اي احثوا والدعسي ذو الاثر والنكاية
في العدو والدعس الاثر والطلحفي بكسر الطاء وفتح اللام الشديد و
النسمة الانسان والله اعلم ومن كتاب له عليه السلام الى معوية
جوابا عن كتاب منه اليه واما طلبك الي الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم
ما منعتك امس واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا حشاشات
انفس بقيت آلا ومن اكله الحق فالنار اولى به واما استواؤنا في
الحرب والرجال فلست بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل
الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق على الآخرة واما قولك انا بنو
عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا
المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن

كالمدغل

كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي ايدينا بعد
فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل
الله العرب في دينه افواجا واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها كنتم
ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبة على حين فاز اهل السبق
بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان
فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا **أقول** قد كان معوية سأل منه
عليه السلام ان يعطيه الشام على ان لا يكون له في عنقه بيعة ولا طاعة
والحشاشة بقية الروح وقوله فلست بامضى الى قوله اليقين
يريد ان حركة معوية في هذا الامر على شك منه في استحقاقه وطلبه وهو
منه ذلك على تيقين والشاك في امر ليس بامضى في طلبه من المتيقن
له وباقي الفصل افتخار عليه وفيه ايماء الى انه من الطلقاء وقد مر بيانه
والصريح خالص النسب واللصيق الدعي والادغال الفساد وذا الد
الاخلاق ونفسه فقصد والفوج الجماعة الكثيرة والله اعلم ومن
كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو
عامله على البصرة واعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن
فحادث اهلها بالاحسان اليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم و
قد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم
نجم الا طلع لهم آخر وانهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام
وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها وما زرون
في قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يديك ولسانك
من خير وشر فانا شريكان في ذلك وكن عند صالح ظني بك ولا يفيلن
رايي فيك والسلام **أقول** الفصل من كلام طويل وكونها مهبط ابليس ومغرس
الفتن باعتبار انها منشأ الفتن والآراء المختلفة والاهواء المتبعة

التي منشاها ابليس وربما كان السبب الغالب في ذلك كونها طرفا بعيدا عن
مقر الخلفاء وولاة الامر وليس لما يقع في نفوس من يطمع بالفساد فيها
واثارة الفتنة لها من الوسوسة بذلك كما في قريب فتسرع فيها الفتن
ويكثر وكان ابن عباس قد اضر ببني تميم حين ولي امر البصرة من قبله
عليه السلام لما عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة
والزبير فحمل عليهم فاقصاهم وتنكر لهم حتى كان يسميهم شيعة عسكر وهو
اسم الجمل وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي من تميم
منهم حارثة ابن قدامة فكتب بذلك الى علي عليه السلام شاكيا من ابن
عباس فكتب عليه السلام الكتاب المذكور واكثمت تنكر الاخلاق واستعار
لفظ النجم لمن يظهر من اشرافهم والوغر الحقد وماسة قريبة
قيل ذلك لاتصال اسلافهم في الياس ابن مضر لان هاشم بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن لوي بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة
بن خزيمة بن مدركة بن الياس وتميم بن مر ابن طابخة بن الياس
واصل ماذورون موزورون فقلب للتجانس واربع اي ارفق وبان
وفيال الراي ضعفه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه
السلام الى بعض عماله** اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا
منك قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة فنظرت فلم ارهم اهلا
لان يدنوا لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم
جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة و
الرافة وامزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء ان
شاء الله تعالى **اقول** الدهقان فارسي معرب والقسوة الشدة والجفاء
ضد البر واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة لما يشتمل عليه ويلبس به من
اللين والرافة وكذا الرداء وداول بين القسوة والرافة اي استعمل

حالا

كدرة منهما مرة والمنقول ان سؤالا كانوا مجوسا ومن كتاب له عليه السلام
الى زياد ابن ابيه وهو خليفة عبد الله ابن عباس على البصرة وعبيد ٢١٩
الله خليفة امير المؤمنين على البصرة وفارس والاهواز وكرمان واني
اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا
او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل
الامر والسلام **اقول** زياد هذا هو ابن سمية ام ابي بكرة وهو دعي
ابي سفيان واول من دعاه بابن ابيه عائشة حين سئلت لمن يدعى
والشدة الحملة والوفر المال والثقيل الحقير وثقل الظهر بالاثام
او بالعائلة وتدعك اي تتركك والمنصوبات الثلاثة احوال ولا يلزم
ان تكون تلك الاحوال من شدته عليه السلام لان الحال لا يلزم ان يكون
فعل الفاعل والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام اليه**
ايضا فدع الاسراف مقتصدا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر
ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك لترجوا ان يعطيك الله اجر
المتواضعين وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ في
النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين
وانما المرء مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم والسلام **اقول** التمرغ
التقلب والفضل ظاهر **ومن كتاب له عليه السلام الى**
عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وكان عبد الله يقول ما انتفعت
بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعي بهذا
الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه
فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من اخرتك وليكن
اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحك وما فاتك
منها فلا تاس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت **اقول** حاصل

الفصل بيان ما ينبغي ان يفرح المرء به من الكمالات الاخروية ويحزن لفوته
منها وما لا ينبغي له منهما في متاع الدنيا وكمالاتها وقوله فان المرء
الى قوله ليدركه كالمقدمة لذلك اشار فيها الى ان في طبيعة الانسان
ان يسر بما يدركه من المطالب ويساء بما يفوته منها فكانه قال واذا
كان في طبيعة المرء ذلك فليكن سرورك بما نلت من آخرتك واسفك
على ما فاتك دون الدنيا وفي قوله ما لم يكن ليفوته وما لم يكن
ليدركه تنبيه على ما يفوت ويدرك فواجب في القضاء الالهي فوته و
دركه وفايدة ذلك ان لا يشتد الفرح بما نال من متاع الدنيا ولا
الاسف على ما يفوت منها لان الفرح بما لا بد من حصوله والاسف على
ما لا بد من فواته جهل وسفه في العقول وما نال المرء من آخرته في الدنيا
هو الكمالات النفسانية الباقية والفصل ظاهر من لطايف الكتاب
ومن كلام له عليه السلم قاله قبل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله
وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وسلم
فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس
صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان
افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة
فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما فجاني من الموت وارد
كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما
عند الله خير للابرار قال السيد وقد مضى بعض هذا الكلام
فيما تقدم من الخطب الا ان فيه هيهنا زيادة اوجبت تكريره والله اعلم
اقول استعار لفظ العمودين لتوحيد الله واتباع سنة رسوله
لقيام الدين بهما وقوله وخلاكم ذم من مدايح العرب ونبه بقوله
انا الى قوله مفارقكم على وجوب الاعتبار بحاله وقوله ان اعف على

تقدير

تقدير البقاء كما تقدم قال فانا ولي دمي فان اقتص فذاك حقي وان
اعف فالعفو لي قربة وكما كان عليه السلم سيد الاولياء الذين هم اشد
حبا لله واشوق الى لقائه لم يكن وارد الموت مكروها له ولا
منكرا عنده بل محبوبا والوفاة والفجاءة الامر بغتة وشبه نفسه في
شدة طلبه للقاء الله يومئذ بالقارب وهو طالب الماء اذا ورد و
بالطالب الواجد لمطلوبه ومن وصية له عليه السلم بما يعمل
في امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به عبد الله علي ابن
ابي طالب امير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله عز وجل ليولجه به الجنة
ويعطيه الامنة منها وانه يقوم بذلك الحسن ابن علي ياكل منه بالمعروف
وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر
بعده واصدره مصدره وان لابني فاطمة عليهما السلام من صدقة
علي مثل الذي لبني علي وانما جعلت القيام بذلك لابني فاطمة ابتغاء
وجه الله وقربة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكريما لحرمته
وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله
وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له وان لا يبيع من نخل هذه القرى
ودية حتى تشكل ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن
لها ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه فان مات ولدها وهي
حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد
قوله عليه السلم وان لا يبيع من نخلها ودية فان الودية الفسيلة و
جمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا اي يكثر غرسها فيراها
الناظر على غير الصفة التي عرفها فيشكل عليه امرها ويظنها غيرها
اقول يولجه يدخله والامنة الامن والضمير في قوله مصدره للامر
اي اخرج الحق مخرجه والهلعة وقيل الحسن اي اصدر الحسين الحق

مصدر الحسن ذكرها فعل بالمعروف والضمير في يشترط لعلي ويحتمل ان
يكون للحسن وفائدة النهي عن بيع الفسيل قبل ان تشكل الارض غراسا
انه محتاج اليه وان النخلة قبل ان تعلو المرتقى لم يجد عمالها فيفتر
بها قلع فسيلها والطواف هنا كناية عن النكاح ولكن يومئذ ست
عشرة وفي له فتمسك الى آخره اي ان ثمنها محسوب من نصيب ولدها
ويمسك عليه وقضاؤه عليه السلام بذلك ووصيته بعتق من مات
ولدها من امايه بعد موته بناء على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق
بعد موت سيدها المستولد ويصح بيعها وهو مذهب الامامية
وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد
ولا يجوز بيعها وعليه فقهاء الجمهور **ومن وصية له عليه السلام**
كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ليعلم
بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في
صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله
وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا
تاخذن منه اكثر من حق الله تعالى في ماله واذا قدمت على الحي فانزل
بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى
تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج التحية لهم ثم تقول عباد الله ارسلني
اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في
اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم
لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او
ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة وان كانت له ماشية او
ابل فلا تدخلها دخول متسلط عليها ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة
ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره

فاذا

فاذا اختار فلا تعرضن لما اختار فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء
لحق الله تعالى في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم
اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق الله في ماله
ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات
عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى
يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا
حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا
ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله تعالى به فاذا اخذها امينك
فاوعز اليه ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك
بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها وبينها وليرفه على
اللاغب وليستان بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدران
ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في الساعات
وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى ياتينا بها باذن الله تعالى بدنا
منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله تعالى
وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان ذلك اعظم لاجرك و
اقرب لرشدك ان شاء الله تعالى **اقول** الروع الفزع ولا تجتازن
عليه اي لا تطلب خيار ماله ولا تخدج التحية اي لا تنقصها وانعم قال
نعم والعسف الاخذ بشدة والارهاق تكليف العسر واصدع المال
اي اقسمه والعود المسن من الابل اسن من البازل وكذلك الهرمة عالية
السن والمكسورة التي انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة المسلولة
والهلاس السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذي يجحف
بالمال في سوقه فيذهب بجسمه والملغب المتعب واوعز اليه بكذا
امره والمصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والنقب للبعير رقة اخفافه

والغدر جمع غدير والساعات جمع ساعة مصدر قولك ساعت الناقة
اذا اهملت تسوع سوعا وساعة اي يوجدها الراحة في يومها بالصبر و
التأني عليها في المرعى والنطاف المياه القليلة والبدن السمان والمنقيات
التي صارت من سمنها ذات نقي وهو مخ العظم وشحم العين ومقاصد
الوصية ظاهرة وبالله التوفيق ومن عهد له الى بعض عماله
وقد بعثه الى الصدقة أمره بتقوى الله تعالى في سرائر امره وخفيات
اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وامره ان لا يعمل بشيء من
طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته
وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وامره ان لا
يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم
الاخوان في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في
هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة
وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا فانك من
اكثر الناس يوم القيمة خصوما وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء و
المساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان
بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد اذل نفسه في
الدنيا وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة
وافظع الغش غش الائمة والسلام اقول الضمير في قوله امره يعود
الى المعهود اليه وقوله وامره الى قوله فيما اسر اي لا يخالف بين
ظاهر عمله في طاعة الله تعالى وبين باطنه وعضهه عضها رماه بالبهتان
والكذب ولا يرغب عنهم ولا يترفع عليهم وقوله فانهم الى قوله الحقوق
صغرى ضمير نبه فيها على وجوب الانتهاء عن المنهيات المذكورة وتقدير
كبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز ان يفعل به ذلك وشركاؤك المستحقون

للصدقة

للصدقة والبؤس الشدة والفقير من له بلغة من العيش لا تكفيه
والمسكين هو الذي لا شيء له والمدفوعون قيل هم السائلون له فهم
عند السؤال وقيل هم العاملون عليها باعتبار انهم يدفعون الى
الجباة او يد فهم المسؤول هل عليه زكاة ام لا عن نفسه والغارم من
لزمه الدين في غير معصية وابن السبيل هو المنقطع به في السفر
يعطى من الصدقة وان كان غنيا في بلده وافظع الغش اشره والله اعلم

ومن كتاب له عليه السلم الى محمد ابن ابي بكر رحمه الله لما قلده مصر
فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس
بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا
ييأس الضعفاء من عدلك عليهم وان الله يسائلكم معشر عباده عن
الصغيرة من اعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم
اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا
بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم
تشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت
واكلوها بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون واخذوا
منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ
والمتجر المربح اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم
جيران الله غدا في الآخرة لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم
نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقدومه واعدوا له
عدته فانه ياتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر ابدا
او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب
الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم
منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم والموت معقود بنواصيكم والدنيا

تطوى من خلفكم واحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها
جديد دار ليس فيها رحمة ولا يسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة
فان استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا
بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان
احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد ابن ابي
بكر اني وليتك اعظم اجنادي في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان
تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر
ولا تسخط الله برضى احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من
الله خلف من غيره صل الصلوة لوقتها الموقت لها ولا تعجل وقتها
لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع
لصلوتك والسلام **اقول** خفض الجناح كناية عن التواضع وبسط
الوجه كناية عن البشاشة والطلاقة والتمييز عليهم للضعفاء
وقبل للعظماء وقوله ذهبوا الى قوله لا اخرة اي حصلوا على ذكر
وقوله بافضل ما اكلت وبافضل ما سكنت اي استعملوها على الوجه
الذي ينبغي لهم والذي امروا باستعمالها عليه وذلك هو افضل
الوجوه والزاد المبلغ هو التقوى واستعار لها لفظ المتجر وعامل
الجنة العامل لها واستعار وصف الطي لتنقضي احوال الدنيا وايامها
التي يقطعها الانسان وروي وعذابها حديد وهو كقوله تعالى
ولهم مقامع من حديد ونحوه وقوله وبينهما اي بين شدة
الخوف وحسن الظن به واعلم انه عليه السلام لم يجعل احدهما علة الاخر
بل اشار الى تلازمهما لانهما معلولا علة واحدة وهي معرفة الله تعالى
وقبولهما للشدة والضعف بحسب قبولها في نفس العبد الا ان كلا منهما يستند
الى اعتبار من المعرفة خاص يكون مبدءا قريبا له اما في حسن الظن

والرجاء فان يلحظ العبد من ربه صفات رحمته وجوده ورافته وعفوه
واما في الخوف فان يلحظ منه اوصاف عظمته وباسه وسطوته وصولته
ووعيده وبحسب اشتداد تصور تلك الاعتبارات يكون اشتداد الخوف
ولوازمه من انقباض الجوارح عن المعاصي ونحول الابدان وغير
ذلك وتخالف على نفسك اي لا مارة بالسوء في هواها والمنافحة المفاربة
والمخاصمة والخلف العوض وانما كان كل عمل له تبعا للصلوة لانها
عمود الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب
به العبد الصلوة فمن تمت صلوته سهل عليه غيرها من العبادات
ومن نقصت صلوته فانه يحاسب عليها وعلى غيرها **ومن هذا
العهد** فانه لا سواء امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو
النبي ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني لا
اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما
المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني اخاف عليهم كل منافق الجنان عالم
اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون **اقول** اشار بامام
الهدى وولي النبي الى نفسه وبامام الردى وعدو النبي الى معوية
تنفيرا عنه وتقمعه تقهره ويذلله وعالم اللسان قول الحق الذي
يعرفونه لينال الاغراض والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام
الى معوية** جوابا وهو من محاسن الكتب اما بعد فقد اتاني
كتابك تذكر فيه اصطفاء الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
لدينه وتاييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك
عجبا اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت
في ذلك كناقل التمر الى هجر وداعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل
الناس فلان وفلان وذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم

يحكم بينهم وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما
للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين و
ترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها
وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك
وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب
ولا لك ظفر الظافر وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد ألا ترى
غير مخبر لك لكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله
من المهاجرين ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء
وخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته
أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل
بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين و
لولا ما نهى الله تعالى من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها
قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت
به الرمية فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم
عزنا وعادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل
الأكفاء ولستم هناك وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب
ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ومنا سيدا شباب أهل الجنة
ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في
كثير مما لنا وعليكم فإسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تدفع وكتاب الله
يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله وقوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة
أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الأنصار

يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلجوا عليهم فإن يكن الفلج
به فالحق لنا دونهم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم وزعمت
أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك
فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
وقلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ولعمر الله
لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت وما على المسلم
من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا
بيقينه وهذه حجتي إلى غيرك قصدها ولكني أطلقت لك منها بقدر
ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب
عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله أمن
بذل له نصرته فاستقعده واستكفه أم من استنصره فتراخى عنه
وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلا والله لقد علم الله المعوقين
منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا
وما كنت أعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذنب
إليه إرشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة
المتنصح وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا
السيف فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفيت بني عبد المطلب
عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين فلبث قليلا يلحق الهيجاء حمل
فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وأنا مرقل نحوك في
جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم
ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم
صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في

اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي من الظالمين ببعيد قوله طفق
مثل اخذ وجعل وقوله كجالب التمر الى هجر وداعي مسدده الى النضال
مثلان يضربان لمن يحمل الشيء الى معدنه لينتفع به فيه وهو اولى
ان يؤخذ عنه واراد ان الاخبار ببلاء الله عندنا ونعمته علينا
ينبغي ان تؤخذ عنا ولا يليق ان تخبرنا انت به وهجر مدينة بالبحرين
والنضال المراماة واصله ان يدعو الانسان استاذه في الرمي ومسدده
فيه وهو اولى بان يدعوه الى ذلك وقد كان معوية في كتابه ذكر حال
الصحابة في فضلهم حسب ترتيبهم في الخلافة فاقتضى ذلك تفضيله عليه
فاجابه بقوله وذكرت ان الى آخره والكلم الكسر والنقصان واما كونه
طليقا وابن طليق فالمنقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
فتح مكة قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ
كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء وكان فيهم معوية وابو سفين و
قوله حن قدح ليس منها فاصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس
من جوهر باقي القدح ثم اجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها فيعرف
بانه ليس من جملتها فيضرب مثلا لمن يفتخر بقوم وينتسب فيهم مع انه ليس
منهم او ليس من مقدميهم في الفضل وقوله وطفق يحكم فيها مثل
آخر يضرب لمن يحكم في قوم وهو من اراذلهم وليس للحكم باهل والا تربع
تقف وترفق بنفسك والظلع العرج والذرع بسط اليد واستعار لفظ
الظلع لقصورهم عن رتبة السابقين كالظالع وقصوره عنه كناية عن
عجزه عن تناول تلك الرتبة والتيه الضلال وشهيدهم عمه حمزة ابن عبد
المطلب رضي الله عنه وخصه بسبعين تكبيرة في اربعة عشر صلاة والذي
قطعت يداه منهم اخوه جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنه وسماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذا الجناحين بذلك الاعتبار والطيار في الجنة

والذاكر

والذاكر يقتضي نفسه ولا تمجها اي لا تلفظها وقوله من مالت به الرمية كالمثل
يضرب لمن يميل به عن الحق اغراضه الباطلة والرمية الصيد يرمى و
اصله ان الرجل يقصد قصدا فيعرض له الصيد فيتبعه فيميل به عن قصده
الاصلي والصنعة الحسنة وقوله والناس بعد صنائع لنا اذ كان كل
فعل وشرف للعرب فهو مبداوه وقوله واني يكون ذلك كذلك اي وكيف
تكونون اكفاء لنا والمكذب ابو جهل واسد الله حمزة ابن عبد المطلب
واسد الاحلاف هو اسد ابن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف
وزهرة وتيم والحرث بن فهر وسموا الاحلاف لتخلفهم عن محاربة
بني قصي في امر ارادهم وصبية النار قيل هم صبية عقبة ابن ابي
معيط حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ولهم
النار وخير نساء العالمين فاطمة عليها السلام وحمالة الحطب
ام جميل بنت حرب عمة معاوية كانت تحمل حزم الشوك فتنثرها
في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وقوله جاهليتنا لا تدفع اي لا
يدفع شرفنا وفضلنا فيها وقوله يجمع لنا ما شذ عنا اي من
هذا الامر وهو احتجاج بالكتاب العزيز على اولويته من غيره
بامر الخلافة ووجه الاحتجاج بالآية الاولى انه من اقرب اولي
الارحام برسول الله وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام
مقامه والثانية انه كان اقرب الخلق الى اتباع رسول الله صلى
الله عليه وسلم واول من آمن به وصدقه وافضل من اخذ عنه
الحكمة وكل من كان كذلك فهو اولى بمقامه ومنصبه والفلج به الفوز
والظفر وحجة قريش على الانصار قوله صلى الله عليه وسلم الائمة
من قريش والفلج به اي بالرسول صلى الله عليه وسلم وتقدير الحجة
ان على قريش للانصار وان كان بالرسول عليه السلام وقربهم منه فنحن

اولى بذلك لكوننا اقرب منهم اليه وان كان بغير ذلك فدعوى لا انصار في
الامامة قائمة اذ لم يكن في الخبر ما يدل على بطلانها وقوله وتلك
شكاة ظاهر عنك عارها مثل يضرب لمن ينكر امرا لا يلزمه انكاره وهو بيت
لابي ذويب واوله وعيرها الواشون اني احبها وظاهر زايل
والمخشوش الذي جعل في انفه الخشاش وهي خشبة يقاد بها والغضاضة
الذلة والمنقصة وكون ما ذكره معوية منه ذلك فضيحة له باعتبار انه
لم يفرق بين ما يمدح به ويذم لانه على تقدير ان يكون بيعته
للائمة قبله كرها وهو افضل الناس او من فضلائهم لا ينعقد
الاجماع بدونه فتكون خلافتهم من حوله فيكون ذلك طعنا
فيهم وفي ولايته من قبلهم وهو فضيحة وقوله الى غيرك قصدها
اي الذين ظلموا وسنح عرض وحظر واعذى عليه اشد عدوانا
ومقاتله وجوه قتله ومساعيه التي قتل بها وقد كان عليه السلم عرض
نصرته له عليه فقال لا اريد نصرتك ولكن اقعد عني لتهمته اياه
بالمشاركة في امره وكان قد استصرخ بمعوية فما زال يعده ويتاخر
عنه الى ان قتل وقوله فرب ملوم لا ذنب له مثل لاكثم ابن صيفي
يضرب لمن ظهر للناس منه امر ينكروه عليه وهم لا يعرفون
حجته وعذره فيه وكذلك وقد تستفيد الظنة المتنصح يضرب مثله
لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم انه غاش فغرضه لنفسه في نصيحته لعثمن
وصدر البيت وكم سقت في اثاركم من نصيحة والظنة التهمة وقوله
اضحكت بعد استعبار كناية عن ابلغ العجب اذ كان الضحك بعد البكاء انما
يكون من عجيب بالغ والفيت وجدت والنكول التاخر جبنا وقوله
فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل يضرب للوعيد بالحرب قاله حمل ابن بدر
في نقض وقائعه وكان قال اضرب عنه اسير التربيع والجحفل الجيش العظيم

والناطع المرتفع والقتام الغبار واستعار لفظ السرابيل وهي القمصان
اما للدروع او لعتق الحرب الجادية مجرى الاكفان وقد سبق ذكر
اخيه وخاله وجده والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلم**
الى اهل البصرة وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه
فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم
فان خطت بكم الامور المردية وسفه الاراء الجائرة الى منابذتي و
خلافي فها انا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي ولين الجاتموني
الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة يكون يوم الجمل اليها كلعقة
لاعق مع اني عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة
حقه غير متجاوز متهما الى بريء ولا ناكثا الى وفي اقول كني بانتشار
حبلهم عن تفرقهم عنه ونكثهم لبيعته ولم تغبوا عنه لم تغفلوا له
يقال غبيت عن الشيء وغبيته اذا جهلته ولم تفطن له والمردية المهلكة
والمنابذة المخالفة وكنى بتقريب جياده وترحيل ركائبه عن استعداده
للكرة عليهم وشبه وقعة الجمل والنسبة الى الوقعة التي توعدهم
بها كلعقة لاعق في الحقارة والله الموفق **ومن كتاب له عليه السلم**
الى معوية فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع الى
معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة اعلاما واضحة وسبلا
نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلبة يردها الاكياس ويخالفها الانكاس
من نكب عنها جار عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته
فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت بك الامور
فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك
شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك واوعرت عليك المسالك اقول
ما لديه هو مال المسلمين وبلادهم وما لا يعذر بجهالته هو وجوب طاعته

الله وطاعة رسوله وطاعة ائمة الحق وهي السبيل النيرة والطريق المضية
وغايتها المطلوبة هو الحصول على السعادة الباقية الاخروية والاكياس العقلاء
والانكاس جمع نكس بكسر النون وهو الدني من الرجال ونكب عدل والتيه
الضلال وسبيله سبيل الطاعة المامول لسلوكها وقوله وحيث الي
قوله ومحله كن في حيث معنى الشرط وجوابه فقد والمراد اي
موضع ومقام وصلت بك امورك واحوالك اليه فقد وصلت فيه الى غاية
ضرائي غاية مستلزمة للخير في الاخرة تنال اجرك الى غاية كذا اذا
قصدها وسعى اليها واوجلت نفسك شكل اي ادخلته نفسك الامارة
بالسوء في شر الدنيا والاخرة وهو مخالفة طاعة الله ورسوله وامام
الحق وروي اوحلتك واقحمتك اي ادخلتك والنفح الجهل واراد بالمهالك
الشبهات المردية واوعرت صعبت ومبدا جميع ذلك النفس الامارة
بالسوء وبالله التوفيق ومن وصية له عليه السلم لابنه الحسن
عليه السلم كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين اقول روي
انه عليه السلم كتبها لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح
الكلام وابلغه واجمعه لدقائق الحكمة العملية ولطائفها وفيها
فصول الفصل الاول قوله من الوالد الفان المقر للزمان
المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى
الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من
قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب وعبد
الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم
وقرين الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الاموات
اما بعد فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال
الاخرة الي ما يزعني عن ذكر ما سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث

تفردني دون هموم الناس هم نفسي فصدقني رائي وصرفني عن
هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب و
صدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا
لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما
يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت
او فنيت فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة
قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله
ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين
ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع
الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض
عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر
في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا
ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة
وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك
ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وامسك عن طريق
اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال
وامر بالمعروف تكن من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين
من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا ياخذك في الله لومة
لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك
الصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر والجئ نفسك في الامور كلها
الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسالة
لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا
تذهبن صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع

ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه أي بني إني لما رأيتني قد بلغت سناً و
رأيتني أزداد وهناً بادرت بوصيتي إليك خصالاً منها أن يعجل
بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي أو أن أنقص في رأيي كما
نقصت في جسمي أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا
فتكون كالصعب النفور وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي
فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل
لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته
وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة
فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه
أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم
وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم
بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم
فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل
أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث
عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك أن يكون
ذلك وأنت مقبل العمر مقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية
وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله تعالى وتأويله وشرائع الإسلام و
أحكامه وحلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره ثم أشفقت
أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي
التبس عليهم فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي
من إسلامك إلى أمر لا آمن فيه الهلكة ورجوت أن يوفقك الله تعالى
لرشدك وأن يهديك لقصدك فعهدت إليك وصيتي هذه واعلم يا بني
أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله والاقتصار

على

على ما افترضه عليك والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك والصالحون
من أهل بيتك فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر وفكروا
كما أنت مفكر ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عما
لم يكلفوا فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما
علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو
الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بإلهك و
الرغبة إليه في توفيقك وترك كل شائبة أوردتك شبهة أو أسلمتك
إلى ضلالة فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك واجتمع
وكان همك في ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك وإن أنت لم
يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم أنك إنما
تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط أو خلط
والإمساك عن ذلك أمثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم أن مالك الموت هو
مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المفني هو المعيد وأن
المبتلي هو المعافي وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها
الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد وما شاء مما لا تعلم
فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فإنك أول ما
خلقت جاهلاً ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل
فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك فسواك وليكن
له تعبدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني أن أحداً
لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ نبينا صلى الله عليه وسلم فارض به رائداً
وإلى النجاة قائداً فإني لم آلك نصيحة وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك و
إن اجتهدت مبلغ نظري لك واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك
رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه سبحانه

وتعالى الله واحد كما وصف نفسه لا ضد له في ملكه احدا ولا يزول ابدا ولم يزل
اول قبل الاشياء بلا اولية وآخر قبل الاشياء بلا نهاية عظم ان تثبت ربوبيته
باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك في صغر خطره
وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظم حاجته الى ربه وفي طلب طاعته
والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يامرك الا بحسن ولم
ينهك الا عن قبيح اقول اطلق لفظ المعاني عليه مجازا اطلاقا لاسم الغاية
واستعار لفظ الرهينة باعتبار ان الانسان مربوط الوجود بالايام كالرهن
بما عليه والرمية الغرض والهدف ولفظ التاجر باعتبار بذله لنفسه
في تحصيل الدنيا واضافه الى الغرور اضافة المسبب الى السبب اذ الغفلة
هي مبدا ذلك ولفظ الغريم باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي
والصب المصوب واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار اختلاط
تصرفاته وعدم جريانه على قانون محفوظ كالجموح من الخيل وبرعيه
يمنعه وتمحض امره خالصة اي الكشف له انه راحل الى الآخرة وانه لابد من
لزوم الامر التي ينبغي له ووجدتك بعضي اي بمنزلة بعضي كقوله
وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض وكلي اي قائما مقام كلي و
عبارة عنه كان هو خليفته والقائم مقامه في علمه وفضائله واكد قربه
منه وتنزيله منزلة نفسه بذكر الغايتين وكذلك استعار لفظ الحبل لما
يتمسك به من دين الله الموصل اليه وقلبه الذي يحييه نفسه العاقلة
واحياؤها بالعلم والحكمة والذي يميته هي نفسه الامارة بالسوء واماتتها
كسرها عن شهواتها المخالفة لآراء العقل بترك الدنيا والاعراض عنها
وتطويعها بذلك ويحتمل ان يريد به النفس العاقلة ايضا واماتتها
قطعها عن متابعة هواها وتقويته باليقين اي من ضعف الجهل
للنهوض الى افق عليين وتقريره بالفناء حمله على الاقرار به وذكره بادامة

ذكره

ذكره وكثرة اخطاره بالبال واراد لا امساك عن طريق يخاف ضلالته التوقف
عن الشبهات والغمرات الشدايد ولا استخارة الطلب الى الله خير له فيما
ياتي ويذر ومضيا اي معرضا والعلم الذي لا يحق تعلمه اي لا ينبغي كالعلم
الذي لا يجدي نفعا في الآخرة كالسحر والتكهن ونحوهما والوهن
الضعف عن الكبر وكان عليه السلم جاوز الستين وخصالا مفعول به و
بادرتها بها اي سابقتها وسارعتها وافضى اوصل وضعف الراي في الكبر لضعف القوى
النفسانية ولا زواج الحاملة لها وعجزها عن التصرف في طلب الآراء
وسبق بعض غلبات الهوى لان الصبي اذا لم يؤخذ بالادب في
حداثته ولم ترض قواه بمطاوعة عقله كان بصدد ان تميل به القوى
الحيوانية الى مشتهياتها وتجذبه في قياد هواه وتصرفه عن الوجه
الحقيقي فيكون حينئذ كالصعب النفور من البهايم يعسر تصرفه بغير
على حسب المنفعة وقوله واتاك من ذلك اي من العلم التجربي
ما كفى نابيه ونظليه وعدت اي صرت ونخيلة الشيء اي خلاصته و
مختاره واجمعت صممت عزمي وقوله ثم اشفقت عطف على
رأيت اي كنت رأيت ان اقتصر بك على ذلك ولا اتجاوز بك الى
غيره من العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس
فيه من المسايل العقلية الالهية التي يكثر التباس الحق فيها بالباطل
وتكثر فيها الشبهات المغلطة التي هي منشا فساد العقايد والهلاك
بها في الآخرة واحكام ذلك بيان وجه البرهان فيه واوجبك
اذخلك واراد خبط العشو الحذف المضاف ونبه بقوله و
اعلم الى قوله المعاد على جملة من صفات الله تعالى وافعاله التي
يتوهم تضادها والتنافي في استنادها الى مبدا واحد اما
الصفات فاشار الى انها ليست بمتضادة وان مبداها واحد وقد

اشرنا في الخطب السابقة الى كيفيّة وصفه تعالى بالاعتبارات المتعدّدة وامّا
الى فعاله فهو انّه تعالى لمّا خلق الدّنيا لم يمكن خلقها واستقرار وجودها
الا على ما خلقها عليه من سائر ما يعدّ نعمة وابتلاء ثمّ لزوم الجزاء في
المعاد لنفوس المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في
النعماء والابتلاء وكذلك خلقه لها على ما شاء ممّا لا يعلم وجه الحكمة
فيه الا هو اذ ثبت في اصول الحكمة انّ المقصود من العناية الالهيّة
بالذات انّما هو الخير وامّا الشرور الواقعة في الوجود فبالعرض
من حيث انّه لا يمكن نزع الخير وتجريده عمّا يعدّ شرّا مثلا كون النار
نارا منتفعا بها انّما يكون بكونها محرقة وهو باعتبار احراق بيت النّاسك
مثلا شرّ وكون الماء منتفعا به انّما هو من حيث هو سيّال ومن
شانه ان يغرق وهو باعتبار اغراق شخص ولمّا كان الخير اغلب في الوجود
وكانت الشرور امورا لازمة لم يجز ترك الخير الكثير لاجلها ولان
ترك الوجود لشرّ قليل منافٍ في الحكمة وذلك معنى قوله وانّ الدّنيا
لم تكن لتستقرّ الّا على ما جعلها الله عليه ممّا عدّده اي لم يكن يمكن
خلقها الّا على ما فيها من خير مقصود بالذات وشرّ لازم له ولزوم
الجزاء على السيّئة وعقاب النفوس في المعاد عليها من الشرور اللازمة
لما حصلت عليه من الهيئات البدنيّة والملكات الرديّة في الدّنيا و
شفقتك خوفك واستعار لفظ الرائد للنّبي عليه الصّلوة والسّلام
ملاحظة الشبه في استعلام اخبار السّماء بالرائد في استعلام الكلاء
والماء ولم آلك نصيحة اي لم اقصر في نصيحتك ونصيحة تمييز وقوله و
اعلم يا بنيّ الى قوله فتبع اشارة الى الحجّة على وحدانيّة الصّانع تعالى
وعلى جملة من صفاته وامّا الحجّة على وحدانيّته فهي اقتباس استثنائي
مقدّم الشرطيّة فيه قوله لو كان شريك وتاليها قوله لاتتك رسله

الى قوله وصفاته ونبّه باستثناء نقايض اقسام التالي نقيض المقدّم
بيان الملازمة انّه لو كان لك شريك لكان شريكه الصّالح لشركته الها
مستجمعا لجميع شرائط الالهيّة والّا لم يصحّ لانّ لوازم الالهيّة امور
احدها الحكمة في وجوب بعثة الرّسل الى الخلق لما علمت من وجوب
البعثة الثّاني ان يكون آثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة
مشاهدة الثّالث ان تعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم باطلة
امّا الاوّل فلانّه لم يأتنا رسوله ولا معجزة يدلّ لنا على الثاني ويخبرنا
عنه وامّا الثاني والثالث فلانّ آثار الملك والسّلطان ووجود
الافعال انّما تدلّ على فاعل حكيم قادر على تعدّد الفاعلين فلا وكذلك
صفات الالهيّة المكتسبة لنا من الافعال كالعلم والقدرة والارادة وغيرها
انّما يكون على الصّانع الموصوف بها فامّا التعدّد فلا فاذن القول بان
له شريكا قول باطل وامّا الصّفات فظاهرة واشار بقوله عظيم الى
قوله او يبصر الى تناهي صفاته الدالّة على تنزيهه عن احاطة العقول والابصار
بها والشّفقة الخوف وباقي الفصل واضح والله اعلم **الفصل الثاني**
قوله واعلم يا بنيّ انّي قد انبأتك عن الدّنيا وحالها وزوالها و
انتقالها وانبأتك عن الآخرة وما اعدّ لاهلها فيها وضربت لك امثالا فيهما صح
لتعتبر بها وتحذو عليها انّما مثل من خبر الدّنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل
جديب فامّوا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطّريق و
فراق الصّديق وخشونة السّفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم
ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما
ولا شيء احبّ اليهم ممّا قرّبهم من منزلهم وادناهم من محلّهم ومثل من
اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء
اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه

ويصيرون إليه يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحبب
لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم و
أحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك
وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تفعل ما لا تعلم وإن قل
ما تعلم ولا تفعل ما لا تحب أن يقال لك واعلم أن الإعجاب ضد الصواب
وآفة الألباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك فإن أنت هديت
لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة
ومشقة شديدة وأنه لا غناء بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك
من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل
ذلك وبالا عليك وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى
يوم القيمة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه
وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من
استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم أن
أمامك عقبة كؤودا المخف فيها أحسن حالا من المثقل والمبطئ عليها أقبح
أمرا من المسرع وأن مهبطها بك لا محالة على جنة أو على نار فارتد لنفسك
قبل نزولك ووطن المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا
إلى الدنيا منصرف واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد
أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة وأمرك أن تسأله فيعطيك وتسترحمه
ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك إلى من يشفع
لك إليه ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ولم يعيرك بالإنابة ولم يعاجلك
بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك في
قبول الإنابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل
نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا

وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداك وإذا
ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك و
شكوت إليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على أمورك
وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة
الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ثم جعل في يديك مفاتيح
خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء
أبواب نعمه واستمطرت شآبيب رحمته ولا يقنطك إبطاء إجابته فإن
العطية على قدر النية وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم
لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت
خيرا منه عاجلا وآجلا أو صرف عنك لما هو خير لك فلرب أمر قد طلبته
فيه هلاك دينك لو أوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى
عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له **أقول** [illegible]
وجذب عن الدنيا إلى الآخرة بتمثيلين فالأول ذكر فيه من خبر الدنيا
وزوالها وخبر الآخرة وبقائها ومثلهم بحال القوم سفراء مسافرين
فارقوا منزلا جديبا إلى منزل خصيب ووجه التمثيل أن النفوس البشرية
لما كانت الحكمة في هبوطها إلى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل
المظلمة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو أن تحصل بواسطتها
الكمالات العقلية ثم ترجع بعد الكمال طاهرة عن علائقها وهيئاتها
الردية كانت كل نفس لزمت الصراط المستقيم وحفظت العهد المأخوذ
عليها فهي في المدة المضروبة ناظرة بعين الاعتبار أن الدنيا كالمنزل
الجدب الخلو من المطاعم الحقيقية فهو كذلك غير صالح الاستيطان
وأن الآخرة كالمنزل المخصب المربع الفناء ذي الكلاء والماء من وصل إليه
مستقيما على طريق الحق فائزا بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت في

الدنيا في طريق السفر وقطع منازل سبيل الله والاستعداد للوصول الى نحو
حضرته الشريفة محتملة وعثاء السفر اي مشقته وخشونة المطعم اي
غلظه قصدا الى سعة الدار لا يجد لذلك ألما ولا احب الخلاص منه لكونه وسيلة
الى مطلوبها الاعظم واما التمثيل الثاني فذكر فيه اهل الدنيا الذين
قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا عما وراءها ونسوا معادهم
ومثلهم بحي قوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب والمنزل
الخصيب هنا الدنيا لانها محل سعادة اهلها ولذاتهم والمنزل الجديب
هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا لدرك السعادة فيها ووجه
التمثيل هو ما في ذلك من الشر العظيم والحكم اللازم له هو ما ذكره من انه
ليس شيء اكره اليهم اي قولهم اليه ومفارقة الاعجاب للقوار مضادة
الرذيلة للفضيلة وكونه افقد الالباب باعتبار انه من الامراض النفسانية
المهلكة في الآخرة كما سبق بيانه والكدح الكسب والسعي فيما
ينبغي منه وهو كسب الفضائل وخزنه لغيره كناية عن رذيلة البخل و
استعار لفظ الطريق لما يستقبله الانسان من احوال الدنيا ويعبر عنها
الى الآخرة واحوالها مسافرا الى الله واشار بطولها وشدتها الى عسر
النجاة والسلامة من خطرها اذ كان ذلك انما يكون بلزوم القصد فيها
والثبات على صراط الله المستقيم فبالحري ان يكون ذا مسافة بعيدة
ومشقة شديدة وانه لا غنا فيه عن حسن الارتياد اي طلب ما يقوم مقام
الكلأ والماء من الكمالات العقلية الموصلة الى الغاية الحقيقية والزاد
هو التقوى وخفة الظهر اي من الرذائل والآثام والوبال الهلاك و
اشار بتحميل الفقراء الزاد الى ما يحصل له من ثواب الصدقة عليهم و
المواساة لهم وكذلك ثواب القرض واستعار لفظ العقبة الكؤود اي
الشاقة المصعد للطريق الى الآخرة باعتبار ما فيها من الصعود والارتقاء

٢٣٢ في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بالمشقة باعتبار ما
فيها من العسر وكثرة الموانع والمخف اي من ثقل الآثام والمبطئ اي عن
اقتناص الفضائل وارتاد اي طلب واذن تعالى في الدعاء وتكفل بالاجابة
في قوله تعالى ادعوني استجب لكم والانابة الرجوع ونزع عن الذنب
اي خرج منه وافضت وصلت والبث النشر والكشف وذات نفسك
حاجتك والشآبيب جمع شؤبوب وهي الدفعة من المطر ويقنطك يؤيسك
والفصل من الطف التأديب والاستدراج الى طاعة الله تعالى ومحبته
وهو واضح **الفصل الثالث** قوله واعلم انك انما خلقت للآخرة
لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك في منزل قلعة ودار
بلغة وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو هاربه ولا
بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة
قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا
انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه
وتفضي بعد الموت اليه فاذا انت قد اهلكت نفسك حتى يأتيك
وانت قد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا يأتيك بغتة
فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم
عليها فقد نبأك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها
فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا ويأكل
عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة
قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها
راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت
بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها
ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كأن قد و

وردت الاضغان يوشك مساءٍ عن ان يلحق واعلم ان من كانت مطيته
الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان
مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك و
انك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب فانه
رب طلب جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم
واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغايب فانك لن تعتاض بما
تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا
وما خير خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف
بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون
بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك وان اليسير
من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من غيره وان كان كل منه
وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما
في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يدك احب الي من طلب ما في يد غيرك
ومرارة الياس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من
الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر
ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم
بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا
كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح
وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها بضايع النوكى والعقل
حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون
غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غايب يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد
ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك التاجر مخاطر
ورب يسير انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل

الدهر

الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية
اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على
اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو و
عند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له عبد وكانه ذو
نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله
لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة
حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ارى جرعة احلى منها عاقبة
ولا الذ مغبة ولن لمن غالبك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك
بالفضل فانه احد الظفرين وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من
نفسك بقية ترجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق
ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ
من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد
فيك ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على
الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى
في مضرته وليس جزاء من سرك ان تسوءه واعلم يا بني ان الرزق
رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته اتاك ما اقبح
الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت
به مثواك وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل
اليك استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكن ممن لا
تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب و
البهايم لا تتعظ الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزايم الصبر
وحسن اليقين من ترك القصد جار الصاحب مناسب والصديق من
صدق غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد

من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن
اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله ومن
لم يبالك فهو عدوك قد يكون الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس
كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطا البصير قصده واصاب
الاعمى رشده واخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل
صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب
اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار
قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك عن
غيرك واياك ومشاورة النساء فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن
واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك فان شدة الحجاب ابقى عليهن وليس
خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا
يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان
المراة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها ان تشفع
لغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة
الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا تاخذه به
فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به
تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك
ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والاجلة والدنيا والاخرة
ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق وهو حسبنا **اقول** اشار بالامور التي
خلق لها الى غاياته ومنزل قلعة لا تصلح الى الاستيطان والدنيا دار بلغة
باعتبار ان الواجب في استعمالها قدر الضرورة التي يتبلغ بها الى الاخرة
دون الاستكثار منها اذ كانت طريقا اليها واستعار له لفظ الطريد باعتبار
طلب الموت له كالطريدة من الصيد ولازم الفوت وعدم غلبه والنجيد والاخلاد

الى الشيء السكون اليه والتكالب التواثب والمساوي العيوب والضراوة
تعود الصيد والجراءة عليه واشار بقوله فانما اهلها الى قوله صغيرها
الى اهل الدنيا باعتبار قوتهم الغضبية واتباعها وبقوله نعم معقلة
الى قوله وراءها الى اهلها باعتبار اتباعهم القواهم الشهوانية ثم
قسمهم الى قسمين فاستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا منهم بظواهر
الشريعة وتقيدوا بها عن الاسترسال الظاهر في الشهوات المحرمة في
الدين وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها صاحبها
واستعار لفظ المهملة للذين استرسلوا في اتباع شهواتهم مطلقا وخرجوا
عن طاعة امامهم وقوله عقلوها قيل اراد عقلها فاشبع الضمة فقلبها
واوا للمناسبة بين القرينتين والمجهول والمجهل المفازة التي لا اعلام
بها وواد وعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي واراد
بالعي الجهل ورويدا اي امهل واستعار لفظ الظلام لحجب الابدان وظلمات
هيئاتها الحاجبة لابصار البصائر عن ادراك امور الاخرة وهي وعيد بالموت
وما بعده وكنى بالاظعان عن المسافرين الى الله تعالى وكان المخففة من
الثقيلة ويفيد تقريب المستقبل من الامور وقوله يوشك من اسرع ان
يلحق ترغيبا في الاسراع السير في مراتب القرب الى الله تعالى بذكر الغاية وهي اللحوق
بمراتب السابقين ويحتمل ان يكون من تمام الوعيد بالموت وقربه اذ الناس
في جد الاسراع اليه على مطيتي الليل والنهار ومن كان كذلك فقريب لحوقه بمن
سبق والاجمال في الاكتساب ان يكون على وجه جميل وهو الوجه الذي
ينبغي والحرب سلب المال ونهيه عن التعبد للغير يستلزم النهي عن سببه و
هو الطمع وقوله فانك لن تعتاض عوضا صغرى ضمير تبين فيه علة الامر
باكرام نفسه وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب عليه ان لا يبذل نفسه في
الدنيا ويكرمها عنها والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واستعار لفظ المطا

للاطماع ووصف الوجيف لها باعتبار هجومها بالانسان على الهلاك الاخروي واستعار لها لفظ المناهل وهي الشرايع ومواد الشرب وقسم المدرك اي هو ما قسم الله له من رزق وغيره في كتابه المبين ولوحه المحفوظ وقوله د تلافيك اي تداركك الى قوله الوكا ارشاد الى حفظ اللسان وضبطه عما لا ينبغي من القول وقوله وحفظ ما في يديك الى قوله غيرك ارشاد الى الاقتصاد في المال وترك الاسراف الذي ما يستلزم من الحاجة الى الغير والحرفة ضيق الرزق والحمق قال الهجر وهو الفحش في المنطق وقوله المرء احفظ لسره اخبار في معنى الامر وفي قوله احفظ تنبيه على الفرق بين حفظ الانسان لسر نفسه وبثه ايداعه الغير وكذلك حفظ تعكر امره وقوله اذا كان الرفق الى قوله رفقا اي اذا كان استعمال الرفق وهو اللين في بعض المواضع كالخرق وهو العنف في كونه مفسدة ومفوتا للغرض كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزام المصلحة غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك الموضع ونحوه كقول ابي الطيب

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

وهو اخبار في معنى النهي عن وضع كل منهما في موضع الاخر ودونه تنبيه معنى اخر وهو انه اذا استعمل الرفق في موضع الخرق لزمه ذلك ان يستعمل الخرق في غير موضعه وهو موضع الرفق وذلك مما لا ينبغي وقوله ربما كان الدواء الى قوله دواء تنبيه على ان فعل بعض الامور قد يعتقد مصلحة وهو مفسدة وفي بعضها بالعكس ونحوه كقول المتنبي ربما صحت الاجساد بالعلل والنوكي الحمقى وقوله والعقل حفظ التجارب سمي للعقل العملي بعض كمالاته وصفاته وانما خص العلوم التجريبية لانها اصل عظيم فيما ينبغي ان يفعل والعقل قد يراد به قوة النفس وقد يراد به المصدر وهو فعل تلك القوة وهو محتمل الارادة ههنا والفرصة وقت امكان العمل للاخرة

والغصة

والغصة هو ما يلحق من الم الندم بعد فوت الفرصة والمهين الضعيف والقليل المتهم وقوله ساهل الى قوله فغودن لكما هلته بالجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه ولفظ العقود مستعار للوقت الذي تيسر فيه الامور وكذلك وضع الذلة باعتبار سهولة المطالب فيه وخص العقود باعتبار انه مظنة التفاخر بالكبر والزمان في مظنة التغير وقوله احمل الى قوله غير اهله امر ان يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الجميل للصنيعة على ان يقابل رذايله المعدودة بما يضادها من الفضايل والصرم القطيعة والجمود ضد البذل والمحض اي اخلص وحسنا او قبيحا في نظر النصوح والمعتبة العاقبة والمغالظة المحاشة وما بينك وبينه من المودة وقوله فانه ليس لك الى قوله حقه صغرى ضمير تقريره عن اضاعة حق الاخ انك اذا اضعت حقه لابد ان يفارقك وتقدير كونه مطلوبا حصوله على ثواب الصابرين في الاخرة والرزق المطلوب ما كان مبدوء الحرص في الدنيا والرزق الطالب للانسان هو المقدر له وفيه تنبيه على الاجمال في طلب الرزق والجفا قسوة القلب ومثوا من موضع افامته من الاخرة وعن ايرا العين باجرمت به منه وحسن اليقين اي بالله تعالى وهو ان يعلم يقينا ان كل صادر في الوجود فعلى وفق الحكمة الالهية ولانه لها وجار دخل في ذيله الجود وهو الانحراف عن فضيلة العدل وروى بالحاء ولفظ المناسب مستعار للصاحب باعتبار منفعته وقربه كالنسيب والصديق اي الخالص في صداقته وشريك العجي اي في كونهما لا يهتدي معهما الى ما ينبغي من المصلحة وضيق مذهب المتعدي باعتبار ان الغالب على الخلق اتباع اكثر لحقوق المتعدي عنه ماخوذا بالاقوال الذامة والافعال الرادعة مضيق عليه بها مسلكه وحيث سلك من الباطل ومن لا يبالي كل اي لا يهتم بامرك عند الحاجة اليه واستعار له لفظ العدو باعتبا

عدم المبالاة بالعدو وقوله قد يكون الى قوله هلاكا اي اذا كان الطمع في
امر يؤدي الى الهلاك كان اليأس منه ادراكا للنجاة وقوله ليس كل عورة
الى قوله رشده تنبيه على ان الامور الممكنة والفرصة مما يغفل الطالب
البصير بالامور عنه وجه طلبه فلا يصيبه ويهتدي له الاعمى الجاهل بما ينبغي
والعورة كالفرصة واعور الفارس اذا بدا منه موضع للضرب وقوله ومن
اعظمه اهانه فاعظامه من حيث انه مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها كالمطعم
والنساء والاخرة ونحو ذلك وبذلك الاعتبار يكرم ويستعظم واما الذم لها
من يستعظمه فلاستلزام اعظامه الركون اليه والاشتغال بما فيه من اللذات
ثم ان الزمان بعد ذلك يكون عليه بمقتضى طباعه فيزيل ما كان فيه من لذة و
خير ويبدله بالعزة هوانا وباللذة الما وقوله اذا تغير السلطان اي
في نيته وفضله تغير الزمان وذلك ان الزمان انما يحمد او يذم بحسب
ما يقع فيه من خير وشر وظاهر ان تغير السلطان من احدهما الى الاخر
يستلزم وقوع ما تغير اليه في وقت وقوعه وبحسب ذلك يكون تغير
الزمان وينسب اليه الخير او الشر الواقع بعد ان لم يكن والسابق الى
الفهم من التغير هو التغير من الخير الى الشر ولا حق بالسكون النقص و
الضعف وما جاوز نفسها هو ما عدا ما يحل لها مما يكره في عرف الشريعة
واستعار لها لفظ الريحانة باعتبار ان الغرض منها اللذة والاستمتاع و
كرامة نفسها بما يجب من كسوة ونحوها والصحيحة البريئة من الفساد و
غيرة الرجل على البرية واشعارها بتهمتها بالفساد مما يؤدي الى فسادها
لانها ربما تستحي من ذلك في اول الامر ويعظم عليها ذكره فاذا تكررت المواجهة
به هان عليها وصار في قوة اعتذاره والريب الشك واحرى اولى وتواكلوا
اي يكل كل منهم الامر الى صاحبه واليه تصير اي ترجع واكثر المقاصد في هذه
الوصية واضحة غنية عن الشرح والاستقصاء فيما مذكور في الاصل والله الموفق

ومن كتاب له عليه السلم الى معوية واردیت جيلا من الناس
كثيرا اخدعتهم بغيك والقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات
وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا
على ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من فاء من اهل البصائر فانهم
فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم على الصعب
وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معوية في نفسك وجاذب الشيطان
قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والاخرة قريبة منك اقول اردیت
اهلكت والجيل الصنف والغي الضلال واستعار لفظ الموج للشبهات
التي القاها معوية الى الناس كشبهة قتل عثمن وشبهة التحكيم ولفظ
الظلمات لتلك الشبه باعتبار عدم اهتداء الخلق فيها الى تخليص الحق
وجاروا عدلوا ونكصوا رجعوا واحسابهم ما يفخرون به من مال واصل وفاء
رجع ومعرفتك اي معرفتهم بك والموازرة المعاونة واستعار لفظ
الصعب من الابل ونحوه لما حملهم عليه من مخالفة الحق والبغي على الامام
الحق العادل ومن كتاب له عليه السلم الى قثم بن العباس رضي الله
عنهما وهو عامله على مكة اما بعد فان عيني بالمغرب كتب الي
يعلمني انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي القلوب الصم الاسماع
الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في
معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها باجل
الابرار المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله
فاقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه
المطيع لامامه واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند
البأساء فشلا اقول العين الجاسوس واراد بالمغرب الشام لانها من
الحدود المغربية والموجه للقوم وهو معوية والموسم موسم الحاج وقوله

العمر القول به لانها دارت رحال شدة غفلتهم عن الله تعالى وعن امور الآخرة و
الحق الملبوس هو ما يطلبونه من دم عثمن والباطل وجه ظلمهم له و
تجمعهم فيه وردها بدلهم الدنيا والفشل الجبن والضعف ومقاصد الكتاب
واستعاراته ظاهرة ومن كتاب له عليه السلم الى محمد ابن ابي بكر رضي الله
عنهما لما بلغه توجده من عزله عن مصر ثم توفي الاشتر في توجهه الى مصر قبل
وصوله اليها اما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك واني لم
افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا لك في الجد ولو نزعت ما تحت
يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤونة واعجب اليك ولاية
ان الرجل الذي كنت وليته امر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا
شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون
اولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك و
شمر لحرب من حاربك وادع الى سبيل ربك واكثر الاستعانة بالله يكفيك ما
اهمك ويعنك على ما نزل بك والسلم اقول الموجدة ما يجده الانسان
والجهد الاجتهاد واعجب احب واحظى الى اظهر وابرز وبصيرته علمه وتيقنه
انه على الحق وان خصمه على الباطل والتشمير كناية عن الاستعداد ومن
كلام له عليه السلم الى عبد الله ابن العباس رضي الله عنهما بعد
مقتل محمد ابن ابي بكر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد قد استشهد
فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا وقد
كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا
وعودا وبدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا
اسأل الله ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي
في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت ان لا ابقى مع هؤلاء يوما واحدا
ولا التقي بهم ابدا اقول احتسبه عند الله طلب به الحسبة بالكسر وهي الاجر

في الرتبة واستشهد كانه استحضر الله بالقتل وكونه ولدا باعتبار انه كان
ربيبا له عليه السلم وامه اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر ابن ابي
طالب فولدت له محمدا وعونا وعبد الله بالحبشة حين هاجرت معه اليها
وتزوجها بعد قتله ابو بكر رضي الله عنه فولدت له محمدا هذا ثم تزوجها
بعد وفاته علي عليه السلم فولدت له يحيى والكدح السعي واستعار لمحمد
لفظ السيف والركن باعتبار فايدته كفايدتهما وباقي الفصل واضح والله
الموفق ومن كتاب له عليه السلم الى عقيل ابن ابي طالب في ذكر
جيش انفذه الى بعض الاعداء وهو جواب كتاب كتبه فسرحت اليه جيشا
كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما فلحقوه ببعض
الطريق وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فما كان الا
كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم يبق معه
غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال و
تجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فانهم قد اجمعوا على حربي
كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي فجزت قريشا
عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سألت
عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني
كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو
اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام
للقائد ولا وطيء الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم

فان تسأليني كيف انت فانني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب

اقول طفلت الشمس بالتشديد مالت للمغيب وآبة لغة في غايبة وكلا
ولا لفظان قصيران عند التكلم بهما كالانقطاع كني بهما عن سرعته

الفعل لمشابهته في قصر الزمان لهما ونحوه قول ابن برهان المغربي
واسرع في العين من لحظة   واقصر في السمع من لا ولا
والموقف هنا مصدر والمريض المغموم الذي يبتلع ريقه على غصة من
الحزن والمخنق بالتشديد هو من العنق موضع الخنق بالكسر والرمق
بقية النفس واللاي الشدة وهو مصدر حذف عامله وما مصدرية
في موضع الرفع فاعلا لفعل المقدر اي فلاي لاياً بلاغ واي اشتد
وعسر وقوله بلاي تاكيد لاديا متصل بلاي والتركاض مبالغة
في الركض واستعاره لجري اذهانهم في الضلال عن سبيل الله وكذلك
لفظ التجوال والجماح وابن امه يعني النبي صلى الله عليه وسلم لانهما
ابناء فاطمه بنت عمرو بن عايذ بن مخزوم ام عبد الله ابو النبي وابي طالب
والمحلين الذين احلوا ذمة الله عز وجل ونقضوا عهده والواهن
الضعيف **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية فسبحان الله ما اشد
لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقايق
واطراح الوثايق التي هي لله طلبه وعلى عباده حجة فاما اكثارك
الحجاج في عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمن حيث كان النصر لك
وخذلته حيث كان النصر له **اقول** اراد بالحقايق ما هو حق في
نفس الامر ينبغي اتباعه من العقايد كاعتقاد امامته الحقة واتباعه و
قوله حيث كان النصر لك اي الان وانت منصور تنتصر له **ومن كتاب
له عليه السلم** الى اهل مصر لما ولي عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله
امير المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله تعالى حين عصي في ارضه وذهب
بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا
معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم
عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد

على

على الفجار من حريق النار وهو مالك ابن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له
واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة
ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان
تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن
امري وقد اثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم
اقول السرادق البيت من القطن وهو مستعار لما اشتمل من جور الظالمين
وعمهم والروع الخوف ونكل بالفتح ينكل جبن ومذحج كمجلس وهو ابو قبيلة من اليمن وهو
مذحج ابن جابر بن مالك بن نهلان بن سبا والظبة بالتخفيف حد السيف
ونبا السيف عن الضريبة اذا لم يقطعها وهو كناية عن صرامته وقوة باسه
والاحجام التاخر والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس وكني بشدتها
عن شدته وظاهره على العدو **ومن كتاب له عليه السلم** الى عمرو
ابن العاص فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك
ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت
فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه
من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق اخذت ادركت
ما طلبت فان يمكن الله تعالى منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما
وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما **اقول** كون دينه تبعا لدنيا
معوية لبيعته اياه بطعمة مصر وما اعطاه من مال وكون مجلسه يسفه فيه
الحليم لان دابه وبني امية شتم بني هاشم والتعرض بذكر اكابر الصحابة
من شيعتهم وذلك مما يسفه الحليم عن الثبات على سماعه والضرغام الاسد
ووجه التشبيه ظاهر والذي امامهما يلقيانه من عذاب الاخرة وهو شر
لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى **ومن كتاب له عليه
السلام** الى بعض عماله اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت

فعلته فقد اسخطت ربك وعصيت امامك واخزيت امانتك بلغني عنك
انك جردت الارض واخذت ما تحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع
الي حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس **اقول**
اخزيت امانتك اهنتها وجردت الارض قشرتها وهو كناية عن اخذ
جميع المال **ومن كتاب له عليه السلم** الى عبد الله ابن عباس
اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي
ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لموازرتي ومواساتي واداء
الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب
وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فتكت وشغرت قلبت
لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين
وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك اسيت ولا الامانة اديت وكانك لم
تكن تريد الله بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد
هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة
في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت من
اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى
الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متاثم من اخذه كانك لا
ابا لغيرك حدرت على اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد
او ما تخاف من نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي اولي
الالباب كيف تسيغ طعاما وشرابا وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما
وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين
الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله
واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن
الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله

لو ان الحسن او الحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة
ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما و 239
اقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي
اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت
تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة
ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص **اقول** المروي ان الكتاب الى
عبد الله ابن عباس كما هو في بعض النسخ حين كان واليا له على البصرة
والامانة هي ولاية امور المسلمين والشعار ما يلي الجسد من الثياب واستعار
لفظه باعتبار قربه منه وبطانته خاصته والموازرة المعاونة وكلب
الزمان شدته وحرب العدو اشتد غضبه وخزيت الامانة هانت وذلت
والفتك القتل على غرة وشغرت تفرقت وقوله قلبت الى قوله
المجن مثل يضرب لمن يكون مع اخيه فيتغير عنه ويقاتله واصله
ان الترس انما يقاتل به الرجل ويعطي ظهره في الحرب فكنى به عن تغيره عليه
وخروجه عن امره ولم يكن على بينة من ربه اي على ثقة من وعده ووعيده
ويقين من ذلك وغرتهم غفلتهم والشدة الحملة والازل خفيف الوركين ووجه
التشبيه سرعة الاخذ ورحيب الصدر كناية عن الفرح والسرور به ونقاش
الحساب استقصاؤه وادخل حسابه له في الفضلاء في حين كان بينهما على انه
لم يبق عنده كذلك وافاءه اي جعله فيئا والفيء الغنيمة والهوادة المصالحة
والمصانعة وقوله ضح رويدا كلمة يؤمر بها للتودع واصلها الرجل يطعم ابله
ضحى ويسيرها مسرعا فيسير فلا يشبعها فيقال ضح رويدا اي ممهلا والمدى
الغاية وهي الموت وما بعده والمناص المهرب والمخلص والنوص التخلص
وشبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل وقد جاءت حين مرفوعة على
انها اسمها ولا تستعمل لات الا مع حين وقيل التاء زائدة كهي في ثمت

وريب ومعاني الكتاب ظاهرة والله الموفق ومن كتاب له عليه السلام الى عمر
ابن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان
ابن عجلان الزرقي مكانه اما بعد فاني قد وليت نعمان ابن عجلان
الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك
فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا
متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت
ان تشهد معي فانك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود
الدين ان شاء الله تعالى اقول هذا كان ربيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد من
بني مخزوم والنعمن ابن عجلان من سادات الانصار من بني
زريق والتثريب التعنيف والظنين المتهم والله الموفق للصواب
ومن كتاب له عليه السلام الى مصقلة بن هبيرة الشيباني
وهو عامله على اردشير خرة بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد
اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته
رماحهم وخيولهم وارقيت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب
قومك فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن
بك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح
دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا الا وان حق من قبلك ومن
قبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون
عنه والسلام اقول اعتامك اختارك الطلبة وخفة ميزانه خفة منزلته
منزلته عنده وميزانا تمييز ومن كتاب له عليه السلام
الى زياد ابن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه
بنسبه وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره

فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله ليقتحم عليه غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان
في زمن عمر ابن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات
الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها
كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما قرا زياد الكتاب قال شهد بها
ورب الكعبة ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معوية قال السيد رحمه الله
الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا
محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح او ما
اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره اقول
زياد هذا هو دعي ابي سفيان وولاه علي عليه السلام فارس فضبطها وحماها
فكتب اليه معوية يخدعه باستلحاقه اخا له فعلم عليه السلام بذلك فكتب اليه
وغرب السيف حده والاستفلال طلب الفل وهو الثلم وهو كناية عن
كسر قوته في نصح علي عليه السلام واتيانه من الجهات الاربع كناية عن تمام حيلته في
الخديعة قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى ما من صباح الا ويقعد
الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم
فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن الاية ومن خلفي فيخوفني الضيعة على
مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ومن قبل يميني
فياتيني من جهة الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين ومن قبل شمالي فياتيني
من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون واما الفلتة من
ابي سفيان في ادعائه اياه فروي ان زيادا تكلم يوما بحضرة عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه فاعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو ابن العاص لله ابوه لو كان قرشيا لساق
العرب بعصاه فقال ابو سفين والله اني لاعرفه ولو عرفته لعرفت انه من خير
اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله وضعته في رحم امه فقال الفلتة تلحقه

قال اخاف هذا العين الجالس ان يخرق على اهابي يعني عمرو وحديث النفس
الوسوسة وكونها نزغة من الشيطان باعتبار انها على غير وجه شرعي
وفيها اقرارا بالزنا وشبه المتوقف في هذا النسب الذاهل فيه بامعان
بالواغل ووجه الشبه كونه لا يزال اهله يقاعدونه كما يدفع الواغل عن الشرب
وكذلك شبهه بالنوط المذبذب باعتبار انه لا يستقر نسبه والتذبذب
التحرك والتردد ومن كتاب له عليه السلم الى عثمن ابن حنيف الانصاري
وهو عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم منها فمضى اليها اما
بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مادبة
فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك
تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا
المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل
منه الا وان لكل ماموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم
قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك
ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم
تبرا ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى
كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السما فشحت عليها نفوس قوم وسخت
عنها نفوس اخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس
مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته اثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو
زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها
التراب المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي امنة يوم الخوف الاكبر
وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل
ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني
جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له

بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال
القائل وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد
اقنع من نفسي ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون
اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة
المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها
وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة
او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي
طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان الا
وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا والنابتات
العذية اقوى وقودا وابطا خمودا وانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على
قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجتهد
في ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج
المدرة من بين حب الحصيد ان شاء الله عز وجل اليك عني يا دنيا
فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت
الذهاب في مداحضك اين القوم الذين غررتهم بمداعبك اين الامم
الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود
والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في
عباد غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى
التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ
دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبائلك وفق والسالم
منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه
اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني و

ايم الله يمينا استثني فيها بمشية الله تعالى لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها
الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما ولأدعنّ
مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلي السايمة
من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض وياكل علي من زاده
فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة
الهاملة والسايمة المرعية طوبى لنفس ادت لربها فرضها وعركت بجنبها
بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا الكرى غلبها افترشت ارضها و
توسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم
جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم
ذنوبهم **اقول** المادبة بالضم الطعام يدعى اليه والعايل الفقير
والقضم الاكل وعلمه ليس على حلده وحرمته والطمر الثوب الخلق والطراة
كانا عامة ومدرعة قد استحيا من راقعها وقرصاه كانا من شعير غير منخول
واراد بالورع هنا الكف عن المحارم والوفر المال الكثير وفدك قرية
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة صالح اهلها عليها النصف
بعد فتح خيبر واجماع الشيعة على انه صلى الله عليه وسلم اعطاها فاطمة
عليها السلام في حياته فلما ولي ابو بكر الخلافة اخذها منها فارسلت اليه
تطلب ميراثها من رسول الله وتقول انه اعطاني فدكا في حياته و
استشهدت على ذلك عليا وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث
بخبر رواه وهو نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وعن
دعوى فدك لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم وانما كانت مالا للمسلمين
في يده يحمل بها الرجال وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها
ذلك لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها
حتى دخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين والانصار فضربت بيننا وبينه قبطية

ثم

ثم انّت انّة اجهش لها القوم بالبكاء فامهلت طويلا حتى سكتوا من فورتهم
ثم خطبت خطبة طويلة ذكرنا مختصرها في الاصل تشتمل على توبيخ و
توبيخ الجماعة وتقصيرهم في حقها ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا ٢٤٢
تكلم ابا بكر ولتدعون عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة واوصت
ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت ليلا هوانها بالنفوس
التي سخت عنها الى بني هاشم وقوله وانما هي اي وانما همتي وحاجتي
نفسي ورياضتها ورياضة النفوس ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها
عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها فالقوة الحيوانية التي هي مبدا
الادراكات والافعال اذا لم تكن مطيعة للقوة العاقلة كانت بمنزلة بهيمة
لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وتستخدم القوة العاقلة
في تحصيل مراداتها فتكون هي امرة والعاقلة مؤتمرة اما اذا راضتها
القوة العاقلة صارت مؤتمرة لها متمرنة على ما يقتضيه العقل
العملي ثم يامره وتنتهي بنهيه كانت عاقلة مطمينة لا تنفعل انفعال
متعلقة المبادي وكانت باقي القوى مسلمة لها اذا عرفت ذلك فنقول
لما كان الغرض الاقصى من رياضة الانسان نفسه انما هو نيل الكمال الحقيقي
ولا بد له من استعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية فكانت
للرياضة اغراض ثلاثة احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق
سبحانه وتعالى عن القصد وهو حذف الموانع الخارجية الثاني تطويع
النفس الامارة للنفس المطمينة فتنجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي
الى العلوي وتتبعهما ساير القوى فتزول الدواعي الحيوانية وهو حذف
الموانع الداخلية والثالث توجيه السر الى الجهة العالية لتلقي السوانح
الالهية واقتناصها ويعين على الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع
الحيوة الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في

ملكوت السموات والارض وعظمة الله سبحانه وتعالى والاعمال الصالحة المنوية لوجهه
خاصة وعبر عن هذه الامور المعينة بالتقوى التي يروض نفسه بها ونبه على
بعض لوازم الغاية بقوله الثاني الى قوله المزلق وهو الصراط المستقيم
والقمح الحنطة والجشع اشد الحرص على الطعام والمبطان عظيم البطن
من كثرة الاكل وعزتي خاليه وكبد حرى عطشى وخشونة العيش غلظه
والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة والاكتراش ملاء الكرش وتسدي ابي يهمل
والمتاهة موضع التيه والحيرة والروابع الاشجار نضارتها والعدية التي
لا تسقيها الا المطر وشبه نفسه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصنو
من الصنو وهي النخلتان يجمعهما اصل واحد وهو وجه الشبه وكذلك تشبيهه
منه بالذراع من العضد ووجه الشبه كونه فرعا عن رسول الله منه المعاونة
والمعاضدة كالذراع وتظاهرت تعاونت وقوله لما دعت اليها اي حين
القتال لكفرهم وعداوتهم للحق وقبح العفو عنهم حينئذ واشار بالشخص
المعكوس والجسم المركوس الى معوية وجعله مجرد جسم كناية عن خلوه عن النفس
الانسانية لابتاعه للكمالات الجسمانية دون العقلية وكونه منكوسا ومعكوسا
باعتبار انقلابه عن الامور العالية وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية
وانعكاس وجه عقله عن القبلة الحقيقية الى تحصيل الدنيا والعناية
بها واستعار لفظ المدرة له وحبت الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة
انه يخلص المؤمنين من وجوده بينهم لئلا يفسد عقايدهم ويستغويهم
كما يفعله اهل البيادر من تصفية غلاتهم من المدر وغيره واستعار لفظ
المداحض وهي المزالق لطرق تحصيلها التي هي مظنة الزلق والوقوع في
الرذايل المهلكة ولفظ المصاصين للموتى ملاحظة لشبههم في اللحود بالاجنة
في بطون امهاتهم وازور اخذ جانبا واعزبي ابعدي وهش له كذا انطلق
وجهه لشيء به والهشاشة طلاقة الوجه وكسر بالفتح يسهل بالكسر سهل

فبان والمعص الماء الجاري والربيضة الجماعة الرابضة من الغنم وقوله
وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على الشدايد يقال عرك فلان بجنبه الاذى
اذا اغمض عمن يؤذيه وصبر عليه واستعار وصف التقشع لزوال الذنوب
عن لوح النفس ملاحظة لشبهه بالسحاب المنجابة ووجه الشبه ظاهر والله
الموفق ومن كتاب له عليه السلم الى بعض عماله اما بعد
فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة
الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث من
اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك
الا الشدة واخفض للرعية جناحك والن لهم جانبك وآس بينهم في
اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا تطمع العظماء في حيفك
ولا ييأس الضعفاء من عدلك اقول النخوة الكبر والاثيم الآثم ولفظ
اللهاة مستعار للثغر لحاجته لمن يسده ويمنعه كالحيوان المفترس وهو
تجريد للاستعارة والضغث النصيب من الشيء واعتزم الرجل الطريق مضى
فيه لا ينثني واراد كل امر لا يعينك فيه الا الشدة فامض فيه بالشدة واس
اي سو ومن وصية له عليه السلم للحسن والحسين عليهما السلم لما ضربه
ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان
بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا الحق واعملا للآخرة
وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي
ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني
سمعت جدكما صلى الله عليه وسلم يقول صلاح ذات البين افضل من عامة
الصلاة والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم
والله الله في جيرانكم فانه وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم
والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة

فانها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك
لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله
وعليكم بالتواصل والتباذل واياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب
لكم ثم قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء
المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين الا لا يقتلن بي الا قاتلي
واذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب
العقور اقول يغبت كذا اذا زرته وزوي غب وذات البين كناية
عن الحالة الموجبة للافتراق واغباب افواههم ان يطعموهم يوما و
يتركوهم يوما والمناظرة المراقبة اي لم تراقبوا من الله ومن الخلق لانها لكم
امر دينكم وبيت ربكم اذ في المحافظة عليه عز بالله واعتصام به حيث
من اعاد الخلق لهم والتدابر التقاطع والتعادي وخوض الدماء كناية عن
كثرة القتل والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية
ان البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من
يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضى فواته وقد رام اقوام امرا
بغير الحق فتاولوا على الله فاكذبهم واحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة
عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا
الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكن اجبنا القرآن
الى حكمه اقول الوتغ بالتحريك ويوتغانه يهلكانه وما قضى فواته
هو نصرة عثمن التي كانت تنفع في حياته ولا يمكن دركها بعد فواتها
ويحتمل ان يريد الامال الدنيوية التي لا تدرك والذين راموا غير الحق
اصحاب الجمل وتاولهم على الله اظهارهم للتمسك في حربهم بما دل عليه القرآن

الكذب

الكذب بهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الطلب بدم عثمن واكذاب الله
تعالى لهم بذم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ووعيدهم اذ
نقضوا بيعته عليه السلام وقيل بنصره عليهم وقيل تاولهم على تمسكهم بقوله
تعالى اطيعوا الله ورسوله واولي الامر منكم وتسميتهم لمن نصبوه من قبلهم
اميرا اولي الامر فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة وتغتبط تسر وروي
يغبط يتمنى الناس مثل حاله وقد مضى ذكر التحكيم **ومن كتاب له
عليه السلام** اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها
منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال
فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو
اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام اقول اللهج بالفتح الحرص الشديد
وحاصل الكتاب التنفير عن الدنيا بذكر معايبها ثم ابرم اي احكم من
امورها وحفظت ما بقي من العمر كيلا يضيع في الباطل **ومن كتاب
له عليه السلام** الى امراء الجيوش من عبد الله علي امير المؤمنين الى
اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيره على رعيته فضل
ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده
وعطفا على اخوانه الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب
ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اوخر لكم حقا الا في محله ولا اقف
به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت
لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة ولا
تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا
لي على الحق وعلى ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم
لكم العقوبة ولم يجد له فيها عندي رخصة فخذوا هذا من امرائكم
واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلام اقول احتجز

امتنعوا واحفظ واستثنى الحرب لان الاعلام بها مظنة المفسدة من بعضهم
اما لكراهتهم لها او لخوف انتشارها الى العدو فيكون سبب حذره
وتاهبه ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد حرب قوم
ورّى بالسفر الى جهة اخرى وكذلك استثنى الحكم لان احكام الله
مشروعة في امضائها وتركها والذي لا يقف به دون مقطعه كالاحكام
المتعلقة بالمتخاصمين فانه لم يكن يقف فيها دون فصلها مراقبة
لاحد منهما والغمرات الشدايد والله اعلم ومن كتاب له
عليه السلم الى بعض عماله على الخراج من عبد الله علي امير المؤمنين الى
اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صاير اليه لم يقدم
لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم
يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في
ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا
لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الايمة ولا
تحشموا احدا من حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في
الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا
تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من الناس مصل
ولا معاهد الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه
لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليهم
ولا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة
ولا دين الله قوة وابلوا في سبيله ما استوجب عليكم فان الله سبحانه
قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت
قوتنا ولا قوة الا بالله اقول السفراء الرسل وتحشموا اي تغضبوا
وتخجلوا والمصلي المسلم والمعاهد الذمي والشوكة القوة والضمير في عليهم

لاهل

لاهل الاسلام وابلوا اي اعطوا يقال ابليته معروفا اي اعطيته
وقوله اصطنع الى قوله ان نشكره اي جعل شكرنا له صنيعة عندنا
ووفقنا لذلك وقيل اراد لان نشكره وبالله التوفيق ومن كتاب
له عليه السلم كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلاة اما بعد
فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز وصلوا
بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان
وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصايم ويدفع الحاج وصلوا بهم
العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل
يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلاة اضعفهم ولا تكونوا فتانين
اقول في الشمس رجوعها عن القيام وزوالها وبيضاء لم تصفر للمغيب
والعضو هنا القطعة والضمير في قوله فيها اما للشمس او للعضو باعتبار
كونه قطعة ويدفع الحاج اي يفيض من عرفات ولشهرة العلامتين
عرف بهما ويتوارى الشفق اي من المغرب وصلاة اضعفهم كناية عن
الصلاة الخفيفة التي يقدر على القيام بها الشيخ الهرم والضعيف
وفتانين اي باطالتنا الصلاة والقراءة فانها تشبه الابتلاء بالامرالشاق
المعجز للضعفاء عن صلاة الجماعة ولزومها ومن عهد كتبه للاشتر
النخعي رحمه الله لما ولاه مصر واعمالها حين اضطرب امر اميره محمد ابن
ابي بكر رضي الله عنهما وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن اقول
في هذا العهد فصول الفصل الاول قوله بسم الله الرحمن
الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين مالك ابن الحارث الاشتر
في عهده اليه حين ولاه مصر جبوة خراجها وجهاد عدوها واستصلاح
ارضها واهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع
ما امر به في كتابه من فرايضه وسننه التي لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى

الا من جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه سبحانه
وتعالى قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر من نفسه
عند الشهوات ونزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا
ما رحم الله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول
قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك مثل ما كنت تنظر
فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل
على الصالحين بما يجري الله لهم على السنة عباده فليكن احب الذخائر
اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان
الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية
والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم
فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم
الزلل وتعرض لهم العلل وتوتى على ايديهم في العمد والخطا فاعطهم
من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك
فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك
امرهم وابتلاك بهم لا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك
بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن
بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن
اني مومر امر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من
الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر
الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان
ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفي اليك بما عزب عنك
من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه في جبروته فان الله يذل
كل جبار ويهين كل مختال انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة

اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد
الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان
لله حربا حتى ينزع او يتوب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل
نقمته من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين
بالمرصاد وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل
واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضاء الخاصة و
رضاء الخاصة يغتفر مع رضاء العامة وليس احد من الرعية اثقل
على الوالي مؤونة في الرخاء واقل له معونة في البلاء واكره للانصاف
واسال بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطا عذرا عند المنع و
اضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين
وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك
لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشناهم عندك
اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها
ولا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم
ما غاب عنك واستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره
من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر
وتغاب عن كل ما لا يصلح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي
غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن
الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره
بالجور فان البخل والجبن والجور والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله
تعالى شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا
يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم
خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم

ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤونة واحسن
لك معونة واحنا عليك عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة
لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق واقلهم مساعدة
فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع و
الصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك
بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا
يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل
الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم
ما الزم نفسه واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن والي برعيته من احسانه
اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له
قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان
حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن
حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا
تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة
وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك
السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر
مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك
واقامة ما استقام به الناس قبلك **اقول** النخع قبيلة من مذحج و
جبوة بدل مصر ونزعها يكفها اي يردها ومن نفسه الامارة بتطويعها للعقل
واستعدادها وصغ الجماح باعتبار دخولها جماحا عن طاعة العقل فلا يملكها
سائسها الجموح ورسم الشح بالنفس انه الانصاف منها وهو تعريف له
ببعض لوازمه اذ كان الانصاف منها ملازما للفضيلة بها عن عذاب الله و
يفرط يسبق والآداب العلل التي تعرض لهم الامور المشغلة الشاغلة

لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجوهها وقوله من العرف ثم
تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك
شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم
الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم
اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم
موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم
في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من
خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك
عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة
امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم
فافسح في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذو
البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل
ان شاء الله ثم اعرف لكل امرء منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرء الى غيره
ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرء الى ان تعظم
من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرء الى ان تستصغر من بلائه ما كان
عظيما واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه
عليك من الامور فقد قال الله سبحانه وتعالى لقوم احب ارشادهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول والرد الى الله الاخذ
بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة
ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به
الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه
ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات

واخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور
واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه الاطراء ولا يستميله اغراء واو
لئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل
معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره
من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا
بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى
وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم
محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة
والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم
اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور
نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح
انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا
امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق
والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال
الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى
خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا
فبسطت عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام
المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة ثم تفقد امر الخراج بما
يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن
سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك
في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك
الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد
ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او

بالة

بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجوا
ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذ
خر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك
حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما
ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و
رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه
طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من
اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء
ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على
امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم
لوجود صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف
لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك واصدار
جواباتها على الصواب عنك وفيما ياخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقدا
اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر
نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم
لا يكون اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن
منك فان الرجال يتعرفون لفراسة ولاة الامور بتصنعهم وحسن
خدمتهم ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما
ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة
وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لراس كل
امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان
في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات
واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم

مؤآة المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك و
بحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترون
عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم
بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا
وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة
وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين
من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك فنكل وعاقب في
غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم
والمساكين والمحتاجين والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا
فاحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت
مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل
الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم شاغل
نظر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص
همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه
العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية و
التواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم
تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر
الى الله في تادية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن
ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله
ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق
موعود الله لهم اقول قسم الناس الى طبقات سبع لا يصلح بعضها الا
ببعض كما بينه واهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس تفسير

لاهل

٢٤٩

لاهل الجزية والخراج معا لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر
المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذي سماه الله لكل منهم استحقاقه
في كتابه اجمالا من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة
وحده الذي وضعه الله عليه عهدا امضاه من سنته ومنزلته من الناس
مثلا الجندي له مرتبة ومقام من العمل حده واخذ عليه عهده من الله في
النصيحة والقيام بطاعة الله فيه وفريضته ولزومه للعمل بذلك
وكذلك سائر الطبقات والمعاقد جمع معقد مصدر كعقود المبايعات
والانكحة ونحوها واحكامها تعود الى القضاة وجمع المنافع يعود الى
العمال والضمير في يعملون يعود الى الصنفين والمرافق المنافع والكف
المستنفعة والرفق المعونة ويحوطه يحفظه ونقاء الجيب كناية عن الامانة و
يستريح الى العذر اي بقبوله وينبو عن الاقوياء اي يعلو عليهم ولا يميل
بهم على من دونهم ولا يثيره العنف اي لا يكون له عنف فيثيره وقيل لا
يثيره عنف الغير ولا ينزعج منه ولا يقعد به الضعف اي لا يكون ضعيفا
يقعده ضعفه عما ينبغي ما يعده من المآثر والمكارم والحسب الكفاية
والنجدة فضيلة تحت الشجاعة والعرف المعروف وتفاقم الامر اشتد
وصعب ولطيف امورهم صغيرها وجسيمها عظيمها اي لا تدع تفقد
حاجاتهم الجزئية اعتمادا على قضائك لحاجاتهم الكلية في العطاء العام و
معونتهم فقد وجدت غناءه والخلوف المتخلفون عنهم وحيطتهم
شفقتهم والتماحك التلاجج الغالب وتمحكه يغلبه وضاق به الامر اذا
لم يتسع عليه وتمحكه الخصوم تغلبه على الحق باللجاج وهو اللجاج واللداد
والحصر الوقوف من العي والتبرم التضجر وتكشف الامور ايضاحها ويزدهيه
الاطراء اي ينفعل فيه كثرة المدح الزهو والكبر ويزيح علته يزيل عذره
وما يكون علة في عجزه عن القيام بالقضاء والاغتيال الاخذ على غرة ويدخل

فيه الغيبة ونحوها ولا تشرا الولاة قبلك ولا تولهم محاباة اي معاطاة
واثرة اي استبدادا لمن يأخذ من تخص شيئا ويوليه امرا ويستبد بذلك
دون مشاورة فيه وجماع من شعب الجور والخيانة اي جماعة منها اما
انهم من شعب الجور فللخروج بهما عن فضيلة العدل المامور به شرعا
وهو التحري في طلب الولي الاصلح للبلاد والعباد ولا قوم بطاعة الله فيها
واما انهما من شعب الخيانة فلان من الدين التحري في طلب الولي الاصلح وهو
امانة فعدم التحري في ذلك خروج عنها الى رذيلة الخيانة والتوخي طلب
القصد والثلم الكسر وكني به عن الخيانة بوهدة الهمراي حيث والضمير في
عما كانت عليه حالة الاستواء فلم يجبر دعمها ولم يتم نحلها واجحف بها ذهب
وتبجحك اي اظهار سرورك وفخرك ومعتمدا اي قاصدا ولاجمام الراحة
والرفق ضد العنف والاعوار الفقر وسطوتهم بالبقاء اي بقاء العمل
في ايديهم وقوله ولا يضعف لجي قوله الامور اي يكون ممن اذا
عقد لك عقدة امر احكمها واذا عقد عليك غيرك امرا قام بحله ولا يجهل
في امر لا يبعد معرفته واستنام الى الامر سكن اليه واعتمد عليه وقوله
ليس وراء ذلك اي تمنعهم لفراسة الولاة واعتمد اي قصد وتغابيت اي
تغافلت والتزمته اي عند الله وفي الاخرة ولما اوصى بالتجار وذوي
الصناعات نبه على ذلك بضمير من صغر الاول قوله فانهم مواد المنافع الى
قوله محترزون عليها وذلك اشارة الى وجود المنفعة منهم و
صغرى الثاني قوله فانهم سلم الى قوله غائلته واشار بذلك الى
عدم المضرة فيهم والمترفق ببدنه طالب المنفعة بصنعته والمطارح
جمع مطرح وهي الارض البعيدة ولا يلتئم الناس اي مواضعها اي في
مواضعها وذلك كالجبال والبحار والضمير في مواضعها للمرافق والبائقة
الداهية والغائلة الشر والضيق البخل والاحتكار حبس المنافع عن

الناس

الناس عند الحاجة اليها وورود النهي الشرعي عنه ذكر في الاجناس التي
يعم نفعها وتكثر الحاجة اليها وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب
والسمن والملح والفكر في البياعات ان يبيع على حكمه بمجرد الغرض
من غير رجوع الى شرعية او عرف وقارف كذا اي اكتسبه وفعله
والحركة بالضم الاسم والبؤس الشدة والقانع السائل يقنع بما يطعم
ويعطى والمعتر الذي يتعرض للعطاء من غير سؤال والصوافي جمع
صافية وهي ارض الغنيمة والاقصى والادنى اي لا يبعد عنك والادنى
منك والبطر تجاوز الحد في الفرح والنشاط واراد ان لا تكون كذلك بطرا
فيما انت فيه من كامرة فتشتغل عنهم والتافه الشيء القليل وتشخص همك
ترفعه وتصعر الخد امالته وتقتحمه العيون تزدريه واعتد الرجل
اذا عده وذوي الرقة في السن العاجزون الذين دقت حالهم عن تحصيل
المعاش ولا ينصب للمسألة لا تنفر اي حياء وتعففا **الفصل الثالث**
في اوامر ونواهي مصلحية واداب خلقية وسياسية بعضها خاصة بنفسه
واحوال عبادته وبخاصته وعمالها الى غير ذلك وهو قوله واجعل
لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا
عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من
احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ
للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي و
نح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب
لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم
امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك
ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور اعوانك

وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين
الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت
فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك
اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك
ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا
من بدنك ما بلغ فاذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا
مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال
صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد هذا
فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة
من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما
احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح
الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا
يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف
بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت
نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم
تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا
من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة
مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم
استيثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم مؤونة اولئك بقطع تلك الاحوال
ولا تقطعن لاحد من خاصتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد
عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته
على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة
والزم

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا
ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك ٢٥١
منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم
بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك اعذارا تبلغ فيه
حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك فيه رضا
فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن
الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل
فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدو
ك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفا وارع ذمتك
بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله
سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت
آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم
دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك
ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا
جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد
برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال
ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن
على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد
الله الى طلب انفساخه بغير حق فان صبرك على ضيق ترجو انفراجه
وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة لا
تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس
شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة
من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد

فيما تسافكوا في الدماء يوم القيمة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام
فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله
ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطاء و
افرط عليك سوطك او يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتله
فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك
والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من
اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسن واياك
والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك وان تعدهم فتتبع
موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور
الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس فان الله سبحانه
يقول كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اياك والعجلة
بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها واللجاجة فيها اذا
تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع
كل عمل موقعه واياك والاستيثار بما الناس فيه اسوة والتغابي
عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك وعما قليل
تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية
انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل
ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار
ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب
عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة
او اثر عن نبيك او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا
به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا و
استوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكي لا يكون لك علة عند تسرع

نفسك الى هواها ومن هذا العهد وهو آخره وانا اسال الله تعالى بسعة
رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه
رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في
العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان ٢٥٢
يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلام على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا اقول الشرط
العلامة وسمي الشرطة بذلك لاعلامهم انفسهم بعلامة يعرفون
بها والتقديس التطهير والخرق العنف في القول وهو ضد الرفق
والضيق سوء الخلق والاكناف جمع كنف جوانبها والامور مبتداة قد مضى اي
ثم هنالك امور ولتى يحرج صدور اعوانه عن عجز هم عن امداد
ما يرد عليهم واجزل اعظم والجزيل العظيم وقوله وان كانت
كلها لله الى قوله الرعية اشارة الى ان حسن التدبير في الولاية
عن الامام الحق عبادة ومنفرا اي بطول الصلاة والضيع منهم
للولاة وقوله فيقصعن الى قوله القبيح اشارة الى المفاسد
اللازمة من الاحتجاب والضمير في عنده للرعية ومعنى الامر الكبير كان
يظلم القوي فيصغر الناس جريمته وكان الضعيف كان يقع من بعض
الضعفاء صغيرة فيعظمها الناس وكذلك قبح الحسن وحسن القبيح
والسمات العلامات وتلك الاحوال اشارة الى الاستيثار والتطاول
وقلة الانصاف والحسم القطع واسباب تلك الاحوال هو ما اشار اليه
ونهى عنه من اقطاع القطايع لحاشيته وخاصته وهي قرابته والاعتقاد
العقد وكني بها عما يقتنى من الضياع والعقدة الضيعة والمكان كثير
الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتناها ومن لزم اي الحق ومحتسبا
اي متقربا به الى الله وقوله واقعا ذلك اي الزم الحق وحيث وقع اي

من سخط او رضى منهم وعاقبته هو ثواب الآخرة والذكر الجميل ومغبة ذلك
عاقبته المذكورة واصحر اظهر والدعة الراحة ولما استوبلوا اى ولما
وجدوه من الوبال في عاقبة الغدر وهو وخمها وسوءها وخاس بالعهد
نقضه والختل الخداع ونبه على ان الخداع بالمعاهدة والغدر فيها جراءة
على الله تستلزم الشقاوة بقوله فانه الى قوله شقي وفيه تنبيه على
ضمير تقدير صغراه فانهم بذلك مجترؤون على الله وتقدير كبراه وكل مجترئ
على الله تلزمه الشقاوة لا حرويه واقصاه اوسعه وبسطه ويستفيقون
ينعطفون الى جوانبه ولزومه والادغال الافساد والمدالسة مفاعلة
من التدليس والعلل الاحداث المفسدة للعهود ونحوها ولحن القول
كالتورية والتعريض فيه كما ادعاه طلحة في بيعته لعلي عليه السلم ولا تستقبل
فيهما دنياك ولا آخرتك اي لا يكون لك فيهما خير تستقبله لانه لا يستقبل
ويتلقى الا الخير وروي يستقبل بالباء اي لا يكون لك من تلك البيعة
اقالة في الدنيا ولا في الآخرة وآخرى اولى والقود قتل القاتل بالمقتول
وافرط سبق والوكزة مثل الضربة والدفعة وقيل هي الضربة بجمع اليد
ولا تطمعن اي لا ترتفع والفرصة امكان الشيء من نفسه والتزيد
اظهار الزيادة مع عدمها في معرض الافتخار ونهى عن المن والتزيد
والخلف بضمائر ثلاثة وتقدير كبرياتها وكل ما كان كذلك فلا يجوز
فعله ونبه على صغرى الثالث بقوله الخلف الى قوله الناس بضمير
صغراه قوله فان الله سبحانه الى قوله تفعلون وقولهم ما لا
يفعلون هو الخلف وتقدير كبراه وكل ما وعد الله المقت على
فعله اوجب فعله المقت عند الله وعند الناس والعجلة في الامور
قبل اوانها واللجاجة في طلبها اذا تنكرت اي لم يعرف وجه تحصيلها و
تغيرت هو طرف الافراط في طلبها والتساقط فيها والقعود عنها عند
امكانها

امكانها والوهن عنها او عنده وضوحها طرف التفريط والتقصير فيها و
هي رذايل منهي عنها والحق هو الوسط من هذين الطرفين وكذلك
وضع كل امر في موضعه واسوة اي سواء والتغابي التغافل ويجب بداى
ما ينبغي العناية به من رد المظالم الواقعة منك او بسببك وانشاد
بالغطية الامور اي غطاء البدن وهيا به الحاجبة لحقايق الامور ان
يدركها بعين بصيرته وحمية الانف الغضب والانفة وسورة حدة
غضبه وبأسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة النطق و
العقوبة والعلة التعلل بما يشبه العذر واحكم ان تقاصد هذا
العهد واحفظ بينته ولا مزيد على ما اودعه عليه السلم فيه من الحكمة
الخلقية والمدنية والسياسة وكمالات القوة العملية التي ورثها
الانبياء والمرسلون اوصياءهم والحكماء السابقون من بعدهم
ولقي بذلك شرفا وفضلا وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه
السلم الى طلحة والزبير مع عمران ابن الحصين الخزاعي وذكر هذا الكتاب ابو
جعفر الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان كتمتما
اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني فانكما ممن ارادني
وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فان كنتما
بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني
كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما
المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان دفعكما
هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد
اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف
عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا
ايها الشيخان عن رايكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار

والنار اقول خزاعة قبيلة من الازد والاسكاف منسوب الى اسكاف رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عليه السلم وقوله ثم يلين من كل امر اي من الائمة والعام بقدر ما احتمل من الاثم والعذر والعرب تعير بالغدر ونقض العهد كثيرا والمعنى ظاهر ومن كتاب له عليه السلم الى معوية اما بعد فان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الاخر فعدوت على طلب الدنيا بتاويل القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الاخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين اقول اراد بالسعي فيها السعي المذموم في طلبها لنفسها وقد سبق معنى ابتلاء الله لعباده ووجه كونه عليه السلم حجة على معوية دعاؤه اياه الى طاعة الله تعالى فذلك حجة الله عليه ان يقول يوم القيمة اني كنت من الغافلين ووجه كون معوية حجة عليه عصيانه ومحاربته اياه حتى لو قصر في مقاومته كان ملوما فكان معوية حجة الله على تقصيره في طاعته وعدوت يحتمل ان يكون من العدو وهو الجري او من العدوان وتاويل القرآن كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص لعثمن وتاويله لذلك بادخال نفسه فيه وطلب القصاص وانما دخل بالتاويل لان الخطاب خاص بمن قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن وليا دمه فتناول الاية بالعموم ليدخل فيها ولم تجن يدي اي من القتل والمشاركة فيه وعصبته علقته

والتأليب التحريض والقارعة الداهية والدابر المتأخر من النسل والالية اليمين وباحة الدار ساحتها وفي وعيده بعد ما انتهك عنه الى الغاية المذكورة بلاغ في التخويف والانذار ومن كلام له عليه السلم وصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا اقول لا تأمنها على حال اي لا تركن اليها البتة لانها غرور ونفسه لتي امر بكفها الامارة بالسوء والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والرادع الذي يرد الشيء اقبح الرد والواقم القهر والاذلال وكذلك القمع ومن كتاب له عليه السلم الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني اقول الحي القبيلة وقوله اما ظالما الى قوله عليه من باب تجاهل العارف اولان اهل الكوفة لم يكن بعد ظهرت لهم القضية ليعرفوا الظالم من المظلوم ومن بلغه مفعول اول لاذكر وآخر لطوله ولما مشددة بمعنى الا ومخففة هي ما زائدة دخلت عليها لام التاكيد اي لينفرن الي وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى اهل الامصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يستزيدوننا الامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمن ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم باطفاء

النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق
في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب وركدت
ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها فينا و
فيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم فاجبناهم الى ما دعوا
وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم
المعذرة فمن تم منهم على ذلك فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن
لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة
السوء على راسه **اقول** يروى بدء امرنا اي مبدأه والنائرة العداوة
وقوله فقلنا الى قوله مواضعه كناية عن دعائه لهم الى حقن الدما
بترك الحرب وقوله تعالوا الى قوله المكابرة كناية عن ابائهم ومخالفتهم
له وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمست اشتدت وروى بالشين المعجمة
اي التهبت غضبا واجابتهم الى دعاهم اليه طلبهم للصلح وحقن الدما
صبيحة ليلة الهرير كما سبق واجابته لهم في رضاه بالتحكيم وظهور الحجة
عليهم برجوعهم الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفي
ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمن اذ كان سكوتهم عن
دم صاحبهم لاحق لهم فيه استعمل من سبعين الفا من المهاجرين
والانصار والتابعين باحسان ومن تم على ذلك اي الصلح والرضا به
فهو الذي انقذه الله اي اخلصه من الهلكة ومن لج اي في انكار القتل
وتحكيم كتاب الله وتمادى على ذلك اي اقام عليه وهم الخوارج واستعار
لهم لفظ الراكس وهو المردود مقلوبا باعتبار انتكاس عقولهم
في ظلمة الجهل والشبه الباطلة بعد استنارتها وظهورها بنور الايمان
وانتكاسهم في العقوبة بالقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة كقوله
تعالى والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى عقوبة كفرهم ومن

كتاب

٢٥٥

كتاب له عليه السلم الى الاسود ابن قطبة صاحب جند حلوان
اما بعد فان الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل
فليكن امر الناس عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور عوض من
العدل فاجتنب ما تنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك
راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها
قط فيها ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيمة فانه لن يغنيك
عن الحق شيء ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية
بجهدك فان الذي يصل اليك من ذلك افضل من الذي يصل بك والسلم
اقول ما تنكر امثاله اي من غيرك ولم تفرغ اي من العمل في طاعة الله
وحفظ نفسك اي في الاخرة والاحتساب على الرعية اي بالاخذ على ايديهم
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله فان الذي الى اخره صغرى
ضمير تنبه به على وجوب الاحتساب والمعنى ان الذي يصل اليك من قبول ثواب
العمل بذلك افضل مما يصل الى الرعية من عدلك واحسانك اليهم ومن
كتاب له عليه السلم الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد
الله علي امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال
البلاد اما بعد فاني سيرت جنودا هي مارة بكم ان شاء الله وقد
اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى وانا ابرأ الى
ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا الى
شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما على ظلمهم وكفوا ايدي سفهائكم عن مضادتهم
والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا الي مظالمكم
وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبي اغيره
بمعونة الله ان شاء الله **اقول** الشذى الشر ومعرة الجيش مضرته
ونكلوا اجنبوا وخوفوا وما استثنيناه منهم هو جوعة المضطر وكونه بين

اليكم

لكم

اظهر بجيش كناية عن كونهم مرجعا لهم وعزا لكم غضبكم **ومن كتاب له**
عليه السلم الى الكميل ابن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع
من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما
ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وان تعاطيك الغارة على اهل
قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش
عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على
اوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر
شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره والسلم **اقول** المتبر
الهالك الفاسد والشعاع المتفرق واستعار له لفظ الجسر باعتبار
عبور العدو اليه الى عمله وشدة المنكب كناية عن القوة على الدفع و
الثغرة والثغر الفرج من البلدان تحتاج الى السد بالرجال والشوكة
القوة **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل مصر مع مالك الاشتر
رحمه الله لما ولاه امرتها اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين فلما مضى صلى الله
عليه وسلم تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي
ولا يخطر على بالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وسلم
عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني فما راعني الا انثيال الناس على فلان من بعده
يبايعونه فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن
الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وسلم فخشيت ان لم انصر
الاسلام واهله ان ارى فيه هدما او ثلما تكون المصيبة به علي اعظم
من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول
السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل
وزهق واطمأن الدين وتنهنه واني والله لو لقيتهم واحدا واحدا وهم

طلاع الارض كلها ما باليت بهم ولا استوحشت واني من ضلالهم الذي
هم فيه والهدى الذي انا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من
ربي واني الى لقاء الله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى
ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا
وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي شرب
فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له
على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم
وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ابيتم وونيتم الا ترون الى اطرافكم
قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى
بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى
الارض فتقروا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكون نصيبكم الاخس ان
اخا الحرب الارق ومن نام لم ينم عنه والسلم **اقول** المهيمن الشاهد
والروع بالضم القلب وكذلك البال والانثيال الانصباب وفلان هو
ابو بكر رضي الله عنه وراجعة الناس الذين رجعوا عن الدين و
ارتدوا في خلافته والمحق الهلاك والثلم الكسر وتلك الاحداث
وقايع العرب الذين ارتدوا وزاح ذهب وزهق اضمحل وتنهنه اتسع
وطلاع الارض ملاؤها والتأليب التحريض وآراد بالسفهاء والفجار بني امية
والدول بالضم جمع دولة بالضم والفتح وربما خص الضم بالمال
والفتح بالحرب وهو ان يصير المال او الغلبة مرة لهذا ومرة لهذا والخول
العبيد والذي شرب الحرام من بني امية هو المغيرة ابن شعبة في عهد
عمر بن الخطاب حين كان واليا من قبله على الكوفة فانه شرب الخمر وصلى
بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر في المحراب فشهدوا عليه وجلد
الحد وكذلك عتبة ابن ابي سفيان جلده في الخمر خالد بن عبد الله بالطائف

والرضائخ جمع رضيخة والرضيخة العطية والذي رضخ له قيل هو ابو
سفيان وابنه معوية كانا من المؤلفة قلوبهم ليميلون الى نصرة
الدين بالعطا وقيل هو عمرو بن العاص حين اطعمه مصر على حرب علي
عليه السلام والتاليب الجمع والتحريض والتانيب التعنيف واللوم وونيتم
فترتم والونى الفتور والضعف والتباطي عن الامر وتزوي تقبض وتجمع
وتعروا بالخسف تصونوا بالدنية والنقصان وتبووا ارجعوا وباء بكذا
رجع به والارق كثير السهر وهو كناية عن التيقظ في الامور المهتم بها و
بالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى ابي موسى الاشعري وهو عامله
على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لحرب اصحاب
الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد فقد
بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك
واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك وان تحققت فانفذ
وان تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين من حيث انت ولا تترك حتى يخلط
زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك
كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجوا ولكنها الداهية الكبرى ي
يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك وخذ
نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا في نجاة فبالحري
لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق مع محق وما
يبالي ما صنع الملحدون اقول تثبطه عن الامر شغله عنه واقعاده و
القول الذي هو له وعليه هو تثبيطه الناس عن النهوض الى حرب البصرة
بقوله ان ذلك فتنة وما كان يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم في
القعود عن الفتنة وهو له باعتبار ظاهر الدين وعليه باعتبار انه تنفير عن
طاعة الامام الحق واجب الطاعة وخروج عنها بالجملة وذلك عائد على فاعله

بالمضرة

بالمضرة الاخروية والدنيوية ورفع ذيله وشد مئزره كناية عن التشمير في
المسارعة الى امره واستعار لفظ الجحر لبيته ملاحظة لشبهه بالثعلب في
نحوه واندب اي ابعث وقوله وان تحققت الحق فيما نحن فيه من هذا الامر و
صحته ووجوب المتابعة فيه فانفذ في ذلك وامض فيه وان تفشلت اي
جبنت وضعفت عن معرفة ذلك فابعد عنا وعنه وقوله حتى
يخلط الى قوله بجامدك كالمثلين كنى بهما عن خلط احواله الصافية بالكدرة
كعزته بذلته وسروره بغمه وسهولة امره بصعوبته والقعدة هيئة
القعود وانما جعل الحذر من خلفه اصلا في التشبيه لانه المعتاد في
الحذر وهو كناية عن غاية الخوف وقيل اراد حتى تخاف من الدنيا
كخوفك من الاخرة وقوله وما هي بالهوينا اي وما القصة الماعهودة
بالهينة السهلة وقوله يركب جملها الى قوله جبلها اي يركب الجمل
فيها ويذل الصعب الذاهل ولفظ الجبل مستعار للثابت من الرجال
الرابط الجاش ويسهل اي يلين فيها ويذل كل ذلك كناية عن شدتها
وعقلك مصدر يقال فلان عقل عقله اذا ارجع نفسه كانه شغل بنعوه
بالشيء فيتقيد اي اعقل عقلك بهذه المحنة العظيمة وقيل هو مفعول
به واعقله ماخوذ من العقال اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة
الحق ولا تفرقه فيما لا ينبغي ونصيبه من حظه اي من طاعة الله و
قوله بالحري لتكفين اي فبالجدر والاولى ان تكفي مؤنة هذا الامر
وانت نائم عن طاعة الله حتى لا يسال عنك ولا يلتفت اليك والضمير في
انه للامر المدعو اليه والحق في الدين مال عن الاستقامة فيه والله اعلم
ومن كتاب له عليه السلام الى معوية جوابا عن كتاب منه اما
بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم
امس انا امنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا

كنفا وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حزبا وذكرت انى قتلت طلحة والزبير وشردت بعايشة ونزلت بين
المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه لك وذكرت
انك زايري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك
فان كان فيك عجل فاسترفه فاني اذ ازرك فذلك جدير ان يكون بما
بعثني الله للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد
مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود
وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد
فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى ان يقال لك انك
رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك
ورعيت غير سايمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه فما ابعد
قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة وتمني
الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وسلم فصرعوا مصارعهم حيث علمت
يد فعوا عظيما ولم يمنعوا حريما لوقع سيوف ما خلا منها الوغا ولم تماشها
الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس ثم
حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريد فانها خدعة
الصبي عن اللبن في اول الفصال اقول امس كناية عن بدو الاسلام وفتنتم
اي ابتليتم بالبغي ممن اسلم كرها ابو سفين كما نقمنا عليه في الاصل و
استعار لفظ الانف لاشراف المسلمين باعتبار شرفهم وتقدمهم كالانف
والتشريد الابعاد والمصرين البصرة والكوفة وقوله وقد انقطعت الهجرة
يوم اسر اخوك اشارة الى انهم لم يكونوا من المهاجرين اذ كان هو وابوه
وجماعتهم ممن اخذ يوم الفتح ومن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلقهم
وسماهم الطلقا بعد ان اسلموا يومئذ كما سبق بيانه وقال صلى الله

عليه

عليه وسلم فاطلقهم وسماهم الطلقا بعد ان اسلموا يومئذ كما سبق بيانه
وقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وروي يوم اسر اخوك
واخوه الماسور هو عمرو ابن ابي سفين اسر يوم بدر ووجه التمثيل
بالبيت انه لاحظ مشابهة استقبال معوية له باستقبالهم رياح الصيف
في شدة حرها وحملها الحصا في وجوه مستقبليها ومشابهة نفسه وجمعه
برياح القيظ بعسكره باعتبار شدة باسهم وسطوتهم واستعار
بحسب تلك المشابهة ولفظ الرياح المذكورة واوصافها لهم والحاصب
الريح الشديدة ترمي بالحصبا والاغوار المنخفضة من الارض جمع غور
والجلمود الحجارة واعضضت السيف بفلان اي جعلته يعض به وهو
من المقلوب لان المضروب هو الذي يعض بالسيف وقد ذكرنا انه
عليه السلم قتل جده لامه وخاله واخاه حنظلة يوم بدر وروي اعضضته
بالضاد المعجمة استعارة وما بمعنى الذي ولفظ الاغلف مستعار لقلبه
باعتبار كونه مغشي بالشبهات والهيئات البدنية الحاجبة له عن ادراك
الحق وقد ون مقارب العقل اي قليله وناقصه وقوله نشدت اي
قوله سايمتك مثلان كني بهما عن طلبه ما ليس له بحق وقوله هو طلبه
ما ليس له بحله عثمن وفعله وحركاته طلب الملك وما مصدرية محلها
الرفع بالابتدا وقريب خبره مقدم قبل فمن اهل الشقاوة من جهة عمومته
لحالة الحطب ومن جهة خولته الوليد ابن عتبة ويدخل في ذلك عمومته ابو
كسيبه عتبة هند والباطل الذي كانوا يتمنونه كالنصرة على محمد صلى الله عليه وسلم
واقامة الشرك وحيث علمت كبدر وحنين وغيرهما من المواطن والوغا الحرب
وقوله ولم تماشها الهوينا اي لم يلحق ضربها هون ولا سهولة وما دخل فيه
الناس هو بيعته عليه السلم وطاعته واما تلك التي تريدها فهي خدعته بتغليبه
وبعيه لغاية ان يرضى باقراره على الشام ومن كتاب له عليه السلم اليه ايضا

امر صح

معوية اما بعد فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور ولقد
سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقحامك غرور المين والاكاذيب
وبانتحالك ما قد علا عنك وبابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق
وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك
فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة
واشتمالها على لبستها فان الفتنة طالما اغدفت جلابيبها واعشت
الابصار ظلمتها وقد اتاني منك كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها
عن السلم واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض في الدهاس
والخابط في الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة المرام نازحة الاعلام
تقصر دونها الانوق ويحاذى بها العيوق وحاش لله ان يلي للمسلمين بعدي
صدرا او وردا او اجري لك على احد منهم عقدا او عهدا فمن الآن فتدارك
نفسك وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت عليك
الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول والسلم اقول استعار لفظ
اللمح الباصر لادراك عقله بسرعة ومن عيان الامور متعلق بتنتفع والمدارج
المسالك والمذاهب والاقحام الدخول في الشيء بشدة وانتحال الشيء ادعاؤه
وليس له وما علا عنه هو ما يطلبه من الملك والامرة وابتزازه لما اختزن
دونه هو استلابه وغصبه لمال المسلمين الذي من شانه ان يخزن
دونه وما هو الزم له هو طاعته عليه السلم وما وعاه سمعه من دليل ذلك
وملئ به صدره من العلم بوجوبه ولبسة اللابس بها واغدفت ارسلت والافانين الاجناس
لهم باعتبار دخولهم فيها واغدفت ارسلت والافانين الاجناس
المختلفة وذم الكتاب من جهة المعنى بانه اباطيل غير محكمة النسج لا من
جهة العلم ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان يشتمل على خشونة وغلظة
مع انه في معرض طلب الصلح والاساطير جمع اسطورة وهي الاباطيل والكذب

الدهاس المكان السهل اللين كالرمل والديماس المكان الشديد الظلمة
وشبهه بالخائض والخابط فيهما باعتبار انه لا يهتدي لوجه الحق في
مسلكه وحركاته والمرقبة موضع عال مشرف يرتفع عليه الراصد والانوق
الرخم والعيوق نجم معروف واستعار لفظ المرقبة لولاية المسلمين
وخص الرخمة لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة منه وسكن الجبال
فتوكر هناك وينهد ينهض وارتجت اغلقت وما هو مقبول منه اليوم
التوبة والرجوع الى الطاعة والله اعلم **ومن كتاب له الى عبد**
الله ابن عباس وقد مضى هذا الكتاب بخلاف هذه الرواية
اما بعد فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على
الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت من نفسك من دنياك
بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك
بما قدمت واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت اقول بما
قدمت اي لنفسك من الاعمال الصالحة النافعة في الآخرة وما خلفت اي من
الدنيا واسفه عليه ان يكون انفقه في سبيل الله وبالله التوفيق **ومن**
كتاب له عليه السلم كتبه الى قثم ابن العباس رضي الله عنهما
وهو عامله على مكة اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس
لهم العصرين فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك
الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة
عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على
قضائها وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي
العيال والمجاعة مصيبا به مواضع المفاقر والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله
الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة ان لا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه
يقول سواء العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم والبادي الذي يحج اليه من

عن اهله وفقنا الله واياكم لطاعته والسلام اقول ايام الله كناية عن عقوباته
التي نزلت بمن مضى في الايام الخالية والعصرين الغداة والعشي والسفير الرسول
وذويت وقعت ووردت والمفاقر مواضع الفقر ووجوهه واضاف منعم
اليه لتغاير اللفظين والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام** الى
سلمان الفارسي رضي الله عنه قبل ايام خلافته اما بعد فان مثل
الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما
يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون
بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته
عنه الى محذور اقول آنس حال وما مصدرية وخبر كان احذر لدى
كن على حال انس بها احذر ما تكون منها وقوله فان صاحبها الى
آخره اي ان سكون صاحبها الى اللذة بها يستلزم العذاب المحذور
في الآخرة وقد نبهنا عليه مرات **ومن كتاب له عليه السلام**
الى الحرث الهمداني وتمسك بحبل القرآن وانتصحه واحل حلاله وحرم
حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها فان
بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حائل مفارق وعظم
اسم الله ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن
الموت الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة
المسلمين واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحيا منه في العلانية واحذر كل
عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره واعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا
لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس
كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا واكظم الغيظ واحلم عند الغضب و
تجاوز عند القدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح
كل نعمة انعمها الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير

عليك

عليك اكرم ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين افضلهم
تقدمة من نفسه واهله وماله وانك ما تقدم من خير يبق لك
ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رايه وينكر عمله ٢٦٠
فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع
المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله
واقصر رايك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان
ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من
ابواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة الا فاصلا
في سبيل الله او في امر تعذر به واطع الله في جمل امورك فان طاعة
الله فاضلة على ما سواها وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا
تقهرها وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة
فانه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت
وانت آبق من ربك في طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان الشر
بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب فانه جند عظيم
من جنود ابليس اقول همدان بسكون الميم قبيلة وحبل القران
مستعار لما يتمسك به منه ليتوصل الى الله تعالى وانتصحه اي اتخذه ناصحا
وحايل اي زايل مفارق والشرط الوثيق طاعة الله وما يرضاه صاحبه لنفسه
ويكرهه لعامة الناس كالاستيثار بالخيرات وهو كقوله ع ود للناس
كما تريد لنفسك واكره لهم ما تكره لها واستصلاح نعمة الله واظهار اثرها
به وامر الشكر والاحسان منها الى الغير واضاعتها بقلة ذكرها مع الغفلة
عنه والتقدمة من النفس والمال والاهل استعمالهم في طاعة الله وعبادته
وصحابة مصدر كالصحبة وفيل رايه ضعف وجماع المسلمين جامعتهم وكون
الاسواق محاضر الشياطين باعتبار مظان توارد الشهوة وورود موادها

وفا فيلا في سبيل الله ذاهبا فيه وقاد عِ نفسك اي اجذبها الى العبادة بالجد بعيد
دون المقاهرة وعفوها ما سهل عليها ونحوه قول النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله
فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واستعار لفظ الآبق للخارج
عن الطاعة في طلب الدنيا باعتبار هربه وحيده عنها والتوقير الاجلال
والتعظيم وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى سهل ابن حنيف
الانصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعوية اما
بعد فقد بلغني ان رجالا من قبلك يتسللون الى معوية فلا تأسف
على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا و
لك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى والجهل وانما هم
اهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها قد عرفوا العدل
ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا
الى الاثرة فبعدا لهم وسحقا انهم والله لم ينفروا من جور ولم
يلحقوا بعدل وانا لنطمع في هذا الامر ان يذلل الله لنا صعبه
ويسهل لنا حزنه ان شاء الله تعالى اقول السلل الذهاب واحدا
واحدا والايضاع الاسراع وكذلك الاهطاع والاثرة الاستبداد
بالمال ونحوه والسحق البعد واقربه اشده وبالله التوفيق ومن كتاب
له عليه السلم الى المنذر ابن الجارود العبدي وقد كان استعمله على
بعض النواحي فخان الامانة اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك
وظننت انك تتبع هداه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقي الي عنك
لا تدع لهواك انقيادا ولا تبقي لآخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب
آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقا
لجمل اهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان

يسد به ثغر او ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك في امانة او يؤمن
على خيانة فاقبل الي حين يصل اليك كتابي ان شاء الله قال السيد
261 رحمه الله والمنذر ابن الجارود هذا هو الذي قال فيه امير المؤمنين
انه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه اقول دق لبه
رفعه والعتاد العدة وعمارة الدنيا بخراب الاخرة استعمالها على الوجه
الذي لا ينبغي مما يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها والشسع
سير بين الاصبعين في النعل العربي وقوله او يؤمن على خيانة اي
حال خيانة لأن كلمة على تفيد الحال ومن كتاب له عليه
السلم الى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما اما بعد فانك لست
بسابق اجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بان الدهر يومان يوم
لك ويوم عليك وان الدنيا دار دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك و
ما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك اقول انما ذكر الضعف والقوة منه
ليعلم استناد الاعمار والارزاق وغيرها الى مدبر حكيم هو مبدأ
اسبابها وناظم وجودها وكمالاتها والفضل مع حكمته ظاهر ومن
كتاب له عليه السلم الى معوية اما بعد فاني على التردد في جوابك
والاستماع الى كتابك لموهن رأيي ومخطئ فراستي وانك اذ تحاولني الامور
وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه احلامه والمتحير القائم
يبهظه مقامه لا يدري اله ما يأتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه
واقسم بالله انه لولا بعض الاستبقاء لوصلت مني اليك قوارع تقرع العظم
وتهلس اللحم واعلم ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن امورك
وتأذن لمقال نصيحتك اقول موهن اي مضعف والسطور الكتب وشبهه
في طمعه منه بما يحاول من امر الشام بالمستثقل في نومه ووجه الشبه
قوله تكذبه احلامه واراد ان تخيلاته وامانيه لوصول الامر اليه غير صادقة

كاذنبه والسطور نصب بحذف الجار وكذلك شبهه بالمتحير القائد ووجه الشبه
قوله يتيهه ظلامه اي يتعبه ويتبلد اي قوله عليه واراد انه
متحير في طلب هذا الامر مجد فيه وقد اتعبه ذلك مع انه لا يعلم
عاقبته خير هي ام شر وقوله ولست به ولست بهذا المشبه شبيها
ولكنه بك شبيه وجعله هو اصلا في التشبيه مبالغة والقوارع شدايد
الحرب واهوالها وتهلس اللحم تذهب باصله وكذلك تنهس وتمطه
تشغله وتاذن اي تصغي باذنك والله اعلم ومن كتاب له
عليه السلام بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام ابن الكلبي هذا ما
اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها
انهم على كتاب الله يدعون اليه ويامرون به ويجيبون من دعى اليه و
امر به لا يشترون به ثمنا ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من
خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون
عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوما
ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم
ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا وكتب علي
ابن ابي طالب اقول حاضرها بدل من اهل وقوله ولا لاستذلال
الى قوله قوما اي لا ينقضون العهد لمعونة قوم استذلهم قوم
او ازادهم قوم وروي لمسبة بالباء وهو ظاهر ومن كتاب
له عليه السلام الى معوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة وذكره
الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية ابن ابي
سفيان اما بعد فقد علمت اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان
ما لا بد منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير وقد ادبر من ادبر
واقبل من اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك اقول

اعتذار

اعتذاره اظهار عذره الى الله في نصيحة عثمان واعراضه عنهم بعد اليأس
من قبول نصيحته وعجزه عن نصرته وما لا بد منه قتله الذي وجب
في علم الله وقوله وطول الحديث في امره ومن ادبر اشارة الى ٢٦٢
اهل الجمل ويحتمل ان يريد الانفاذ اي دخل في الادبار من ادبر عني
وفي الاقبال من اقبل علي والوفد الواردون ويحتمل ان يكون قوله
فيكم وعنكم لمعوية وغيره من المسلمين واعذاره اليهم بالنصيحة
واداء الامانة واعراضه عنهم بترك معاجلة المسيء بالعقوبة وما لا بد
منه حرب الناكثين من اصحاب الجمل والحديث شرح قصتهم وشبهتهم طويل
وقد ادبر منهم من ادبر واقبل اليه من اقبل ومن وصية له عليه السلام
لعبد الله ابن العباس رضي الله عنهما عند استخلافه اياه على البصرة
سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان
واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك
من النار اقول سعة الناس بوجهه كناية عن بشره وطلاقته لهم
وبمجلسه كناية عن تواضعه ورافته بهم والطيرة الاسم من التطير وهو
التشاؤم واضافه الى الشيطان لانه مبدا الغضب ومن وصية
له عليه السلام لعبد الله ابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج
لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون
ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا اقول انما
كان القرآن حمالا ذو وجوه لان اكثر الايات غير ناصة على المطلوب
بل محتملة يمكنهم المجادلة باحتمالها والحيص المعدل ومن كتاب
له عليه السلام اجاب به ابا موسى الاشعري عن كتاب كتبه اليه من المكان
الذي اقعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد ابن يحيى الاموي
في كتاب المغازي وان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع

الدنيا ونطقوا بالهوى واني نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع فيه اقوام
اعجبتهم انفسهم فاني اداوي منهم قرحا اخاف ان يعود علقا وليس رجل فاعلم
احرص على جماعة امة محمد صلى الله عليه وسلم والفتها مني ابتغي بذلك حسن
الثواب وكرم المآب وساَفي بالذي وأيت على نفسي وان تغيرت عن صالح
ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة
واني لاعبد ان يقول قايل بباطل وان افسد امرا قد اصلحه الله فدع عنك
ما لا تعرف فان شرار الناس طايرون اليك باقاويل السوء **اقول**
عن كثير منهم اي الحظ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى والحظ
النصيب والامر امر الخلافة والمنزل المعجب الذي نزل منه حالة التي
حصل فيها مع اصحابه وصارت محل التعجب وكيف صار يحكموا لهم
في قبول الحكومة والنهي بالتحكيم وقوله اجتمع فيه منفه منزل
واستعار لفظ القرح لما فسد من حالهم معهم ولفظ العلق وهو الدم
الغليظ لما يخاف من تفاقم الامر عن تلك الحال ووأيت وعدت واعبد
استنكف وانف **ومن كتاب له عليه السلام** لما استخلف الى امراء
الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق
فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه **اقول** اشتروه بمعنى
باعوه اي فباعد الناس وتعوضوا عنه الباطل فاقتدوه اي جعلوه
قدوة ومتبوعا لهم **الباب الثالث المختار من حكم امير
المؤمنين عليه السلام** ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبة
مسائله والكلام القصير الخارج في ساير اغراضه عليه السلام وبالله التوفيق
قال عليه السلام كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب
اقول ابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة
واراد التشبيه بابن اللبون في الفتنة في عدم انتفاع الظالمين بسوء كما

لا ينتفع فيه بظهر ولا ضرع **وقال عليه السلام** احدى وعشرين كلمة من الادب
والحث على مكارم الاخلاق وهي قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع و
رضي بالذل من كشف ضره وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه والبخل عار
والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب في
بلدته والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة ونعم
القرين الرضى والعلم وراثة كريمة والاداب حلل مجددة والفكر
مرآة صافية وصدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبالة المودة والاحتمال
قبر العيوب وروي عنه عليه السلام في العبارة عن هذا المعنى المسالمة
خبء العيوب ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه والصدقة دواء منجح و
اعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم **اقول** استشعر الطمع اي
اتخذه شعارا للقلب والشعار ما يلي الجسد من الثياب فاستعار وصفه
هٰهنا لمكان المشابهة وهو مستلزم لهوان النفس ولاذرائها عند
الناس بسبب الاحتياج اليهم والذلة لهم وتأمير اللسان تحكيمه في
القول من غير مراجعة النفس ونفره عن ذلك بذكر ما يلزمه من سهولة النفس
عليه لانه ربما كان سبب هلاكها في الدارين كقوله صلى الله عليه وسلم
وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وعار البخل ونقصان
الجبن باعتبار كونهما رذيلتين واستعار وصف الخرس عن الفقر لكونه مذلة
يفعل في النفس قبضا وفتورا وعجزا عن المقاومة بالحجة كالخرس وغربة
المقل باعتبار قلة الالتفات اليه والاَفة النقصان والصبر شجاعة باعتبار
انهما معا وحدة النفس لامارة لئلا تنقاد الى قبايح اللذات وذلك مستلزم
لاتمام الشجاعة والزهد مستلزم لغنى النفس لانه اعراض عن متاع الدنيا
والحاجة اليها والورع لزوم الافعال الجميلة وهو جنة ساترة من عذاب
الله واستعار لفظ الحلل المجددة للاداب باعتبار زينة المتلبس بها

ولفظ المرآة لعوتمها الفكر باعتبار اشتقاشهما بصور الاشياء كالمرآة ولفظ
الصندوق باعتبار حفظه للسر ورغب بذكر العقل في حفظ السر
ولفظ الحبالة للبيات في وجوه الناس باعتبار استلزامها للمودة
كالحبالة للصيد ولفظ القبر للاحتمال باعتبار ستره للعيوب كما جبر
وكذلك لفظ الخبا في الرواية الثانية وكثرة التساخط على من رضي عن نفسه
لانه يرى قيمها فوق قدرها لاعتقاده كمالها والناس يرونه بدون ذلك
فيكثر الانكار عليه وسخط فعله واستعار لفظ الدواء للصدقة باعتبار
انها حسنة تذهب السيئة التي هي الداء النفساني لانها تستجلب الهمم والادعية
الصالحة لشفاء الامراض البدنية فيشفى كما قال صلى الله عليه وسلم داووا
مرضاكم بالصدقة وكون اعمال العباد نصب اعينهم في آجالهم لما علمت ان
النفوس في الدنيا تنتقش بملكات الخير والشر لكنها في اغطية من الابدان
تحجبها عن ادراك الامور كما هي فاذا زالت تلك الحجب بالموت ادركت
ما فيها من خير وشر وكانت نصب عينها شاهدة لها كما قال تعالى
فكشفنا عنك غطاءك وقال عليه السلم اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم
محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان
اقبال الدنيا بسبب توافر اسباب الخير فيها لقوم تعدهم للحصول على مثل
الكمالات التي حصلت لمن كان قبلهم مما يعد حسنا واذا ادبرت عنهم اعدتهم
لاضداد ذلك وسلبوا ما كان منه حاصلا لهم واستعار وصف العارية
لتلك الكمالات باعتبار عدم دوامها وقال عليه السلم خالطوا الناس مخالطة
ان متم معها بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم اراد المخالطة بمكارم
الاخلاق فانها تستلزم ما ذكر وقال عليه السلم اذا قدرت على عدوك
فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه الشكر هو الاعتراف بالنعمة والعفو
مستلزم للاعتراف بنعمة القدرة على العدو فامر بالعفو المستلزم للشكر

واطلق لفظه على العفو مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه وقال
عليه السلم اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من
ظفر به منهم اما الاول فلان اكتساب الاخوان انما يفتقر الى الكرم والاخلاق
وحسن المعاشرة وهي امور طبيعية في اكثر الناس سهلة عليهم واما
ان المضيع لهم اعجز فانه لا يفتقر في حفظهم الى كلفة التحصيل فكان
حفظهم اسهل فكان مضيعهم اعجز وقال عليه السلم في الذين اعتزلوا القتال
معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل والمعنى واضح وقال اذا وصلت
اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وهو تمثيل للنعم
بالنعم واطرافها اوايلها واقصاها ما ياتي بعد ذلك واستعار وصف
التنفير لانقطاعها بترك الشكر لانه سبب لمزيدها فانقطاعها بانقطاعه
وفيه تنبيه على لزوم الشكر وقال عليه السلم ما كل مفتون يعاتب اي
ليس كل مبتلى بمعصية ينفع معه العتاب وقال عليه السلام
تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير فذلتها مطاوعتها
للقضاء الالهي فربما كان الهلاك المقتضي منها مقدرا فيما يعتقده الانسان
تدبيرا صالحا لجهله بسر القدر وسئل عليه السلم عن قول النبي صلى
الله عليه وسلم غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال عليه السلم
انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والدين قل فاما
الان فقد اتسع نطاق الدين وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ندب الخضاب ليرى الكفار المسلمين
بعين الشبيبة والقوة حيث كانوا قليلين وكان ينفرهم عن تركه
بان ذلك تشبه باليهود ولذلك نبه عليه السلم على المقصود في
قوله والدين قل واستعار لفظ النطاق وهو شقة طويلة تجر
على الارض اذا لبست لذلك الاسلام باعتبار عمومه وانبساطه ولفظ الجران

وهو بعد البعيد له باعتبار تمكنه وثباته واثار بقوله فارقها وما
اختيار ما ان للاباحة بعد الندب وقال عليه السلام من جرى في عنان
امله عثر باجله استعار وصف الجري للاندفاع في الامل ووصف
العنان للاجل باعتبار المعقول من قطعه لذلك الاندفاع تنفيرا
عن الغفلة والجري فيه وقال عليه السلام اقيلوا ذوي المروات
عثراتهم فما يعثر احد منهم الا ويد الله بيده يرفعه استعار
لفظ العثرات للزلات الواقعة منهم ولفظ اليد لعناية الله
تعالى وقدرته وكنى عن مداركه لغالبه وتعلق العناية به بكون يده بيده
ترفعه ومن رفعه رضي وقال عليه السلام قرنت الهيبة بالخيبة و
الحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير فانهما
عبارة عن ملازمتهما غالبا وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين
وانتهز الفرصة بادر وقتها والفرصة ما امكن من نفسه وقال
عليه السلام لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال
السيد هذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط حقنا
كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن
يجري مجراهما وقال عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه يريد
ان من لم يكن له عمل حسن يرفعه فتاخر بسبب ذلك عن معالي الرتب لم يسرع
به نسبه وشرف نسبته اليها وروي حسبه والحسب ما يعد من المآثر وقال
عليه السلام من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب
فالملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج وقال عليه السلام يا ابن
ادم اذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك فاحذره تتابع نعم الله على العبد مع
معصيته له استدراج يوجب حذره وقال عليه السلام ما اضمر احد
شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه لان الوجود اللساني

مظهر للوجود الذهني والتصورات النفسانية مبادي الاثار الظاهرة كصفرة
٢٦٥ الوجل وحمرة الخجل بالمضمر للشيء لا يكاد ينضبط دائما لغفلة العقل
وقيامًا واستعار له بهم اخر عن العناية بحفظ ما اضمر فينفلت به اللسان
ويظهر ما يدل عليه في الوجوه كما يتبين من العداوة والغضب وقال
عليه السلام امش بدائك ما مشى بك اي ما دام المرض لا ينهض فلا ينفعل عنه
لان في التجلد معاونة للطبيعة على دفعه ومن الامراض ما يحلل
بالحركات البدنية وقال عليه السلام افضل الزهد اخفاء الزهد لبعده عن
مخالطة الرياء المفسدة له وقال اذا كنت في ادبار والموت في
اقبال فما اسرع الملتقى اراد ما يعقل من ادبار الانسان في قطع
منازل العمر من اوله ومن وصول الفناء اليه بحسب توجهه وقال
عليه السلام الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر وهو ظاهر
وسئل عليه السلام عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر و
اليقين والعدل والجهاد فالصبر منها على اربع شعب على الشوق و
الشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات
ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان
بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع
شعب على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين
فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن
عرف العبرة فكانما كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص
الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور
العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في
الامور وعاش في الناس حميدا والجهاد منها على اربع شعب على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف

شدّ ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في
المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين غضب الله له وارضاه يوم
القيمة والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن
تعمق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت
عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاق وعرت عليه
طرقه واعضل عليه امره وضاق مخرجه والشك على اربع شعب على التمادي
والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما
بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين
ومن استسلم لهلكة الدنيا والاخرة هلك فيهما **اقول** اراد بالايمان الايمان
الكامل وله اصل وكمالات اما الاصل فهو استكمال القوة النظرية للنفس بتصور
الامور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ويسمى
حكمة علمية واما الكمالات فهي التحلي بالملكات الفاضلة ومكارم الاخلاق وهي
استكمال القوة العملية للنفس بملكة العلوم بوجوه الفضائل الخلقية
وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية وكيفية اجتنابها وتسمى حكمة عملية
وعبر عن هذه الحكمة والتي قبلها بالتبصر لانها لا تسمى حكمة حتى تصير هذا الكمال
ملكة للنفس ويقينا ومنها العفة وعبر عنها بالصبر لانه من لوازمها ومنها
الشجاعة وهي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي ينبغي فيها دخولها ومقاومتها
ويعبر عنها بالجهاد لملازمتها ومنها العدل وهي ملكة فاضلة تنشأ عن الفضائل
الثلاث المذكورة وتلازمها واستعار لهذه الاربع لفظ الدعائم باعتبار قيام
الايمان الكامل بها ثم نبه على ما يتشعب عن هذه الدعائم من الفضائل ويكون
كالنوع تحتها فالشوق الى الجنة والاشفاق من النار والزهد في الدنيا وترقب
الموت يلزمها العفة والصبر عن المحارم وتبصرة الفطنة من اعمالها وتاول
الحكمة وهو تفسيرها استخراج الحقايق من براهينها والاتعاظ بالعبر وملاحظة

سنن

سنن الاولين حتى يصير كانه منهم شعب اليقين وفروعه وبعضها كالفرع لبعض
والفهم الغايص في غور العلم واقتناؤه وهو العلم بالشيء تحقيقه ونور الحكم
٢٦٦ اي لكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة ويحتمل ان يريد بالحكم الحكمة و
نورها ان يكون ملكة واضحة ورساخة الحلم وهو ان يصير ملكة من شعب العدل
وفروعه واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين
تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة الا ان العدل لما كان
فضيلة موجودة في الاصول الثلاثة كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبا
للعدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن المكروهة
وشنآن الفاسقين لبغضهم المستلزم لعداوتهم وحربهم وجهادهم في
سبيل الله من شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد ولكل من هذه الفضائل
ثمرة وبعض ثمراتها ثمرات لبعض كما اشار اليه وهو ظاهر واما الكفر فله
اصل هو الجهل بالصانع وجحده وانكار بعض رسله وما علم مجيئهم به
بالضرورة او الشك في شيء من ذلك ومتممات هي رذايل تقويه وبدعة فمنها التعمق
وهو الافراط في طلب الحق والتعنيف فيه بجهل وهو رذيلة الجور ونفر
عنها بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق ثم التنازع وهو رذيلة الا فراط
من فضيلة العلم ويسمى غباوة وجهلا بسيطا ولذلك لزمه قبح الحسن و
حسن القبيح ثم الشقاق ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة
ويسمى تهورا ويلزمها عسر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان
مبدا سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في الامور هو الحلم
عن الناس واحتمال مكروههم واعضال الشدة واما الشك فهو تردد الذهن
في اعتقاد احد طرفي النقيض وتشعب عنه التمادي لانه مبدا له ونفر عنه
اشخنه ملكة بكونه لا يصبح ليله وكنى بذلك عن عدم وضوح الحق له من ظلمة
ليل الشك والجهل ثم الهول لان الشك في الامور يستلزم الخوف من الاقدام

عليها وثمرته الرجوع على الاعقاب ثم التردد في الريب لعدم الانتقال من
بعض جزئيات الشك الى بعض وذلك دأب عند تعود الشك وصار له ملكة
ونفر عن ذلك بما يلزمه مما كني عنه بوطي سنابك الشيطان وهو ملك
الوهم والخيال لارض قلبه حتى يكون سلطان العقول بمعزل
عن الجزم بما من شانه ان يجزم به واستعار لفظ السنابك جمع سنبكة
وهي الاستلام لهلكة الدنيا والآخرة ويلزم عن الشك في امورهما لان
الشاك فيها غير عامل لشيء منها ولا مهتم باسبابها وبحسب ذلك يكون
استلامه لما يرد منها عليه ويلزمه هلاكه عن ذلك ظاهر وبالله التوفيق
وقال عليه السلم فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه لان كلا منهما
علة والعلة افضل من معلولها واقوى بما هي فيه وقال عليه السلم
كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا فالتبذير طرف
الافراط من فضيلة السماحة والتقتير طرف التفريط منها والتقدير
هو العدل والاستواء عليها وقال عليه السلم اشرف الغنى ترك المنى وذلك
لملازمته القناعة المستلزمة لغنى النفس وهو اشرف انواع الغنى والمنى
جمع امنية بمعنى التمني وقال عليه السلم من اسرع الى الناس بما يكرهون
قالوا فيه ما لا يعلمون وذلك لقوة غلبة قوتهم الغضبية على عقولهم
باعث تصور المكروه منه وقال عليه السلم من اطال الامل اساء العمل و
ذلك لاستلزام طول الغفلة عن الآخرة والاهتمام بها وقال عليه
السلام وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له و
اشتدوا بين يديه كما يفعلون لعظمائهم فقال ما هذا الذي صنعتموه
فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال عليه السلم والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم
لتشقون به على انفسكم وتشقون به في آخرتكم وما اخسر المشقة وراءها
العقاب واربح الدعة معها الامان من النار اشتدوا واعدوا بين يديه و

الشقاء

والشقاء في الآخرة بذلك لانه تعظيم لغير الله عز وجل وقال عليه السلم
لابنه الحسن عليه السلم يا بني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت
معهن ان اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب
واكرم الحسب حسن الخلق يا بني اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد
ان ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج
ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك
ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عنك
القريب اقول لما كان العقل اشرف من المال وافضل كان الغنى
به افضل انواع الغنى والفقر منه بالحمق اكبر انواع الفقر واما العجب
بالنفس فهو لما يلزمه من رذيلة الكبر اقوى لان الناس الموجبة لاستيحاش
المعجب عن الخلق لما يرى لنفسه من الفضيلة عليهم ولا يرى لنفسه قرينا
ولا اهلا للمصاحبة وبحسب ذلك يكون نفرتهم منه ولذلك كان
التواضع مستلزما لانسهم والحسب ما يعد من المآثر واشرفها الكمالات
النفسانية الباقية وقد يخص حسن الخلق في العرف بسعة الصدر و
التواضع والبشاشة والتافه الشيء القليل وباقي الفصل ظاهر وانما
قال اربعا واربعا لان كل اربع الاولى من اكتساب الفضائل الخلقية والثانية
من باب المعاملة مع الخلق وقيل الاولى من باب الاثبات والثانية
من باب النفي والله الموفق وقال عليه السلم لا قربة بالنوافل اذا اضرت
بالفرائض لان اضرارها بالفرائض تنقيصها وينقص فضلها للتعب والملال في
النافلة وادا وينفي القربة بنفي كمالها وفضلها لا نفي ذاتها وبالله التوفيق و
قال عليه السلم لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال
السيد رحمه الله وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا
يطلق لسانه الا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات

لسانه وقلبه كلاهما مراجعة بفكره ومماحضة رأيه فكان لسان العاقل تابع
لقلبه وكان قلب الاحمق تابع للسانه وروى عنه عليه السلم هذا الكلام
بلفظ آخر وهو قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه ومعناهما
واحد واقول انه استعار الوراء في الموضعين لما يعقل من تأخر لفظ
العاقل عن رويته وتأخر روية الاحمق وفكره فيما يقول من نوادر مقالة
من غير مراجعة لعقله والمعنى ظاهر مما سبق وقال عليه السلم لبعض
اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان منك من شكواك حطا لسيئاتك فان
المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها حت الاوراق وانما الاجر في
القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام وان الله تعالى يدخل بصدق
النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة قال السيد رحمه
الله واقول صدق كرم الله وجهه ان المرض لا اجر فيه لانه من قبيل ما يستحق
عليه العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد
من الآلام والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر والثواب انما يستحقان
على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلم كما يقتضيه
علمه الثاقب ورأيه الصائب واقول ان الاجر والثواب انما يستحقان
بالافعال والاحوال الاعدادية للنفس لذلك كما اشار اليه بقوله وانما
الاجر الى قوله بالاقدام وكنى بالاقدام عن القيام بالعبادة والسعي فيها
وكذلك ما يكون من الافعال من عدمات الملكات كالصوم والخشوع والمرض ليس
بفعل للعبد ولا ما هو كالفعل فاما حطه للسيئات فباعتبار كسره
لقوتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الذنوب ولان من شأنه
ان يرجع الانسان فيه الى ربه بالتوبة والخضوع فما كان من السيئات حالا
غير متمكنة من جوهر النفس فانه يزول عنها وما صار ملكة فربما
يزول على طول المرض ودوام الانابة معه الى الله تعالى ووجه تشبيهه بحت

الاوراق سقوطها بالكلية وما ذكره السيد مقتضى مذهب المعتزلة والله اعلم

وقال عليه السلم في ذكر خباب بن الارت رحمه الله يرحم الله خبابا فلقد
اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل
للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله أقول خباب بخاء معجمة وباء مشددة
كان من المهاجرين ومات بعد انصرافه من صفين بالكوفة وهو اول من
قبره عليه السلم بها وقال عليه السلم لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان
يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني
وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
لا يحبك الا مؤمن تقي ولا يبغضك الا منافق شقي فالخيشوم اصل الانف والجمات
جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض واستعاره لمجتمع المال وقال
عليه السلم سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك تسوؤك اي تندم عليها
وتحزن وانما كانت خيرا لان الحزن على السيئة ماح لها والعجب بحسنة
سيئة باقية مع احباطها الحسنة وقال عليه السلم قدر الرجل على قدر همته
وصدقه على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته
قدره منزلته في اعتبار الناس من تعظيم او احتقار وهو من لوازم علو
الهمة او دناءتها فعلو همته وهو ان لا يقتصر على بلوغ غاية من الامور
الذي يزداد بها شرفا وفضيلة حتى يسمو الى ما وراءها مما هو اعظم ويلزم
ذلك نبله وتعظيمه وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور ويقصر عن علياها تما
وبحسب ذلك يكون قلة قدره وكذلك المروة فضيلة يتعاطى الانسان
معها الافعال الجميلة واجتناب ما يعود عليه بالنقص وان كان مباحا
فلذلك لزم الصدق وكانت قوته وضعفه بحسب قوتها وضعفها والانفة
حمية الانف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكارا له واستنكافا
منه وتوعد وظاهر كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الامور والغيرة نفرة

طمعية تكون عن تخيل مشاركة الغير في امر محبوب له او معتقد لوجوب حفظه
وبحسب قوة تلك النفرة وتخيل مشاركة الغير في امر يخصه محبوب له
او معتقد لوجوب حفظه يكون وقوفه عن اتباع شهوته في الامور المختصة
بالغير المحبوبة لهم وهو معنى العفة وبالله التوفيق وقال عليه السلم
الظفر بالحزم والحزم باجالة الراي والراي بتحصين الاسرار اشار الى اسباب
الظفر القريب والمتوسط والبعيد فالحزم ان يقدم العمل للحوادث الممكنة
قبل وقوعها بما هو ابعد من الغرور واقرب الى السلامة وهو السبب الاقرب
للظفر بالمطالب والمتوسط وهو اجالة الراي واعماله في تحصيل الوجه الاحزم
وهو سبب اقرب للحزم والابعد وهو اسرار ما يطلب وهو سبب اقرب
للراي الصالح اذ قل ما يتم راي وينظفر بمطلوب مع ظهور ارادته ووجه السببية
ظاهر وبالله التوفيق وقال عليه السلم احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم
اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس على الهمة وكنى بجوعه عن شدة حاجته
واستلزام ذلك لثوران حميته والقاء نفسه في عليات الامور كالولاية على
الناس وطلب مجازاتهم والانتقام منهم فيما اسلفوا معه من قلة الالتفات
اليه والعناية بحاله وشبع اللئيم كناية عن غناه وهو مستلزم لاستمراره
على مقتضى طباعه من اللؤم ومؤكد له فيه وقال عليه السلم قلوب الرجال
وحشية فمن تالفها اقبلت عليه الوحشة عدم الانس والالفة عما شانه ان
يانس به ويالف وجعلها اصلا والالفة فرعا لحاجة الالفة الى الاكتساب وقال
عليه السلم عيبك مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد حسن البخت وتوافق
اسباب المصالح ومنها ستر العيوب وقال عليه السلم اولى الناس بالعفو
اقدرهم على العقوبة لان العفو انما يصدق مع القدرة على العقوبة
فالاقدر عليها هو الاولى ان يسمى عفوا وقال السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان
عن مسالة فحياء وتذمم السخاء ملكة بذل المال المستحق بقدر ما ينبغي ابتداء

النفس

النفس وحسن المساوات لذوي الحاجة فيه وبهذا الرسم خرج ما كان عن
مسالة وتذمم والتذمم الاستنكاف مما يقع من السايل كالحافي ونحوه
٢٦٩ وقال عليه السلم لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب ولا
ظهير كالمشاورة لا غنى كالعقل لفضله على المال ولا ظهير كالمشاورة لانها
انفع من القوة وكثرة العدد والظهير المعين وقال عليه السلم الصبر صبران
صبر على ما تكره وصبر عما تحب فالصبر الاول مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها
وثباتها عن الغضب وعدم الانفعال عنها وقد يسمى سعة الصدر واحتمال
المكروه وهو داخل تحت الشجاعة والصبر الثاني مقاومة النفس لقوتها
الشهوية وهو فضيلة تحت العفة وقال عليه السلم الغنى في الغربة وطن
والفقر في الوطن غربة استعار لفظ الوطن باعتبار انه مظنة راحته
وسكونه اليه فلا يرى للغربة معه كبير اثر ولفظ الغربة للفقر في
الوطن باعتبار ضيق الخلق به وتعسر الامور معه وقال عليه السلم القناعة
مال لا ينفد وقد روي هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم واستعار
لفظ المال الموصوف للقناعة باعتبار عدم الحاجة معها وقال
عليه السلم المال مادة الشهوات وقال عليه السلم من حذرك كمن
بشرك اي بالنجاة منه ووجه الشبه ظاهر وقال اللسان سبع ان خلي
عنه عقر ولفظ السبع ووصف العقر مستعاران باعتبار ان اهمال اللسان
وعدم ضبطه عن القول بالتفكر سبب الهلاك لاكثر الخلق وللاذى الغالب
وقال عليه السلم المراة عقرب حلوة اللسبة واستعار لها لفظ العقرب
لاشتراكهما في الاذى وكنى بحلاوة لسبتها عما فيها من اللذة واللسبة للعقرب
كالنعت للهيئة وقال عليه السلم الشفيع جناح الطالب باعتبار توصله الى
مراده وقال اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام الشبه قوله يسار بهم
اذ الدنيا طريق لاهلها هم فيها سايرون الى الاخرة وكنى بنومهم عن غفلتهم

وقال عليه السلم فقد الاحبة غربة فاستعار وصف الغربة لفقد الاحبة
لما يلزمهما من الوحشة وقال عليه السلم فوت الحاجة أهون من طلبها
الى غير أهلها يعني اللئام المكث وذلك من فواتها غالبا وزيادة ذل
الطلب اليهم وقال عليه السلم لا تستحي من اعطاء القليل فان الحرمان
اقل منه اي احقر في الاعتبار وقال العفاف زينة الفقر لانه فضيلة
يزين بها صاحبها وقال عليه السلم اذا لم يكن ما تريد فلا تبال كيف كنت
اي اذا لم يقع مرادك فلا تبال في الحالة التي كنت عليها فيه من عدمه او حصول
بعضه لانه غير مقدور لك فبالاكتراث والاهتمام به من فرح خالصة وسفه
وقال عليه السلم لا يرى الجاهل الا مفرطا او مفرطا اي مرتكبا لاحد
طرفي الافراط والتفريط من العدل في الامور لجهله به وقال اذا تم
العقل نقص الكلام وذلك لضبط العقل اياه ووزنه والموزون اقل
من المكيل والجزاف وقال عليه السلم الدهر يخلق الابدان ويجدد الامال
ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه
للابدان اعداده ضعفها وفنائها بتغيراته وتجديده الامال بالغرور وبطول
البقاء والصحة فيه وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية ومن ظفر به اي
بمواتاته ومساعدته بما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقي بحفظها
ومن فاته ذلك منه تعب بعدم ما يحتاج اليه فيه وقال عليه السلم من نصب نفسه
للناس اماما فعليه ان يبدا بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تاديبه
بسيرته اي بفعله الجميل قبل تاديبه بلسانه لان الناس للافعال اطوع
واكثر انفعالا ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من مؤدب الناس و
معلمهم وهو ظاهر وقال عليه السلم نفس المرء خطاه الى اجله فاستعار للنفس
لفظ الخطا باعتبار تقريبه تنقصه من غايته وهو الاجل كالخطا المقربة الى
غايتها وقال عليه السلم كل معدود منقص وكل متوقع ات وفيه التنفير عن الدنيا

بالتنبيه

بالتنبيه على ما يعقبه من الموت وقال عليه السلم ان الامور اذا اشتبهت اعتبر
اخرها باولها اي اذا التبست في مباديها بمعرفة وجه الدخول فيها والتصرف فيقيس
على ذلك اخرها واستدل على انه كذلك في التغيير فيجب التوقف عنها وعدم
التعسف فيها ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معوية و
مسالته عن امير المؤمنين قال فاشهد لقد رايته في بعض مواقفه وقد ارخى
الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم و
يبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا اليك عني ابي تعرضت ام الي تشوقت
لا حان حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلثا لا رجعة
فيها فعيشك قصير وخطرك يسير واملك حقير اه من قلة الزاد وطول
الطريق وبعد السفر وعظم المورد وخشونة المضجع السدول جمع سدل
وهو ما اسبل على الهودج والتململ التقلقل من الالم والسليم الملسوع
واليك منصوب باسماء الافعال اي تنحي ولا حان حينك اي لا قرب وقتك اي وقت
خديعتك وغرورك لي وخاطبها خطاب الزوجة المكرهة منافرا لها
وهو اعزب والذ ويسير الخطر قليل القدر والفصل ظاهر وقال
عليه السلم للشامي لما سال اكان مسيرك الى الشام بقضاء وقدر من الله بعد كلام
طويل هذا مختاره ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان
ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ان الله سبحانه
امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا واعطى على
القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل
الكتب للعباد عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار اقول روي انه عليه السلم قال في
الجواب المذكور والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما وطينا ولا هبطنا واديا
الا بقضاء وقدر فقال السائل عند الله احتسب عناي ما ارى لي من الاجر شيئا

سؤال الشامي عن [illegible] عليه السلم الكلام في [illegible] القضاء والقدر

فقال له يا ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم في مسيركم ومنصرفكم ولم تكونوا في
شيء من حالاتكم مكرهين فقال الشيخ كيف والقدر ساقنا فقال ويحك الفصل
والويح كلمة ترحم والحائر الواجب وقوله ويحك القول به حاتما بيان لمنشأ
وهمه وهو ما لعله يظنه من تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم الملزم
لايجاد الواجب على وفقه واستدل على بطلان ذلك التفسير بقوله ولو كان
لبطل الوعد والوعيد وبيان الملازمة ظاهر على طريق المعتزلة وعلى طريق
غيرهم فربما يحتاج الى ايضاح ليس هذا موضعه وقوله ان الله سبحانه
امر اشارة الى تفسير القضاء بالامر والحكم كما قال تعالى وقضى ربك ان لا
تعبدوا الا اياه ومعلوم ان امر الله ونهيه لا ينافي اختيار العبد في فعله
وتركه فلذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقصود من الحكمة امورا عشرة
نبهها وقد يفسر قوم القضاء والقدر بمعنى آخر اشرنا اليه في الاصل
وعلى ذلك ايضا لا ينافي الاختيار والتكليف كما بيناه هناك وقوله ولم
يعص مغلوبا ولم يطع مكرها اي بل فوض فعل العبد اليه ولو كان العبد
مجبرا لكانت الطاعة كرها وبعثة الرسل والكتب لغوا وعبثا والثاني باقسامه
باطل وقال عليه السلام خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق
فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن كنى بتلجلجها
عن عدم ثباتها في قلب المنافق لانه ليس مظنة لها وبسكونها الى صواحبها
في صدر المؤمن عن ثباتها في قلبه لانه اهلها وقال عليه السلام الحكمة ضالة
المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق واستعار لفظ الضالة باعتبار ان
من شانه ان يطلبها وينشدها كصاحب الضالة والله الموفق وقال عليه السلام
قيمة كل امرء ما يحسنه فقيمته محله عند الناس والكلمة ظاهرة وغرضها
الترغيب في اعلى ما يكتسب من الكمالات وقال عليه السلام اوصيكم بخمس لو ضربتم
اليها اباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون احد منكم الا ربه ولا يخافن الا

ذنبه ولا يستحين احد اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحين
احد اذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان
كالراس من الجسد ولا خير في جسد لا راس معه ولا في ايمان لا صبر معه
كنى بضرب اباط الابل عن الرحلة في طلبها وذلك ان الراكب يضرب بابطيه اطلتها
ليحثها والفضل ظاهر وانما تشبيهه فضيلة الصبر من الايمان والراس من
الجسد لشرفهما وحاجة جميع الفضائل التي هي اجزاء الايمان الكامل الى الصبر
على اكتسابها ثم على البقاء عليها عن الخروج عنها فاشبهت الراس في عدم قيام
البدن بدونها وقال عليه السلام لرجل افرط في الثناء عليه وكان له متهما
انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وقال عليه السلام بقية السيف ابقى
عددا واكثر ولدا ولا ارى ذلك الا للعناية الالهية ببقاء النوع وحفظه
والاعتبار باظلاف من قتل ممن بقي وقال عليه السلام من ترك قول لا ادري اصيبت
مقاتله الترك المذكور كناية عن القول بغير علم واصابة المقاتل كناية
عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل في الدنيا والآخرة وقال عليه
السلام رأي الشيخ احب الي من جلد الغلام وقد روي من مشهد الغلام
وجلده قوته وانما خص الراي بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة لما
خص به والراي الصالح مقدم على القوة كما قيل الراي قبل شجاعة الشجعان
ومشهد الغلام حضوره وقال عليه السلام عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار
وحكى عنه ابو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه قال كان في الارض
امانان من عذاب الله فرفع احدهما فدونكم الاخر فتمسكوا به اما الامان الذي
رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما الامان الباقي فالاستغفار
قال الله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط
والقنوط الياس والمعنى واضح وقال عليه السلام من اصلح ما بينه وبين الله

بتقواه اصلح الله ما بينه وبين الناس لان بالتقوى صلاح قوتي الشهوة و
الغضب اللذين فسادهما مبدا الفساد بين الناس ومن اصلح امر آخرته اصلح الله
امر دنياه لان الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهلة قد تكفلت العناية
الالهية باصلاحها ولان مصلح آخرته معامل للخلق بمكارم الاخلاق وذلك
مستلزم لصلاح دنياه مع اهلها ومن كان له في نفسه واعظ اي زاجر عن
المعاصي باعث على لزوم العدل في النفس الامارة التي هي مبدا الشر في
الدارين كان عليه من الله حافظ فيهما وقال عليه السلم الفقيه كل الفقيه من لم
يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله و
ذلك ان لكل من النفوس الجاهلة دواء من الموعظة مخصوص للشفي بعينه
لبعضها الوعد ولبعضها الوعيد ولبعضها البشارة ولبعضها النذارة
والفقيه العالم بغرض الحكمة الالهية من الوعيد في الكتاب العزيز يضع كلا
موضعه وقال عليه السلم اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر
على الجوارح والاركان يريد بالعلم الاول العلم الذي لا عمل معه و
ظهوره في الوصف اللساني فقط وبالثاني العلم المقرون بالعمل وهو العلم
الراسخ الذي تظهر اثاره في العبادات البدنية على جوارح العبد ظهور العلة
في معلولها وهو العلم المنتفع به في الآخرة وبالله التوفيق وقال عليه
السلام ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة
وطرائفها لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها لتكون ابدا في
الى الحكمة بنشاط وقال عليه السلام لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ
بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ
فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة قال عليه السلم ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال
والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم

من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم
يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال
قال السيد رحمه الله وهذا امر غريب اعزب ما سمع عنه عليه السلم في ٢٧٢
التفسير واقول مضلات الفتن ما يضل بها عن سبيل الله وهي المستعاذ
منها وهي اخص من مطلق الفتنة كما اشار اليه عليه السلم وسئل عليه السلم
عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر
علمك وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت
الله وان اسات استغفرت الله ولا خير في الدنيا الا لرجلين رجل
اذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة والعمل الصالح ورجل يسارع في
الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل الله قوله
ولا يقل عمل مع التقوى ورجل سارع في الخيرات وان اتى منها بالقليل
اذا كان متقيا لان ذلك مع التقوى يتقبله الله منه ولا يقل ما يتقبله
الله ويحتمل ان يريد بذلك ان المذنب وان كانت حسنته بالتوبة
قليلة بالنسبة الى حسنات من سارع بالخيرات وسبق اليها لكنها ليست بقليلة
عند الله اذ لا يقل ما يتقبله وقال عليه السلم ان اولى الناس بالانبياء
اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا عليه السلم قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ثم قال ان ولي محمد من اطاع الله
وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته انما جعل الآية
دليلا على ان الاعلم بما جاءت به الانبياء اولى بهم لان الاتباع مستلزم
للعلم بما جاؤا به والمراد بالولاية الاولى باتباعهم والاختصاص بهم وقال عليه
السلام وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرا فقال نوم على يقين خير
من صلاة في شك الحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى قرية بالنهروان تعرف
بحروراء وكان اول اجتماعهم بها والتهجد السهر في العبادة والشك الذي هم فيه

تكلم في الامام وما يتفرع على وجوب طاعته والاقتدآء به في سائر الاحكام و
قال عليه السلام اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية
فان رواة العلم كثير ورعاته قليل فعقل الرعاية تدبره وتفهم معناه
وعقل الرواية نقل الفاظه فقط وسمع رجلا يقول انا لله وانا اليه
راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه
راجعون اقرار على انفسنا بالهلك والمعنى ظاهر ومدحه قوم في وجهه فقال
اللهم انك اعلم مني بنفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما
يظنون واغفر لي ما لا يعلمون وقال عليه السلام لا يستقيم قضاء الحوائج
الا بثلث باستصغارها لتعظم واستكتامها لتظهر وتعجيلها لتهنأ
اراد باستقامة قضائها كونه على قانون العدل واستصغاره لما فيه
منها يدل على علو الهمة والسماحة وهو مستلزم لعظمها واشتهارها بين
الناس واستكتامها يدل على بعده عن الرياء والسمعة والاستصغار و
يعود في الحقيقة الى ما تقضى به الحاجة لكن تسميته المحتاج اليه بالحاجة
مجازا من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق فلذلك عادت الضمائر
الى لفظ الحوائج وباقي الكلام ظاهر وقال عليه السلام ياتي على الناس
زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا
المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة
على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان
وتدبير الخصيان فالماحل الساعي بالنميمة الى الملوك والمحل الكيد وروى الماجن
وهو المستهزئ اللاعب عوض الفاجر وتضعيف يعده ضعيفا عاجزا وقلة العقل ضعيف
العقل لترك الظلم كان له حقا يملكه بالانصاف وعدم التعدي الاستطالة
بالعبادة ان يرى صاحبها له على الناس حقا فيترفع عليهم كالممتن بها وروي عليه
السلام وعليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب ويذل له

النفس

النفس ويقتدي به المؤمن والمعنى ظاهر وقال عليه السلام الدنيا والاخرة
عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها
ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما
كلما قرب من واحد بعد من الاخر وهما بعد ضرتان والمعنى ايضا واضح وعن
نوف البكالي قال رايت امير المؤمنين ذات ليلة وقد خرج من
فراشه فنظر الى النجوم فقال يا نوف انت راقد ام رامق فقلت بل
رامق يا امير المؤمنين فقال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين
في الاخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها
طيبا والقرآن شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج
المسيح عليه الصلوة والسلم يا نوف ان داود صلى الله عليه وسلم قام
في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا
استجيب له الا ان يكون عشارا او عريفا او شرطيا او صاحب عرطبة
وهي الطنبور او صاحب كوبة وهو الطبل وقد قيل ان العرطبة الطبل
والكوبة الطنبور والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطية وعرف
الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف لغرض معرفتهم والاقتداء بهم واستعار
لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم له كالشعار للجسد ولفظ الدثار
للدعاء باعتبار احترازهم به من عذاب الله وقرضهم للدنيا اكلهم منها اليسير
تا يدفع ضرورتهم وانما استثنى المذكورين لملازمتهم المعصية التي تحجب
نفوسهم عن قبول رحمة الله وبالله التوفيق وقال عليه السلام ان الله
افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم
عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا
تتكلفوها ما سكت عنها كالعلوم التي لم يرد في الشرع التكليف بها كالبحث عن
القضاء والقدر ونحوه من المسائل وبالله التوفيق وقال عليه السلم لا يترك الناس

شيئاً من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه ذلك لمن يخفف
عبادته وليؤخر ساعة او اوقاتها لاشتغاله باصلاح صنعته او تجارته ولمكان الحرص
في كل امر دنيوي بعد الطلب الزيادة فيه والاستكثار منه وعيب ذلك يكون البعد
عن الآخرة وكان ذلك بابا من ابواب طلبها واصلاحها اشد من ذلك واوسع
فكان اصعب واضر وبالله التوفيق وقال عليه السلام رب عالم قتله
جهله وعلمه معه اراد علماء الرواية دون الدراية والعلماء بما لا ينفع
فيه من العلوم في الآخرة كعلم النجوم مثلا ولمن جهل شرايع الاسلام
فتعدا حدا اوجب هلاكه في الدنيا واستلزم هلاكه في الآخرة مع وجود
ذلك العلم وقال عليه السلام لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة
هي اعجب ما فيه وهو القلب وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان
سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه
الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده
الرضا نسي التحفظ وان غاله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته
العزة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى
وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف وان
افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد اقول
النياط عرق علق به القلب والمواد من الحكمة هي الفضايل الخلقية التي هي مواد
كمال النفس واضدادها المخالفة لها هي ما يضادها من الرذايل وهي اطراف
الافراط والتفريط منها فالطمع رذيلة الافراط من فضيلة العدل في الرجا
الذي ينبغي ونفّر عنه بما يلزمه من الذلة ومن الحرص المهلك في الدارين و
الياس رذيلة التفريط منه ونفّر عنه بما يلزمه من شدة الاسف القاتل و
اشتداد الغيظ طرف الافراط من الغضب المعتدل الملازم للشجاعة ونسي
طيبا وترك التحفظ رذيلة تلزم الافراط في رضا الانسان بما يحصل عليه من دنيا

والحذر

ولاشتغاله بالحذر رذيلة يلزم الافراط فيه فيشتغل به الانسان عما ينبغي من
الاخذ بالحزم والعمل للامر المخوف واستلاب العزة والغفلة لعقل
الآمن حتى لا يفكر في مصلحته وعاقبة امنه رذيلة تلزم الافراط من الامن و
الجزع بما يلزمه من الفضيحة به رذيلة تلزم التفريط من فضيلة الصبر على
المصيبة واحتمال المكاره والطغيان بكثرة المال رذيلة تلزم الافراط في
كثرته والطغيان تجاوز الحد والاشتغال بالمحنة والبلاء رذيلة التفريط من
فضيلة الصبر على الفقر ولوازمه وقعود الضعف به لازم التفريط من العدل
في الاكل وكظة البطنة رذيلة تلزم افراط الشبع من فضيلة القصد فيه وقال
عليه السلام نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها يرجع الغالي النمرقة
وسادة صغيرة واستعار لفظها بصفة الوسطى له ولاهل بيته عليهم السلم
باعتبار كونهم ايمة العدل ليستند الخلق اليهم في تدبير معاشهم ومعادهم
ومن حق الامام العادل ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر في الدين ويرجع
اليه الغالي اي المفرط المتجاوز حده في طلب حد العدل كما يستند الى الوسادة
الوسطى من على جانبيها وربما كان وصف الوسطى راجعا الى المستعار له فلا
يدخل في وجه الشبه المجرد كونها مستندا اليها وقال عليه السلام لا يقيم
امر الله الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع فالمصانعة المصالحة
بالرشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذلة كان كلا منهما
يضرع للآخر واستلزام الامور الثلاثة لتضييع اوامر الله والتين في
اقامة دينه ظاهر وقال عليه السلام وقد توفي سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة
في مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس اليه لو احبني جبل لتهافت
قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصايب اليه ولا
يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله
عليه السلام من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك على معنى

آخر ليس هذا موضع ذكره وتهافت سقط قطعة قطعة وقال عليه السلام لا يقيم
امر الله سبحانه الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع فالمصانعة المصا
لحة بالرشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وسؤال الذلة كان كلا
منهما يضرع للآخر واستلزام الامور الثلاثة لتضييع اوامر الله تعالى والتي
في اقامة حدوده ظاهر وقال عليه السلام لا مال اعود من العقل ولا وحدة
اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ولا قرين كحسن الخلق
ولا ميراث كالادب ولا قائد كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب
ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد كالزهد في الحرام ولا علم كالتفكر
ولا عبادة كاداء الفرائض ولا ايمان كالحياء والصبر ولا حسب كالتواضع ولا
شرف كالعلم ولا مظاهرة اوثق من المشاورة فقوله عليه السلام
اعود اي انفع لصاحبه واستعار لفظ المال للعقل لان بهما الغنى ولفظ
الوحدة للعجب لما يلزمهما من الوحشة فان المعجب بنفسه يرى الناس
دونه ويلزمه ذلك عدم الانس بهم وعدم التواضع لهم المستلزم للوحشة كما
سبق والتدبير تصرف العقل بالعمل في المصالح كما ينبغي فقد يسمى عقلا
وان كان ثمرة للعقل ولما كان التقى مستلزما للزهد في الدنيا وبذل
اشرف متاعها بسهولة وطيب نفس فلا كرم مثله والتوفيق عبارة عن توافق
اسباب الشيء وشرائطه القائدة الى حصوله واستعار لفظ التجارة
للعمل الصالح وهو اشرف التجارات لاستلزامه اشرف الارباح وهو
الثواب الاخروي والورع في العرف الوقوف عن المناهي ولذلك كان الوقوف
عما اشتبه من الامور في حله وحرمته ابلغ اقسام الورع والزهد في الحرام هو
الزهد الواجب فكان افضل افضلية الواجب على المندوب والتفكر علة
بتحصيل العلوم المكتسبة فكان افضل افضلية الاصل على الفروع وكل
فضيلة من اجزاء الايمان الكامل ايمان والحياء والصبر منشأ فيها ويحتمل

ان يريد لا ايمان كايمان كمل بالحياء والصبر والحسب ما يعد من المكارم و
التواضع من اشرافها واعظمها استلزاما للخيرات الكثيرة والله اعلم
وقال عليه السلام اذا استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل
برجل الظن لم تظهر منه خزية الى اثم وعثر ذلك اوقع نفسه في العزة و
الغفلة وقيل له يا امير المؤمنين كيف نجدك فقال كيف يكون حال
من يفنى ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مامنه سببية البقاء للفناء والصحة
للسقم بقربهما اليهما او كونهما غايتين لهما واما من هو الدنيا وانما
يؤتى الرجل ويدخل عليه ما يكره منها وقال عليه السلام كم من مستدرج بالاحسان
اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله
احدا بمثل الاملاء له المستدرج المأخوذ على غرة والمفتون المبتلى
والاملاء الامهال وقال عليه السلام هلك في رجلان محب غال ومبغض
قال الغلو في محبته طرف افراط وبغضه طرف تفريط منهما وهما رذيلتان
يستلزمان النفاق بل الكفر والهلاك به في الآخرة اما المحب الغالي فجعل
الها واما المبغض القالي فتكفيره له كالخوارج وقال عليه السلام اضاعة
الفرصة غصة فالفرصة ما امكن من نفسه وقال عليه السلام مثل الدنيا
مثل الحية لين مسها قاتل سمها والسم ناقع في جوفها يهوي اليها الغر
الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل وجه التمثيل ان لذة الدنيا و
طيباتها يشبه لين المس من الحية وما يحصل من لذاتها من الهيآت الرذيلة
المتمكنة من جوهر النفس التي يحصل بها التعذيب في الآخرة يشبه سمها
وهوي الجاهل اليها غروره بظاهرها من اللين والالتذاذ وحذر العاقل
منها المعرفة بها وسئل عليه السلام عن قريش فقال اما بنو مخزوم فريحانة
قريش نحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها رأيا
وامنعها لما وراء ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا

وهم اكثر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن من قريش
قيل كان لمخزوم ريح كالخزامى ولون كلونها وهما غالبان في ولده ولذلك
سمي هذا البطن ريحانة قريش وقيل كان في رجالهم كيس وفي نسائهم لطف و
تصنع للرجال وبعد الرأي كناية عن جودته وقوته يقال فلان بعيد
الرأي اذا كان يرى المصلحة على بعد وكونهم امنع لما وراء ظهورهم كناية
عن الحمية وانكر اكثر نكرا والنكر المنكر واصبح احسن وجوها او اطلق
وجوها واشد بشاشة وقال عليه السلام شتان بين عملين عمل تذهب لذته
وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى اجره والعمل الاول للدنيا والعمل
الثاني للآخرة وتبع عليه السلام جنازة فسمع رجلا يضحك فقال كأن الموت
فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي نشيع من
الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنا
مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن
ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها
الى بدعة قال السيد رحمه الله ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم ووجه التشبيه ما قلة اهتمام الناس بالموت لغفلتهم
وعدم اعتبارهم بمن يموت وتبوء المكان اخذه موضعا والجائحة
الداهية والكلام واضح وقال عليه السلام غيرة الرجل ايمان وغيرة
المرأة كفر وذلك لان غيرة الرجل انكار لما اغط الله وغيرة المرأة
انكار لما احله الله ورضيه وقال عليه السلام لانسبن الاسلام نسبة
لم ينسبها احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين
هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل
هذه النسبة بالتعريف اشبه منها بالقياس فعرف الاسلام بانه

التسليم

التسليم لله تعالى والدخول في طاعته وهو تفسير لفظ بلفظ اعرف منه والتسليم
بانه اليقين وهو تسليم ملازم لمنا واذا التسليم الحق انما يكون عمن تيقن
صدق من سلم له واستحقاقه التسليم واليقين بانه التصديق اي التصديق
الجازم المطابق البرهاني فذكر جنسه ونبه بذلك على حده ورسمه والتصديق بانه
الاقرار بالله ورسله وما جاؤا به من البينات وهو تعريف بلفظ اعرف و
الاقرار بانه الاداء اي اداء ما اقر به من واجب الطاعات وهو تعريف بخاصة
له والاداء بانه العمل لله وهو تعريف بلفظ اعرف وانتهت النسبة الى
تعريف الاسلام بالعمل وهو تعريف له ببعض خواصه وقال عليه السلام
عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه
طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء
وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت
لمن شك في الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى
من يموت وعجبت لمن انكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى
وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء استعجال البخيل الفقر لعدم
انتفاعه بما في يده من ماله حتى كانه فقير وذكر عليه السلام محل العجب
من الاربعة تنفيرا عنهم وهو ظاهر وقال عليه السلام من قصر
في العمل ابتلي بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله من نفسه وماله نصيب
اراد العمل لله وذلك ان المقصر فيه يكون غالب احواله في طلب الدنيا التي
لا يتفق طالبها والابتلاء بالهم من لوازم ذلك الطلب وفي المشهور خذ من
الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفيه وقال عليه السلام توقوا البرد في اوله
وتلقوه في آخره فانه يفعل في الابدان كفعله في الاشجار اوله يحرق وآخره
يورق اما توقيه في اوله فلان البرد الخريفي يرد على الابدان وقد استعدت
لفعله بحرارة الصيف ويبسه وما يستلزمانه من التخلخل وكثرة التحلل فلذلك

يكون قهرٌ للفاعل الطبيعي وضعف الحار الغريزي وحدوث ما يحدث عن
اجتماع البرد واليبس اللذين هما طبيعة الموت من ضمور الابدان وتغيرها
واغبرار الاوراق واما بالعيد وهو آخر الشتاء واول زمن الربيع فلاشتراك
الزمانين في الرطوبة التي هي مادة الحيوة وانكسار سورة برد الشتاء وحركة
الربيع واعتداله فتنتشي لذلك الحرارة الغريزية وتنتعش الابدان و
يكون بذلك نموها وقوتها وظهور الاوراق والثمار وقال عليه السلام
عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك هذا امر وجده اولياء الله
وقيل لبعضهم فلان زاهد قال فيماذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا
لا تزن عند الله جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما
يكون في شيء والدنيا عندي لا شيء وذلك لما وجد من عظمة الله تعالى
وقال عليه السلام وقد رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفة
يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا اهل
التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط
سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد
نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم
التفت عليه السلام الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان
خير الزاد التقوى **اقول** الفرط الذي يتقدم الواردة فيهيئ لها الارشاء
والدلاء وخاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهود مقام اشخاصهم
الموجودة والفصل من ابلغ المواعظ والتذكير بامر الآخرة وهو واضح
وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر
بغرورها المنخدع باباطيلها متى غرتك بم انت تذمها انت المتجرم عليها ام
هي المتجرمة عليك متى استهوتك ام متى غرتك ابمصارع ابائك من البلى ام
بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء

وتستوصف

وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك
ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك
ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود
منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكته ومهبط
وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن
ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها
فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية
وابتكرت بفجيعة ترهيبا وترغيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة
الندامة وحمدها آخرون يوم القيمة ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم
فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا **قوله** ابمصارع ابائك استفهام استهزاء
ومثلت صورة والتصديق من صدقها اعترافه بتغيرها وزوالها وما مثلت
به نفسه ودار عافية من عذاب الله لمن فهم عنها ما اخبرت به
من عظاتها وعبرها وآذنت اعلمت والبلاء والسرور بلاء الآخرة وسرورها
اذ كان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب وتحذير منه
يعتبر به وغداة الندامة حين الموت وقال عليه السلام ان لله تعالى
ملكا ينادي في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا للفناء اشار الى
غايات الدنيا على وفق ما علم من القضاء الالهي وقال عليه السلام الدنيا
دار ممر الى دار قرار والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل
ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها في الآخرة بما باعها به من متاع الدنيا
واعتقها بما شراها به من ذلك بالزهد فيه وانفاقه في سبيل الله عز
وجل وقال عليه السلام لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلاث
في نكبته وغيبته ووفاته اراد الصديق الحق وقال عليه السلام من اعطى اربعا
لم يحرم اربعا من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول

ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق
ذلك في كتاب الله قال الله تعالى في الدعاء ادعوني استجب لكم وفي الاستغفار
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال
في الشكر لئن شكرتم لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وكان الله عليما حكيما فتحتاج الامور الاربعة في استلزامها
للامور الاربعة الى الاستعداد التام بالاخلاص فيها وقال
عليه السلام الصلوة قربان كل تقي والحج جهاد كل ضعيف ولكل شيء زكاة و
زكاة البدن الصيام وجهاد المرأة حسن التبعل التبعل معاشرة
البعل وقال عليه السلام استنزلوا الرزق بالصدقة اي استعدوا
لنزوله بالصدقة من ايقن بالخلف جاد بالعطية وقال عليه السلام
تنزل المعونة على قدر المؤنة وذلك لتكفل العناية الالهية بالارزاق
وقال عليه السلام ما عال امرؤ اقتصد العيلة الفقر والاقتصاد الانفاق
بقدر الحاجة وقال عليه السلام قلة العيال احد اليسارين والتودد نصف
العقل والهم نصف الهرم اراد بالعقل العقل العملي ولفظه مجازا
في تصرفاته ولما كان الانسان محتاجا في صلاح معاشه الى غيره وكان
عقله في معاملته للخلق اما على وجه التودد وما يلزمه من جميل المعاشرة
والمسامحة والترغيب واما على ضد ذلك من القهر والغلبة كان التودد وما
في معناه نصف تصرف العقل في تدبير امر معاشه ولما كان الهرم طبيعيا
واما بسبب من خارج وهو الهم والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم
للسبب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف
واراد نصف الهموم وقال عليه السلام ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب بتبه
يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره نزول الصبر من سماء الجود الالهي بسبب

الاستعداد

الاستعداد بالمصيبة فلو احتسبها له وحبط اجره بطل ثوابه على الصبر و
قيل ثوابه السابق ايضا وهو بعيد وقال عليه السلام كم من صائم ليس
 له من صيامه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر
والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد نوم الجاهلين باسرار
العبادة وسهرهم فيها لاخلالهم غالبا بشرائطها الحقة وتوجيهها الى
من هي له والكيس هو الذي يستعمل ذكره وفطنته في طرق الخير ويضع الاشياء مواضعها
فيسهرون وينامون في موضع السهر والنوم وعلى وجههما وقال عليه السلام سوسوا
ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء
سوسوا اي املكوا وذلك ان الصدقة من كمال الايمان التام فحفظه لا
يكون الا بدونها ولفظ الامواج مستعار للحوادث المتواترة **ومن
كلام له عليه السلام** لكميل ابن زياد النخعي رحمه الله قال كميل بن زياد
اخذ بيدي امير المؤمنين فاخرجني الى الجبانة فلما اصحر تنفس
الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها
فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة
وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجؤا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال لان العلم يحرسك
وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق
وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان
به يكسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته
والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل هلك خزان المال وهم احياء و
العلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب
موجودة هاه ان ههنا لعلما جما واشار عليه السلام الى صدره لو اصبت
له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا

مستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه او منقادا لجملة الحق لا
بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة الا لا ذا ولا
ذاك او منهوما باللذة سلس القياد او مغرما بالجمع والادخار ليسا
من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة كذلك
يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة
اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته
وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا والاعظمون قدرا
بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها ويزرعوها في قلوب
اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله
في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم انصرف اذا شئت
اقول الجبان الصحراء والصعداء نوع من التنفس يفعله الملهوف
الحزين ووجه قسمة الناس ثلثة انهم اما عالم او ليس وغير العالم اما طالب
له او ليس والرباني من علم علم الربوبية والنسبة على غير قياس وزيدت
الالف والنون للمبالغة في النسبة واستعار لفظ الهمج وهو ذباب صغار
للعوام باعتبار حقارتهم والرعاع الاحداث والعوام وكني بميلهم مع
كل ريح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد واستعار لفظ الركن
الوثيق لاعتقاد الحقة البرهانية ومنع المال الاحسان به والطاعة
المكتسبة طاعة الخلق لصاحبه او طاعة الله تعالى فان الطاعة
بلا علم لا اصل لها والعلم حاكم باعتبار ان تحصيل المال وتعريفه انما
يكون بالعلم بوجوه الحركة والسعي والمصارف واللقن سريع الفهم
والمنقاد لجملة الحق هو المقلد واشار بعدم بصيرته الى عدم علمه بالبرهان

ذا الحجة والاحناء الجوانب وقوله الا لا ذا ولا ذاك اي ليسا من حملة العلم
الذي اطلب والمنهوم بالذة الشره ووجه من لا يصلح له موت العلم
بموت حامليه واراد بالظاهر ممن يقوم بحجة الله تعالى من عباده من تمكن
من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وبالخائف المغمور من لم يتمكن
من ذلك قالت الامامية هذا تصريح بوجوب الامامة في كل زمان التكليف
وان الامام قائم بحجة الله على خلقه ويجب وجوده بمقتضى الحكمة وهو
اما ان يكون ظاهرا معروفا كالائمة الذين سبقوا الى الآخرة
ووصلوا الى المحل الاعلى من الائمة الاثني عشر منه ومن ولده وعترته عليهم
السلام واما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلصين
من اوليائه كالحجة المنتظر وقوله وكم ذا استبطاء لظهوره واستطا لة
لمدة غيبته وتبرم من امتداد دولة الظالمين وقوله اين هم استقلال
لعدد ائمة الدين وقوله هجم بهم الى قوله البصيرة فجاءهم ودخل
على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية وقيل ذلك على القلوب
اي هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم وباشروا روح اليقين اي
وجدوا لذته وما استوعر المترفون اي ما استصعبوه من خشونة
المطعم وخشونة المضجع والملبس ومقاساة الصيام والتهجد وما استوحش
منه الجاهلون هو الامور المذكورة وقوله معلقة بالمحل الاعلى اي
عاشقة لما شاهدته من جمال حضرة الربوبية وصحبة الملأ الاعلى من
الملائكة والله اعلم وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فاستعار
لفظ المخبوء له باعتبار انه لا يظهر مقداره حتى يتكلم فيعرف كالمخبوء
وقال عليه السلام هلك امرء لم يعرف قدره وذلك لان من لا يعرف قدره في
منطقه ان يتجاوز فيتلاعب به السنة الناس وايديهم حتى يهلك وقال
عليه السلام لرجل سأله ان يعظه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجو

التوبة بطول الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين
ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي
ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويامر بما لا ياتي يحب الصالحين
ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم ويكره الموت لكثرة
ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح امن
لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعى
مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها
على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر
من عمله ان استغنى بطر وفتن وان افتقر قنط ووهن يقصر اذا
عمل ويبالغ اذا سال ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف
التوبة وان عرته محنة انفرج عن شرايط الملة يصف العبرة ولا
يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل ومن العمل مقل
ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما
يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل
اكثر من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على
الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر
مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره
ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في
غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد رحمه الله لو لم يكن
في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة
وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر اقول يرجيها يوخرها ويزجيها
بالزاي المعجمة اي يدفعها وقوله تغلبه نفسه على ما يظن اي من مطامع الدنيا
ولا يغلبها على ما يستيقن اي من ثواب الاخرة ولا يغلبها على ذلك اي على

العمل له وانفرج عن شرايط الملة عند نزول المحنة به خرج وحد عنه
فضيلة الصبر عليها ويرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم
مغنما كالانفاق في معصيته ويغوي نفسه اي لا يسلك بها على سبيل الحق
والكلام من شريف الحكمة والموعظة الحسنة واكثره ظاهر والله
الموفق وقال عليه السلم لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة اشار الى غاية
الخيرية والشرية كالجنة ولذاتها والنار وعذابها واستعار لفظي الحلو
والمر للذيذ والمكروه وقال عليه السلم لكل مقبل ادبار وما ادبر كان
لم يكن وهو تزهيد في متاع الدنيا وقنياتها وقال عليه السلم لا
يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان وقال عليه السلم الراضي بفعل
قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم
الرضا به وهو ظاهر والله اعلم وقال عليه السلم اعتصموا بالذمم في
اوتادها فالذمم العهود والعقود والايمان واستعار لفظ الاوتاد
لشرايطها باعتبار انها سبب حفظها كالوتد لما يحفظ به واراد استمسكوا
بالمحافظة عليها ولزوم الوفاء بها من عذاب الله تعالى وقال عليه السلم
عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته يريد طاعة الله تعالى وقيل
ايمة الحق اي اذ لا يعذر الخلق في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين منهم
وقال عليه السلم قد بصرتم ان ابصرتم وهديتم ان اهتديتم واسمعتم
ان سمعتم اي قد بصرتم سبيل الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة
عليها وقال عليه السلم من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء
به الظن لانه المسبب هو في اساءة الظن به وقال عليه السلم من ملك
استاثر ومن استبد برايه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها
اي استبد واراد ان شان الملوك الاستبداد بالامور دون الناس
ومن استبد برايه هلك اذ كان الاستبداد بالراي مظنة الخطاء وما يلزمه

من الهلاك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها لاستبانة الرأي الاصلح فيهما فكان
قد حصل على مثل ما حصل جميعهم عليه من العقل وقال عليه السلم من كتم سره
كانت الخيرة بيده أي في اذاعته وكتمانه وهو ترغيب في كتمان السر وقال
عليه السلم الفقر موت اكبر استعار له لفظ الموت باعتبار انقطاع النفع
بمتاع الدنيا معه كالموت وكونه اكبر باعتبار تضاعف آلامه في الحياة وراحة الميت
بموته وقال عليه السلم من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده وذلك لان
قضاك لحق من لا يقضي حقك من الاخوان ليس لطلب نفع منه ولا دفع مضرة
الغير عنك بل لانه هوى او لهيبة منه وهي تشبه العبادة وقال عليه السلم
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وذلك كالتقرب بالوضوء بالماء
المغصوب والصلاة في الدار المغصوبة والنفي هنا لذات الطاعة المعتبرة
كما هو مذهب اهل البيت عليهم السلم وعند الشافعي رحمه الله يحمل على نفي
الفضيلة وقال عليه السلم لا يعاب المرء بتأخير حقه انما يعاب من اخذ
ما ليس له لان الاول حق والثاني ظلم وهو من اقوى الرذائل واكبر العيوب
وقال عليه السلم الاعجاب يمنع من الازدياد وذلك لتصور المعجب بنفسه
لكماله فيمنعه من التكمل وقال عليه السلم الامر قريب اي امر الله وهو الموت
والاصطحاب قليل اي في الدنيا وقال عليه السلم قد اضاء الصبح لذي عينين
استعار لفظ الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها ولفظ العينين
للعقل وهو كالمثل ونحوه قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
الآية وقال عليه السلم ترك الذنب اهون من طلب التوبة وقال كم من
اكلة منعت اكلات مضروب مثلا لمن يفعل فعلا فيحرم به ما كان معتادا
له من منفعة ولذة وقال عليه السلم الناس اعداء ما جهلوا وذلك
لاعتقاد اكثر الجهال ان تصوراتهم واعتقاداتهم الوهمية هي الحق وليس
بعد الحق الا الضلال الذي ينبغي ان يعادي ويجانب وتتأكد عداوتهم

281 للعلم واهله بغبطتهم لهم وفخر العلماء عليهم واحتقارهم اياهم وقال
عليه السلم من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء فاستقبالها تصفحها
واستقراؤها وهو مستلزم لمعرفة الخطاء من الصواب ومظنة لذلك
وقال عليه السلم من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل
لان الغاضب لله يشتد بعزته التي هي اقوى من عزة الباطل والمستمسك
بالاقوى اقوى وبذلك كان قتله عليه السلم الجبابرة من العرب وقال عليه
السلام اذا هبت امرا فقع فيه فان شدة توقيه اعظم مما تخاف منه وهو ظاهر
وقال عليه السلام آلة الرياسة سعة الصدر سعة الصدر فضيلة
تحت الشجاعة وهي ان لا يدهش الانسان قوة التجلد عند ورود الاحداث المهمة
عليه واعتلاقها ولا يحتار او يدهش فيما يرد عليه منها وهي من لوازم الرياسة
الحقة فعرفها بها وقال عليه السلم ازجر المسيء بثواب المحسن لان تقوى
المسيء جزاء المحسن باحسانه يجذبه الى الاحسان ويزجره عن الاساءة وقال
عليه السلم احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك لان نية الشر للغير تظهر
اماراتها في فلتات القول وصفحات الوجه وذلك مبدا لتغير نية الغير و
اضمار المقابلة بالشر فكان عدمها بعدمها وقال عليه السلم اللجاجة تسل
الرأي تأخذه وتذهب به وذلك ان الانسان قد يلج في طلب الشيء مع ان
الرأي في تحصيله التأني فيكون اللجاج فيه سببا مفوتا للرأي الاصلح فيه وهو
مفوت للمطلوب غالبا وقال عليه السلم الطمع رق مؤبد فاستعار له لفظ
الرق لاستلزامه التعبد للمطموع فيه وطاعته كالرق وقال عليه السلم ثمرة
الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة فالحزم هو تقديم العمل للحوادث
بما هو اقرب لنيل السلامة منها والتفريط اضاعته وقال عليه السلم لا خير في
الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل لما كان فضيلة القول هو النطق
بالحكمة كان السكوت عنها رذيلة التفريط منها والقول بالجهل رذيلة تضادها

ولا خير فيهما وقال عليه السلم ما اختلفت دعوتان الا كانت احداهما
ضلالة فالدعوة اما الى حق او الى غيره وهو الباطل ولا واسطة بينهما وهذا
يؤيد المنقول عنه ومن اهل بيته عليهم السلم ان الحق في جهة واحدة
وانه ليس كل مجتهد مصيبا وقال عليه السلم ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت
ولا ضل بي ان للظالم البادي غدا بكفه عضة احترز بالبادي عن الجازي
للظلم بمثله وكنى بعض الكف عن الندامة وقال عليه السلم الرحيل وشيك
اي قريب الى الآخرة وقال عليه السلم من ابدى صفحته للحق هلك اي من ظهر
ونصب نفسه لاظهار الحق هلك عند الجهال لضعف الحق عندهم وجهلهم للباطل
وقد مر بيانه وقال عليه السلام من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع اي من
لم يصبر فينجو بالصبر من اثم الجزع والهلاك به في الآخرة او في الدنيا هلك
به وقال عليه السلام واعجباه ان تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة
والقرابة وروي عنه عليه السلم شعر في هذا المعنى

فان كنت بالشورى ملكت امورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك اولى بالنبي واقرب

روي هذا عنه عند بيعة عثمن وهو صورة جواب لما كان يجعل من تعليل
استحقاق عثمن الخلافة تارة بالشورى وتارة بالصحابة وفيه اشارة الى
انه عليه السلم اولى بها من غيره لاجتماع الصحابة والقرابة فيه وقال عليه السلم
انما المرء في الدنيا عرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل
جرعة شرقة وفي كل اكلة غصص ولا ينال العبد منها نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل
يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب الحتوف
فمن اين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا
الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا استعار لفظ الانتضال وهو الرمي
لرمي الانسان بالامراض والاعراض ونهب بمعنى منهوب وكنى بالشرق والغصص

عن شوب لذات الدنيا بالتكدير وعدم خلوصها والنعمة في الحقيقة هي
اللذة وما يكون وسيلة اليها نعمة بالعرض ولا يكاد تحصل للنفس في
٢٨٢ الدنيا لذتان معا بل ان كانتا فاحداهما بعد زوال الاخرى وكذلك ما يتعدد
من النعم المتعارفة غالبا اذ طبيعة الدنيا ومتاعها التقضي والتجدد و
نحن اعوان المنون على انفسنا باعتبار ان كل نفس وحركة فهي مقربة للانسان
الى اجله فكانه ساع الى اجله والله اعلم وقال عليه السلام يا ابن
آدم ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك اراد لغيره الحادث
او الوارث وقال عليه السلام ان للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فأتوها
من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره عمي اراد بالادبار النفرة والملال
واستعاره وصف العمى له باعتبار عدم ادراكه مع النفرة والملال وذلك
لوقوف القوى المدركة عن المطلوب لكلال او ملال وقال عليه السلم متى
اشفي غيظي اذا غضبت احين اعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه
فيقال لي لو غفرت نفر عن رذيلة شفاء الغيظ وانذر بما يلزم منه لائمة
الخلق على الاحتراق والقلق عند العجز وعلى ايقاع العقوبة وترك فضيلة
العفو عند القدرة وقال عليه السلام وقد مر بقذر على مزبلة هذا ما بخل
به الباخلون وفي خبر آخر هذا ما كنتم تتنافسون عليه بالامس اشار
الى الغاية اقامتها مقام ذي الغاية وقال عليه السلم لم يذهب من مالك
ما وعظك اي لا بعد ما ذهب من مالك بآفة تفيدك موعظة ذاهبا لوجود
منفعته وهو العبرة به وقال عليه السلم لما سمع قول الخوارج لا حكم
الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل وقد مر بيانه وقال عليه السلم في
صفة الغوغاء وهم العوام هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا
لم يعرفوا وقيل انه قال هم الذين اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا
فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع المهن الى

منهم فينتفع الناس بهم كرجوع البنا الى بنايه والنساج الى نساجه والنجد والخباز الى مخبزه والمهنة الحرفة والصناعة وقال عليه السلم وقد اتى بجاني ومعه عونا فقال لا مرحبا بوجوه لاترى الا عند كل سوءة اراد لاترى مجتمعة في الغالب الا كذلك والسوءة الفعلة من السوء وهي القبيحة وقال عليه السلم ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة استعار لفظ الجنة وهي الدرع للاجل وقال عليه السلم وقد قال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاوك في هذا الامر فقال لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز والاود والاعوجاج وقال عليه السلم ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم والمعنى ظاهر وقال عليه السلم لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشي منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر والله يحب المحسنين بنيه على ترك الزهد في المعروف بثلاث ضماير صغرى الاولى قوله فقد يشكرك الى قوله منه وصغرى الثاني قوله وقد الى قوله الكافر وتبنيه على صغرى الثالث بقوله والله يحب المحسنين وتقدير الكبرى بقوله في الاول وكل ما يشكرك عليه من لا يستمتع بشي منه فواجب ان لا يزهدك فيه من لا يشكرك وتقديرها في الثاني وكلما قد تدرك من شكر الشاكر فيه اكثر مما اضاعه الكافر فلا يجوز الزهد فيه وارادكافر النعمة وتقديرها في الثالث وكل من احبه الله فهو واجب ان يفعل ما لاجله احبه ولا يزهد فيه وقال عليه السلم كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع وذكر ان الاوعية المحسوسة مظنة ان تضيق بما جعل فيها لتناهي اتساعها والاوعية المعقولة كالنفوس غير متناهية القوة والقبول فهي غير متناهية الاتساع لادراك الاشياء و

حفظها

حفظها ولفظ وعاء العلم مستعار لها وقال عليه السلم اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل اراد بالعوض جزاوه على حلمه او عوض ما يفوته من لذة الانتقام بسبب الحلم ويكون التقدير اول عوض الحليم الحاصل من حلمه والله اعلم وقال عليه السلم ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا واوشك ان يكون منهم التحلم يقود الحلم لان اكثر مبادي الملكات الخلقية حالات مكتسبة وقال عليه السلم من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف امن ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم محاسبة النفس على عملها الاحتراز من الخسران بالتفريط ومخافة عذاب الله تستلزم العمل له والاعتبار الفكر في مواقع العبرة وهو مستلزم لروية الطريق الحق الى الله وذلك مستلزم لفهم منازلها ومراحلها وافاتها وهو مستلزم للعلم بها بغاياتها ومقاصدها وقال عليه السلم لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين شماس الدابة نفورها والضروس الناقة تعض حالبها ليبقى لبنها لولدها بفرط شفقتها عليه وقال عليه السلم اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع اكمش في مهل اي اسرع الى العمل في مهلة الحياة وبادر اليه في وجل من خوف الله وذكر في كرة الموئل اي الرجعة الى ملجا الحق ومبداهم من حضرة الله وعاقبة المصدر الذي عنه صدروا واليه يعود ومغبة المرجع عاقبته من خير او شر ليعمل لها وقال عليه السلم الجود حارس الاعراض والحلم فدام السفيه والعفو زكاة الظفر والسلو عوضك ممن غدر والاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برايه والصبر يناضل الحدثان والجزع من اعوان الزمان واشرف الغنى ترك المنى

وكم من عقل اسير عند هوى امير ومن التوفيق حفظ التجربة والمودة قرابة
مستفادة ولا تامنن ملولا اقول استعار لفظ الحارس للجود باعتبار حفظه
للاعراض من الشتم ولفظ الفدام وهو ما يوضع في فم الابريق ليصفي ما فيه و
الخرقة التي يشد بها الحسن فم للحلم عن السفه باعتبار انه يسكنه كالفدام
ولفظ الزكاة للعفو لاستلزامها الثواب وفيه ملاحظة شبه الظفر بالمال
وخاطر اشرف على الهلاك لان الاستبداد مظنته ولفظ المناضلة لفائدة
الصبر لدفعه الهلاك عن الجزع واعانة الجزع للزمان في اعداده للهم
والفناء واشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانية وهو مستلزم لترك
المنى فاخبر بالملزوم عن اللازم واستعار لفظ الاسير للعقل الانقياده
للهوى الغالب ولفظ الامير للهوى واخبر عنه بكم لكثرته وحفظ التجربة
ملازمتها ومداومتها ولسرعة انصراف الملول عن صاحبه وجب ان لا يؤمن
على صداقته وسره ولا يوثق به وقال عليه السلم عجب المرء بنفسه احد حساد
عقله فاستعار له لفظ الحاسد باعتبار انه يؤثر في منعه من ازدياد الفضيلة
وهو تنقيص حاله كالحسد وقال عليه السلم اغض على القذى والالم ترض
ابدا فكنى بالاغضاء عن احتمال المكروه وكظم الغيظ ولان طبيعة الدنيا
معجونة بالمكاره وجب احتمالها والا لدام التعب بالتسخط والغضب وقال
عليه السلم من لان عوده كثفت اغصانه وهو كالمثل يضرب لمن تواضع للناس
فيالفونه ويحبونه فيكثر بهم ويقوى باجتماعهم عليه وقال عليه السلم
لان استطال اي من نال امرا شانه ان يستطال به من مال او جاه وهو
كالمثل وقال عليه السلم في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب
احوال الدنيا على المرء فعسره بعد يساره وبالعكس ونزول الشدايد به
يعرف حاله في طبيعته وما يلزمها من الاخلاق كالصبر واحتمال المكروه وسعة
الصدر واضدادها وقال عليه السلم حسد الصديق من سقم المودة لدلالته على

ضعفها

ضعفها وقال اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع فاستعار لفظ
المصارع لهوي العقل على ما يطمع فيه وانجذابه نحوه بحسب ما يلقيه اليه
الوهم والخيال من تخييل الامور النافعة ولفظ البروق لما يلوح من تلك
الخيالات وقال عليه السلم ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اي
من كان عندك ثقة مامونا لم يمكن الحكم عليه بالرذيلة بمجرد الظن عدلا
بل ظلما لان العلم بكونه ثقة ارجح ولان الاصل كونه ثقة وقال
عليه السلم من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله وقال
عليه السلم من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه لاستلزام الحياء المرء تركه
لما يعاب به وقوله لم ير الناس عيبه اي لم يكن له عيب يرى
ان كان له عيب فهو يستتر به وقال عليه السلم بكثرة الصمت تكون
الهيبة وبالنصفة يكثر المواصلون وبالافضال تعظم الاقدار و
بالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب السؤدد وبالسيرة العادلة
يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه اشار عليه السلم
الى سبع فضايل ورغب فيها بما تستلزمه من الخير وهي ظاهرة وتمام
النعمة لكثرة الاخوان واهل المودة لان التواضع نعمة وما يلزمها تمام
لها والمناوي المعادي وقهره لان الناس مع السيرة العادلة وقال
عليه السلم العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد لان العافية اكبر
سلامة الدنيا فغفلتهم عن الحسد عليها عجب وقال عليه السلم الطامع
في وثاق الذل فاستعار لفظ الوثاق للطمع المذل باعتبار تقييده بدركا لوثاق
وقال عليه السلم الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان
واراد الايمان الكامل وقال عليه السلم من اصبح على الدنيا حزينا فقد
اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح
يشكو ربه ومن اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرأ القرآن

ومات ثم دخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج قلبه بحب
الدنيا التاط منها بثلاث هم لا يغبه وحرص لا يتركه وأمل لا يدركه
ذكر خمس خصال مذمومة تنفر عنها بما يلزمها من الشر فالحزن على
فائت الدنيا يلزمه عدم الرضا بذلك المقضي وهو مستلزم لسخط
القضاء وشكوى المصيبة يلزمها شكوى المبتلي بها وهو الله تعالى
وذهاب ثلثي الدين من التواضع للغني لغناه لأن مدار الدين على الحق
في الاعتقاد والقول والعمل والمتواضع المذكور خارج عن الحق والعدل
في تواضعه بقوله وفعله فهو خارج عن ثلثي دينه وقيل لأن مدار
على كمال النفس بفضيلة الحكمة والشجاعة والمتواضع المذكور مضيع لحكمته
لوضع التواضع في غير موضعه ولعفته بخروجه عنها إلى رذيلة الفجور
حتى كأنه عابد لغير الله تعالى وذلك هدم لثلثي دينه ودخول النار
للقارئ يستلزم كونه لم يتدبر القرآن ولم يعمل به فكان بذلك
كالمستهزئ به غير المعتقد لصدقه فاستعار لفظه ولهج بالشيء حرص عليه
وأولع به والتاط التصق ولا يغبه لا يفارقه يوما وقال عليه السلام
كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما فاستعار لفظ الملك للقناعة
لأن بها الغنى والترفع عن الخلق ولفظ النعيم لحسن الخلق للالتذاذ
بهما والراحة معهما وسئل عليه السلام عن قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة
فقال هي القناعة وقال عليه السلام شاركوا الذي أقبل عليه الرزق فإنه
أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ أخلق وأجدر أي أولى لأن مشاركته
مظنة إقبال حظ مشاركه ودرور الرزق عليه وقال عليه السلام في
قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى العدل
الإنصاف والإحسان التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ أعرف منه عند السائل
وقال عليه السلام من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة كنى باليد الطولى

عن العطاء الكثير وبالقصيرة عن العطاء القليل فهو كقوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام لا
تدعون إلى مبارزة فإن دعيت إليها فأجب فإن الداعي باغ والباغي
مصروع أي في مظنة أن يصرع وقال عليه السلام خيار خصال النساء شرار
خصال الرجال الزهو والجبن والبخل فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن
من نفسها وإذا كانت المرأة بخيلة حفظت مالها ومال بعلها وإذا كانت المرأة
جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها الزهو والكبر والكلام واضح وقيل
له عليه السلام صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل
فصف لنا الجاهل فقال قد فعلت يعني عليه السلام أن الجاهل هو الذي
لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له إذ كان بخلاف وصف
العاقل فأقول عرف العاقل بخاصة من خواصه والجاهل بعدم
تلك الخاصة وهي من خواص الجاهل والله أعلم وقال عليه السلام
والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم
عراق جمع عرق وهو جمع غريب كتوأم وتؤام وهو العظم الذي بحث
عنه اللحم وهو في غاية بيان كراهية الدنيا عنده والتنفير عنها وقال
عليه السلام إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإن قوما
عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وإن قوما عبدوا الله شكرا
فتلك عبادة الأحرار فالأولى عبادة التجار لأنهم يعتاضون عنها
الثواب وعبادة الثانية العبيد لأن غايتها عن رهبة والثالثة
عبادة العارفين الذين يعبدون الله لله ولأنه أهل للعبادة و
هم الأحرار من رق الرغبة والرهبة والله أعلم وقال عليه السلام
المرأة شر كلها ومن شر ما فيها قلة الاستغناء عنها أما أنها شر فلأن
مدارها على قوتها وهو شر عاجل وعلى الالتذاذ بها والاشتغال عن الله

ويلزم شيباً أجل وأمّا أن الحاجة إليها شرّ من ذلك فلأنها سبب تلك الشرور
والسبب أقوى من المسبب وقال عليه السلام من أطاع التواني ضيّع الحقوق
ومن أطاع الواشي ضيّع الصديق وقال عليه السلام الحجر الغصيب في الدار
رهن على خرابها قال ويروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
عجب أن يشتبه الكلامان لأن مستقاهما من قليب ومفرغهما من ذنوب
أقول استعار لفظ الرهن للمغصوب لاستلزامه غالباً خراب بيت
الغاصب كاستلزام الرهن أداء ما عليه وقال عليه السلام يوم المظلوم على
الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم فيوم المظلوم يوم القيمة و
خصّه به لأنه يوم انتصافه وأخذ حقه فهو له وكذلك تخصيص يوم الظالم
به وقال عليه السلام اتق الله بعض التقى وإن قلّ واجعل بينك وبين الله
ستراً وإن رقّ لأن التقوى هي الزاد إلى الآخرة ولا يجوز ترك الزاد بالكلية
في مثل ذلك الطريق واستعار لفظ الستر لحدود الله عزّ وجلّ وجعلها
بينه وبين الله تعالى حفظها وعدم انتهاكها الموقع في مهاوي الهلاك
وقال عليه السلام إذا ازدحم الجواب خفي الصواب أي إذا كثرت الأجوبة من
جماعة عن مسألة من واحد خفي الصواب منها لكثرتها واختلافها وأكثر ما
يكون ذلك في المسائل الاجتهادية وقال عليه السلام إن الله عزّ وجلّ في كل
نعمة حقاً فمن أدّاه زاده منها ومن قصّر عنه خاطر بزوال النعمة فحق الله في
النعمة شكرها الواجب واستلزام وجوده للمزيد منها وعدمها وهو الكفران
لزوالها كما في قوله تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم الآية وقال عليه السلام إذا
كثرت المقدرة قلّت الشهوة وذلك لاستشعار قليل القدرة على الشيء خوف
فواته فلا يزال في قلبه دغدغة وهمّة تحمله على شهوته وطلبه أمّا كثير القدرة
عليه فإنّه يأمن فوته فيضعف باعثه عليه وتقلّ شهوته له والله أعلم وقال
عليه السلام احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود فاستعار لفظ النفار

الشارد

الشارد للنعم الزائلة ملاحظة لشبهها بالإبل النافرة ونبّه بالتحذير من
ذلك على وجوب تقييدها بالشكر وقال عليه السلام الكرم أعطف من
الرحم أي الكريم لكرمه على المنعم عليه أعطف من ذي الرحم على ذي رحمه لأن
عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد يكون تكلفاً وقال عليه
السلام من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه أي بمطابقة فعلك لظنه فيك
الخير وقال عليه السلام أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه وذلك لأن
فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس العاقلة
وفي إكراهها أسرها وقهرها وبحسب ذلك يكون كثرة الفائدة والمنفعة
فكان أفضلها أكرهها وفي الحديث أفضل الأعمال أحمزها بالزاي
المعجمة أي أشقها وقال عليه السلام عرفت الله سبحانه وتعالى بفسخ العزائم
وحلّ العقود فحلّ العزائم الرجوع عمّا يعزم عليه وحلّ العقود
تغيير ما يعقد عليه الضمير ووجه الشبه الاستدلال بهما على المعرفة
أنها تغيرات وخواطر ممكنة محتاجة في طرفي وجودها وعدمها
إلى مرجح وليس هو العبد فعاد الدور والتسلسل فالمرجح الأول لها
هو الله تعالى وهو المطلوب وقال عليه السلام مرارة الدنيا حلاوة
الآخرة وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة فاستعار لفظ المرارة لمشقة
الأعمال الصالحة في الدنيا ولما استعقبه اللذة الدنيوية من الألم
العذاب في الآخرة ولفظ الحلاوة لما استعقبه الأعمال الصالحة من
لذة السعادة الأخروية ولما في متاع الدنيا من اللذة وهو ظاهر وقال
عليه السلام فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً عن الكبر
والزكوة تسبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق والحج تقوية
للدين والجهاد عزّاً للإسلام والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي
عن المنكر ردعاً للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقناً

للزهاد واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل
ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك اللواط
تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا
للصدق والسلام امانا من المخاوف والامامة نظاما للامة والطاعة
تعظيما للامامة اقول الايمان يلزمه الطهارة عن الشرك لما فيه من التصديق
بالوحدانية ويلزم الصلاة التنزيه عن الكبر لما فيها من التواضع والزكاة
تسبيبا للرزق اي رزق من فرضت لهم من الاصناف والاخلاص في
الصيام يلزمه لما فيه من المشقة وهجر الملاذ وتقوية الدين بالحج لما فيه
من الاجتماع واظهار شعائر الله ومنماة للعدد وزيادة في ذوي الرحم بصلتهم
لما في ذلك من استقامة امر معاشهم وتشريف الصدق بترك الكذب لما
في الصدق من بناء اكثر مصالح العالم في المعاش والمعاد عليه والامان
وهو ظاهر وباقي الاسرار ظاهرة وقد سبق بيان اكثرها وكان عليه
السلام يقول احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه بريء من حول الله
وقوته فانه اذا حلف بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذي لا اله الا
هو لم يعاجل لانه قد وحد الله سبحانه وتعالى وقال عليه السلم يا ابن
ادم كن وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك اي ضع
مالك في مواضعه المأمور بوضعه فيها شرعا من القربات وغيرها
وذلك هو ما يختار ان يعمل فيه من بعده اي يضع مالك وقال عليه
السلام الحدة ضرب من الجنون استعار للحدة وهي الافراط في الغضب
لفظ الجنون لاستلزامها الخروج في هذه القوة عن طاعة العقل فيما
ينبغي ان يعمل وقال عليه السلم صحة الجسد من قلة الحسد اي ان الحسد
قد يؤثر في فساد الجسد فكانت قلته من شرائط صحته واسبابها وقال
عليه السلم لكميل ابن زياد النخعي يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب المكارم

ويدلجوا

ويدلجوا في حاجة من هو نائم فو الذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع
قلبا سرورا الا وخلق الله سبحانه من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت
به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة
الابل الادلاج السير بالليل وكنى بالنائم عن غير المتكلف لطلب
الحاجة واللطف ما يكون الانسان عنده اقرب الى صلاح حاله و
اشار به الى ما يستمد من المحسن من الادعية الصالحة والثناء المترو
وذلك لطف يصلح به حاله عند الله وعند الناس ويعده لدفع المكاره
النازلة به ورود النائبة وهي المصيبة وشبه طرده لها بطرد غريبة
الابل وقال عليه السلم اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة فالاملاق
الفقر ومتاجرة الله استعاضة عطاياه وثوابه في الدنيا والاخرة من صدقة
الفقر ثقة بقوله تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال عليه
السلام الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله عز وجل والغدر باهل الغدر
وفاء عند الله عز وجل فاستعار لفظ الغدر للوفاء الاول لكونهما
وضعا للشيء في غير موضعه ولفظ الوفاء الثاني للغدر لكونهما وضعا
للشيء في موضعه والله اعلم قال السيد رحمه الله فصل نذكر
فيه شيئا من غريب كلامه عليه السلم المحتاج الى التفسير في حديثه
عليه السلم قوله فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون
اليه كما يجتمع قزع الخريف قال واليعسوب الدين السيد العظيم
المالك لامور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التي لا ماء فيها
اقول قوله ذلك اشارة الى علامات ذكرها في اخر الزمان لظهور صاحب
الامر واستعار له لفظ اليعسوب وفي حديثه ان الايمان يبدو لمظة
في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة قال واللمظة مثل النكتة
او نحوها من البياض ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته شيء من البياض

واقول لفظ اللحظة مستعار للتصديق القلبي واول ما يقع في القلب يكون
حالة شبيهة باللحظة من شعاع الشمس وغيرها ثم لا تزال تزداد حتى تقوى
وتتأكد بالبراهين والحجج الى ان تصير ملكة تامة والجفلة من العرب
هي المسماة من الانسان شعرة ومن حديثه عليه السلم ان الرجل اذا
كان له الدين الظنون يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه والظنون
الذي لا يعلم صاحبه ايقبضه من الذي هو عليه ام لا فكانه الذي يظن
به تارة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من افصح الكلام وكذلك كل امر
تطالبه ولا تدري على اي شيء انت منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى

• من يجعل الجد الظنون الذي • جنب صوب اللجب الماطر •

• مثل الفراتي اذا ما طما • يقذف بالبوصي والماهر •

فالجد البير والظنون الذي لا يعلم افيها ماء ام لا واللجب في قول الاعشى
هو السحاب المصوت والفراتي الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر
بالانسان دواري اي دوار ويحتمل ان يريد النهر الفراتي والبوصي
سفينة صغيرة معروفة والماهر السابح وباقي الفصل ظاهر وقال
عليه السلم لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه ماشيا
حتى اتى النخيلة فادركه الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم
فقال عليه السلم والله ما تكفونني انفسكم فكيف تكفونني غيركم ان كانت الرعايا
قبلي لتشكو حيف رعاتها واني اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود وهم
القادة او الموزوع وهم الوزعة فلما قال هذا القول في كلام طويل
قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما
اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال
واين تقعان مما اريد وقيل ان الحرث ابن حوط اتاه عليه السلم فقال اتراني
اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال عليه السلم يا حار انك نظرت تحتك

ولم تنظر فوقك فحرت انك لم تعرف الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل
فتعرف من اتاه فقال الحرث فاني اعتزل مع سعد بن مالك وعبد
الله ابن عمر فقال عليه السلم ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا
الباطل فقيل في قوله نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت الى
شبهة اصحاب الجمل ولم تنظر الى الحق الذي معي امامك وفي العرف ان الحق
فوق الباطل فوقية الشرف والفضيلة والباطل تحته تحتية الدناءة
وقيل اراد انك نظرت الى الخلق وراقبتهم ولم تنظر الى الله فتعمل
له فحرت اي لنظرك في شبهتهم او لمراقبتك اياهم وسعد ابن
مالك هو سعد بن ابي وقاص والله الموفق للصواب وقال عليه
السلام صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه
وجه الشبه صعوبة المركب وخطره ونبه عليه بقوله يغبط الى اخره
وقال عليه السلم احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم لان المجازات و
اجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل بعد المرء الحسن يعطف الناس على
من يحفظه من ولده واهله وقال عليه السلم كلام الحكماء اذا كان صوابا
كان دواء واذا كان خطاء كان داء اراد داء الجهل ودواءه من الجهل وسأله
عليه السلم رجل ان يعرفه ما الايمان فقال اذا كان غدا فاتني اخبرك
على اسماع الناس فان نسيت مقالتي حفظها غيرك فان الكلام كالشاردة
يثقفها هذا ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه به عليه السلم فيما تقدم
من هذا الباب وهو قوله الايمان على اربع شعب ويثقفها اي يدركها
ويجدها وهو وجه الشبه بالشاردة من الابل واراد يحفظه واحد ولا
يضبطها اخر وقال عليه السلم يا ابن ادم لا تحمل هم يومك الذي لم
ياتك على يومك الذي قد اتاك فانه ان يك من عمرك يات الله فيه برزقك
وقال عليه السلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما

وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فصلى في الموضعين
معترضا منيرين نبه بهما على الاعتدال في المحبة والبغض وقال عليه
السلام في الدنيا عاملان عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن
آخرته يخشى على من يخلف الفقر ويامنه على نفسه فيفني عمره في منفعة
غيره وعامل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل
فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها عند الله لا يسأل
الله حاجة فيمنعه قوله في يامنه على نفسه اي الفقر في الآخرة من
الخير النافع فيها وروي انه ذكر عند عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
في ايامه حلي الكعبة فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المؤمنين كان
اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهم عمر بذلك وسأل عنه امير
المؤمنين فقال ان القرآن انزل على النبي صلى الله عليه وسلم والاموال
اربعة اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض والفيء فقسمه
على مستحقيه والخمس فوضعه حيث وضعه الله تعالى والصدقات فجعلها
حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه
نسيانا ولم يخف عليه مكانا فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال له عمر
لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله مكانا نصب على التمييز والفصل واضح و
روي انه عليه السلام رفع اليه رجلان سرقا الواحد سرق من مال الله والآخر
من عرض الناس فقال عليه السلام اما هذا فهو مال الله فلا حد عليه مال
الله اكل بعضه بعضا واما الآخر فعليه الحد فقطع يده وعرض الناس سائرهم وعامتهم
وقال عليه السلام لو استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشياء فكنى
باستواء قدميه عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها و
استعار لفظ المداحض للمسائل الاجتهادية لانها من مزال اقدام العقول و
اراد بالاشياء احكاما ما سبقت من الائمة قبله على خلاف ما يراه من الحق

وقال عليه السلام اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته
واشتدت طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم والعارف
لهذا العامل به اعظم الناس راحة في منفعته والتارك له الشاك فيه اعظم
الناس شغلا في مضرته ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب مبتلى
مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستمع في شكرك وقصر من عجلتك وقف
عند منتهى رزقك فالذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ وقد قام البرهان
على ان ما علم الله تعالى وجوده او عدمه واثبته في اللوح المحفوظ وجب وقوعه
وفق علمه فلذلك امر بعلمه يقينا ويلزم ذلك اليقين الراحة من
الاهتمام به والتعب في طلبه مع منفعته بما لا بد منه من وصوله اليه فرزق
غيره ويلزم الشاك فيه ما ذكره من كونه اعظم الناس اي اعتبار خلو شغله
من الفائدة وبحسب ذلك لزمته المضرة وقوله ورب منعم عليه الى
قوله بالبلوى ترغيب في الاجمال في طلب الرزق بذكر ما قد يلزم النعمة
من استدراج المنعم عليه وهو الاخذ على غرة وما قد يلزم الابتلاء
بالفقر من الصنع له واللطف به لكن في حقه والله الموفق وقال عليه السلام
لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم
فاقدموا فجعلهم علمهم جهلا وشكا اي في قوتهما لتركهم العمل على وفقه فكانهم نعم
جاهلون بما علموه من حال الآخرة شاكون في ذلك وقال عليه السلام
ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل
ريه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والاماني
تعمي اعين البصائر والحظ ياتي من لا ياتيه مورد المطامع موارد الذل والهلكة
في الآخرة غير مصدر له عنها واستعار له لفظ الضامن لوثوق الطامع بدركه الضامن
من قوله وتعمي اعين البصائر اي عن ادراك المطالب الحقة والكلام مشتمل على
صغريات ضماير ستة تنفر بها عن الطمع وما يلزمه من الحرص وطول الامل والله اعلم

وقال عليه السلام اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي و
٢٨٧ تقبح فيما أبطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت
مطلع عليه مني فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضي إليك بسوء عملي تقربا
إلى عبادك وتباعدا من مرضاتك فالرياء في قوله بجميع متعلق برياء أو بقوله
محافظا وأفضي إليه أي أصل والفضل ظاهر وقال عليه السلام لا والذي أمسينا
منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم أغر ما كان كذا وكذا فغبر الليل بقاياه
والدهماء السوداء واستعار لفظ الكشر وهو التبسم تبدو معه الأسنان للنهار
عن ضوء يومها والأغر الواضح وقال عليه السلام قليل تدوم عليه أرجى من كثير
مملول فأرجى أكثر رجاء للنفع وقال عليه السلام إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها
وقد مر مثله وقال عليه السلام من تذكر بعد السفر استعد أي السفر إلى
الآخرة والاستعداد بزاد التقوى وقال عليه السلام ليست الروية مع الإبصار
وقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من انتصحه وأراد أن الاعتماد في
العلوم على العقل دون الحس لكذبه في مواضع وقال عليه السلام بينكم
وبين الموعظة حجاب من الغرة أي من الغفلة ولفظ الحجاب مستعار لها
وقال عليه السلام جاهلكم مزداد أي من الإثم مسوف له بالتوبة وقال
عليه السلام قطع العلم عذر المتعللين وأراد العلم بالدين وبما جاء به الرسول
عليه الصلوة والسلام من البشارة والنذارة فإن ذلك قاطع لمن عصاه يقول
إنا كنا عن هذا غافلين ولكنك بما جاءه به من التنبيهات على ذلك فإن العقول
كالعبر بأحوال الماضين ووجود الصانع ومعاده وقال عليه السلام كل
معاجل يسأل الإنظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل
للمعاجل والمؤجل وقال عليه السلام ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد
خبأ له الدهر يوم سوء فاستعار لفظ الخبأ لما بالقوة في طبيعة الزمان من الحوادث
المهلكة لسترها عن أفهام الخلق وقال عليه السلام وقد سئل عن القدر فقال طريق

مظلم

مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه فاستعار له لفظ
الطريق بوصف المظلم لغموض البحث وتصرف الذهن فيه وعدم الاهتداء
إلى الخفي منه وكذلك لفظ البحر لعمق البحث فيه ودقته لكونه سر الله باعتبار ٢٩٠
أنه لم يبح الخوض فيه وتكلف البحث عنه **وقال** عليه السلام إذا أرذل الله عبدا
حظر عليه العلم والأدب فاستعار لفظ الحظر وهو المنع لعدم توفيقه
له توفيقه له وتقصر أسبابه عليه وقال عليه السلام كان لي فيما مضى أخ في
الله يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا
يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد وكان أكثر دهره صامتا فإن قال بذ القائلين بلين
ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا فإذا جاء الجد فهو ليث غاد
وصل واد ولا يدلي بحجة حتى يأتي قاضيا وكان لا يلوم أحدا على ما يجد
العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعا إلا عند برئه وكان
يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان إن غلب على الكلام لم
يغلب على السكوت وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم وكان إذا
بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الأخلاق
فالزموها وتنافسوا فيها فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل
خير من ترك الكثير قيل أراد أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وقيل
عثمن ابن مظعون رضي الله عنه وكنى بصغر الدنيا في عينه عن زهده
فيها وبخروجه عن سلطان بطنه إلى قوله وجد عن عفته وبذ غلب
ونقع الغليل سكون العطش وهما كنايتان عن قوة الحكمة في مواضعها
بعد طول السكوت في موضعه وكنى بضعفه واستضعافه عن تواضعه
وذلته لله تعالى واستعار له لفظ الليث والصل في مواطن الحرب ومواضع إنكار
المنكر لسطوته وبأسه فيهما وأدلى بحجته أرسلها وبهذا الأمر أتاه من غير تردد
وأكثريته حرصه على الاستماع تغليبا للاستفادة على الإفادة والفضل ظاهر

يشتمل على اثني عشر فايدة وقال عليه السلم لو لم يتوعد الله تعالى على معصيته لكان
يجب ان لا يعصى شكرا لنعمته اراد فكيف وقد توعد فاولى ان يجب ترك
المعصية وقال عليه السلم وقد عزى الاشعث بن قيس عن ابن له فقال
له ان تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر ففي الله من
كل مصيبة خلف يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت ماجور وان
جزعت جرى عليك القدر وانت مازور سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك
وهو ثواب ورحمة اصل مازور الواو وهمز لمناسبة القرينة الاولى
وبلاء وفتنة لما يلزم الوالد بسببه من الجبن والبخل والحرص والحزن و
غيرها وثواب ورحمة لوالده اذا راعى فيه العدل والفضيلة من الرذايل
المذكورة وقال عليه السلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة دفن
ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل
وانه قبلك وبعدك لجلل فالجلل الامر الهين وهو ايضا الامر الصعب
العظيم وهو من الاضداد واراد ان المصاب قبل موتك وبعده ممن
كان من الناس سهل هين بالنسبة اليك وقيل اراد ان المصاب قبل
موتك عظيم عند الناس اذا تصوروه ولخوفهم منه وانه بعدك عظيم
لاختلال امر الدين بعده فالاول اظهر وقال عليه السلم لا تصحب المايق فانه
يزين لك فعله ويود ان تكون مثله فالمايق الاحمق ونفر عنه بضمير مغراه
قوله فانه الى اخره وقال عليه السلم وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق
والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب واضح اذ غرض الخطيب
الاقناع وقال عليه السلم اصدقاؤك ثلاثة واعداؤك ثلاثة فاصدقاؤك
صديقك وصديق صديقك وعدو صديقك واعداؤك عدوك وعدو
عدوك وصديق عدوك اراد العداوة والصداقة الخالصتين والحكم
بان صديق الصديق وعدو العدو صديق اكثري لاحتمال كون الصديق

غير

غير عالم بان لصديقه صديقا والعدو غير عالم بان لعدوه عدوا
فضلا ان يصادقه او يعاديه وكذلك الحكم بان عدو الصديق وصديق
العدو عدو وقال عليه السلم لرجل راه يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه 291
انما انت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه وقال عليه السلم ما اكثر العبر واقل
الاعتبار اراد بالعبر مواضع الاعتبار وقال عليه السلم من بالغ في الخصومة
اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع ان يتقي الله من خاصم نبه على طرفي الافراط
والتفريط في المخاصمة بما يلزمهما من الظلم المستلزم للاثم ومن الانظلام
ونبه على تعذر العدل فيها وصعوبة الوقوف على حده وقال عليه السلم
ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين وذلك لاستلزامهما عفوه
وتكفيره وسئل عليه السلم كيف يحاسب الله تعالى الخلق على كثرتهم فقال كما
يرزقهم على كثرتهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه اجاب
عليه السلم بما يفيد الاقناع والجواب الحق للمسئلة مبني على معرفة حقيقة
الحساب وحقيقة المحاسب ومعرفة المحاسب وهي ثلاث مسائل الهية
صعبة يطول الخوض فيها وقال عليه السلم رسولك ترجمان عقلك وكتابك
ابلغ من ينطق عنك فاستعار لفظ الترجمان للرسول باعتبار انه يعبر
عنه مقدار عقل المرسل وجهله والكتاب ابلغ ناطق عن الانسان لضبط
مراده فيه دون الالسنة ولمطابقته نطق المرسل عن نفسه وقال
عليه السلم ما المبتلى الذي اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي
لا يامن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى الدعاء فذاك لزوال البلاء وهذا لدوام
عافيته وقال عليه السلم الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه
ولفظ الابن والام مستعاران باعتبار كونهم فرعا وكونها اصلا وقال
عليه السلم ان المسكين رسول من الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد
اعطى الله باعتبار انه طالب منه وبامره وقال عليه السلم ما زنى غيور قط اي

البتة لاستلزام الغيرة الحقة من الزنا تصور الغيور وقوع مثله في حقه
من الغير فيعارضها له داعيه فيستقبحه فكيف عنه وقال عليه السلام
كفى بالاجل حارسا فاستعار لفظ الحارس له باعتبار ان الانسان محفوظ الى
في مدته كالحافظ وقال عليه السلام ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب قال
السيد رحمه الله ومعنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال
والقول الحرب سلب المال وانما لم يصبر عليه دون الثكل لامكان انتزاع
المال واسترجاعه دون من ثكل وقال عليه السلام مودة الاباء قرابة بين
الابناء فاستعار لفظ القرابة للاتصال بين الابناء باعتبار قوة المودة
وفضل المودة على القرابة ابينها دون العكس وقال عليه السلام اتقوا
ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم وذلك لصفاء سرائرهم
وتلقيهم السوانح الالهية بافكارهم الصافية وحدوسهم الثاقبة فلا تنطق
السنتهم الا بالحق عن امارات صادقة وقال عليه السلام لا يصدق ايمان عبد
حتى يكون بما في يد الله اوثق منه بما في يده فصدق الايمان هو اليقين التام
بالله ويلزمه الرجاء له وصدق التوكل عليه ويلزم ان يكون بما يرزقه اوثق
مما في يده وقال عليه السلام لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة و
الزبير لما جاء الى البصرة يذكرهما اشياء سمعها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلام فقال له اني انسيت ذلك
الامر فقال ان كنت كاذبا فضربك الله بيضاء لامعة لا تواريها العمامة
يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الا
متبرقعا قيل ما بعثه به هو ما سمعه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
لهما انكما ستقاتلان عليا وانتما له ظالمان وبيضاء في موضع جر بدلا من الضمير
في تواريها وقال عليه السلام ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها
على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض فمن اقبالها بالنوافل نشاطها

واتساعها

واتساعها فيها وللفرائض دون ادبارها وقال عليه السلام في القرآن نبأ
ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم اخبار القرون الماضية
وما بعدهم احوال القيامة وحكم ما بينهم الاحكام الخمسة وكيفية المعاملات
وقال عليه السلام ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر وكنى بالحجر
عن الشر وبرده من حيث جاء عن مقابلة الشر بمثله وهو مخصوص بشر لا يندفع
الا بالشر وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع الق دواتك واطلق
جلفة قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة
الخط الق دواتك اصلحها بالمداد وجلفة القلم سنانه وقال عليه السلام
انا يعسوب المؤمنين للدين والمال يعسوب الفجار ومعنى ذلك ان
المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها
وهو رئيسها وقال عليه السلام لما قال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم
حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم
من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم
تجهلون فاصله فهم عنه اي عما جاء به من الكتاب والسنة لعدم
معرفة جميعهم بها الا فيما اذ لم يشكوا في نبوته وانما لزم بني اسرائيل الشك
في نبوة موسى عليه السلام لشكهم في الاله المرسل له وقيل له عليه السلام باي شيء
غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعانني على نفسه قال السيد
رحمه الله يومي بذلك الى تمكن هيبته في القلوب وقال عليه السلام لابنه
محمد رحمه الله يا بني اني اخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فانه منقصة
للدين مدهشة للعقل داعية للمقت فتنقيصه للدين باعتبار الاهتمام
بامر المعاش عنه وما يلزم الفقير غير الصابر من الرذائل ودهش العقل به
ضيق الصدر بسببه والحيرة منه وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة
سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم

المتعسف شبيه بالجاهل في المغالطة المشكلة والتعنت طلب العنت وهو الامر
الشاق ولا تسال تعنتا اي لغير الوجه الذي ينبغي طلب العلم له كالمجادلة
والمغالبة وقال عليه السلم لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وقد اشار
عليه في شي لم يوافق رايه لك ان تشير علي فاري فاذا اعصيتك فاطعني
روي ان الذي اشار عليه به هو اقرار معوية على الشام وتولية طلحة البصرة
والزبير الكوفة وروي عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين
مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه الحرث
ابن شرحبيل وكان الشبامي من وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم
على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشي معه وهو عليه السلم راكب
فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن
شبام بالكسر حي من العرب والفصل واضح وقال عليه السلم وقد مر بقتلى
الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من
غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة
بالسوء غرتهم بالاماني وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم بالاظهار
فاقتحمت بهم النار فالبوس الشدة والاظهار اي اظهارهم على من غالبهم و
الاقتحام الدخول بسرعة وقال عليه السلم اتقوا معاصي الله في الخلوات
فان الشاهد هو الحاكم اراد ان الشاهد عليكم بما تعملون هو الذي
يحكم عليكم بجزاء ذلك وهو صغرى ضمير نفرتهم عن المعاصي وقال
عليه السلم لما بلغه قتل محمد ابن ابي بكر رحمه الله ان حزننا عليه على قدر سرورهم
به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا اراد سرورهم بقتله وقال
عليه السلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة اعذر اليه
اتاه بالعذر وصوابها له المدة المذكورة التي يمكنه فيها تحصيل زاد التقوى
وقال عليه السلم ما ظفر من ظفر الاثم به واراد ظفر الظالم لانه مقهور عند

الله

الله تعالى وقال عليه السلم ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء
فما جاع فقير الا بما منع غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك واراد فرض الزكوة
وقال عليه السلم الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به يريد ان الاستغناء
عن ترك الجريمة اكثر عزة للنفس منه وان كان صادقا لما فيه من المذلة
وقال عليه السلم ان اقل ما يلزمكم الله ان لا تستعينوا بنعمته على معاصيه
وذلك لان وضع النعمة للاستعانة بها على طاعة الله فلا اقل من ترك
المعصية معها وقال عليه السلم ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة
الاكياس عند تفريط العجزة فالاكياس الذين استعملوا فطنتهم فيما
ينبغي والعجزة المقصرين عما ينبغي وقال عليه السلم السلطان وزعة الله
تعالى في ارضه فالوزعة الرادع واراد السلطان العادل بقرينة اضافته
الى الله عز وجل وقال عليه السلم في صفة المؤمن المؤمن بشره في
وجهه وحزنه في قلبه اوسع شي صدرا واذل شي نفسا يكره
الرفعة ويشناء السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول
وقته صبور شكور مغموم بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقة لين
العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد اقول عرفه في معرض
المدح بستة عشر وصفا وحزنه على موته وسعة الصدر فضيلة تحت
الشجاعة وذلة نفسه تواضعا لله تعالى وكراهته للرفعة تنزها عن رذيلة
الكبر وطول غمه نظرا الى ما بين يديه من الموت وما بعده وبحسب ذلك
كان بعد همته في المطالب العالية والسعادة الباقية وشغل وقته
بعبادة ربه مغموم بفكرته في ملكوت السموات والارض وضنين بخلته
اي لا يسرع الى المصادقة احد لعلمه احوال الصدقا وللانقطاع عن الخلق
الى الله تعالى وروي بفتح الخاء اي يضن بحاجته ان يذكرها لاحد والخلة
الحاجة وكنى بصلوبته عن قوته في الدين وقال عليه السلم لو راى العبد

الأجل وسيره لا بنقص الأمل وغروره فاستعار لفظ مسير الأجل لسرعة انقضاء
الزمان المستلزم للفناء وقال عليه السلم لكل امرئ في ماله شريكان
الوارث والحوادث وقال عليه السلم الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر اراد من
يدعو الله لمراده من غير وسيلة اليه من العمل وقال عليه السلم العلم
علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع واراد بالمطبوع
ما يعلم بطبيعة العقل من الأصول كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم
الشرعية التي هي فرع العقلية وقيل اراد بالمطبوع العلوم الضرورية
وبالمسموع المكتسبة وظاهر ان المكتسب لا ينتفع به الا ان يستند الى البرهان
ومقدماته اليقينية اذ التقليد غير كاف وقال عليه السلم صواب الرأي
بالدول ويذهب بذهابها لما كان صواب الرأي من اسباب الدولة وتمامها
كان مصاحبا لها وملازما ويدل ذهابها على ذهابه بدلالة عدم المعلول على عدم
العلة وقال عليه السلم العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى وقال عليه
السلام يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم وقال عليه
السلام الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوة وكل نفس بما كسبت رهينة والناس
منقوصون مدخولون الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد
افضلهم رأيا يرده عن فضل رأيه الرضا والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكأه
اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل
ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه
ومن حق منعه اصابه حراما واحتمل به آثاما فباء بوزره وقدم على ربه آسفا
لاهفا قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين اقول مبلوة
مختبرة مسئول عنها يوم القيمة ومدخولون اي في عقولهم دخل وعلة و
اصلبهم عودا اي في دينه وتنكأه اي تؤثر فيه واراد اللحظة والكلمة
ممن تستهويه الدنيا وتستميله بغيره وباء رجع والوزر ثقل الآثام و

الا هو

الا هو المقر والقمر ظاهر وقال عليه السلم من العصمة تعذر المعاصي
اي من اسباب العصمة لان العصمة ملكة ترك المعاصي وقد تحصل
عن تعود الترك لعدم الوجدان وقال عليه السلم ماء وجهك جامد
يقطره السؤال فانظر عند من تقطره فاستعار لفظ ماء الوجه للحياء
وقيل كني به عن العرق وقد يعرض للسائل من الحياء عند سؤاله وقال
عليه السلم الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي
وحسد فالملق التلطف الشديد بالقول والافراط بالمدح وقال
عليه السلم اشد الذنوب ما استهان به صاحبه لاستلزام ذلك عودا ومنه
حتى يصير ملكة وقال عليه السلم من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب
غيره ومن رضي برزق الله تعالى لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي
قتل به ومن كابد الامور عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن دخل
مداخل السوء اتهم ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل
حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه
دخل النار ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه
فذلك الاحمق بعينه ومن اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير
ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه والله الموفق
اقول انما يشتغل عن عيب غيره اذا اعتبر نقصان نفسه
بعيبها وكنى بسل سيف البغي عن القتل ظلما وهو مستلزم لمثله
لوجوب المجازات في الطبيعة ومكابدة الامور مقاساتها
بالنفس وهي مظنة العطب والهلاك وكنى باللجج عن الامور العظام
كالحروب وتدبير الدول وبالغرق عن الهلاك بها لان ذلك مظنته و
التهمة في الدخول مداخل السوء لانها مظنة ما يتهم به من السوء وكثرة الخطأ
في كثرة الكلام لانها مظنته وكثرة الخطأ يستلزم قلة الحياء لكثرة مقابلته

٢٩٤

الناس بما يستحيي منه وتعوّده مخصيين خلقا وقلة الورع بقلة الحياء لأنه
من الورع فنقصانه بنقصانه وموت القلب بقلة الورع لأن بالورع
ولزوم الأعمال الجميلة حياة القلب وبعدمها موته واستعار لعدم
الفضايل لفظ الموت والراضي لنفسه بما ينكره من عيب غيره احمق
لمخالفته الرأي الأصوب في انكارها واستلزامه كما الموت للرضاء
باليسير من الدنيا العلم الذاكر بعدم الانتفاع بالكثير منها وبحرمة
اللازمة لمفارقته ولزوم قلة الكلام الا فيما يعني للعلم بأن
الكلام من جملة العمل بدليل هكذا الكلام من الأعمال ولا عمال تكتب
ويؤاخذ على الفضول منها ينتج ان الكلام يكتب ويؤاخذ على الفضول منه
وقال عليه السلام للظالم من الرجال ثلاث علامات يظلم من فوقه بالمعصية
ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة اراد بمن فوقه الخالق
او امامه والمظاهرة المعاونة وقال عليه السلام عند تناهي الشدة
تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء لأن تناهي الشدة
ان لم يستلزم الخلاص منها لم تكن قد تناهت وقد فرضت كذلك واستعار
لفظ الحلق لتضايقه على احاطتها بالانسان لا يجد منها مخلصا كالحلقة
وقال عليه السلام لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان
يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه وان يكونوا
اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله اراد شغله بهم صرف
همته كلها او اكثرها الى المصالح الدنيوية وهي المنهي عنه لصرفه عن عبادة
الله تعالى دون القدر الضروري من ذلك وقال عليه السلام اكبر العيب
ان تعيب ما فيك مثله وهنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له فقال
له ليهنك الفارس فقال عليه السلام لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب
وبورك لك في الموهوب وبلغ اشده ورزقت برّه وهذا ادب دالّ

بجوده

كيفية التهنية المندوب اليها شرعا وبنى رجل من عماله عليه السلام بناء فخما
فقال اطلعت الورق رؤوسها ان البناء ليصف لك الغنى فالغرض العظيم وكنى
بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور اثرها في البناء وقيل له عليه السلام لو سدّ
على رجل باب بيته وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث
يأتيه اجله فنبّه على حيثية الرزق بحيثية الأجل لاشتراكهما في مبدإ
واحد وهو قدرة الصانع تعالى وعزّى عليه السلام قوما عن ميت مات
لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدأ ولا اليكم انتهى وقد كان صاحبكم
هذا يسافر فعدّوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه
افصوم لذلك وقال عليه السلام ايها الناس ليراكم الله من النعمة وجلين
كما يراكم من النقمة فرقين انه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك
اختبارا فقد ضيّع مأمولا فالاستدراج الأخذ على غرة وهو اشارة
الى كون النعمة بلاء يجب مقابلتها بالشكر كما ان النقمة بلاء يجب مقابلتها
بالصبر والمأمول الذي ضيّعه اجر الصبر على الاختبار بالفقر وضيق
ذات اليد وقال عليه السلام يا اسراء الرغبة اقصروا فان
المعرّج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس
تولوا من انفسكم تاديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها فاستعار لفظ
الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا واستعار لفظ صريف الانياب
لمقدمات الموت من الامراض المخوفة ونحوها ولفظ الضراوة وهي الجرأة
على الصيد لجرأة النفوس واقدامها على العادات المضرة في الآخرة
وقال عليه السلام لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت تجد لها
في الخير محتملا وذلك من مكارم الاخلاق داخل تحت حسن الظن وقال عليه
السلام اذا كانت لك الى الله سبحانه من حاجة فابدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اسأل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احداهما

ويمنع لاخريه وقال عليه السلام من ضن بعرضه فليدع المراء اي من بخل بعرضه لان المراء داعية المخاصمة والمسابّة واخذ العرض بين المتمارين وقال عليه السلام من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة فالخرق ضد الرفق وهو التعسف في الامور والعجلة فيها في طرف الافراط من فضيلة طلبها كما ينبغي والاناة طرف التفريط وهما مذمومان ونفّر عنهما بكونهما من الخرق وقال عليه السلام لا تسأل عما لا يكون من احكام الحوادث التي لم تقع ففي الذي قد كان لك شغل اي باستنباط مسائلها الكثيرة واحكامها الدقيقة وقال عليه السلام الفكر مرآة صافية والاعتبار منذر ناصح وكفى ادبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك فاستعار لفظ المرآة الصافية للفكر لانتقاش الصور المعقولة فيه كانتقاش المرآة بالصور المحسوسة ولفظ المنذر الناصح للاعتبار لصدقه فيما يفيده من اليقين بالموت وما بعده وقال عليه السلام العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه اي مقرون به بمقتضى الحكمة الالهية في كمال النفس الانسانية الا ان العلم كمال القوة النظرية والعمل كمال القوة العملية ولا كمال لها بدونهما وقوله فمن علم عمل اي لزمه ان يعمل بعلمه والا لم يكن عالما وقيل لزم بمقتضى الحكمة ان يعمل بعلمه واستعار لفظ الهتف وهو النداء المعقول من طلب العلم لمقارنة العمل وجذبه الطبيعي الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان وقوله فان اجابه والا ارتحل عنه اي ان لم يقارنه زال لان العمل يؤكد العلم ويصيره ملكة وترك ذلك ينسيه ويستلزم الغفلة عنه فيزول وهو المراد بالارتحال وقال عليه السلام يا ايها الناس متاع الدنيا حطام موبئ فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على مكثر بها بالفاقة واعين من غني عنها بالراحة ومن

۲۹۷ راقه زبرجها اعقبت ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره اشجانا لهن رقص على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاؤه وانما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل اثرى قيل اكدى وان فرح له بالبقاء حزن عليه بالفناء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون اقول استعار لفظ الحطام لمتاعها والموبئ المهلك في الآخرة بجمعه واقتنائه ولفظ مرعاه لتحصيله والقلعة الرحلة وعدم الاستقرار واحظى انفع واراد ان عدم الاستقرار فيها انفع من السكون اليها وازكى اطهر للنفس ومن غني عنها اي بقناعته وزهده فيها وكمالات نفسه وقوله من راقه الى قوله كمها اي من اعجبته زينتها فاحبها اعمت عين بصيرته عن ادراك ما وراءها من احوال الآخرة والكمه العمى خلقة واستشعر الشغف بها اي اتخذ محبتها شعارا والاشجان الهموم والاحزان والرقص الاضطراب والحركة واراد بذلك حركة الفكر والخيال في الاهتمام بها والعمل لها والكظم مجرى النفس والاخذ به كناية عن الموت والابهران عرقان متعلقان بالقلب وقوله ان قيل اثرى الى قوله الفناء وصف لحال الانسان فيها من تنغص اللذة وتكدر العيش بها بمعاقبة المكاره واكدى قل خيره وهذا من تمام الكلام الاول ووصف المؤمن اعتراض بينهما وقوله هذا اي هذا البلاء ولم يأتهم يوم القيامة والابلاس اليأس من الرحمة والله اعلم وقال عليه السلام ان الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم الى جنته فالذيادة الدفع والمنع والحياشة الجمع وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن

الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البنى خراب من الهدى
سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تأوي الخطيئة يردون
من شذ عنها فيها ويسوقون من تأخر عنها اليها يقول الله عز وجل
فبي حلفت لابعثن الى اولئك فتنة اترك الحليم فيها حيران وقد فعل
ونحن نستقيل الله تعالى عثرة الغفلة رسم القرآن اثره وتلاوته وقوله
قد فعل يستلزم انه ادرك ذلك الزمان واهله فكيف بزماننا والفصل
واضح وروي انه عليه السلام قال لما اعتدل به المنبر الا قال امام خطبته ايها
الناس اتقوا الله فما خلق امرء عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه
التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده وما المغرور الذي
ظفر من الدنيا باعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بادنى سهمته والسهم
المهمل والسهمة نصيبه والفصل من افصح العبادات في تفضيل الآخرة على الدنيا
وقال عليه السلام لا شرف اعلى من الاسلام وذلك لاستلزامه شرف الدارين
ولا عز اعز من التقوى لاستلزامها دوام العزة فيهما ولا معقل احصن
من الورع للتحرز به عن اشد المخاوف في الآخرة ومن مداخل الرذائل في
الدنيا ولوازمها والورع لزوم الاعمال الجميلة والمعقل الحصن ولا
شفيع انجح من التوبة لاستلزامها العفو عن الجرم جزما دون سائر الشفعاء
ولا كنز اغنى من القناعة لانها غنى النفس الذي لا حاجة معه ولا مال
اذهب للفاقة من الرضا بالقوت وهو القناعة ولوازمها ومن اقتصر على
بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة اي البلغة التي تكف عن الناس وانتظم
الراحة دخل في سلكها وتبوأ خفض الدعة اتخذ لين الراحة مباءة
ومقاما والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب فاستعار لفظ المفتاح
والمطية للرغبة في الدنيا لكونها سببا للمتاعب فيها والحرص والكبر والحسد
دواع الى التقحم في الذنوب اي للدخول فيها بسرعة والشر جامع مساوي

العيوب

العيوب لصدقه على جميعها كالجنس لها وقال عليه السلام لجابر بن عبد
الله الانصاري يا جابر قوام الدين باربعة عالم مستعمل علمه وجاهل
لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته ٢٩٧
بدنياه فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلم واذا بخل الغني
بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت
حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها
وان ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها فاستعمال علمه على وفقه
واشار بقوله عالم الى قوله بدنياه الى ما به قوام الناس وصلاح حالهم
في معاشهم ومعادهم من الفضائل والى ضد ذلك المستلزم لفساد
حالهم من الرذائل وقيام العبد بما يجب لله في نعمته عليه الشكر
عليها وصرفها في مصارفها الشرعية وعدم قيامه فيها بذلك كفرانها
ومنعها عن وجوهها وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد
الرحمن بن ابي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع
ابن الاشعث انه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد اني
سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يقول يوم لقينا اهل
الشام ايها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه
فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من
صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى
فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين
وقد قال عليه السلام في كلام غيره هذا يجري مجراه فمنهم المنكر للمنكر
بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه
وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة
ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع اشرف الخصلتين

من الثلاث وتمسك بواحدة ومنهم التارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه
ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان
من رزق وافضل من ذلك كلمة حق عند امام جائر اقول الضمير في
انه قال راجع الى ابن الاشعث وسلبه من الاثر وفات ليقولوا لتكون
كلمة الله هي العليا الى شرط اصابة سبيل الهدى دون غرض آخر في انكار
المنكر واستعار لفظ الميت لتارك الامر بالمعروف مطلقا باعتبار خلوه
عن جميع خصال الخير التي يستلزمها ووجه شبه اعمال البر بالنفثة كون
اعمال البر جزئية تحت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وداخلة
فيها وقليلة جدا بالنسبة اليهما كالنفثة في البحر وعن ابي جحيفة
قال سمعت امير المؤمنين يقول ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد
الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا
ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله ومعنى غلبهم على الجهاد بقلوبهم
انهم اذا غلبوا عليه بايديهم والسنتهم الفوا المنكر واعتادوه الا انقهار عن
انكاره فزال عن قلوبهم ولم يبق لها انكاره واستعار وصف القلب لانتكاس
عقله في مهاوي الرذايل وقال عليه السلم ان الحق ثقيل مرئي وان الباطل
خفيف وبي اي مهلك عند الله وقال عليه السلم لا تامنن على خير هذه الامة
من عذاب الله لقول الله سبحانه وتعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
ولا تياسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون فاستعار لفظ المكر لامهال الله سبحانه واخذه
على غرة وهو صورة مكر وخداع وقال عليه السلم البخل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء وذلك لانه يستلزم الجهل بمواضع
بذل المال ووضعه فيها والجور العبور في تحصيله عن فضيلة شهوة وجه

العفة

العفة الى طرف الافراط والجبن لان البخيل يمسك ماله بخلا بنفسه والظلم
الانظلام وهو ظاهر وهذه الرذائل الاربع هي امهات العيوب
والرذائل وتحتها رذائل كثيرة كالانواع لها كالحرص والحسد والكذب
الشره ودناءة الهمة والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم ٢٩٨
المساوات وكلها لوازم البخل وتوابعه والاستقراء يحقق صدقه عليه
السلم وقال عليه السلم الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك فان لم تاته اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك
كفاك كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جده
سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما
تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك
عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك وقد مضى هذا الكلام فيما
تقدم من هذا الباب الا انه هاهنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على
القاعدة المقررة في اول الكتاب قوله فيه اي في يومك والفضل
ظاهر وقد سبق مثله مشروحا وقال عليه السلم رب مستقبل يوما ليس
بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه في آخره وقال عليه السلم
الكلمة في وثاقك ما لم تتكلم بها فاذا تكلمت بها صرت في وثاقها فاخزن لسانك
كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة فالوثاق الحبل ولفظه
مستعار وقال عليه السلم لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان
الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيمة
اراد فرض عليك في جوارحك لان الانسان هو المكلف وقال عليه
السلام احذر ان يراك الله تعالى عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من
الخاسرين واذا قويت فاقو على طاعة الله واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله
وهو ظاهر وقال عليه السلم الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل والتقصير

في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن والطمانينة الى كل احد قبل
الاختبار عجز ازاد بما يعاين منها من التغير والزوال وجملته مما ينبغي لرفع
ذلك من الحذر والاستعداد للامور الثابتة الباقية في الآخرة والتقصير
في حسن العمل غبن لانه ترك خير كثير لعمل يسير والعجز في الطمانينة الى كل احد
اي عن البحث عما ينبغي ان تسكون اليه والنفرة عنه والله الموفق وقال
عليه السلم من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا
بتركها وقال عليه السلم من طلب شيئا ناله او بعضه اي غالبا وفي المعتاد
وقال عليه السلم ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده الجنة
وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية اراد ما خير بعده
النار يستحق ان يسمى خيرا وما شر بعده الجنة ينبغي ان يعد شرا
وقال عليه السلم الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن
واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل
من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب فا
لتفاوت بين مرض البدن ومرض القلب بالرذايل بالشدة والضعف بحسب
تفاوت غايتيهما وهو الموت المحسوس والموت المعقول وما يلزمهما من الشدة
والعذاب وما يفوت بسببهما من العافية الحسية والعقلية وقال
عليه السلم للمؤمن ثلث ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم معاشه
وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان
يكون شاخصا الا في ثلث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة
في غير محرم قسم زمان المؤمن الى اقسام الثلثة التي ينبغي له بحسب
مقتضى الحكمة العملية ورم المعاش اصلاحه ويجمل يحسن والشاخص الذاهب
من بلد الى بلد وقال عليه السلم ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها ولا تغفل
فلست بمغفول عنك الزهد في الشيء مستلزم لادراك عيوبه لان حب الشيء

يعمي

يعمي ويصم وقال عليه السلم تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه
وقنعته مفصله وقال عليه السلم خذ من الدنيا ما اتاك وتول عما تولى عنك
فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب فامر بالقناعة اولا ثم بالاجمال في
طلب الدنيا ان لم تكن القناعة وهو طلبها من الوجه الذي ينبغي وعلى الوجه
الجميل الذي ينبغي وقال عليه السلم رب قول انفذ من صول اي قد يبلغ
الانسان بالقول ما لا يبلغه بالسطوة والصولة فيكون القول انفذ في
غرضه ويضرب بمثله للرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف وقال
عليه السلم كل مقتصر عليه كاف اي مما يمكن الاقتصار عليه وفيه جذب الى القناعة
وقال عليه السلم المنية ولا الدنية ولا ركوب الدنية ان تحتمل المنية ولا تحتمل الدنية
وقيل المنية مبتدا دل على خبره قوله ولا الدنية اي اسهل من ركوب
الدنية وهي الامر الخسيس يرتكب في طلب الدنيا والتقلل ولا التوسل
اي في اهل الدنيا في طلبها ومن لم يعط قاعدا لم يعط قايما فكنى
بالقعود عن طلب التسهل وبالقيام عن التعسف في الطلب اي من لم يرزق
بالطلب السهل لم ينفعه التشديد والتعسف في طلبه والحكم اكثري وقيل
اراد من لم يرزق الشيء في نفس الامر لم تنفعه الحركة فيه والدهر يومان
يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر والبطر
تجاوز الحد وقال عليه السلم لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله
عن قول مثلها لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا قال السيد رحمه الله والشكير
هاهنا اول ما ينبت من ريش الطاير قبل ان يقوى ويستحصف والسقب
الصغير من الابل ولا يهدر الا بعد ان يستفحل واقول الشكير هو الفرخ
قبل النهوض واستعار لفظ الشكير والسقب له باعتبار صغر قدره عما
تكلم به ووصف الطيران والهدير له باعتبار خوضه فيما ليس من شانه و
قال عليه السلم مقاربة الناس في اخلاقهم امن من غوايلهم اي يستلزم الامن

منها والغاية الحقد وقال عليه السلام من أومأ إلى متفاوتات خذلته الحيل
أراد بالمتفاوت التي يتعذر اجتماعها ويضعف الوسع عن تحصيلها
في العادة واستعار لفظ الخذلان لعدم مؤاتات الحيل له فيما يرومه
من ذلك وقال عليه السلام وقد سئل عن معنى قول لا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم فقال إنا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك إلا ما ملكنا
فمتى ملكنا ما هو أملك به منا كلفنا ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا وقال
عليه السلام لعمار بن ياسر رضي الله عنه وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة
كلاما دعه يا عمار فإنه لن يأخذ من الدين إلا ما قاربته الدنيا وعلى عمد
لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته أراد أنه لا يعمل من الدين إلا
بما يستلزم دنيا ويقرب منها وسقطاته زلاته وقال عليه السلام ما أحسن
تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على
الأغنياء اتكالا على الله وفيه تنبيه على أن التيه له موضع يحسن فيه وقال
عليه السلام ما استودع الله امرأ عقلا إلا ليستنقذه به يوما ما أي يكون
سببا لخلاصه من بلاء دنيوي أو أخروي وقال عليه السلام من صارع الحق
صرعه فمصارعة الحق مغالبته ومقاومته والحق أكثر أعوانا وأعز أنصارا
وقال عليه السلام القلب مصحف البصر فاستعار لفظ المصحف للقلب باعتبار انتقاش
صور ما ينبغي التكلم به في لوح الخيال وإدراك الحس المشترك له من باطن
كالمصحف معتبرا منه وقال عليه السلام التقى رئيس الأخلاق لأفضليته على جميعها
باستلزامه السعادة الأبدية دون كل فرد فرد منها وقال عليه السلام لا تجعلن
ذرب لسانك على من أنطقك وبلاغة قولك على من سددك وهو كالمثل يضرب
لمن يحصل من إنسان علما أو أدبا فيستعين بذلك على مخاصمته وذرب اللسان حدته
والله أعلم وقال عليه السلام كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك أراد
بما يكره من غيره الرذائل واجتنابها نفس الأدب وتنفر عنها بكونها مكروهة له

وقال

وقال عليه السلام من صبر صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار وفي خبر آخر أنه
قال للأشعث بن قيس معزيا إن صبرت صبر الأكارم وإلا سلوت سلو
البهائم والأغمار جمع غمر وهو الجاهل والله أعلم وقال عليه السلام في
صفة الدنيا تغر وتضر وتمر إن الله لم يرضها ثوابا لأوليائه ولا عقابا
لأعدائه وإن أهل الدنيا كركب بيناهم حلوا إذ صاح بهم سائقهم 300
فارتحلوا أراد نفرة محبتها وتغير زينتها وتمر بفراقها من المرارة
والمرور والله الموفق وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام يا
بني لا تخلفن شيئا وراءك من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجلين إما رجل
عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به أو رجل عمل فيه بمعصية الله
فشقي بما جمعت له وليس أحد هذين حقيقا أن تؤثره على نفسك ولا تحمل
على ظهرك فارج لمن مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله والفصل من أحسن
الآداب في بذل المال وقال عليه السلام للقائل بحضرته أستغفر الله
ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار إن الاستغفار درجة العليين وهو
اسم واقع على ستة معان أولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك
العود إليه أبدا والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز
وجل أملس ليس عليك تبعة والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها
فتؤدي حقها والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه
بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس أن
تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول
أستغفر الله أقول لما كان الاستغفار هو طلب المغفرة وكان الطلب
بدون التوبة والعمل للمطلوب حمقا كما أشار إليه فيما قبل كانت الأمور
المذكورة من اللوازم التي ينبغي للاستغفار فعبر بها عنه واستعار لفظ
الأملس من الآثم وقال عليه السلام الحلم عشيرة فاستعار له لفظ العشيرة باعتبار

الله بحمل صاحبه ويجنبه الاذى ممن ينافره ويعاديه وقال عليه السلام مسكين ابن
آدم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تولمه البقة وتقتله الشرقة
وتنتنه العرقة فالعلل الامراض والاعراض والصفات المذكورة ووجه
المسكنة والضعف وروى انه عليه السلام كان جالسا في اصحابه اذ مرت بهم امراة
جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال عليه السلام ان ابصار هذه الفحول
طوامح وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر احدكم الى امراة تعجبه فليلمس اهله
فانما هي امراة كامراة فقال رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه
فوثب اليه القوم ليقتلوه فقال عليه السلام رويدا انما هو سب بسب او
عفو عن ذنب فالرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبيب والهباب
صوت التيس عند هياجه والكلام واضح وقال عليه السلام كفاك من
عقلك ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك فاشار الى غاية العقل العملي
والله اعلم وقال عليه السلام افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره
كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون
والله كذلك ان للخير والشر اهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه اهله فيكون
والله كذلك لان ذلك القول من التارك بما يكون باعثا لمن توهم فيه فعل
الخير ونسبه اليه فيصدق قوله وظنه بفعله فيكون اولى به منه وقال
عليه السلام من اصلح سريرته اصلح الله له علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر
دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس لان الاحوال
الظاهرة كالثمرات والاثار للاحوال الباطنة وصلاحها وفسادها تابعان لصلاح
الباطن وفساده وقال عليه السلام الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر
خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك فاستعار لفظ الغطاء للحلم لستره رذائل
الاخلاق ولفظ الحسام للعقل لقهره النفس الامارة به وقال عليه السلام ان لله
عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم ما بذلوها فاذا منعوها

نزعها

نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم وقال عليه السلام لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين ٣٠٥
العافية والغنى بينا تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا اذ افتقر نفر عن
الثقة بهما لاستلزامهما الغفلة عن الآخرة بضمير صغراه قوله بينا تراه
الى آخره وقال عليه السلام من شكا الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى
الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكا الله وذلك لان المؤمن حبيب
الله فالشكاية اليه كالشكاية الى الله وهو في معرض ان يكون وسيلة
الى الله في قضاء الحاجة والكافر عدو الله فالشكاية اليه تشبه
شكاية الله الى عدوه اذ هو سبحانه مبداء الحاجة والغنى وقال
عليه السلام في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه و
كل يوم لا يعصى الله فيه فهو يوم عيد وقال عليه السلام ان اعظم الحسرات
يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله فورثه رجل
فانفقه في طاعة الله فدخل به الجنة ودخل الاول به النار وكون ذلك
اعظم الحسرات لعدم انتفاعه بماله وعذابه في الآخرة ومشاهدة انتفاع
غيره به وقال عليه السلام ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا
رجل اخلق بدنه في طلب آماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج
من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته وتبعته آثامه التي تطلبه بها و
تبع فيها وقال عليه السلام الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب
الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي
رزقه منها فاستعار لفظ الطالب الاول للرزق لانه لا بد من وصوله فاشبه
الطالب لصاحبه وقال عليه السلام ان اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن
الدنيا اذ نظر الناس الى ظاهرها واشتغلوا باجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها
فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم ورأوا
استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء لما سالم الناس وسلم

ما عادى الناس وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا
لا يرجون مرجوًّا فوق ما يرجوا ولا مخوفًا فوق ما يخافوا من اولياء
الله بعشر صفات وباطن الدنيا حقيقتها وغرض الحكمة الالهية منها و
آجلها ثواب العمل فيها الموعود في الآخرة وما اماتوا منها هو نفوسهم
الامارة التي خافوا ان تغلب نفوسهم المطمئنة فتهلكها واستغلالا
اي من الخير الذي ينبغي طلبه وفوتا له وما سالم الناس هو الدنيا وما عادوا
هي الآخرة وبه علموا لاستمدادهم به وبه قاموا اي بما امرهم به وقال
عليه السلم اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات وقال اخبر تقله قال
السيد رحمه الله ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه
وسلم ومما يقوي انه من كلام امير المؤمنين ما حكاه ثعلب قال حدثنا
ابن الاعرابي قال قال المأمون لولا ان عليا عليه السلم قال اخبر تقله
لقلت انا اقله وقلاه تقليه وقليه بغلاه ابغضه والهاء مزيدة للسكت
هو كالمثل يضرب لاستلزام اختبار بعضهم واجتنابهم لما هم عليه من الرذايل
وما ينكشفون عنه من قبح البواطن وقال عليه السلم ما كان الله تعالى ليفتح على
عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق
الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة ولا ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه
باب المغفرة فاشار الى استلزام امور ثلاثة لامور ثلاثة وتصديقها من
القرآن الكريم وسئل عليه السلم ايما افضل العدل او الجود فقال العدل يضع
الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سايس عام والجود عارض
خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما قوله يخرجها عن جهتها لان طبيعة الجود
تقتضي من صاحبها اخراج ما يملكه عن مواضعه ومواقع حاجته التي هي اولى
به بمقتضى العدل واستعار لفظ السايس للعدل لان به نظام العالم والجود
عارض خاص بمن يصل اليه وقال عليه السلم الناس اعداء ما جهلوا وقد مر

بيانه

بيانه وقال عليه السلم الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ومن لم يأس على الماضي ولم
يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه والله الهادي اقول الاعراض ٣٠١
عن الدنيا بترك الاسف عليها والفرح بها في قوة خاصة مركبة تلزم الزهد عرفيه بها
وكنى باخذ الزهد بطرفيه عن استكماله بمبدأه وغايته وقال عليه السلم
الولايات مضامير الرجال فاستعار لفظ المضامير وهي الامكنة التي يضمر
فيها الخيل للسباق للولايات لانها مظنة معرفة خيرهم من شرهم
وقال عليه السلم ما انقض النوم لعزايم اليوم وهو كالمثل يضرب لمن يعزم
على امر فيغفل عنه او يتهاون فيه حتى ينتقض عزمه عليه واصله ان الرجل
ينوي السير ليلة ليتوفر في نهاره على مسيره فيغلبه النوم الى الصباح
فيفوت وقت العزم وينتقض في نومه وقال عليه السلم ليس بلد باحق
بك من بلد خير البلاد ما حملك اي ما حمل مؤنتك وقام بها وقال عليه السلم
وقد جاءه نعي مالك الاشتر رحمه الله مالك وما مالك لو كان جبلا
لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطاير والفند المنفرد من
الجبال ومالك مبتدا او فاعل اي مات مالك وما استفهامية في
معرض التعجب من مالك رحمه الله تعالى وقوته في الدين واستعار لفظ
الفند له لقوة بأسه وعدم انفعاله عن العدو واراد انه لو كان جبلا
منفردا من الجبال مستقلا في علوه ورفعته وروي انه عليه السلم قال
واما لكاه كان لي كما كنت لرسول الله وقال عليه السلم قليل مدوم عليه خير
من كثير مملول منه اي من الامور التي ينبغي ان تفعل وقد مر وقال عليه السلم
اذا كان في رجل خلة رايعة فانتظروا اخواتها والرايعة المعجبة
اذا كان فيه خلق فاضل فان طبعه مظنة ان يكون فيه امثاله فيتوقع
منه وقال عليه السلم لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما ما فعلت

ابلك الكثيرة فقال دع عنهما الحقوق يا امير المؤمنين فقال عليه السلم
ذكر احمد بسلها فدع عنهما بالذال المعجمة مكسورة فرقتها وقال عليه
السلم من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع
فيه فلم يمكنه الخلاص واستعار وصف للتاجر الجاهل لوقوعه في الربا
وقال عليه السلم من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها لاستعداده
بتحسره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء وقال عليه السلم من كرمت
عليه نفسه هانت عليه شهوته لعداوتهما وتضادهما كما بينا وقال عليه السلم
ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة واستعار لفظ المجة لما ينقص
من العقل الحاصل بالمزاح غير المعتدل فانه يخالف الراي الاصلح وهو
يوذن بنقصان الراي الموذن بنقصان العقل وقال عليه السلم زهدك
في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس وهو ظاهر
وقال عليه السلم ما لابن آدم والفخر اوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق
نفسه ولا يدفع حتفه وقدم مثله وقال عليه السلم الغنى والفقر بعد العرض
على الله فالغنى الحقيقي بالثواب والفقر بعدمه في الآخرة وسئل
عليه السلم عن اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية
عند قصبتها فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرأ القيس اراد انهم
لم يقولوا الشعر على نهج واحد فيما بينهم بل لكل منهم خاصة يجيد فيها
وتنبعث فيها قريحته فواحد في الرغبة وآخر في الرهبة وآخر في النشاط
والطرب ولذلك قيل اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب والاعشى اذا
رغب والنابغة اذا رهب واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل
تخرج للسباق للطريقة الواحدة وانما حكم لامرئ القيس بذلك لجودة شعره
في اكثر حالاته وسمي ضليلا لقوة ضلالته وفسقه وقال عليه السلم الا حر
يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها

الا بها فاللماظة بقية الادام بقية الطعام في الفم واستعار لفظها للدنيا لحقارتها
جذبا الى تركها وثمن النفوس الجنة في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم الآية والله الموفق وقال عليه السلم علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث
يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون في حديثك فضل عن عملك وان
تتقي الله في حديث غيرك اراد بحديث غيره الحديث في عرضه بغيبة او سماعها
اراد انه تحتاط في الرواية فلا يروي كذبا وقال عليه السلم يغلب المقدار على
التقدير حتى تكون الآفة في التدبير وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم
٣٠٣ بين ابتدائه الفصل الروايه والمقدار القدر والتقدير تقدير العبد لنفسه
وتدبيره لها وذلك للجهل باسرار القدر فربما ظن بما هو آفة وسبب للهلاك
مصلحة وقد سبق شرحه وقال عليه السلم الحلم والاناة توامان ينتجهما
علو الهمة لانهما فضيلتان تحت علو الهمة ثم فضائل القوة الغضبية
تحت الشجاعة واستعار لهما لفظ التوءمان لكونهما متلازمان في مرتبة
واحدة وقال عليه السلم الغيبة جهد العاجز لانها اكثر ما تصدر عمن لا
يقدر على الانتقام فيعدل اليها وقال عليه السلم رب مفتون بحسن
القول فيه اي مبتلى بذلك ليعلم شكره من كفره وقال عليه السلام
الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها اي للاستعداد فيها للثواب
الآخرة وقال عليه السلم ان لبني امية مرودا يجرون فيه ولو قد
اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هاهنا مفعل من
الارواد وهو الامهال والانظار وهذا من افصح الكلام واغربه فكانه
عليه السلم شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه الى الغاية
فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها افول استعار لفظ المرود
لمدة دولتهم وقد يستعار لفظ الضباع للانسقاط والارذال وقال عليه
السلام في مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربي الفلو مع غنائهم

ذوق
بايديهم البساط والسنهم السلاط والعلو المهر والبساط السماح ويقال لها
في الطعن انه لسبط اليدين اي انه تغطيف فيه والاسلاط الحد [illegible] الفيه
ووجه التشبيه بتربية العلو حسن الرعاية له والقيام فيه وقال [illegible] عليه
السلام العين وكاء السه وقال السيد رحمه وهذه من الاستعارات
العجيبة كانه شبه الاست بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم
ينضبط الوعاء وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي [illegible]
وسلم وقد رواه قوم لامير المؤمنين وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب
في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم
بمجازات الاثار النبوية اقول انه استعار الوكاء وهو رباط القربة للعين
باعتبار حفظ الانسان لنفسه في يقظته ان يخرج منه ريح ونحو بما يحفظ
الوكاء وقال عليه السلام في كلام له وقد وليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب
الدين بجرانه والكلام من خطبة طويلة ايام خلافته وذكر فيها قربه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم واختصاصه به الى ان قال فاختار المسلمون بعده
بارائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا
فيه ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف
وعجز كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يكن يملك من امر نفسه شيئا غلب
عليه اهله فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم
ولم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا
عليه فقتلوه ثم جاؤوا في مدب الدبا يريدون بيعتي في كلام طويل
والجران مقدم عنق البعير وضربه بجرانه كناية عن استقراره وتمكنه
كناية بالوصف المستعار وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان عضوض
يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا
الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل فيه الاخيار ويبايع المضطرون

دفق

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطرين فاستعار لفظ
العضوض لشدته [illegible] يعض الموسر على ما في يده كناية عن بخله وتمسكه بنفع
وقال [illegible] عليه السلام [illegible] يهلك في رجلان محب مطر وباهت مفتر وهذا
مثل قوله عليه السلام [illegible] في رجلان محب غال ومبغض قال والمطري كثير
المدح [illegible] والباهت له المفتري كالخوارج وسئل عليه السلام
٣٠٤ عن [illegible] العدل فقال التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان
لا تتهمه [illegible] جملة التوحيد ان تنفي عنه تعالى كل امر شبهه الوهم كما
[illegible] الباقر عليه السلام فكلما ميزتموه باوهامكم فهو مخلوق مثلكم
[illegible] عليكم كما مر بيانه في الخطبة الاولى والمراد منها العدل الاعتقاد
[illegible] عدل في جميع افعاله تعالى واقواله فلا يفعل قبيحا ولا يخل
[illegible] لا يتهمه بهما وقال عليه السلام لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا
خير في القول بالجهل فالحكم الحكمة وقد مر مثله وقال عليه السلام في
دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها وهذا من
الكلام العجيب الفصاحة وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات
الرعود والبروق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص بحالها
وتقص بركبانها وشبه السحاب الخالية من تلك الروائع بالابل الذلل
التي تحلب طيعة وتقتعد مسمحة اقول انه استعار لفظ الذلل
والصعاب [illegible] لمكان المشابهة المذكورة والتوقص النزو وتقارب
الخطو [illegible] والروائع الامور المخوفة وقيل له عليه السلام لو غيرت شيبك
فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا
والنهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة طلب العلم
[illegible] وقال عليه السلام لزياد ابن ابيه وقد استخلفه لعبد الله ابن عباس

على قادر وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نماه فيه [illegible] ج

استعمل العدل واحذر العسف والحيف فان [illegible] عسف يعود بالجلاء و

الحيف يدعو الى السيف اي يعود بالجلاء على الرعايا [illegible] الى

السيف اي الى محاربتهم للولاية او الى هلاكهم بسيف [illegible] عليه

ال[illegible] ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى [illegible] العلم

ان يعلموا لان وجوب التعلم على الجاهل مستلزم [illegible] ليم

عا[illegible] عالم في الحكمة الالهية وعن النبي صلى الله عليه و[illegible] ال

من تعلم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار [illegible]

السلام شر الاخوان من تكلف له لان التكلف مستلزم [illegible]

لازم عن الاخ المتكلف له فهو شر الاخوان وقال عليه

المؤمن اخاه فقد فارقه يقال حشمه واحشمه بمعنى اغضبه [illegible]

اخجله واحتشم طلب فكك له وهو مظنة مفارقته وبالله ا[illegible]

وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة

الا بالله العلي العظيم وهذا اختيار مصباح

السالكين لنهج البلاغة من كلام مولانا امير

المؤمنين علي عليه السلم ورجاؤنا في الله سبحانه و

تعالى اذ وفق لتمامه ان يجعله خالصا لوجهه ويسعدنا

به في الدارين بمنه ولطفه ونسأله التوفيق

للعمل بما فيه من العلوم والمواعظ انه ارحم

الراحمين وكتبه الفقير الحقير جمعان

ابن زين الدين بن مساعد الحويزي عفى الله عنهما [illegible]

بمنه وكرمه والحمد لله رب

العالمين

۶۰ ریال